

مذكرات عبد الرحمن فهمى

يوميات مصر السياسية

إرهاصات الثورة

١٣ نوفمبر ١٩١٨ - ٧ يونية ١٩١٩

(الجزء الأول)



إشراف وتحقيق

أ.د. يونان لبيب رزق

الباحثون

جمال الدين أمين مهنا

ماجدة سليم شرقاوى

مسئولة عطية على



مذكرات

عبد الرحمن فهمى

يوميات مصر السياسية



الإدارة المركزية للمراكز العلمية

مركز تاريخ مصر المعاصر

مذكرات

عبد الرحمن فهمي

يوميات مصر السياسية

إرهاصات الثورة

١٣ نوفمبر ١٩١٨ م - ٧ يونية ١٩١٩ م

إشراف وتحقيق

أ.د. يونان لبيب رزق

الباحثون

جمال الدين أمين مهنا

ماجدة سليم شرقاوى

مسئولة عطية على

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. محمد صابر عرب

فهمى، عبدالرحمن، ١٨٨١ - ١٩٤٦.
مذكرات عبدالرحمن فهمى: يوميات مصر السياسية/ إشراف وتحقيق يونان لبيب رزق؛ الباحثون جمال الدين أمين مهنا، ماجدة سليم شرقاوى. مسئولة عطية على.. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر، 2011-
مج ١: 24 سم.
المحتويات: إرهاصات الثورة: ١٣ نوفمبر ١٩١٨م - ٧ يونيه ١٩١٩م.
تدمك 4 - 0796 - 18 - 977 - 978
١ - فهمى. عبدالرحمن، ١٨٨١ - ١٩٤٦. المذكرات
٢ - مصر. تاريخ. العصر الحديث. ثورة ١٩١٩
٣ - مصر. الأحوال السياسية
أ - رزق، يونان لبيب (مشرف ومحقق) ب - مهنا، جمال الدين أمين (باحث) جـ - شرقاوى، ماجدة سليم (باحث مشارك) د - على، مسئولة عطية (باحث مشارك) هـ - العنوان
٩٢٠

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١١/٧٠٣٥

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 0796 - 4

تقـــديم

تحقيق المذكرات ونشرها عمل شاق من الصعب أن يأخذه دارس على عاتقه منفردا ، مما يجعله أحد الواجبات الأساسية للمراكز العلمية التى يتوفر لها من الباحثين والامكانات ما لا يتوفر لفرد بعينه ·

وانطلاقا من هذا الفهم اعتبر « مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر » القيام بذلك العمل ركنا اساسيا من أركان الرسالة التى تأسس من أجلها ، خاصة وقد توفر لها الحصول على ما هو مودع من المذكرات من مؤسسة شقيقة هى « دار الوثائق القومية » ، وهو لون من التيسير قد لا يتاح بنفس القدر لغير « مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر » ·

واذا كان تحقيق المذكرات ونشرها عموما من الصعوبة بمكان ، فان تحقيق « مذكرات عبد الرحمن فهمى » أمر بالغ المشقة ، سواء بسبب ضخامة حجم المذكرات (١) ، أو بسبب اختلاف الخطوط ، مما تطلب جهدا مكثفا للتحقق مما كتبه صاحب المذكرات بخطه ، وما كتبه له الآخرون ، أو بسبب ذلك الحشد الهائل من المعلومات التى تضمنتها المذكرات رغم قصر المدة التى تناولتها (١٩١٨ ـ ١٩٢٧) مما تطلب متابعة دقيقة لكل ما اتصل بهذه المعلومات ·

أدى ذلك الى أن تعكف مجموعة الباحثين التى تولت عملية التحقيق على هذا العمل لأكثر من أربع سنوات حتى تستطيع فى النهاية الخروج به بشكله الذى يتضمنه هذا المجلد الأول من المذكرات ·

---

(١) انظر المقدمة العلمية ·

ولما كان من المستحيل اخراج مذكرات عبد الرحمن فهمى فى مجلد واحد ، فقد تم تقسيمها الى مجموعة من المجلدات سوف تصدر تباعا ، وقد راعينا أن يضم كل مجلد وحدة زمنية أو موضوعية قائمة بذاتها ·

ولا يبقى بعد كل ذلك سوى الاعراب عن أمل المركز فى أنه نجح، ولو بدرجة محدودة ، فى تادية بعضا من رسالته التى قام من أجلها ، وعلى الله قصد السبيل ·

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



دراسة تمهيدية

عبد الرحمن فهمي

الرجل والمذكرات

عبد الرحمن فهمي بك (١٨٧٠ – ١٩٤٦) رجل الادارة المرموق قبل عام ١٩١٣ ودينامو الوفد المصرى (١٩١٨ – ١٩٢٦) ، والداعية الى ضم الصفوف (١٩٣٦ – ١٩٤٦) من الشخصيات التى لعبت دورا حاسما فى التاريخ المصرى ، خاصة خلال الفترة الثانيـــة من الفترات الثلاث لتصديه للعمل العام ·

وقبل ان نجول معه بامتداد عمره الطويل وعلى مراحل اسهامه العام نتوقف عند ··

أولا : الرجل والعصر

الأصل من الطبقة التركية التى حكمت مصر خلال القرن التاسـع عشر ، بل وقبله ، والمهنة ضابط والانتماء الاجتماعى لطبقة الأعيان ·

وتشير الوثائق البريطانية أن أسرة ماهر باشا التى خرج منهـــا عبد الرحمن فهمى من أصل شركسى وهو الأصل الذى أتت منه عديد من الأسر الحاكمة فى مصر مثل أسرة أباظة ·

ولا يعنى الأصل أن مثل تلك الاسر أقل وطنية من غيرها ، فقـد عرفت مصر خلال تلك الفترة التى برز فيها عبد الرحمن فهمى فى ميدان العمل العـام ابتداء من العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، عـرفت عملية واسـعة لتمصيـــر أبنـــاء هـــذه الطبقـة التى انتمى اليهـــا زعماء وطنيون بارزون قبل الحماية مثل محمد فريد نفسه أو كبار رجال دولة بعد ذلك مثل عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ·

غير ان الاصل قد يفسر أمرا آخر بالنسبة لعبد الرحمن فهمى ، وهو استياء الرجل المستمر من النزاع الذى تفجر منذ عام ١٩٢٢ بين سعد وعدلى ، وهو الاستياء الذى استمر فى التزايد حتى انتهى بقطيعة بينه وبين سعد وبخروجه من الوفد سنة ١٩٢٦ مما كان بمثابة انتهاء للمرحلة الثانية من مراحل عمله العام ·

أما **التعليم** فقد تخرج من المدرسة الحربية عام ١٨٨٨ وشارك فى الحملة المصرية لاسترداد دنقلة ليعين بعد ذلك ياورا لمصطفى فهمى باشا ناظر الحربية ورئيس النظار بعدئذ ·

وقد أثر التعليم العسكرى على مسيرة حياة الرجل مما يمكن أن نلحظه فى أكثر من جانب ·

فهذا النوع من التعليم كان الباب الذى دخل منه الرجل الى الوظائف العامة التى شغلها خلال المرحلة الاولى من مراحل العمل العام والتى وصل فيها الى منصب مدير المديرية ·

وهذا النوع من التعليم هو الذى أعطى للرجل طابعه الذى عرف عنه بالصرامة والشدة وهو ما شهد به مجموع الشهود الذين استدعتهم المحكمة اثناء محاكمته عام ١٩٢٠ فيما عرف بقضية المؤامرة الكبرى ·

وأخيرا فان هذا النوع من التعليم هو الذى أهل عبد الرحمن فهمى للنجاح الباهر الذى أحرزه خلال عمله سكرتيرا للوفد ومنظما للعمل السرى للثورة ، فهو بالاضافة الى ما تمتع به من عقلية تنظيمية قادرة على ادارة مثل هذا العمل ، كان فى الوقت نفسه كتوما وقادرا بالتالى على الامساك بشتى خيوط العمل بين يديه ·

يبقى بعد ذلك **الانتماء الاجتماعى** وكان بالقطع ينتمى الى طبقة كبار الملاك مما يمكن تبينه من أكثر من حقيقة ، فهو فى مقابلة اللنبى هو وأعضاء اللجنة المركزية للوفد طلب المندوب السامى من كل منهم ان يذهب الى عزبته فأجاب عبد الرحمن فهمى بأنه ليس عنده عزبة ، وعندما سأله ممثل بريطانيا فى مصر عن السبب رد بانه قد باعها منذ وقت قصير (١) ، ثم انه فى محاكمته فى قضية المؤامرة الكبرى اعترف بأنه قبل المحاكمة بوقت قصير سحب مبلغ ٧٥٠٠ جنيها من حسابه فى البنك ليشترى ٥٠ فدانا فى القليوبية ·

---

(١) فى فجر النهضة الوطنية (الحلقة ١) صفحات مطوية من أيام الجهاد من ذكريات عبد الرحمن بك فهمى · مجلة الدنيا المصورة ـ ٧ يناير ١٩٣١ جـ ٣ ·

ولا شك ان هذا الانتماء الاجتماعى هو الذى ادى الى سرعة ارتقائه للوظائف الحكومية خلال المرحلة الأولى من مراحل عمله العام ، سواء فى ادارة المديريات أو فى وزارة الاوقاف ٠

ثم ان هذا الانتماء الاجتماعى مكنه من الاتصال بالطبقة والتأثير فيها ، مثل على ذلك ما رواه فى « صفحات مطوية من أيام الجهاد » عن أن شخصين من كبار رجال الحزب الوطنى فى الاسكندرية كانا فى طريقهما لأوربا لتشكيل وفد آخر بكل مردودات هذا العمل من اضعاف الوفد المصرى ، فاستعان ببعض السيدات اللائى كن يعملن فى صفوف الحركة الوطنية لاقناع « حرمى الشخصين عضوى الحزب الوطنى بالاسكندرية بأن قيام نفر من أبناء الأمة ضد ارادة المجموع عمل ينافى الوطنية الصحيحة ، ويلصق العار بفاعله ابد الدهر » ٠

« ومن حسن الحظ أن هاتين السيدتين اقتنعتا تمام الاقتناع بصدق هذه النظرية فحالتا بين زوجيهما وبين القيام بهذا السفر بعد ان كادت محاولتهما تؤدى الى الطلاق » (١) ٠

ومثل هذه القصة وقصص أخرى كثيرة حفلت بها ذكريات عبد الرحمن فهمى ومذكراته إنما تدل على قدرة الرجل فى التأثير على الطبقة الحاكمة ، ولم يكن ليقدر على مثل هذا التأثير دون معرفة حقيقية بها ، وهى معرفة نابعة من أنه منها ٠

وقد أثر هذا الانتماء الاجتماعى فى جانب آخر ، وهو انه كان محل ثقة سائر أعضاء الوفد فى تدبير نفقات العمل السرى الذى تولى تنظيمه، وهو عمل يكون من حق المسئول الأول عنه دفع مصروفاته دون الافصاح عن وجوه الصرف ٠

يضاف الى كل ذلك فان هذا الانتماء اعطى للرجل القدرة على اتخاذ المواقف وهو يعلم تماما انه قادر على مواجهة ما يترتب عليها ، فباختياره الخاص فرض على نفسه عزلة مرتين ، أولاهما عام ١٩١٣ بعد اصطدامه مع الخديو حول تفتيش المطاعنة مما أدى الى احالته للمعاش بعد أن كان الرجل الثانى فى الأوقاف واستمر دون أى عمل أو حركة حتى أواخر عام ١٩١٨ مع تكوين الوفد المصرى ، وهو فى كل ذلك كان يحيا بصفته أحد الأعيان ، ومرة أخرى بعد اختلافه مع سعد زغلول عام ١٩٢٦ فقد استمر لعشر سنوات دون أى عمل ودون أى نشاط ولم يكن هذا ليؤثر عليه فى دخوله المالية أو وضعيته الاجتماعية ٠

(١) فى فجر النهضة الوطنية (الحلقة ١) ، صفحات مطوية من أيام الجهاد من ذكريات عبد الرحمن فهمى ٠
مجلة الدنيا المصورة ، ٧ يناير ١٩٣١ جـ ٣ ٠

ومن الرجل الى العصر :

فالستة والسبعين عاما التى عاشها عبد الرحمن فهمى (١٨٧٠ - ١٩٤٦) شهدت تطورات كبيرة على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية كان من البديهى أن تؤثر بدرجة أو بأخرى على مسيرة الرجل ٠

على المستوى السياسى شهدت الفترة ثورتين كبيرتين ، العرابية وكان صبيا صغيرا أبان تفجرها ، وثورة ١٩١٩ وكان فى قمة النضج عند نشوبها وكان من أخطر صناعها ٠

عرفت نفس الفترة الاحتلال البريطانى للبلاد ثم اعلان الحماية عام ١٩١٤ وما ترتب عليها من هيمنة انجليزية على شتى مقدرات مصر ٠

عاصر الرجل أيضا قدوم ملنر وصدور تصريح ١٩٢٢ ثم ما تبع ذلك من سلسلة المفاوضات الطويلة المصرية - البريطانية التى استمرت بشكل أو بآخر حتى عامه الاخير وهو عام مفاوضات صدقى - بيفن ٠

راقب عبد الرحمن فهمى أيضا نشأة الحركة الوطنية وظهور الأحزاب المصرية قبل عام ١٩١٤ وان لم يستطع الانخراط فيها بحكم ما استمر يتولاه من مناصب رفيعة لم تكن تسمح له سوى ان يكون ممثلا للسلطة لا حربا عليها ٠

وهو أيضا عايش الطور الثانى من الحركة الوطنية والعمل الحزبى الذى بدأ مع ثورة ١٩١٩ وبعدها ، وقد انتقل فى هذه المرحلة من دور (المراقب) الى دور (المشارك) بل دور أحد الصناع الاساسين للاحداث ٠

أكثر من ذلك فهو قد شاهد بأسى الانقسامات التى اصابت الوفد وظهور أحزاب جديدة منبثقة عنه ومعادية لقيادته ، بدءا من الأحرار الدستوريين فى أوائل العشرينات ، ومرورا بالهيئة السعدية فى أواخر الثلاثينيات ، ووصولا الى الكتلة الوفدية فى منتصف الاربعينات وقبل وفاة الرجل بعامين فقط ٠ وقد عادى الرجل ظاهرة الانقسام الوفدى ، وهو عداء ادى الى قطيعة بينه وبين سعد زغلول ، غير أنه فى نهاية الامر انجرف فى تيارها عندما انضم خلال السنوات الاخيرة من حياته الى الهيئة السعدية ولكن بعد أن كان قد أفل نجمه الى حد بعيد ٠

أيضا عرفت نفس الفترة ظهور الجماعات الايديولوجية التى تعاظم شأنها فى النصف الاول من العشرينات بقيام الحزب الاشتراكى المصرى

الذى اعقبه الحزب الشيوعى المصرى والذى حاول الاستيلاء على قيادة الحركة العمالية • وعندما تم التصدى لهذه المحاولة فقد أوكلت العملية تماما الى عبد الرحمن فهمى وقد نجح فى ذلك •

تعاظم شأن الجماعات الايديولوجية مرة أخرى خلال الثلاثينات وما تبقى من عمر عبد الرحمن فهمى بظهور مصر الفتاة (١٩٣٣) ثم دخول الأخوان المسلمين الى المعترك السياسى (١٩٣٨) ثم ما استتبع كل ذلك خلال الحرب الثانية من نشاط الجماعات الماركسية • ولاشك ان الرجل لم يكن قادرا على استيعاب كل تلك المتغيرات كما انه لم يعد اداة مناسبة لاتخاذ موقف منها •

عاصر عبد الرحمن فهمى أيضا خمسة من حكام أسرة محمد على ، خديويين وسلطانين وملكين الخديو توفيق الذى توفى عندما كان عبد الرحمن شابا لم يتجاوز الثانية والعشرين (١٨٩٢) ، والخديو عباس حلمى الثانى الذى احتك به وعايشه حتى اصطدم به فاحاله الى المعاش عام ١٩١٣ أى قبل عزل هذا الخديو بعام واحد ، ثم كل من السلطان حسين كامل الذى توفى عام ١٩١٧ والسلطان أحمد فؤاد الذى عاصره خلال ثورة ١٩١٩ وتصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ •

بعد التصريح عاصر الرجل الملك فؤاد الأول لاربعة عشر عاما متتالية من عهده الملكى بعد أن كان قد عاصر السنوات الخمس من عهد ابنه فاروق الأول •

وهو بامتداد هذه الفترة قد عاين الوانا شتى من الحكم الاوتوقراطى لأبناء أسرة محمد على حاربها فى بعد الأوقات وتهادن معها فى أوقات أخرى •

على المستوى الاجتماعى عاش عبد الرحمن فهمى عصر صعود طبقة الافندية من أبناء كبار الملاك خلال المرحلة الاولى من حياته ، ومن أبناء الطبقة الوسطى الصغيرة خلال المرحلة الثانية •

واذا كان قد نجح فى التعامل مع الطبقة الاولى خلال ثورة ١٩١٩ أو السنوات القليلة التى اعقبتها فهو لم ينجح بنفس القدر عندما حاول العودة الى العمل السياسى بعد عام ١٩٣٦ فان عمله فى « روز اليوسف » لم يكلل بالنجاح لأنه كان واضحا أن أبناء هذه الطبقة الجديدة الوسطى الصغيرة الذين عبروا عن انفسهم من خلال هذه المجلة من أمثال عباس

العقاد والتابعي بل والسيدة فاطمة اليوسف نفسها ، قد اختلفوا اختلافا جذريا في المفاهيم والقضايا وحرية الحركة عن عبد الرحمن فهمى الذى بدا وكأنه قد جاء من عصر غير عصرهم ٠

وهو بنفس الدرجة لم يصب نجاحا فى الهيئة السعدية ولنفس الأسباب ، فاذا كان أحد مؤسسى الهيئة هو ابن أخيه الدكتور أحمد ماهر فان بقية زعاماتها كانت تنتمي للطبقة الوسطى الصغيرة مثل محمود فهمى النقراشي المدرس السابق وابراهيم عبد الهادى زعيم الطلبة الوفديين السابق ٠

يضاف الى كل ذلك كم المتغيرات الفكرية التى عرفتها الساحة المصرية خلال فترة حياة الرجل بالتحديث تارة وبالدعوات السلفية تارة أخرى ، وهو ما كان صعبا على عقلية الرجل المحافظة استيعابه ٠

وتبدو هذه العقلية المحافظة من اسلوب عبد الرحمن فهمى فى مذكراته ومن فهمه الذى يتضح من صفحات هذه المذكرات لما ينبغى أن تقوم عليه العلاقات الاجتماعية من تقنين محدد ، ومن رفضه لما اصاب أبناء البيوتات ، مما كان من أهم دواعي جفوته مع سعد زغلول ٠

ويبقى القول انه اذا كان طول عمر عبد الرحمن فهمى قد حسب لتاريخه في بعض اطوار حياته فانه قد حسب على هذا التاريخ فى اطوار أخرى ٠

مراحل العمـر :

تخرج عبد الرحمن فهمى من المدرسة الحربية عام ١٨٨٨ ، وقبل أقل من عشرين عاما ، على وجه التحديد عام ١٩٠٦ ، ولم يكن قد تجاوز من العمر ستة وثلاثون عاما ، كان قـد ترقى بسرعة فى سلم المناصب حتى أصبح مديرا لبنى سويف ٠

ومع التسليم بأن كفاءة الرجل كانت من أهم عناصر هذا الصعود السريع ، فان الكفاءة وحدها لا تفسر هذه السرعة ٠ ولا شك أنه كان وراء ذلك أيضا انتماء عبد الرحمن فهمى للطبقة الحاكمة التى تربى فى حجرها وكونه أحد أبناء الطبقة الاجتماعية التى هيمنت على أمور السلطة والثروة منذ عصر اسماعيل ، بل وقبل ذلك ٠

وبلغ هذا الترقى ذروته بما جرى بعد ذلك بعامين من تعيينه مديرا للجيزة ، وكانت من المديريات المصرية الكبرى التى لا يليها الا شخصية مرموقة ٠٠ وفى الجيزة بدأت المتاعب التى شكلت فى النهاية جانبا هاما من شخصية عبد الرحمن فهمى ، بل وربما يمكن القول أنها هى التى دفعته ، بدرجة أو بأخرى ، للانخراط فى تيار الحركة الوطنية ، وجعلت له هذه المكانة البارزة فى التاريخ المصرى ، ولو أنه لم يفعل ذلك لربما لم يزد تاريخه عن رجل ادارة كفؤ ضمن عشرات من الرجال التى عرفتهم الادارة المصرية بامتداد تاريخها الطويل ٠

وفى تقديرنا ان اهم اسباب المتاعب التى واجهت عبد الرحمن فهمى أنه أراد المحافظة على استقلاله فى اتخاذ القرار ، وهو ما لم يعد متاحا فى ضوء التطورات التى كانت قد جرت منذ الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ وما سارت عليه السياسة الانجليزية منذ ذلك الوقت من هيمنتها على الادارة المصرية — فى البداية من خلال المستشارين الذين تم تعيينهم فى النظارات ، ثم بعد ذلك من خلال عشرات من كبار وصغار الموظفين الذين انبثوا فى الادارة المصرية ، فى القاهرة أو فى المديريات ومع هؤلاء اصطدم عبد الرحمن فهمى ، ولاسباب بدت للرجل غريبة ، غير أن الأهم بالنسبة للانجليز لم يكن أسباب الصدام بقدر ما كان استقلال القرار لأى موظف مصرى مهما بلغت درجته ٠

ويروى لنا الرجل اشكال هذا الصدام التى تتالت بين عامى ١٩٠٩ ،، ١٩١١ حتى انتهت باخراجه من منصبه الرفيع ٠

ففى ثلاث مقالات طويلة (١) روى عبد الرحمن فهمى قصة صدامه مع الانجليز كاملة والتى بدأت بخلاف مع المستر ايرلند مفتش رى مديرية الجيزة الذى استطاع ان يؤلب عليها زملاءه فى نظارات الأشغال والمالية والداخلية وانتهى الأمر بمواجهة بين الرجل والمستر هيزل مستشار الداخلية بحضور محمد سعيد رئيس النظار وناظر الداخلية وحدد المستشار الانجليزى طلباته فى أحد أمرين ، أما الابعاد عن مديرية الجيزة أو الاحالة الى المعاش ٠

ولحسن حظ عبد الرحمن فهمى أن هذه المواجهة قد جرت خلال عهد الشقاق الثانى بين دار المعتمد البريطانى وبين الخديو عباس الثانى،

---

(١) الدنيا المصورة : بينى وبين مفتش الرى الانجليزى ١٩٣٥/٣/١٧ ، عن وظائف الحكومة ١٩٣٥/٣/٢٤ ، كيف أراد الانجليز احالتى الى المعاش ١٩٣٥/٥/١ ٠

وهو العهد الذى بدأ بعد وفاة السير الدون جورست وتولى اللورد كتشنر لمنصب العميد الانجليزى عام ١٩١١ ٠

فقد حلت الازمة بقرار بترك الرجل لمنصب مدير الجيـزة وتوليه لمنصب وكيل ادارة الأوقاف وهى ادارة كانت حتى ذلك الوقت خـاضعة مباشرة للخديو وكان الانجليز عازفين عن التدخل فى شئونها بحكم ما لها من طابع دينى ٠

بالاضافة الى ذلك فانه لم يكن ليرضى الخديو خروج الرجل عـلى هذا الشكل المهين استجابة لضغوط المستشارين الانجليز ، وهو الذى ينتمى الى الارستقراطية الحاكمة ٠

ولاشك ان ابعاد عبد الرحمن فهمى عن منصب مدير الجيزة ، قد خلف لديه بالاضافة الى المرارة الشخصية ، قناعة مؤكدة بمدى ما يتعرض له استقلال الارادة المصرية من تدخل حتى فى أبسط الامور ، وان العميد البريطانى ومستشاريه وموظفيه المنبثين فى كل مكان فى طول البـلاد وعرضها هم الحكام الحقيقيون للبلاد ٠

وتفسر هذه المرارة وتلك القناعة أسباب انخراط عبد الرحمن فهمى بهذا الشكل الملحوظ فى الحركة الوطنية ضد الانجليز بعد الحرب ، وهو الذى لم يكن معروفا عنه أى نشاط سياسى قبل ذلك ٠

وفى وكالة « الاوقاف العموميـــة » تكرر بين عبد الرحمن فهمى والخديو خلاف مثل ذلك الذى كان قـد جرى بينه وبين الانجـليز من قبل ، وهو ما اشار اليه الرجل فى مقالين آخرين من مقالاته فى الدنيا المصورة (١) ٠

وقد دار الخلاف هذه المرة حول تفتيش المطاعنة الذى اراد الخديو عباس ضمه الى الاوقاف ، غير أن عبد الرحمن فهمى مع ما استشعره من شكوك حول الصفقة رفض أن يكون أداة لتنفيذ مآرب الخديو والمحيطين به ، وهو الامر الذى ادى فى النهاية الى احالته للمعاش بعد أن رفض الاستقالة ، ولم يدخل الرجل بعد ذلك قط خدمة الحكومة ، أو على حد تعبيره « وبـذا بقيت بعيدا عن خـدمة الحـكومة منـذ سنة ١٩١٣ الى الآن » (٢) ٠

---

(١) الخديو السابق والأوقاف فى ١٩٣٥/٥/٨ ، الخديو ينتقم باحالتى الى المعاش فى ١٩٣٥/٥/١٥ ٠

(٢) مقال الخديو ينتقم باحالتى الى المعاش ـ الدنيا المصورة ١٩٣٥/٥/١٥ ٠

وكان من الطبيعى ان يترك هذا الحادث بدوره بصماته على مستقبل عبد الرحمن فهمى ، فهو مع عدائه للانجليز كان يمكنه الانضمام الى صفوف الحزب الوطنى ، ولكنه لم يفعل بحكم ما أصاب علاقة الحزب من تحسن مع الخديو على عهد كتشنر ، ثم بعد قيام الحرب الاولى وتلاقى زعماء الحزب مع عباس فى المنفى ٠

أما الجهة التى جمعت بين العداء للانجليز والعداء للخديو فقد كان الوفد المصرى الذى شغل عبد الرحمن فهمى منصبا من أهم مناصبه، وهو منصب السكرتير العام ، ودخل الرجل من خلال ذلك معترك السياسة ، ومن أوسع أبوابه الصراعية وهو أمر لم يكن ماضى الرجل الوظيفى ، كأحد كبار الاداريين يوحى به ٠

وباستثناء محمد محمود باشا الذى شغل قبل الحرب مناصب ادارية كبيرة وصلت به الى مدير البحيرة ٠ بهذا الاستثناء فان عبد الرحمن فهمى يقدم نموذجا فريدا فى الزعامة الوفدية بين عامى ١٩١٨ ، ١٩٢٦ ٠ ولا تفسير لهذا التفرد سوى ما أصاب الرجل من السلطتين الفعلية ممثلة فى الانجليز ، والشرعية ممثلة فى الخديو ، من أضرار ، وما اكتشفه عن السلطتين من أخطار تحيط بالوطن ٠

***

وتأتى المرحلة الثانية من مراحل الحياة العامة لصاحب المذكرات، وهى المرحلة التى وضع عنها مذكراته ، والتى تبدأ مع بدء الحركة الوطنية بلقاء ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ الشهير ، وتنتهى بالخلاف الشهير الذى تفجر بينه وبين سعد زغلول عام ١٩٢٦ والذى اعتزل بعده الحياة العامة ، وان كان قد امتد بكتابة مذكراته لعام آخر بعد ذلك ، وحتى وفاة زغلول فى أغسطس ١٩٢٧ ٠

قطع من هذه السنوات نحو أربعة أعوام قضاها عبد الرحمن فهمى داخل السجن بين أول يولية عام ١٩٢٠ حتى أوائل ١٩٢٤ ٠

وقد تضاربت الاقوال عن بداية الاتصال بين عبد الرحمن فهمى وبين الوفد ٠ ونأخذ الاجابة منه شخصيا اذ يقول ان اهتمامه بالحركة السياسية يرجع الى سنة ١٩١٨ منذ تأسس الوفد المصرى ٠ فقد رأى من واجبه « كمصرى له مكانة محترمة بين الهيئات المصرية ونفوذ معروف لدى كبار رجالها أن يشترك فى هذه الحركة التى عمت مدن القطر المصرى

وقراه ، وعمت جميع طبقاته على اختلاف أوساطها » (١) .

ونلاحظ هنا ان عبد الرحمن فهمى كان من رجال الادارة الذين اشتغلوا بالسياسة ، فهو لم يكن من قبل عضوا فى أية مؤسسة أو جماعة ذات طابع سياسى مثل ان يكون عضو فى حزب كما كان بعض اعضاء الوفد الذين انتموا لحزب الأمة أو للحزب الوطنى ، كما أنه لم يدخل ايا من المجالس التشريعية التى عرفت فى عهد الاحتلال (شورى القوانين ـ الجمعية العمومية ـ الجمعية التشريعية) وهى مجالس كانت تطرح فيها القضايا السياسية مما جعل لاعضائها مواقف سياسية اعطتهم شهرة كبيرة ، ويقدم سعد زغلول نموذجا امثل لذلك .

ولعل هذا الدخول غير المسبوق بأى « دور سياسى » كان محسوبا ل « عبد الرحمن فهمى » كما كان محسوبا عليه .

فهو من الناحية الأولى قد أدخله المعترك السياسى دون تاريخ سابق وبالتالى دون حزازات سابقة ، ومن ثم كان قادرا على مد جسور العلاقات مع سائر الفرقاء ، وعلى تجميعهم فى جبهة وطنية عريضة مثلها الوفد ، خاصة خلال فترة موجة المد الثورى (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) .

وهو من نفس الناحية مضافا اليه المكانة التى كان قد شغلها فى الجهاز الادارى ، قد أهله أن يكون محل ثقة على نطاق واسع ، ومع سائر الاطراف ، فقد وثق به سعد ومنافسوه على زعامة الوفد فى نفس الوقت ، ولاشك أن هذه الثقة هى التى دفعت بعبد الرحمن فهمى الى مجموعة المراكز التى تولاها فى إطار الوفد خلال تلك المرحلة من حياته : سكرتيرا للوفد ، وزعيما لتنظيمه السرى ، ثم الممثل الأساسى للحزب الكبير فى عمله الدائب للهيمنة على الحركة العمالية بعد خروجه من السجن عام ١٩٢٤ ، وحتى اعتزاله للعمل السياسى بعد ذلك بنحو عامين .

بيد أنه على الجانب الآخر فان عدم اشتغال عبد الرحمن فهمى بالسياسة قبل عام ١٩١٤ كان محسوبا عليه فى بعض النواحى . فالرجل وان كان قد تميز بالصلابة الوطنية فقد افتقد المرونة السياسية .

ولعل النهاية المأساوية لعلاقته بسعد زغلول عام ١٩٢٦ تؤكد ذلك،

---

(١) صفحات مطوية من أيام الجهاد ـ من ذكريات عبد الرحمن بك فهمى الدنيا المصورة ١٦٣٩/٩/٨ .

فهو قد رأى فى ماضيه خلال سنوات الثورة (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) ، وفى تضحياته بالسجن فى سبيلها (١٩٢٠ ـ ١٩٢٤) ، ثم فى دوره بعد ذلك فى احتواء طبقة العمال أثناء موجة المد الشيوعى خلال العام الأخير (١٩٢٤) . رأى فى كل ذلك مبررا لنقد سعد والتحدث عنه فى مجالسه مما اتهمه الأخير . وقد تصور أن على « زعيم الأمة » أن يقبل منه كل ذلك ، ولم يكن ليخالجه ، ولو للحظة ، أنه يمكن فى ظل المناورة السياسية أن يفقد المكانة السياسية التى تمتع بها منذ أن تفجرت الحركة الثورية قبل ذلك بسبع سنوات ، غير أن ذلك قد حدث فعلا ، ولم يجد الرجل مناصا ، مع هذا ، سوى أن ينسحب نهائيا من الحياة العامة ، ويعكف على كتابة مذكراته التى ننشرها فى هذا الكتاب .

***

وتأتى المرحلة الأخيرة من مراحل الحياة العامة لعبد الرحمن فهمى بعد أن اشتغل بالصحافة مديرا لتحرير « روز اليوسف » عام ١٩٣٦ ثم انضم للهيئة السعدية بعد تكوينها عام ١٩٣٨ ، ودخل البرلمانات التى كونتها أحزاب الأقلية ، وحتى وفاته .. مرة فى برلمان ١٩٣٨ ـ ١٩٤٢ ، والثانية فى برلمان ١٩٤٤ حتى توفى بعد ذلك بعامين .

ويلاحظ الباحث أن عودته الى الحياة السياسية لم تحدث بشكل فجائى ، وانما تمت بعد تمهيد لها خلال العام السابق (١٩٣٥) حين عاد اسمه يتردد فى الصحف حينما نشر خلال الفترة بين مارس ومايو من ذلك العام مجموعة من المقالات فى مجلة « كل شىء والدنيا » تحت عنوان « مذكرات عبد الرحمن فهمى بك عن وظائف الحكومة » كشف فيها كثيرا مما لم يكن معروفا عن حياته العامة قبل ثورة ١٩١٩ (١) .

وتولى فى أول العام التالى ادارة تحرير روز اليوسف اليومية ، وقد دأب لنحو عام على كتابة « المقال الافتتاحى » للجريدة ، والحقيقة أنه من خلال كتاباته الصحفية ، ثم من خلال انتمائه للهيئة السعدية كأحد أعضائها البارزين وكأحد نوابها ، يمكن استنباط مجموعة من الحقائق حول تلك الفترة الغامضة من حياة عبد الرحمن فهمى :

أولاها : أنه استمر طول الوقت داعية « للوفاق الوطنى » ، خاصة خلال الفترة التى تلت أحداث ١٩٣٥ ، وبعد تكوين الجبهة الوطنية

(١) انظر اعداد ٣/١٧ ، ٣/٢٤ ، ٣/٢٧ ، ٤/٣ ، ٤/١٠ ، ٥/١ ، ٥/٨ ، ١٩٣٥/٥/١٥ من مجلة كل شىء والدنيا .

والاستعداد للمفاوضات مع الانجليز ، وتراوح نشاطه فى هذا المجال بين الدعوة « لتجنب احتدام المعارك الانتخابية (١) » وبين الدعوة « لترك الحزبية » (٢) .

ثانيتها : رغم كل دوافع الاهتمام بالشئون المصرية خلال تلك الفترة الحافلة من التاريخ المصرى يلاحظ أن « عبد الرحمن فهمى » قد أعار للقضايا العربية اهتماما ملحوظا ، خاصة وأنه قد واكب ادارته لسياسة روز اليوسف أحداث الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ . فكتب عن فلسطين التى تجاهد « وستعرض قضيتها على العالم » (٣) ، بينما كان يناشد الرأى العام الانجليزى حل القضية الفلسطينية (٤) .

وبدا نفس الاهتمام عندما عالج مجريات الأمور فى سوريا (٥) .

وعندما طالب أبنـاء الشرق ، وكان يقصد العرب بالأساس ، أن يتحدوا (٦) .

ثالثتها : تأثره الواضح بقرابته لآل ماهر ، وهو التأثر الذى بدا بأجلى شكل فى تأييده المطلق لوزارة « على ماهر » التى كانت قائمة عند توليه ادارة روز اليوسف ، فكثيرا ما كان يخصص مقاله الافتتاحى للتنويه بانجازات الوزارة ، وهو تنويه استمر قائما حتى بعد انتهاء عهدها وتشكيل الوزارة النحاسية (٧) .

رابعتها : (وآخرها) ارتباطه الشديد بتلميذيه فى الجهاز السرى أحمد ماهر والنقراشى ، وهو الارتباط الذى صنع خريطة حياته خلال السنوات العشر الأخيرة ، فهو قد دافع عنهما باستماتة عندما أراد الجانب

---

(١) روز اليوسف : ١٩٣٦/٣/٢٠ ، مقال تحت عنوان « الساعة الرهيبة » .

(٢) روز اليوسف : ١٩٣٦/٢/٢٠ مقال تحت عنوان : « دعونا كثيرا لترك التحزب ولكننا ندعو اليوم خاصة لمصلحة الوطن » .

(٣) روز اليوسف ١٩٣٦/٦/١ .

(٤) روز اليوسف ١٩٣٦/٦/١٤ .

(٥) روز اليوسف ٣٦/٢/١٧ مقال بعنوان : الشرق المضطرب ـ جنايات يرتكبها غلاة الاستعمار ـ ماذا فى سوريا الشقيقة ؟

(٦) روز اليوسف فى ٢٥ /١٩٣٦/٢ مقال بعنوان « يا أبناء الشرق اتحدوا » .

(٧) انظر مقـالات : « مشروعات ماهر باشـا كلمات يدعو اليها الاخلاص » ١٩٣٦/٥/٢٨ ، مشروعات ماهر باشا أمام البرلمان ١٩٣٦/٥/٣١ ، مشروعات ماهر باشا مرة أخرى ١٩٣٦/٦/٢ .

البريطانى استبعادهما من هيئة المفاوضين المصرية (١) . وهو فى هذا كأنما كان يدافع عن نفسه .

ثم أنه قد اشترك معهما فى تأسيس الهيئة السعدية أوائل عام ١٩٣٨ ، ودخل برلمان أحزاب الأقلية الذى تأسس فى ذلك العام ، ثم فى عام ١٩٤٤ ، نائبا عن الحزب ، وأسهم مساهمة فعالة فى تحرير صحفه ، مما يؤكد – فى نهاية الأمر – أن ذلك الجزء من حياة الرجل الذى قضاه فى قيادة العمل السرى لثورة ١٩١٩ كان عزيزا عليه ، ولم ينفصل عنه حتى الرمق الأخير .

---

(١) روز اليوسف فى ١٩٣٦/٤/٩ مقال تحت عنوان « الحملة الطائشة على عضوين كبيرين فى الوفد الرسمى المصرى – المتعصبون يحملون بجهالة على الأبرياء » .

ثانيا : المذكرات

ثلاثة وأربعون ملفا تتضمن ٤٦٤٠ صفحة فولسكاب هي مجموع مذكرات عبد الرحمن فهمى ، وهى على حد ما نعلم حتى الآن ، أكبر مجموعة من المذكرات وضعها سياسى مصرى حتى يومنا هذا .

وقبل التعرف على ما تضمنته هذه المذكرات ينبغى تسجيل عدد من الملاحظات عليها :

١ - أنها باستثناءات بسيطة ، سوف يشار اليها فى موضعها ، مكتوبة بخط عبد الرحمن فهمى نفسه ، وللحقيقة فانه بينما استنزفت مذكرات أخرى (سعد زغلول مثلا) جهود الباحثين لفك طلاسمها فان خط صاحبنا كان واضحا غاية الوضوح ، على عكس شخصية كاتبها التى كانت غامضة غاية الغموض .

٢ - رغم أن صاحبها أو من أودعها دار الوثائق القومية اسموها « بالمذكرات السياسية الخاصة بالمرحوم عبد الرحمن فهمى » الا أن الأخذ بهذه التسمية فيه تجاوز كبير لحقيقة الأوراق التى بين أيدينا ، وافتئات على التوصيف العلمى للمذكرات .

فالمذكرات سواء كانت على شكل يوميات أو شكل ذكريات والتى خلفها لنا بعض الزعماء المصريين ، أو الساسة ورجال الدولة من الأجانب هى فى الحقيقة نشر للتجربة الخاصة بهؤلاء بكل ما يحوط بهذه التجربة من أحداث ، وعلاقات وانطباعات ، يكون صاحب هذه المذكرات محورها .

يختلف الأمر بالنسبة « لعبد الرحمن فهمى » ، فالذى بين أيدينا فى الحقيقة ينطبق عليه توصيف « يوميات مصر السياسية من ١٣ نوفمبر ١٩١٨ الى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ » وهى الفترة التى بدأت باللقاء المشهور بين المندوب السامى البريطانى فى القاهرة السير ريجنلد ونجت وبين الزعماء المصريين الثلاثة : سعد زغلول ، وعلى شعراوى ، وعبد العزيز فهمى ، وانتهت بوفاة سعد زغلول .

ونقول « يوميات مصر السياسية » : أولا : لأن « عبد الرحمن فهمى » الكاتب كان بطول ما يزيد عن الأربعة آلاف صفحة التى تضمها المذكرات حريصا أشد الحرص على عدم ذكـــر « عبد الرحمن فهمى » الثائر أو السياسى الا فى المواضع التى يستلزم السياق فيها مثل هذا الذكر ٠

ونقول « يوميات مصر السياسية » ثانيا : لأنه عندما كان عبد الرحمن فهمى يتناول حادثة ما خلال الفترة التى تناولتها المذكــرات (١٩١٨ ـ ١٩٢٧) يكون هو بطلها ، كان يعالجها بدرجة من الحياد تصل أحيانا الى حد البرود ، حتى أنه يمكن القول ان الرجل ظل يتعامل بنفس منطق العمل السرى الذى أتقنه مع مذكراته ، فان كـان هـذا العمـل قد استلزم من عبد الرحمن فهمى انكار ذاته والتعامل دائما مع « الموضوع » لا مـع « الشخص » ، فقد فعل ذلك بالضبط مع مذكراته ، ولم نجده منفعلا فى أى موقف يخصه ، كما لم يسمح لنفسه بالتعبير عن مشاعره أو انطباعاته فى أى قضية أو علاقة كان طرفا فيها ٠

وليس أدل على قدرة الرجل على ضبط انفعالاته من أنه رغم خلافه مع سعد زغلول عام ١٩٢٦ ، والذى أدى به الى اعتزال الحياة العامة لفترة غير قصيرة بعد ذلك فانه اعتبر وفاة رئيس الوفد ومؤسسه فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧ ، نقطة نهاية مناسبة لمذكراته ، وهو فى هذا لم يسمح لمشاعره الخاصة لتملى عليه اختيار نقطة أخرى ، وكان يحق له أن يفعل !

واذا كانت مثل هذه الملاحظة تحسب للرجل ، الا أنها تحسب على المذكرات ، فمن المفروض أن تكون المذكرات شخصية ، أما وقد حـاول أن يجردها من النوازع الذاتية فهو فى نفس الوقت قـد جردهـا من توصيفها « بالمذكرات » ٠

ونقول « يوميات مصر السياسية » ثالثا : لأن عبد الرحمن فهمى « كشخصية عامة » لم يبدأ حياته فى عام ١٩١٩ ، كما لم تنته تلك الحياة عام ١٩٢٧ ٠ فقد كان شخصية عامة من قبل ، كما كان شخصية عامة من بعد ، وهو الأمر الذى أوضحناه أثناء حديثنا عن الرجل ٠

٣ ـ ومع توصيف مذكرات عبد الرحمن فهمى بأنها « يوميات مصر السياسية » فان ذلك لا يعنى أنه سجلها بشكل يومى ، ففى تقديرنا أنه قد عكف على هذا السفر العظيم يدونه خلال الفترة التى اعتزل فيها العمل السياسى بعد عام ١٩٢٦ والتى بلغت نحو السنوات العشر ٠

ذلك أن صاحب المذكرات كان رهن المحاكمة ثم ألقى فى السجن فيما عرف « بقضية المؤامرة الكبرى » منذ أول يوليو عام ١٩٢٠ وحتى

تم الافراج عنه فى ٨ فبراير عام ١٩٢٤ · ورغم ذلك فقد حظيت تلك الفترة فى المذكرات بمساحة غير قصيرة زادت عن الألف وخمسمائة صفحة (من ص ٩٨٨ الى ص ٢٥٢٠) ولم يكن معقولا أن يتمكن وهو فى السجن من متابعة يوميات مصر السياسية بهذه الدقة التى لم تقل بأى حال عن درجة متابعته لها فى الفترة السابقة على سجنه أو اللاحقة لها ·

٤ ـ يقودنا ذلك الى الملاحظة الرابعة ومؤداها أن عبد الرحمن فهمى قد كتب مذكراته من خلال « أوراق الوفد » ، مما يمكن استنتاجه بسهولة من أمرين ، أولهما : ان المحور الأساسى للمذكرات كان الوفد فى نشأته وحركته واتصالاته بل ومنذ مولده وحتى رحيل مؤسسه سعد زغلول ، ولم يكن هذا المحور عبد الرحمن بك نفسه · ثانيهما : أنه كثيرا ما وجدنا أوراقا داخل المذكرات ، وبترقيم مختلف عنها ، وبخط غير خط عبد الرحمن فهمى ، وأول مثل على ذلك ما جاء بعد صفحات قليلة من بداية المذكرات ، على وجه التحديد تسع صفحات ، من نص لقاء الزعماء الثلاثة مع المندوب السامى البريطانى وما تبودل فيه من أحاديث · والواضح أن محضر هذه الجلسة شأنه شأن كثير من الأوراق التى كتبت فى المذكرات بخط غير خط عبد الرحمن فهمى ، كان بخط أحد الزعماء الثلاثة الذين شاركوا فى اللقاء ، أى خط واحد من رجال الوفد أملاه عليه زعيم من هؤلاء الزعماء ·

٥ ـ غلب على عبد الرحمن فهمى طابع الحذر الذى كان جزءا واضحا من شخصيته ، وهو الطابع الذى أهله لتولى رياسة الجهاز السرى للوفد ابان الثورة ·

فقد كان من المتوقع أن يكشف لنا بصفته الرأس المدبر لهذا الجهاز طريقة تنظيمه وأهم أعماله ، ولكن من الغريب أن مذكرات زعيم الجهاز السرى خلت من أية اشارة عن هذا الجهاز ، وكأنه كان يخشى أن تقع تلك الأوراق فى أيدى سلطات الأمن فتكون دليلا على ادانته بدلا من أن تكون دليلا تاريخيا يعين المؤرخين على فهم الدور الذى قام به جهاز من أهم أجهزة ثورة ١٩١٩ ·

٦ ـ وتتصل آخر الملاحظات بالملاحظة السابقة عليهما ، فقد كان عبد الرحمن فهمى حريصا فى مذكراته فيما يتعلق بالمراسلات السرية التى جرت بينه وبين سعد زغلول ابان وجود الوفد المصرى فى باريس عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ والتى نشرها المرحوم الاستاذ الدكتور محمد أنيس تحت عنوان « دراسات فى وثائق ١١٩ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى » ·

ويبدو حرص الرجل فى أكثر من أمر أولها : أنه لم يشر لنظام تبادل تلك الرسائل وانما كان يسوقها فى مذكراته تحت عنوان تقارير عن أخبار الوفد المصرى بأوربا ، وثانيها : أنه لم يأت بنصوص تلك المراسلات كاملة مما كان يمكن أن يدل على طبيعتهـا من حيث كونهـا مراسلات متبادلة بين رئيس الوفد وسكرتيره ، بل كان يسوق أجزاء منها ، هى الأجزاء الخاصـة بالأحداث السياسية التى كانت تجرى فى باريس للوفد من حيث الاتصالات مع الأطراف الأخرى أو العلاقات بين أعضاء الوفد نفسه ، وثالث الأمور التى تدل على حرص الرجل أنه لم يضمن مذكراته أيا من تلك الرسائل التى بعث بها الى زغلول فى باريس والتى شملت القسم الثانى من دراسة الدكتور محمد أنيس (من ص ١١٥ الى ص ٢٣١) وهو القسم الأكبر من الدراسة .

ويبدو أن عبد الرحمن فهمى قد رأى أنه ليس ثمة ضرورة لتضمين المذكرات مثل هذه الرسائل التى كانت اما على شكل رد على مكاتبات من زغلول اليه ، واما على شكل تقـارير عن أحوال مصر ومسـيرة الأعمال الثورية مرفوعة لزعيم الثورة فى العاصمة الفرنسية . ويدعم هذا التصور أن المذكرات قد تضمنت مثل هذه التقارير التى بعث عبد الرحمن فهمى ببعضها أو بجانب منها لسعد زغلول .

***

ومن الملاحظات على مذكرات عبد الرحمن فهمى الى ما تضمنته تلك المذكرات .

كما سبقت الاشارة تنقسم هذه المذكرات الى ثلاثة وأربعين ملفا تضم ٤٦٤٠ صفحة ، وقد أودعت دار الوثائق التاريخية القومية من جانب ابنه المهندس مراد فهمى منذ أكثر من عشرين عاما ، عـلى وجه التحديد يوم الثلاثاء ٤ فبراير عام ١٩٦٤ .

وفيما يلى بيان بموضوع هذه المذكرات وعدد أوراقها طبقا للمحضر الذى تسلمت بمقتضـاه اللجنة التى تكونت من دار الوثائـق القومية المذكرات ، وهو محضر يتسم بقدر كبير من الدقة ، جاء فيه :

فهرس المذكرات العام

يبدأ بصفحة ١ وينتهي بصفحة ٥٠ وهو عبارة عن بيان خاص بالمذكرات الموجودة في داخل ملفات ومنه يتبين أرقام الصفحات والتواريخ المختلفة اعتبارا من ١٩١٨/١١/١٣ الى ١٩٢٧/٨/٢٣ . ويبدأ هذا الملف في الصفحة الأولى بعبارة : (المقدمة . وتشتمل على مبادىء الرئيس ولسون) وينتهي الملف بالعبارة الآتية (مات سعد زغلول) . الأوراق الموجودة بهذا الملف مدونة بالقلم الكوبيا . ويوجد شطب في بعض الصفحات قبل صفحة ٤٠ . وهذا الملف صفحة مكتوبة وصفحة بيضاء وغير موقع عليه في آخره ولا يوجد عليه رقم من الخارج .

١ ـ ملف رقم ١ : مدون عليه من الخارج العبارة الآتية (من تأليف الوفد في نوفمبر ١٩١٨ الى قبول استقالة وزارة رشدى باشا في أول مارس ١٩١٩) وعنوان الملف (المذكرات ١ ـ ١٠٥) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١ التي تبدأ بالآتي : (مقدمة ـ كان ساسة الانجليز وما يزالون يزعمون أن مصر ظلت مستعبدة للأتراك) وينتهي الملف بالصفحة رقم ١٠٥ التي تبدأ بالآتي : (قبول استقالة رشدى باشا) وهذه الصفحة مدون بها حتى منتصفها فقط . ويوجد شطب في بعض الصفحات كما توجد أوراق صغيرة بعضها مرقم والبعض الآخر غير مرقم . وجميع الصفحات مدونة بالقلم الكوبيا ، وبنظام صفحة مدونة وصفحة بيضاء ، كما توجد تعليقات على الهوامش (تهميشات) .

٢ ـ ملف رقم ٢ : مدون عليه من الخارج العبارة الآتية (كتاب الوفد الى السلطان فؤاد في مارس ١٩١٩ ـ المذكرات ١٠٦ ـ ٢١٠) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٠٦ التي تبدأ بالعبارة الآتية (كتاب الوفد المصرى الى عظمة السلطان) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٢١٠ التي تبدأ بالآتي (بلاغ رسمى . القاهرة في ٢ ابريل ١٩١٩) وهذه الصفحة مدونة حتى نصفها فقط . الملف مدون بنظام صفحة مكتوبة وصفحة بيضاء ، وتوجد أوراق صغيرة بالملف كما يوجد شطب في بعض الصفحات .

٣ ـ ملف رقم ٣ : (المذكرات ٢١١ ـ ٣١٥) · ويبدأ الملف بالصفحة رقم ٢١١ (اعتداء الأرمن على المتظاهرين) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٣١٥ (قبول استقالة الوزارة الرشدية) · جميع الصفحات واحدة مدونة وواحدة بيضاء · وهى مدونة بالقلم الكوبيا ، ويوجد شطب فى بعض الصفحات ·

٤ ـ ملف رقم ٤ : (المذكرات ٣١٦ ـ ٤٠٧) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٣١٦ (عودة الموظفين الى أعمالهم) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٤٠٧ التى ينتهى بالعبارة الآتية (نشر هذا الحديث مؤخرا) الملف مدون بالأسلوب السابق ·

٥ ـ الملف رقم ٥ : (حوادث مصر من يونية ١٩١٩ · المذكرات) يبدأ الملف بصفحة ٤٢٢ وينتهى بصفحة ٨٤٠ · مع الاحاطة بأن أرقام الصفحات لا تعبر عن تسلسلها بسبب عدم وجود أرقام كثيرة وسيتم حصر الصفحات الموجودة بهذا الملف بدار الوثائق لاثبات الصفحات الموجودة والصفحات الناقصة ·

٦ ـ ملف رقم ٦ : (المذكرات ـ ٦) يبدأ الملف بصفحة ٨٦١ (زيارة المسيو كليمنسو لمصر) وينتهى الملف بصفحة ٩٦٩ بالفقرة الآتية (ويقال من جهة أخرى أن يوسف باشا) والصفحات غير متتابعة حيث توجد صفحات ناقصة والملف أيضا بنظام صفحة بيضاء وصفحة مدونة ·

٧ ـ ملف رقم ٧ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٤٠٨ (احتجاج الوفد على معاهدة الصلح مع النمسا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٩٠٢ بالعبارة الآتية (حقق الله ذلك · سعد زغلول) وهذا الملف كسابقه توجد به صفحات ناقصة ·

٨ ـ ملف رقم ٨ : (المذكرات ـ لجنة ملنر) يبدأ الملف بصفحة صغيرة غير مرقمة تبدأ بعبارة (لم يكن هذا وحده هو ما تبغيه انجلترا) والصفحة التالية رقمها ٥١٤ ، وتبدأ بالجملة الآتية (التمهيد لقدوم اجنة انكليزية الى مصر) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٦٥٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (فيها أعظم تحقيق وتبرير) ، والصفحات أيضا غير متتالية بالنسبة للأرقام المدونة عليها ·

٩ ـ ملف رقم ٩ : (المذكرات ـ لجنة ملنر ٢) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٦٥١ (رد سعد زغلول باشا على خطاب كيرزون) وينتهى

الملف بالصفحة رقم ٨٩٩ . والملف بنظام صفحة بيضاء وصفحة مدونة .

١٠ ـ ملف رقم ١٠ : (المذكرات ـ لجنة ملنر ٣) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٩١٤ (الوفد يطلب سفر عدلى باشا الى باريس) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٠٥٠ والصفحات غير متسلسلة أيضا .

١١ ـ ملف رقم ١١ : (المذكرات) يبدأ بالملف بالصفحة رقم ١٠٥١ (الذى نحن مهتمون باتمامه) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١١٥٥ ويوجد شطب فى بعض الصفحات كما توجد عبارات بين السطور وتعليقات على الهوامش وأوراق صغيرة .

١٢ ـ ملف رقم ١٢ : (المذكرات) يبدأ بالصفحة رقم ١١٥٦ (من ذلك القلق كثيرا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٢٦٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (دخلت فى هذه الصناعية) الملف مدون بالأسلوب السابق ذكره .

١٣ ـ ملف رقم ١٣ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٢٦١ (نقابة تدافع عن حقوقها) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٣٦٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (لطلب الاستقلال وضحت ماضحت من دماء أبنائها وحرية) والملف مدون بالأسلوب السالف ذكره .

١٤ ـ الملف رقم ١٤ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٣٦٦ بالعبارة الآتية (شيوخها وفتيانها) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٤٧٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (واعتباطها باسناد رياسة الوزارة الى دولة عدلى باشا) ، والملف بنفس الأسلوب السابق .

١٥ ـ ملف رقم ١٥ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٤٧١ بالعبارة الآتية : (اجتهاده لمن اختارهم أعضاء لوزارته) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٥٧٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (على أنى أؤكد لكم) والملف مدون بالنظام السابق .

١٦ ـ ملف رقم ١٦ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٥٧٦ (ان هذا الانقسام) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٦٨٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (نشرت الوثائق الرسمية للمفاوضات) والملف مدون بالنظام السابق .

١٧ ـ ملف رقم ١٧ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٦٨١ وتبدأ بالعبارة الآتية (توقف الأمة بعد قطع المفاوضات) وينتهى

الملف بالصفحة رقم ١٧٨٥ ، التى تنتهى بالعبارة الآتية (نقيب المحامين الشرعيين محمد خيرت راضى) .

١٨ ـ ملف رقم ١٨ : (المذكرات) يبدأ الملف بصفحة ١٧٨٦ (رفع قرار نقابة المحامين الشرعيين) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٨٩٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (لا يلوح فى اللحظة الراهنة) .

١٩ ـ ملف رقم ١٩ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٨٩١ (فاذا تركت الأمور تجرى مجراها) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٩٩٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (فى بيت الجزار بك) .

٢٠ ـ ملف رقم ٢٠ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٩٩٦ التى تبدأ بالعبارة الآتية (نائب الأحكام لحمد باشا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢١٠٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (فرد نسيم باشا على الأمر الملكى) .

٢١ ـ ملف ٢١ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢١٠١ (قبول نسيم باشا لتأليف الوزارة) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٢٠٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (وفى ٣١ مارس ١٩٢٣) .

٢٢ ـ ملف رقم ٢٢ : (المذكرات) يبدأ الملف بصفحة ٢٢٠٦ (الافراج عن سعد باشا وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٣١٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (نفس مشروع الرد على المذكرة) .

٢٣ ـ ملف رقم ٢٣ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٣١١ بالعبارة الآتية : (نص مشروع الاعلان) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٤١٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (فأنتم متمرنون على السياسة) .

٢٤ ـ ملف رقم ٢٤ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٤١٦ (كيف تدخلون السوق) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٥٢٠ وتنتهى بالعبارة الآتية (بصفته وزير الخارجية) .

٢٥ ـ ملف رقم ٢٥ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٥٢١ (بلغت الطلب الذى طلبه سعد باشا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٦٢٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (فيه اعتداء صارخ على حقوق مصر فى السودان) .

٢٦ ـ ملف رقم ٢٦ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٦٢٦ (بعد قطع المحادثات) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٧٣٠ بالعبارة الآتية (والبرلمان الآن فى دور الانعقاد) ٠

٢٧ ـ ملف رقم ٢٧ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٧٣١ (بدأ فى ١٢ نوفمبر ١٩٢٤) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٨٣٥ بالعبارة الآتية (تتولى توزيع الأموال بالطريقة التى تراها) ٠

٢٨ ـ ملف زقم ٢٨ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٨٣٦ (المادة ٦٠ ـ يجوز للاتحاد) وينتهى الملف بالصفحة رظم ٢٩٤٠ بالعبارة الآتية (ثم وقف سعد باشا وألقى الخطبة الآتية) ٠

٢٩ ـ ملف رقم ٢٩ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٩٤١ (خطبة سعد باشا) وينتهى الملف من (بيت الأمة الى مدفن الفقيد بالامام الشافعى) ٠

٣٠ ـ ملف رقم ٣٠ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بفهرس المحاكمة صفحة رقم ٥١ الى صفحة ٦٦ ٠ ويليها الصفحة رقم ٣٠٥٦ التى تبـدأ بالعبـارة الآتية (القبض على ومحاكمتى) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٣١٦٩ بالعبارة الآتية (وأما الثانى فأردت أن أنزع أكرته فلم أستطع) ٠

٣١ ـ ملف رقم ٣١ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٣١٧٠ (وهذا بعد البحث) وينتهى بالصفحة رقم ٣٢٨٢ ٠

٣٢ ـ ملف رقم ٣٢ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٣٢٨٣ (هل كان الخمسة والعشرون عضوا) وينتهى بالصفحة رقم ٣٣٩٥ بالعبارة الآتية (ستتاح لك فرصة الاستجواب) ٠

٣٣ ـ ملف رقم ٣٣ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٣٣٩٦ (المستر مكسويل مما هو فيـه) وينتهى بالصفحة رقم ٣٥٠٨ ٠

٣٤ ـ ملف رقم ٣٤ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٣٥٠٩ (حتى ما كان الفراش يدخلهـا) وينتهى بالصفحة رقم ٣٦٢١ (أنا أتكلم على داخل البيت) ٠

٣٥ ـ ملف رقم ٣٥ (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة ٣٦٢٢ (ما هو الباب الى على الشارع) وينتهى بالصفحة ٣٧٣٤ ٠

٣٦ ـ ملف رقم ٣٦ (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة ٣٧٣٥ (بالبوستة وكنت فى الأول) وينتهى بالصفحة رقم ٣٨٤٧ ٠

٣٧ ـ ملف رقم ٣٧ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة ٣٨٤٨ (الفكرة أن عدم محبته لزيارة الناس) وينتهى بالصفحة ٣٩٦٠ ٠

٣٨ ـ هذا الملف غير موجود ٠

٣٩ ـ ملف رقم ٣٩ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٠٧٤ (ثم قدم المدعى العمومى) وينتهى بالصفحة رقم ٤١٨٦ ٠

٤٠ ـ ملف رقم ٤٠ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤١٨٧ (نائب الأحكام ـ ما اسم الجريدة) وينتهى بصفحة ٤٢٩٩ ٠

٤١ ـ ملف رقم ٤١ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٣٠٠ (غير حسنه) وينتهى بصفحة ٤٤١٢ (وروى حكايته الهادفة للاتهام)٠

٤٢ ـ ملف رقم ٤٢ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٤١٣ (عن زيارته لبيت الشريعى) وينتهى بصفحة ٤٥٢٥ ٠

٤٣ ـ ملف رقم ٤٣ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٥٢٦ (وان كان بعضهم وينتهى بصفحة ٤٦٤٠ بالعبارة الآتية (ولا تسل أيها القارىء عما قابلتنى به الأمة من مظاهر الاعزاز والتكريم مما أنسانى آلامى وأمراضى) ٠

وقفل المحضر الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم ٠

توقيعـــــات

عبد المنعم سيد أحمد   محمد محيى الدين   مراد فهمى

ويتضح من استعراض الملفات الثلاثة والأربعين أنها قد انقسمت الى مجموعتين : تضم أولاهما : ٢٩ ملفا وتتضمن « يوميات مصر السياسية بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٧ ٠ وثانيتهما : وتشمل ١٤ ملفا تعـالج قضية المؤامرة بجلساتها التى استمرت نحو ثلاثة شهور ٠

ولما كان من المستحيل نشر هذه المذكرات فى مجلد واحد فسوف نقوم على نشرها بعد تحقيقها فى أجزاء نبدأهـا بهذا الجزء الأول الذى تضمن الفترة الممتدة من ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ وحتى ٦ يونيه ١٩١٩ ٠

والتاريخ الأول ليس من عندياتنا بل من عند صـــاحب المذكرات الذى اختاره كنقطة بدء ليومياته ، أما التاريخ الثانى فهو تاريخ انطلاق الثورة الى العمل الخارجى ٠

وللحقيقة بذل الباحثون « بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر » غاية الجهد لتحقيق هذا السفر الهائل من « يوميات مصر السياسية » التى وضعها عبد الرحمن فهمى على شكل مذكراته مستعنين فى ذلك بالوثائق البريطانية والدوريات وشتى المراجع ٠

وقد استمر هذا الجهد الدائب لنحو ثلاث سنوات متواصلة يبذله فريق من هؤلاء الباحثين تشكل من السادة : جمال مهنا ، وماجده سليم ، ومسئولة عطية ، وعفاف مصطفى وناهد مرزوق ٠

وفى تقديرى أن لعملهم هذا بقية سوف يستغرق سنوات أخرى من العمر حتى تصدر هذه المذكرات على نحو ما نشتهيه من دقة وأمانة ٠

وعلى الله قصـد السبيل ٠

د٠ يونان لبيب رزق



المذكرات

الجزء الأول

بين لقاء ١٣ نوفمبر ١٩١٨
وانطلاق القضية فى الميدان الدولى
٦ يونية ١٩١٩

المقدمة

[١] كان ساسة الانجليز وما يزالون يزعمون أن مصر ظلت مستعبدة للأتراك منذ أغار عليها السلطان سليم (١) ، الى أن قطعت الحرب العظمى علاقتها بهم ، يقولون ذلك تبريرا لمطامعهم الاستعمارية ، (وهم مع هذا لا يريدون أن يتناجوا فيما بينهم بما يخالج نفوسهم وتنطوي عليه جوانحهم من المطامع والأغراض ، بل هم يجاهرون بأنه ما دامت الحالة بين مصر والترك قد كانت على ما وصفوا فلماذا لا يرضى المصريون بأن يكونوا مع بريطانيا العظمى ، على ما كانوا عليه مع تركيا ؟ مع أن المصريين يعلمون أن الانجليز أكثر تمدنا وأقوى بطشا وأرسخ قدما فى العلوم والآداب ؟ ان هذا يدل على أن المصريين ينكرون الجميل ولا يستطيعون أن يميزوا بين الصالح والضار ولا بين الخبيث والطيب ؟! ٠

ولا شك فى أن هؤلاء الساسة من الانجليز انما يخدعون أنفسهم ويغالطون ضمائرهم ويحاولون أن يطمسوا معالم التاريخ وما سجلته وقائع الأيام فى الوثائق التى لا تمحى ، وفى المعاهدات التى لا تنسى ٠ وهذا تقرير منهم لأنفسهم لن يبؤوا منه الا بالخذلان الفاضح ، وهم يعلمون كما تعلم الدول جمعاء أن مصر ، وهى تعرف أن الجالس على عرش السلطنة العثمانية انما كان خليفة للمسلمين وأن فى أعناق رعاياه فرض الطاعة وواجب الخضوع والاذعان ، ان مصر وهى تعرف هذا لم يمنعها ذلك من الحنين الى الاستقلال والنزوح الى الحرية وخلع ربقة المشاركة فى الأمر ، ولذلك قامت فى وجه صاحب الخلافة وهزمت جنوده فى غير موقعة وما زالت تخرج من معركة ظافرة الى معركة حاسمة حتى كتبت بدماء أبنائها صحيفة الاستقلال ، ووثيقة للتحرر من الخضوع لسلطان تركيا فى سنة ١٨٤٠ و ١٨٤١ م (٢) ٠ فأنت ترى أن الأمة المصرية ميالة بفطرتها الى الحرية نزاعة بطبيعتها الى الاستقلال ، فاذا نادت به أو قامت بأعبائه ، فانما تنادى بحقها الطبيعى وتقوم بما لا ترى لنفسها الحياة الا به ٠ قد يقول قائل :

---

(١) عام ١٥١٧ ٠

(٢) من خلال معاهدة لندن ١٨٤٠ ، والفرمانات الصادرة من السلطان فى فبراير ريونية عام ١٨٤١ ٠

وما معنى الجزية التى كانت تدفعها مصر الى تركيا بعد معاهدة ١٨٤٠ م . ١٨٤١ م أليست تدل على أن الصلة لم تنقطع ؟ ثم أليس تعيين الولاة واقرار الخديويين قد كان من اختصاص تركيا وهذا بلا ريب يجعل لسلاطين آل عثمان يدا فى شئون مصر ! نقول : لو أن الدول الأوربية لم ترغم مصر على قبول هذين الأمرين وما يتعلق بهما ، بل تركت مصر وشأنها تواجه من الدولة العثمانية وحدها ما تواجه لما حدث شيء من هذا ، ولكن ذلك انما كان بتألب الدول ، وفى مقدمتها انجلترا ، ضدها وانتزاع أكثر ما كانت الجيوش المصرية قد استولت عليه ، وارغامها على قبول هذه الأمور التى لو لم تقبلها لضاعت عليها كل الثمرات التى جنتها من حروبها وانتصاراتها . فأنت ترى أن مصر لم تقصر فى طلب حريتها واستقلالها . ولم تخضع للدولة التى كانت تسودها ، ولكنها أرغمت على ذلك بما لا طاقة لأية أمة فى العالم باحتماله ، ولدينا مثال على ذلك لا يزال نصب اعيننا ، هذه الامبراطورية الألمانية ، ماذا يقال فيها وفى ما هى عليه من قوة وبأس وعلم واختراع وجيوش جرارة وسكان كثيرين ، هل كان يظن أنها لو تركت لفرنسا أو لانجلترا أكان فى قدرة احداهما أن تهزمها أو تنال منها أى منال ! ولكن لما تألبت عليها الدول جميعا كانت النتيجة ما هو معلوم مشهور ، فمصر وهى دون المانيا بمراحل فى كل شيء ، ولم يكن يسعها أمام الدول المتألبة عليها الا ما كان . على أن مصر مع هذا قد كانت تدفع مبلغ الجزية على ضآلته ، تفضلا منها لدولة الخلافة التى كانت تنظر اليها بعين العطف ، وتتمنى لها كل خير .

[٢]

ومع هذه الحالة ، فان الدول — وفى مقدمتها انجلترا — لم تنكر أن مصر سيدة نفسها ، وأنها حرة فى ادارة شئونها . ولهذا لما قامت الحرب العالمية واشتركت فيها تركيا ضد الحلفاء دفع الغضب انجلترا الى اعلان الأحكام العرفية والى بسط الحماية عليها والى خلع الخديوى عنها . ولم يكن لانجلترا فى هذا الانقلاب والتغيير أى حق اللهم الا ما كان من الضرورة الحربية التى تبيح كل محظور ، وان كان الحق فى ذاته ما يزال حقا والباطل فى نفسه ما يزال باطلا ، على أنه قد جاء فى منشور القائد العام للجيوش البريطانية الذى أعلن به قطع العلائق بين بريطانيا العظمى والدولة العلية فى ٧ نوفمبر ١٩١٤ ما يأتى :

[٣]

« ان بريطانيا العظمى تحارب الآن (الدولة العلية) لغرضين : وهما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التى كسبها محمد على فى الأصل فى ميدان القتال ، واستمرار هذا القطر على التمتع بالسلم والرخاء اللذين تمتع بهما مدة الاحتلال البريطانى فى ٣٠ سنة » .

فهذا اعتراف صريح من انجلترا على لسان قائد جيوشها بمصر ،

بأن لمصر حرية معترفا بها كسبتها على يد محمد على فى ميدان القتال سنة ١٨٤٠ ، ١٨٤١ .

وفى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، أعلن وزير خارجية انجلترا (١) بسط الحماية على مصر فقال : « يعلن وزير الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى أنه نظرا الى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية . وبذلك قد زالت سيادة تركيا عن مصر . وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها » .

ومعنى هذا فى العرف السياسى الذى يحدده القانون الدولى أن مصر أصبحت حرة طليقة من كل قيد يجعل لأية دولة أخرى أية وسيلة فى التدخل فى شئونها الخاصة أو العامة ، ولا عبرة فى نظر الحق ، ولا فيما تواضع عليه علماء السياسة بما أقامت به انجلترا بفرض حمايتها على البلاد ، فان للحماية شروطا لا تكون صحيحة الا بتوافرها ، وذلك أن الحماية لا تتم صفتها الا بعهد يتوثق بين حكومتين متماثلتين فى استقلال الشخصية .

[٤] متميزتين فى التحرر من كل ما يمس سيادتهما ، تعهد احداهما الى الأخرى فى الاشراف ببعض ما لها من الحقوق فى داخل بلادها وفى خارجها فى نظير مساعدتها ومعاونتها بما تستطيع القيام به فى سبيل الدفاع عنها اذا حز بها أمر أو تعرضت سلامتها للخطر وعلى الدولة الحامية الأخذ بناصر الدولة المحمية ومعاونتها وارشادها الى ما فيه اصلاح شئونها وتدبير أمورها وانماء ثروتها وترقية مركزها . فأنت ترى أن الحماية عقد بين طرفين متراضيين ولم تكن مصر التى بسطت انجلترا عليها حمايتها من تلقاء نفسها طرفا راضيا بحال من الأحوال (٢) . ولهذا فان انجلترا لما ألغت هذه الحماية قالت عنها أنها عمل غير مرضى . واذا كانت الحماية على الصورة التى أعلنتها انجلترا على مصر من تلقاء نفسها عملا باطلا فان كل دعوى من نوعها أو من نوع أخطر منها تكون أشد اغداقا فى الباطل ، وذلك كقول انجلترا فى تبليغها الذى وجهته الى السلطان حسين حينما أسند اليه عرش مصر على لسان مستر ملن شيتهام (٣) « وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا للخديوى السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالته (جلالة ملك انجلترا) فالشق الأول من هذه

(١) السير ادوارد جراى .

(٢) الحماية بالأصل علاقة تعاقدية .

(٣) القائم بأعمال المعتمد البريطانى فى القاهرة (لورد كتشنر) .

العبارة وهو أن تلك الحقوق قد سقطت عن مصر . صحيح لا غبار عليه ، وحق لا مرية فيه · وأما الشق الثاني وهو أن تلك الحقوق آلت الى جلالة ملك انجلترا ، فباطل بطلانا مطلقا ولا يمت الى الحق بأى سبب · ولذلك قالت فى هذا التبليغ أيضا (فحكومة جلالة الملك تعتبر « وديعة » تحت يدها لسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى آلت اليها بالصفة المذكورة » · (وواجب الانسانية وحقوق الحرية توجبان على كل انسان حر أن يرد الوديعة الى أصحابها بمجرد طلبها ، وهل ينكر أحد فى العالم أن مصر قصرت فى طلب حقها ووديعتها ؟) ·

وفى منشور القائد العام (١) الذى أصدره فى ٧ نوفمبر ١٩١٤ « أن بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب بدون أن تطلب الى الشعب المصرى أية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالى ، وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من عرقلة حركات جيوشها الحربية أو تقديم أية مساعدة لأعدائها » ·

ولا شك فى أن السلطة العسكرية لم تقف عند هذه الحدود التى سنها القائد العام ، فى منشوره هذا · بل تجاوزت فيه كل حد وخرجت على كل حق فقد نظمت من تلقاء نفسها حملات جاست بها خلال [٥] الديار وأخذت فى جمع الرجال وقسرهم على التطوع فى الجيوش التى تحارب الدولة العلية فمن كان منهم يستطيع الحرب قدموه طعمة لنيرانها المتأججة . ومن لم يستطع أقاموه فى صفوف العمال وأقسام الأشغال التى لا بد للجيوش المحاربة منها · كما أخذت فى جمع ماشية الأهلين على اختلاف أنواعها ، ووضع يدها على ما تنبته الأرض من قطن وكتان وحبوب ، فى مقابل أثمان تحددها السلطة بنفسها لنفسها ، وتلزم الناس قبولها · وياليتها كانت تأخذ ما تحتاج اليه هى وحدها بهذه الطريقة الجائرة، ولكنها كانت تأخذ هذه الأشياء بأثمانها الضئيلة وتبيعها للدول الأخرى بالأثمان العالمية ، فكانت بذلك شر وسيط وأنهم تاجر ومع هذا كله وقفت الأمة المصرية على بكرة أبيها تنظر الى هذه الأعمال بعين الأسف والرجاء لأن كل فرد من أفرادها قدر فى نفسه أن انجلترا سيحملها شرفها وآباؤها وسمو خلقها على الاعتراف بهذا الجميل الذى لا يقدر ، فترد « الوديعة » الى أربابها وتعترف لمصر بحقها فى الحرية والاستقلال وتتخذها صديقة لها تعاملها معاملة الند للند لا معاملة الحر للعبد ، وهذا ما كان ينتظره كل مصرى من بريطانيا العظمى ، حتى وضعت الحرب أوزارها ، ولكن خاب الأمل وضاع الرجاء · اذ بينما الناس ينتظرون

(١) اللفتننت جنرال جون غرانفل مكسويل ، قائد الجيوش البريطانية بالقطر المصرى ·

ما ستفعله انجلترا بعد عقد الهدنة ، اذا بها توعز الى مستر برونيات ـ المستشار القضائى الانجليزى ـ بوضع تشريع ينزل بمصر من علياء مجدها وحريتها الى حضيض الذلة والمهانة والاستعباد ، فأوقد بذلك النيران فى النفوس وقام أهل الرأى فى وجهه قومه تردد صداها فى الخافقين ، وكانت سببا فى انتباه الأمة الى ما يبيت لها فى الخفاء بعد صبرها وطول اناتها ٠

مبادىء الرئيس ولسون الأربعة عشر

وقبل أن نبدأ فى الكلام على الحركة الوطنية وتفاصيلها ، رأينا أن نكتب للقارىء هنا مبادىء الرئيس ويلسون التى كان لها الحظ الأوفر فى اخماد نار الحرب الكبرى ، والتى أصبحت فيما بعد مبادىء السلام التى قبلتها ألمانيا ودول الحلفاء٠والذى دعانا الى نشرها هو أن القارىء ستعترضه كثير من الاشارات اليها عند قراءة المذكرات وها هى :

مبادىء ولسون الأربعة عشر :

[٦ أ] فى يوم ٨ يناير ١٩١٨ ألقى الدكتور ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية فى مجلس الأمة (١) خطابا طويلا عن الحرب وعن الأسباب التى دعت أمريكا لخوض غمارها ثم قال : « لقد دخلنا الحرب عقب حوادث الاعتداء على الحقوق ، تلك الحوادث التى كانت تمسنا جدا والتى كانت تجعل حياتنا متعذرة لو أنها بقيت بدون عقوبة ٠ ولو أننا لم نتخذ التدابير اللازمة لمنع تجددها ٠ فالذى نطلبه والحالة هذه أن يعود العالم الى حالة الأمن والصلاحية للحياة وأن يكون أمنه مضمونا ٠ وفى ذلك مصلحة مشتركة لجميع الشعوب ٠

ويستنتج من هذا أن برنامج السلم فى العالم هو برنامجنا ، وهذا بيانه :

١ ـ يجب البحث فى معاهدات الصلح وعقدها بحالة الصراحة التامة ، والا تكون بعد ذلك اتفاقات دولية خصوصية من أى نوع بل تمارس السياسة أعمالها جارية فيها على أسلوب الصراحة والجهر ٠

٢ ـ الحرية المطلقة لسير الملاحة فى البحار فى خارج مياه الحدود

(١) يقصد الكونجرس الأمريكى ٠

سواء كان فى وقت السلم أو فى زمن الحرب الا فى حالة وجود سد طرق البحار كلها أو بعضها دون الملاحة لتمكين العمل الدولى من ضمان صون المعاهدات الدولية (١) ٠

٣ ـ يجب أن تزال بقدر الامكان جميع الحواجز والعوائق الاقتصادية وأن توجد مساواة فى المعاملات التجارية بين الشعوب التى ترضى بالسلم وتشترك فى ضمان صيانته ٠

[٧ ب] ٤ ـ لابد من تبادل ضمانات وافية تامة بقصد ضمان انقاص التسلح الدولى الى الحد الأدنى الذى يكون ملائما لصون السلم الداخلى ٠

٥ ـ يجب أن تجرى تسوية جميع المطالب الاستعمارية على مبدأ الحرية والتسامح والانصاف التام وأن تكون مبنية على المراعاة التامة للمبدأ الذى مؤداه أنه بعد تحديد جميع مسائل السيادة ، يجب أن تراعى مصالح السكان المرتبطين بذلك بقدر مراعاة المطالب العادلة للحكومة التى يجب أن تحدد صفتها ٠

٦ ـ يجب اخلاء الأرض الروسية كلها (٢) وأن يكون ذلك مصحوبا بتسوية جميع المسائل التى تمس روسيا بأسلوب يضمن لها أحسن معاونة تجرى بملء الحرية من سائر أمم العالم بحيث أنها تتمكن بدون أدنى عائق من أن تقرر بحالة الإستقلال التام أمر تقدمها السياسى وأمر سياستها الوطنية والمعاملة التى ستبديها الأمم نحو روسيا فى الأشهر التالية ستكون بمثابة برهان قاطع على عطفها المنزه عن الغرض ٠

٧ ـ أن بلجيكا ـ كما يجمع العالم كله على ذلك ـ يجب اخلاؤها واعادة استقلالها (٣) دون أدنى محاولة لتقييد السيادة التى تتمتع بها بالاشتراك مع سائر الأمم الحرة ، وهذا العمل هو فوق كل عمل آخر وسيلة لاعادة الثقة بين الأمم فى القوانين التى وضعتها لادارة العلاقات المتبادلة بينهما ٠ وبدون هذا العمل المصلح يكون بناء الحق الدولى وسلامته عرضة للخطر على الدوام ٠

٨ ـ يجب تحرير جميع الأراضى الفرنسوية واعادة جميع الجهات

---

(١) كان من اهم اسباب دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب تعرض الملاحة الدولية للأخطار من جراء حرب الغواصات الألمانية ٠

(٢) كانت روسيا تشهد حربا أهلية وقتذاك ، بعد استيلاء البلاشفة على الحكم ، اشتركت فيها جيوش بعض الدول الاوربية ٠

(٣) كان السبب المباشر لدخول بريطانيا الحرب انتهاك الألمان لحياد بلجيكا ٠

المغزوة الى فرنسا (١) ، ثم أن العمل الجائر الذى ارتكبته بروسيا نحو فرنسا فى ١٨٧١ فيما يتعلق بالالزاس واللورين والذى زعزع السلم فى أوربا فى نحو خمسين سنة يجب تلافيه وازالته وذلك بقصد أن يضمن [٨ج] السلم من جديد لأجل مصلحة الجميع ٠

٩ ــ يجب تصحيح الحدود الطليانية طبقا لمقتضى مبدأ الجنسيات ٠

١٠ ــ أن شعوب النمسا والمجر الذين نود أن يكون لهم مقام مضمون ومصان بين الأمم يجب أن يغتنموا الفرصة السانحة لضمان تقدمهم الذاتى (٢) ٠

١١ ــ يجب اخلاء ألمانيا والصرب والجبل الأسود واعادة أراضيها المحتلة ويجب أن يكون للصرب منفذ حر مأمون الى البحر ، ويجب أن تحدد العلاقات المتبادلة بين الممالك البلقانية بواسطة الاستشارة الودية على القواعد التاريخية الخاصة بالجنسيات والسيادة ٠ ويجب ايجاد ضمانات دولية ضامنة لتلك الممالك استقلالها السياسى والاقتصادى وسلامة أراضيها فى الوقت نفسه ٠

١٢ ــ ان الأجزاء التركية من المملكة العثمانية الحالية يجب أن تكون سيادتها مضمونة وأما الجنسيات الأخرى الخاضعة الآن للحكم العثمانى فيجب أن تضمن لها الحياة المأمونة والتقدم الذاتى ٠ ويجب أن يكون الدردنيل مفتوحا وحرا على الدوام وان تكون حريته مثبتة بضمانات دولية ٠

١٣ ــ يجب جعل بولونيا (٣) مملكة مستقلة مشتملة على الأراضى التى يقطنها سكان بولونيا وأن يكون لها منفذ حر مأمون الى البحر ، وأن يضمن استقلالها السياسى والاقتصادى وسلامة أرضها بضمانات دولية ٠

[٩ د] ١٤ ــ يجب تأليف جمعية عامة من الأمم بمعاهدات يحدد مضمونها بجلاء بقصد منح ضمانات متبادلة للاستقلال السياسى وسلامة الأراضى للأمم الكبرى والأمم الصغرى كذلك (★) ٠

ثم أكد الدكتور ولسن ضرورة ثبات جميع الحكومات والشعوب التى تقف فى وجه الاوتوقراطية حتى النهاية قائلا : اننا لا نحجم عن القتال حتى نحصل على هذه النظامات والمعاهدات ٠

---

(١) المقصود اقليمى الالزاس واللورين ٠

(٢) تم ذلك على أنقاض مبراطورية النمسا ــ المجر الثنائية التاج ٠

(٣) كانت بولوليا او بولندا مقسمة بين روسيا والمانيا وامبرطورية النمسا وجميعها قد خرجت من الحرب مهزومة !

(★) لوحظ أن عبد الرحمن فهمى قام بترقيم صفحات ماكتبه من مذكرات هنا على النحو الآتى :

بالنسبة لمبادىء ولسون أعطاها ترقيما خاصا من (٦ ا الى ٩ د) ثم واصل الترقيم من ص ١٠ الى ص ١٧ وتوقف ثم عاد ليرقم بعدها برقم ١١ واستمر الترقيم الى نهاية الملف

ثم تناول ألمانيا فقال : اننا لا نقصد من محاربتها الا أن ترضى بمنزلة تساوى منزلة الشعوب الأخرى فى العالم بدلا من منزلة التسلط والسيادة ٠

ثم قال : لقد امتاز برنامجنا بأنه مبدأ العدالة لجميع الشعوب والجنسيات وحق العيش مع بعضها بعضا على شروط متساوية للحرية والأمان وعندى أنه ان لم يكن هذا المبدأ أساس العدل الدولى فلا يمكن أن تقوم له قائمة ٠

ثم أكد بأن الأمريكيين لا يستطيعون العمل على مبدأ آخر ، ولذا صمموا على وقف أرواحهم وأوقاتهم وكل ما يمتلكون على تقرير هذا المبدأ وتبريره ٠

[١٠]

وميض النار من خلل الرماد (١)

كان الذين يأخذون بظاهر الأمور ، فى أثناء الحرب العظمى ، يعتقدون أن الأمة المصرية ، راضية عن الحال التى آل اليها أمرها ، بعد اعلان الحماية عليها فى عام ١٩١٤ • لقد كان الانجليز يسيطرون على الحكومة ، ويأمرونها فتأتمر ، وكانت الأقوات والدواب تؤخذ من الفلاحين ، فلا يحركون ساكنا ، والعمال المصريون يساقون الى ميادين القتال فى فلسطين والدردنيل ، وفى أوروبة ، والبلد هادىء ، والأمور سائرة على اذلالهـا •

لكن هذا الاعتقاد خاطىء ، يؤدى الى عدم فهم الثورة المصرية على حقيقتها ، فلو أن حقيقة الأمور كانت كظاهرها ، لما قامت الثورة فى سنة ١٩١٩ ، أو لأخمدت بعد قيامها ببضعة أيام ، ولكانت كما قال كبير من كبراء الانجليز ، « كشعلة تطفئها بصقة » ، أما الحقيقة فهى أن التى كانت تضطرم فى نفوس الأمة المصرية ، قبل عام ١٩١٤ م لم يخمد أوارها ، بل بقى وميضها خلل الرماد •

وكان فى الأمة طبقة وثقت بوعود انجلترا ، التى قطعتها على نفسها ، لرجال الحكم فى مصر ، وقت أن أعلنت حمايتها على البلاد ، وذلك متى خرجت ظافرة من معمعة القتال ، وكانت فيها طبقة أخرى قليلة الثقة بهذه الوعود ، ولكنها كانت ترى أن الظروف تحتم على الأمة ، أن تنتظر حتى يحين الوقت الملائم للمطالبة بحقوق البلاد ، ومنها

---

(١) يتضمن هذا القسم الموجود من ص ١٠ الى ص ١٧ فى الملف الأصلى للمذكرات لقاء ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، بين المندوب السامى البريطانى السير ريجنلدوينجت والزعماء المصريين الثلاثة : سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ، وقد تكرر نص نفس اللقاء مرة أخرى فى المذكرات بين ص ١٨ ، ص ٢٢ ، ويلاحظ أن النص فى القسم الثانى (١٨ ـ ٢٢) قد أدخلت عليه تعديلات عديدة ليصبح الحديث بضمير المتكلم بدلا من ضمير الغائب ولم تستهدف هذه التعديلات غير ذلك ، كما يلاحظ أن النص فى القسم الأول (ص ١٠ ـ ص ١٧) مكتوب بخط غير خط عبد الرحمن مما يدل على أنه كلف آخر بكتابته بعد أن قام بتعديله على النحو الذى أشرنا اليـه ونكتفى هنا بنشر النص المعدل منعـا للتكرار •

طبقة ثالثة كانت تجهر بعدائها لانجلتره وحلفائها وتدعو الله جهارا أن يخذلها ، وينصر الأتراك وحلفاءهم الألمان •

وقد تطوع من مكنتهم الظروف ، من هـــذه الفئة ، فى جيوش السنوسيين فى الغرب ، وفى الجيش التركى الذى كان يعد لمهاجمة مصر من الشرق ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفرصة قد سنحت لمصر لكسب حريتها ، والتخلص من الحكم البريطانى •

فالحركة القومية المصرية اذا لم تخمد نارها ، فى أيام الحرب وان هدأت الى حين ، فلما أتيحت الفرصة ، بعد اعلان الهدنة ، ظهرت هذه الحركة ، أمام أعين الناس قوية رائعة ، وكان سيف الأحكام العرفية ، يمنع الناس فى أول الأمر ، من الجهر بآرائهم ، ثم أخذوا بعد ذلك يجهرون بها ، على الرغم من هذا السيف المصلت فوق رءوسهم ، ولم يكن التفكير [١١] فى أمر البلاد ومستقبلها مقصورا على فئة أو طائفة دون أخرى ، بل كان هذا التفكير عاما ، وكأنما قد أوحى الى الأمه بجميع طبقاتها ، أن قد حان وقت العمل لتقرير مصير البلاد ، فكانت جماعات كثيرة ، من طبقات الأمة المختلفة ، تفكر فيما يجب عليها أن تعمله ، وليست الجماعة التى تألف منها فيما بعد الوفد المصرى الا احدى هذه الجماعات ، ألفت بين قلوبها روابط قديمة ، وزمالة فى العمل ، ترجع الى عهود بعيدة ، وتقارب فى التفكير ناشىء من تقارب البيئة الاجتماعية ، وكانت هذه الفئة ، بحكم مركزها ونفوذها وصفتها النيابية القديمة قوية فى مطلبها ، واتفق رأيها بعد البحث والتشاور ، على أن خير ما نفعله ، أن تسافر الى مؤتمر الصلح تبسط أمامه قضية مصر ، وتطالب باستقلالها •

ولما كانت الأحكام العرفية مبسوطة على البلاد فى ذلك الوقت ، وكان السفر الى خارج القطر ممنوعا ، الا بتصريح من السلطة الانجليزية ، فقد اتفق سعد زغلول باشا ، الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ، وهو الذى تؤهله صفته النيابية لأن يتكلم باسم الأمة المصرية ، وعبد العزيز فهمى بك(١) ، وعلى شعراوى باشا(٢) ، العضوان فى الجمعية التشريعية ،

---

(١) من قدامى الساسة المصريين ـ ولد عام ١٨٧٠ اشتغل بالمحاماة ثم انتخب عضوا بالجمعية التشريعية فى عام ١٩١٤ ثم نقيبا للمحامين • اشترك فى عضوية الوفد المصرى منذ تأسيسه الى عام ١٩٢١ حين انفصل عنه ـ عين عضوا بلجنة دستور ١٩٢٣ ، عمـــل رئيسا لمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض ـ عين وزيرا للحقانية ـ عين رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين فى عام ١٩٤١ بعد وفاة محمد محمود باشا • تولى أكثر من منصب وزارى منذ عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢٣ وهى الزراعة والأوقاف والمالية والمعارف العمومية •

(النظارات والوزارات المصرية • جمع فؤاد كرم • ص ٦٠١) •

(٢) على شعراوى باشا من مديرية المنيا ، والده حسن أغا ، اختير نائبا عنها فى الجمعية التشريعية بعد الحرب العالمية الأولى بدأ التحرك السياسى بين الزعماء • عقد سعد=

على أن يطلبوا من دار الحماية ، أن تحدد لهم موعدا يقابلون فيه ، المعتمد السامى البريطانى للتحدث اليه ، فى طلب السفر الى لندن ، لعرض مطالب البلاد ، على الحكومة الانجليزية ٠

فحدد الموعد بالساعة الحادية عشرة ، من صباح يوم ١٣ من نوفمبر ١٩١٨م وهو اليوم الذى عد بعدئذ مبدأ للجهاد الوطنى ، والذى عد بعد المعاهدة المصرية عيدا رسميا (١) ، تشترك الحكومة والشعب فى الاحتفال به واحياء ذكراه ٠

تبدأ هذه المذكرات اذا ، منذ اليوم الثالث عشر ، من شهر نوفمبر ١٩١٨ م ، ففى الوقت المحدد من ذلك اليوم ، وهو الساعة الحادية عشرة صباحا قابل نواب الأمة الثلاثة ، سعد باشا زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ، وعلى باشا شعراوى ، وعبد العزيز فهمى بك العضوان فيها ، ونجت باشا المعتمد السامى البريطانى فى دار الحماية ، ودار بينهم وبينه الحديث الآتى : [١٢]

حديث سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك مع المندوب السامى

سير ونجت : ان الصلح اقترب موعده ، وان العالم سيفيق من غمرات الحرب ، التى شغلته زمنا طويلا ، ومصر سينالها خير كثير ، فاصبروا واعلموا ، ان الله مع الصابرين ، وان المصريين هم أقل الأمم تألما من أضرار الحرب ، وانهم مع ذلك استفادوا منها أموالا طائلة ، وان عليهم أن يشكروا بريطانيا العظمى ، التى كانت سببا فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم ٠

سعد باشا : اذا كانت انجلترا كما تقول ، قد فعلت خيرا لمصر ، فان المصريين بالبداهة يذكرونه لها مع الشكر ، ان الحرب كانت كحريق انطفأ ، ولم يبق الا تنظيف آثاره ، وانى أظن أن لا محل لدوام الأحكام العرفية ، ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات ، فالناس ينتظرون بصبر نافد ،

زغلول فى بيته اجتماعا دعا اليه كثير من اعضاء الجمعية التشريعية كان من بينهم على شعراوى الذى تبرع فى هذا الاجتماع بمبلغ كبير من ماله الخاص ٠ اختير كممثل للوجه القبلى فى مقابلة السير ونجت سنة ١٩١٨ ـ كما كان عبد العزيز فهمى يمثل الوجه البحرى ٠ عندما حدث الانشقاق فى الوفد انضم على شعراوى الى جانب العدليين الذين أصبحوا فيما بعد « الأحرار الدستوريين » بعد انضمامه انسحب من ميدان العمل السياسى معتكفا فى قريته ٠

(١) يتضح من هذه العبارة ان هذا التعليق قد وضع بعد عام ١٩٣٦ ٠

زوال هذه المراقبة كى ينفسوا عن أنفسهم ، ويفرجوا عن صدورهم ذلك الكرب ، الذى تولاهم أكثر من أربع سنين ٠

السير ونجت : حقا اننى ميال لازالة المراقبة المذكورة ، وقد تخابرت فعلا أنا وجناب القائد العام للجيوش البريطانية فى هذا الغرض ٠ ولما كانت هذه المسألة عسكرية فانه بعد اتمام المخابرة والاتفاق مع جناب القائد ساكتب الى الحكومة البريطانية وآمل أن نتلقى منها ردا مرضيا ، ثم استمر قائلا : يجب على المصريين ، أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه متى فرغت انجلترة من مؤتمر الصلح ، سنعنى بأمر مصر ومطالبها ولن يكون الأمر الا خيراً ٠

سعد باشا : ان الهدنة قد عقدت ، والمصريون لهم الحق ، أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ، ولا مانع يمنع الآن ، من أن يعرفوا ما هو هـذا الخير ، الذى تريده لهم انجلترة ٠

السيـر ونجت : يجب ألا تتعجلـوا ، وأن تكـونوا متبصرين فى سلوككم ، فان المصريين فى الحقيقة ، لا ينظرون الى العواقب البعيدة ٠

[١٣] **سعد باشا :** ان هذه العبارة مبهمة المعنى ، ولا أفهم المراد بها ٠

السير ونجت : أريد أن أقول : بأن المصريين ليس لهم رأى عام بعيد النظر ٠

سعد باشا : لا أستطيع الموافقة على ذلك ، فانى ان وافقت أنكرت صفتى فانى منتخب لعضوية الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض ارادة الرأى العام ، رغم معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى هذا الانتخاب ، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك ٠

السير ونجت : ان كثيرا ممـا حصـل قبـل الحرب من الحركـات والكتابات ، من محمد فريد وأمثاله فى الحـزب الوطنى ، بلا تعقـل ولا روية قد أضر بمصر ، ولم ينفعها ، فما هى أغراض المصريين ؟

على شعراوى باشا : اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر ، لا صداقة العبد للسيد (١) ٠

سعد باشا : ونحن أهل لهذه الصداقة ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة ٠

السير ونجت : ولكن الطفل اذا أعطى من الغذاء أكثر مما يلزمه تخم٠

(١) يقول عبد العزيز فهمى فى مذكراته : ان ونجت قد رد دهشا على هذه الملاحظة بقوله : (اذن أنتم تطلبون الاستقلال) ٠

عبد العزيز فهمى بك : نحن نطلب الاستقلال التام ، وقد ذكرتم جنابكم أن الحزب الوطنى أتى من الحركات والكتابات ، بما أضر ولم يفد، فأقول لجنابكم ، ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال ، وقد يكون فى طريقة الطلب ، التى سار عليها الحزب الوطنى ما يؤخذ علينا ، وذلك راجع الى طبيعة الشبان فى كل البلاد ، فلأجل ازالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى ، الذى هو مبدأ جميع الأمم ، وهو الاستقلال التام ، قام جماعة من الشيوخ ، الذين لا يظن فيهم التطرف ، فى الاجراءات ، وأسسوا حزب الأمة ، وأنشئوا صحيفة (الجريدة) (١) وكان مقصدهم هم أيضا الاستقلال التام ، وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى ، وذلك معروف عند الجميع ، والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ، ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه ، فان أمتنا أرقى من البلغار ، والصرب ، والجبل الأسود ، وغيرهم ممن نالوا الاستقلال قديما وحديثا • [١٤]

السير ونجت : ولكن نسبة الأميين فى مصر ، أكبر منها فى البلاد التى ذكرتها الا الجبل الأسود ، والبانيا على ما أظن •

عبد العزيز فهمى بك : ان هذه النسبة مسألة ثانوية ، فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فان لمصر تاريخا قديما باهرا ، وسوابق فى الاستقلال التام ، وهى أمة متماسكة ، وسكانها عنصر واحد ، ذو لغة واحدة ، وهم كثيرو العدد ، وبلادهم غنية ، وبالجملة فشروط الاستقلال التام متوفرة فى مصر ، ومن جهة نسبة الأميين والمتعلمين ، فهذه مسألة لا دخل لها فى الاستقلال كما قدمت ، لأن الذين يقودون الأمم فى كل البلاد أفراد قلائل ، فالشعب الانجليزى العظيم ، الذى يحب الحرية ، ولا يفرط فى شىء منها يثق كل الثقة بحكومته ، ويترك الأمر لزعمائه ، وهم أفراد قلائل يقودونه ، وهو يتبعهم بلا مناقشة فى كثير من الأحوال ، ويسلم لهم أموره لشدة ثقته بهم ، ولا يشترك نوابه كلهم ، فى مناقشة الأمور وبحثها ، وانما العامل منهم فئة قليلة ، فبلاد مصر يكفى أن يكون فيها ألف متعلم ليقوموا بادارتها ، كما ينبغى وهى مستقلة استقلالا تاما ، ولدينا نحن كثير من المتعلمين ، وكثيرا ما أعلن ولاة الأمور فى مصر أن التعليم زاد فى البلاد حتى صار فيها طائفة من المتعلمين المتعطلين •

---

(١) انظر : أحمد زكريا الشلق : حزب الأمة ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ •

وأما من جهة تشبيهنا بالطفل يتخم اذا غذى بأزيد من اللازم ، فاسمحوا لى أن أقول : ان حالنا ليست مما ينطبق عليها هذا المثل ، بل الواقع اننا كالمريض مهما أتيت له من نطس الأطباء استحال عليهم أن يعرفوا من أنفسهم موقع دائه ، بل هو نفسه الذى يحس بألم الداء ويرشد اليه ، فالمصرى وحده هو الذى يشعر بما ينقصه من أنواع المعارف وما يفيده فى الأشغال العمومية ، وفى القضاء وغير ذلك ، فالاستقلال التام ضرورى لرقينا ٠

[١٥] **السير ونجت :** أتظنون أن بلاد العرب (١) ، وقد أخذت استقلالها ستعرف كيف تسير بنفسها ٠

سعد باشا : ذلك ما سيكشف عنه المستقبل ، ومع هذا فاذا كانت بلاد العرب وهى دون مصر بمراحل أخذت استقلالها ، فمصر أجدر بذلك (٢) ٠

السير ونجت : قد كانت مصر خاضعة لتركيا ، أفتكون أحط منها اذا خضعت لانجلتره ؟

شعراوى باشا : قد أكون عبدا لرجل من الجعليين (قبيلة عربية) وقد أكون عبدا للسير ونجت الذى لا مناسبة بينه وبين الجعلى ، ومع ذلك لا تسرنى كلتا الحالتين ، لأن العبودية لا أرضاها ، ولا تحب نفسى أن تبقى تحت ذلها ، ونحن كما قدمت نريد أن نكون أصدقاء لانجلترا ، صداقة الأحرار ، لا صداقة العبيد ٠

السير ونجت : ولكن مركز مصر حربيا وجغرافيا يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها ، وقد تكون غير انجلتره ٠

سعد باشا : متى ساعدتنا انجلترا على استقلالنا (٣) ، فاننا نعطيها ضمانة معقولة ، على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلتره فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند ، وهى قناة السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل وتحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود ٠

---

(١) يقصد مملكة الحجاز التى حكمها الشريف حسين ٠

(٢) ورد فى مذكرات عبدالعزيز فهمى أنه قائل هذه العبارة وليس سعد ٠

(٣) جاء فى نفس المذكرات أن سعدا قال : استقلالنا التام ٠ انظر : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ص ١٣٥ ، ١٣٦ ٠

شعراوى باشا : يبقى أمر آخر ، وهو حقوق أرباب الديون من الأجانب فيمكن بقاء المستشار الانجليزى بحيث تكون سلطته هى سلطة صندوق الدين العمومى .

سعد باشا : نحن نعترف الآن أن انجلترة أقوى دولة فى العالم وأوسعها حرية وانا نعترف لها بالأعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر ، فنطلب باسم هذه المبادىء التى نطرقها الآن أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر ، واننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصا (١) لهذه الدولة العظيمة ، وعند الاقتضاء تسافر للتكلم فى شأنها مع ولاة الأمور فى انجلترا ، ولا نلتجىء هنا لسواك ، ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ، ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطلعا على أحوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب .

[١٦] **السير ونجت** : قد سمعت أقوالكم ، وانى أعتبر محادثتنا محادثة غير رسمية ، بل بصفة حبية ، فانى لا أعرف شيئا من أفكار الحكومة البريطانية فى هذا الصدد ، وعلى كل فانا شاكر زيارتكم ، وأحب لكم الخير .

وعلى ذلك انتهى الحديث ، وكانت الساعة الثانية عشرة ظهرا ، فانصرف الزعماء الثلاثة .

***

انتقلت أخبار هذه المقابلة الى طبقات الشعب المختلفة فى القاهرة ، ومنها الى مدن القطر الكبرى ، فالبلاد كلها ، فأثارت حماسة الشعب وسروره واستحسانه ، وأصبحت حديث الناس فى كل مكان ، لأنها صادفت هوى فى نفوسهم ، وعبرت عما كان يجيش فى صدر كل واحد منهم ، وكان الانسان أينما سار يسمع الناس يرددون أقوال على باشا شعراوى للسير ونجت : « اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا صداقة العبد للسيد » . وقول سعد باشا له حينما اتهم الأمة المصرية ، بأنها ليس فيها رأى عام بعيد النظر « انى ان وافقت على ذلك انكرت صفتى ، فانى منتخب لعضوية الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض ارادة الرأى العام رغم معارضة الحكومة ، واللورد كتشنر فى هذا الانتخاب » وقول عبد العزيز فهمى بك ردا على قول السير ونجت « ان نسبة الأميين فى مصر أكبر منها فى البلاد الأخرى » ، « ان هذه النسبة مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فان لمصر تاريخا قديما باهرا ، وسوابق فى الاستقلال التام ، وهى أمة

(١) ممثلا .

متماسكة ، وسكانها عنصر واحد ، وهم كثيرو العدد ، وبلادهم غنية وبالجملة فشروط الاستقلال التام متوفرة فى مصر ... الخ » .

وان الانسان ليعجب ، كيف انتقلت أخبار هذا الحديث ، وغيره مما يدور بين سعد باشا وزملائه الى جميع طبقات الشعب ، فى جميع البلاد بهذه السرعة ، كما يعجب من قوة الأثر الذى أحدثته هـذه الأخبار فى النفوس ، ولا تفسير لهذا الا أن النفوس كانت ظمأى طوال مدة الحرب [١٧] الى الحرية والاستقلال التام ، فوجدت فى عمل سعد باشا وزميليه ما يروى ظمأها وينفع غلتها ، وأخذ الناس يتسابقون الى التردد على بيت سعد باشا ليعرفوا أخبار المقابلة ، وما يفكر الزعماء فى عمله

[١١] تأليف الوفد المصرى

وعقب انصراف سعد باشا وزميلاه من لدن السير ونجت المندوب السامى البريطانى تقابل جنابه مع دولة حسـين رشدى باشا رئيس الوزراء وحادثه فى شأن حضور سعد باشا وزميله وتكلمهم معه فى شأن الاستقلال وأظهر له دهشته وعجبه من أفراد ثلاثة يتكلمون فى أمر أمة بأسرها دون أن يكون لديهم ما يخول لهم التكلم باسمها .

فلما بلغ سعد باشا وصحبه أقوال السير ونجت (١) هذه أخذوا يوالون الاجتماع فى منازلهم للتشاور فى هذا الأمر فصح رأيهم على أن يؤلفوا من أنفسهم وفدا يتكلم باسم الأمة ويعبر عن أمانيهـا ، وكانوا يجتمعون تارة بمنزل محمد محمود باشا (٢) وتارة بمنزل سعد باشا وفيه تم تأليف الوفد المصرى على النحو الآتى :

سعد زغلول باشا (رئيسا) على شعراوى باشا . عبد العزيز

---

(١) يؤكد هذا الابلاغ على وجود صلة بين رشدى وسعد .

(٢) محمد محمود باشا ولد ١٨٧٧ بساحل سليم بأسيوط ـ والده محمود باشا سليمان من كبار ملاك الأراضى بها .

تعلم بأسيوط ثم استكمل دراسته فى أكسفورد بانجلترا . بعد عودته عين مفتشا بالمالية فمديرا للفيوم ثم البحيرة . اشترك فى تأليف الوفد المصرى واعتقل مع سعد زغلول فى مالطة سنة ١٩١٩ . وسافر الى الولايات المتحدة للدعاية للقضية المصرية . شارك مع بعض زملائه فى تكوين حزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٢٢ حيث اختير وكيلا له . اختير عام ١٩٢٦ وزيرا للمواصلات ثم للمالية ثم خلف عدلى يكن فى رياسة حزب الأحرار .

شكل وزارته الأولى عام ١٩٢٨ واشترك أثناءها فى مفاوضات مع هندرسون وزير الخارجية البريطانية . كان أحد أقطاب الجبهة التى مثلت مصر فى مفاوضات ١٩٣٦ ، بعد وزارته الأخيرة ترأس المعارضة فى مجلس النواب حتى توفى فى يناير ١٩٤١ .

(د. يونان لبيب . تاريخ الوزارات المصرية . ص ٣٢٢) .

فهمى بك ، محمد محمود باشا ، أحمد لطفى السيد بك (٣) ، عبد اللطيف المكباتى بك ، محمد على بك (أعضاء)

وهم سبعة جميعهم من أعضاء الجمعية التشريعية .

قانـــون الوفــد

وبعد ذلك وضعوا للوفد قانونا يضبط اعمـاله ويجرى العمل بمواده ، وتصدق عليه فى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ وهذا نصه :

المـادة الأولى

[١٢] تألف وفد باسم (الوفد المصرى) من حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز بك فهمى ومحمد على بك ، وعبد اللطيف المكباتى بك ، ومحمد محمود باشا ، وأحمد لطفى السيد بك .

المـادة الثانيـة

مهمة هـذا الوفد السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما .

المـادة الثالثة

يستمد الوفد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأسا او بواسطة مندوبيهم فى الهيئات النيابية .

المادة الرابعة

[١٣] يدوم هذا الوفد مادام العمـــل الذى انتدب لأجله قائمـا وينفض بانفضاضه .

---

(٣) أحمد لطفى السيد مفكر وفيلسوف عربى . ورائد من رواد الحركة الوطنية . حصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٤ ـ التحق بخدمة القضاء ورقى الى وظيفة مساعد نيابة عام ١٨٩٦ فوكيلا للنيابة . استقال من منصبه ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة . شارك فى تاسيس حزب الأمة وتولى رياسة تحرير الجريدة (١٩٠٦ - ١٩١٤) عاد الى خدمة القضاء . عين مديرا لدار الكتب المصرية (١٩١٥ ـ ١٩١٨) فمديرا للجامعة المصرية عام ١٩٢٥ . فوزيرا للمعارف ١٩٢٨ . عاد الى ادارة الجامعة ١٩٣٠ ثم استقال ١٩٣٢ وفى يولية ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة .

عين عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ فرئيسا له (١٩٤٥ ـ ١٩٦٣) . عين وزيرا للخارجية ١٩٤٦ . فنائبا لرئيس الوزراء وعضوا بمجلس الشيوخ . أسهم فى عدة مجامع وجمعيات علمية . ترجم لأرسطو فيلسوف اليونـــان . جمعت خطبه ومقالاته وأحاديثه . دون مذكراته . نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية سنة ١٩٥٨ .

(الموسوعة العربية الميسرة ـ محمد شفيق غربال ص ٦٢) .

المادة الخامسة

لايسوغ للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها فليس للوفد ولا لأحد من أعضائه أن يخرج فى طلباته عن حدود الوكالة التى يستمد منها قوته وهى « استقلال مصر استقلالا تاما وما يتبع ذلك من التفاصيل» .

المادة السادسة

يقسم كل واحد من أعضاء الوفد على قضاء مهمته على الوجه الذى انتدب له وعلى التضامن فى العمل وعدم افشاء أسرار الوفد .

المادة السابعة

اذا طرأ ما يستدعى انفصال أحد الأعضاء فيكون ذلك بقرار من ثلاثة أرباع الأعضاء على الأقل وللعضو أن يستقيل فى أى وقت شاء دون أن يكون له حق الرجوع فى المبالغ التى يكون قد دفعها .

المادة الثامنة

للوفد أن يضم اليه أعضاء آخرين مراعيا فى انتخابهم الفائدة التى تنجم عن اشتراكهم معه فى العمل .

المادة التاسعة

يسافر الوفد الى أى جهة يرى فى التوجه اليها فائدة للقضية المصرية وله أن ينتدب بعض أعضائه للسفر الى أى جهة كانت متى وجد لذلك فائدة .

المادة العاشرة

تصدر القرارات بأغلبية الآراء واذا تساوت يرجح رأى الفريق الذى فيه الرئيس .

المادة الحادية عشرة

[١٤] يعين الوفد رئيسا وسكرتيرا وأمينا للصندوق ويصح أن يكون لكل منهم مساعدون من الأعضاء .

المادة الثانية عشرة

للوفد أن يعين من يراه من أعضائه بوظائف معينة وله أن يعين لجانا يحدد عدد أعضائها واختصاصاتهم .

المادة الثالثة عشرة

الرئيس يخص (١) الوفد ويرأس جلساته ويحافظ على نظامه

(١) يمثل .

ويشرف على أعمال اللجان والأعضاء ذوى الوظائف وعلى عمل السكرتارية وأمانة الصندوق ٠

المادة الرابعة عشرة

السكرتير يتولى العمل الكتابى للوفد ويكون فى عهدته المحفوظات والمحاضر والكتب وغيرها من أوراق الوفد غير ما يتعلق بأوراق الحسابات ٠

المادة الخامسة عشرة

أمين الصندوق يحفظ النقود المجموعة على ذمة مصروفات الوفد العمومية اما لديه أو بالبنك الذى يعينه الوفد ويشرف على الأعمال الحسابية وهو مسئول عن كل تصرف فى نقود الوفد ٠

المادة السادسة عشرة

يعتبر الوفد فى حالة دائمة الانعقاد وتنعقد جلساته النظامية بدعوة من الرئيس وعند الضرورة يجوز أن يتخذ الرئيس ما يراه فى القرارات المستعجلة وعليه فى هذه الحالة أن يعرضها فى أول جلسة نظامية لادراجها ضمن المحضر ٠

المادة السابعة عشرة

محاضر الجلسات تتضمن ـ مع التلخيص ـ جميع المداولات والقرارات ويجب أن تعمل أيضا مذكرات بكل حديث ذى شأن يتعلق بمهمة الوفد ٠

المادة الثامنة عشرة

يتصدق على المحضر بالجلسة التالية ويمضى بعد التصديق عليه من الرئيس والسكرتير ٠

المادة التاسعة عشرة

[١٥] فضلا عن المحاضر يتخذ السكرتير سجلا يقيد فيه يوميا جميع ما يهم من الحوادث والانتقالات والأعمال ويؤشر على هذا السجل يوميا من الرئيس ٠

المادة العشرون

ليس لأحد أعضاء الوفد أن يحادث أى شخص من الأشخاص العموميين باسم الوفد الا اذا عرض على الرئيس الموضوع الذى سيدور

حوله الحديث وعليه أن يدون الحديث كتابة بعد انتهائه ويقدم للرئيس واذا لم يتمكن العضو من احاطة الرئيس قبل الحديث فيجب أن يبين لمخاطبه أنه لا يشخص الوفد في حديثه ·

المادة الحادية والعشرون

كل عضو يقوم بنفقاته الخاصة من سفر واقامة وليس له ان يطلب الا ما ينفقه في شئون متعلقة بمهمة الوفد ولاينفق شيئا من نقود الوفد الا في فائدة الوفد ·

المادة الثانية والعشرون

لايصرف شيء من نقود الوفد الا بقرار من الوفد ويمضى اذن الصرف من الرئيس وأمين الصندوق ويقرر الوفد مبلغا بصفة سلفة مستديمة للصرف منه على الشئون المستعجلة بشرط أن يصدق الوفد على ما يصرف بعد نفاد مبلغ السلفة وطلب تقرير غيره ·

المادة الثالثة والعشرون

للوفد أن يصطحب عمالا مأجورين للمساعدة في الأعمال الادارية والكتابية ويكونون بحسب طبيعة عملهم تحت اشراف السكرتير أو أمين الصندوق والجميع تحت ادارة الرئيس ويحلف الموظفون اليمين بألا يفشوا سرا يتصل بهم بحسب وظائفهم ·

المادة الرابعة والعشرون

نقود الوفد تكون مما يتحصل من التبرعات التى يدفعها أعضاؤه أو غيرهم ممن يريدون المساعدة في عمل الوفد ·

المادة الخامسة والعشرون

مايتبقى من نقود الوفد بعد انقضاء مهمته يصرف فى شأن من الشئون المصرية العامة بحسب ما يقرره اذ ذاك الوفد ·

المادة السادسة والعشرون [١٦]

يعين الوفد لجنة تسمى باللجنة المركزية للوفد المصرى يختار اعضاؤها من ذوى المكانة والغيرة ومهمتها جمع التبرعات على ذمة الوفد وارسالها اليه ومراسلة الوفد بما يهم من الشئون الخاصة بمهمته ·

تصدق عليه في ٢٣ نوفمبر ١٩١٨

صورة طبق الاصل
السكرتير
محمود بدر

[١٧] عمل التوكيل وظروفه

وبعد أن تألف الوفد على هذه الصورة وسن لنفسه هذا القانون ، رأى أنه من الواجب عليه أن يكون فى يده توكيل خاص (١) بالمطالبة بحقوق مصر فى تقرير مصيرها وبالسعى فى سبيل حريتها واستقلالها ما وجد لذلك سبيلا ، وأن يوقع على هذا التوكيل جميع رجال الهيئات التشريعية والنيابية ، والعدد الممكن من وجوه البلاد وأعيانها ، وذوى الرأى فيها ومن سائر طبقات الأمة التى هى قوامها وعمادها فوضع أولا هذه الصورة :

« نحن الموقعين على هذا الاعضاء بالجمعية التشريعية قد انبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك ولهم أن يضموا اليهم من يختارون فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا ، فى استقلال مصر تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب » ·

[١٨] ولما اطلع رجال الحزب الوطنى على هذه الصورة ، ذهب الأستاذان مصطفى الشوربجى ومحمد زكى على بك عضوا الحزب الى سعد باشا وناقشاه فى صيغة التوكيل وقد احتدا فى هذه المناقشة لدرجة شعر فيها سعد باشا بشىء من الاهانة ، فقال لهما : كيف تسمحان لنفسيكما بهذه الحدة ؟ وكيف تهيناني فى منزلى ؟

فأجاباه بأن هذا بيت الأمة ، فانطفأت حدة سعد باشا وابتسم قائلا : « وأنا متنازل عن هذه الاضافة · ومن هذا التاريخ أطلق هذا الاسم على بيت سعد باشا (٢) ·

---

(١) جاء فى مذكرات سعد بانه كان لابد من الحصول على « توكيل » من الناس لانابيتنا عنهم للمطالبة بالاستقلال التام » · مذكرات سعد زغلول (كراسة ٣٢ ص ١٨٤٦ ·

(٢) يقول سعد فى مذكراته عن هذا اللقاء (كراسة رقم ٣٢ ص ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥) :
« حضر لمقابلتى كل من مصطفى الشوربجى ومحمد زكى على ومعهما شابان آخران فى خلال المباحثات الدائرة لتكوين الوفد واعداد صيغ التوكيلات فاستقبلتهم أحسن استقبال =

والى هنا انتهى الحديث بين سعد باشا وبين عضوى الحزب الوطنى وخرج الأخيران غاضبين ، واجتمع الوفد بعدئذ وأعاد النظر فى صيغة التوكيل وأقرها على الوجه الآتى :

« نحن الموقعين على هذا الامضاء بالجمعية التشريعية قد أنبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك ، ولهم أن يضموا اليهم من يختارونه فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى ، فى استقلال مصر استقلالا تاما » (١) . [١٩]

نوفمبر ١٩١٨

طبع هذا التوكيل وتناوله الناس يوقعون عليه ، وتبارت الهيئات المصرية بسائر أنواعها فى التوقيع عليه . وانتشر فى أرجاء البلاد وأقبلت عليه طبقات الأمة توقع عليه بحماس وارتياح .

= وكنت متوهما أنهم فرحون بهذا المشروع مستبشرون به ثم سألتهم : هل أتيتم بغرض التوقيع ؟ فقالوا : نريد أن نقرأ ما كتبتم . فقلت لهم : امضوا بلا قراءة فاستشاطوا غضبا وقالوا كيف نمضى بلا قراءة على مشروع هو أهم مشروع ونحن نعرف الأصول والقواعد ولا يصح لأحد أن يمضى على شىء حتى يعرفه ، قالوا ذلك وكرروه بانفعال شديد وحدة زائدة » .

قال سعد : « اذا تأملتم قولى اتفقتم معى وزالت حدتكم لأنى طلبت ذلك عشما فيكم حتى اذا اظهرتم الثقة التى انتظرها سررت بذلك ثم قرأتم كما تشاءون . ولا يمكن أن يفسر طلب الامضاء بدون قراءة الا لهذه الغاية . وكنت أتعشم بعد هذا البيان أن تنكسر حدتهم ويزول انفعالهم ولكنهم استمروا فى حدتهم فتركت المناقشة معهم .وأخذ محمد باشا محمود ولطفى بك السيد ومحمد على علوبه يكلمونهم بتلطف وحسن مجاملة فلم يزدادوا الا غضبا ، وقالوا انه لا حق لكم فى انسابه غيركم ، ولابد أن تبينوا لنا بروجرامكم . وجاء فى كلامهم أن الأحكام العرفية الغيت ، فقال قائل منا أنها لم تلغ . قالوا : اذا لم تلغ هذه الأحكم فكيف ساغ لكم أن تجهروا بهذه التوكيلات وتعلنوها للملا ... ؟

فقيل لهم : أن هذا عمل مخاطرة ولا ندرى اذا كانت الحكومة تقره أم تنكره ، فقالوا اذن لابد أن تكونوا أعطيتم الحكومة وعودا كاذبة فاستشطت من هذه العبارة غيظا ، وقلت منفعلا وبشدة : أنا لا أسمح بمثل هذا لكلام ، ولا ينبغى أن تهجموا علينا بمثله وتشتمونى فى بيتى ، فارغى الشووبجى وأزبد ثم انصرف وانصرف معه الأقران وبقى محمد زكى مستمرا فى حدته وشدته ومحمد محمود باشا يستعطفه فلم يهدأ وقال أن هذا ليس بيتك بل بيت الأمة » .

(١) عدلت هذه الصيغة الى ما هى عليه بناء على طلب رجال الحزب الوطنى بجعلها صريحة فى النص على (الاستقلال التام) .

(انظر : ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ، ص١٥٤) .

غير أن السلطة العسكرية حينما رأت انتشار هذا التوكيل فى انحاء القطر ، واقبال الأمة على توقيعه عملت لذلك ألف حساب ، وقدرت فيه خطرا يهدد مركزها فأمرت رجال الادارة فى العواصم والاقاليم بمصادرته ومنع تداوله بكل ما فيهم من قوة . فلما علم سعد باشا بذلك بادر بكتابة الخطاب الآتى الى صاحب الدولة حسين رشدى باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية .

(يطلب اليه أن يأمر بوقف هذه الاجراءات وترك الناس أحرارا فى التوقيع على التوكيل ، وهذا نصه) (١) :

[٢٠] حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء .

أتشرف بأن أرفع الى دولتكم ما يلى :

« لا يخفى على دولتكم أنه على أثر فوز مبادىء الحرية والعدل التى جاهرت بريطانيا العظمى وشركاؤها بتحقيقها ، ألفت مع جماعة من ثقات الأمة ونوابها ، وأصحاب الرأى فيها وفدا ينوب عنها فى التعبير عن رأيها فى مستقبلها تطبيقا لتلك المبادىء السامية ، لذلك شرعنا فى جمع هذا الرأى بصيغة توكيل خاص فوق ما لكثير منا من النيابة العامة فأقبل الناس على امضاء هذا التوكيل اقبالا عظيما مع السكينة والهدوء ، وهذا أقل مظهر نعرفه من مظاهر الاعراب عن رأى أمة فى مصيرها .

لكنه قد اتصل بنا أن وزارة الداخلية قد أمرت بالكف عن امضاء هذه التوكيلات ونظرا الى أن هذا التصرف يمنع من ظهور الرأى العام فى مصر على حقيقته فيتعطل بذلك أجل مقصد من مقاصد بريطانيا العظمى ، وشركائها ويحرم الأمة المصرية من الانتفاع بهذا المقصد الجليل .

« التمس من دولتكم باسم الحرية والعدل أن تأمروا بترك الناس وحريتهم يتمون عملهم المشروع ، واذا كانت هناك ضرورة قصوى ألجأت الحكومة الى هذا المنع فانى أكون سعيدا لو كتبتم لى بذلك حتى نكون على بصيرة من أمرنا ونساعد الحكومة بما فى وسعنا على الكف عن امضاء تلك التوكيلات .

« وفى انتظار الرد تفضلوا يا دولة الرئيس بقبول شكرى سلفا على تأييد مبادىء الحرية الشخصية وعظيم احترامى لشخصكم الكريم » .

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

---

(١) العبارة الأخيرة التى تبدأ من (يطلب) أصلها تبدأ من (يلتمس) وشطبت لتعاد صياغتها مرة اخرى بخط غير خط عبد الرحمن فهمى وان كان قد حدث التعديل دون أى اخلال بالمعنى .

ورغما عن هذا الجواب صدرت أوامر مشددة بمنع التوقيع على التوكيلات ، فلما علم سعد باشا بذلك كتب الى وزير الداخلية الخطاب الآتى :

[٢١] حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء ٠

ألحاقا لما حررت لكم أمس أتشرف بأخبار دولتكم أن رجال الحكومة لم يقتصروا على منع التوقيع على التوكيلات بل تجاوزوه الى مصادرة ما تم التوقيع عليه منها ، كما يتبين لدولتكم من صورة الخطاب طيه ، فألفت نظر دولتكم لهذه المعاملة التى يأباها عدلكم ومبادىء العصر الحاضر ٠

وتفضلوا بقبول احترامى ،،

القاهرة فى ٢٤ نوفمبر ١٩١٨ ٠

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
(سعد زغلول)

رد رشدى باشا

فاجابه رئيس مجلس الوزراء بما ياتى :

حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا :

اجابة على كتابيكم المؤرخين ٢٣ ، ٢٤ الجارى أتشرف باحاطتكم علما أنه اذا كانت صدرت أوامر من جناب مستشار الداخلية لمنع امضاء التوكيلات المشار اليها فى كتابيكم المذكورين وبمصادرتها عند الاقتضاء فانما كان ذلك لأن القطر لا يزال تحت الأحكام العرفية ولأن مثل هذه التوكيلات قد اعتبرت مما يدعو الى الاخلال بالنظام العام ٠

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام ،،،

تحريرا فى ٢١ صفر ١٣٣٧ ـ ٢٥ نوفمبر ١٩١٨ ٠

رئيس مجلس الوزراء
الامضاء (حسين رشدى)

وعلى الرغم من تشديد السلطة فى أوامرها بمصادرة التوكيلات ، ومنع الناس من توقيعها ، فقد كان الاقبال عليها بالغا أقصى درجة من الحماسة • وتفنن الناس فى ابتداع كل وسيلة لامضائها وتوصيلها الى الوفـد •

[٢٢] « ضم بعض أعضاء الى الوفـد »

لما خرج عضوا الحزب الوطنى الأستاذان محمد زكى على بك ومصطفى الشوربجى غاضبين ـ عرضت على سعادة زغلول باشـا بأن المصلحة تقتضى بأن يكون الحزب الوطنى ممثلا فى الوفد المصرى • وقلت له أننى أعرف شابين معتدلين من هـذا الحـزب وهمـا مصطفى بك النحاس (١) القاضى الأهلى ، والدكتور حافظ بك عفيفى (٢) طبيب جمعية رعاية الطفل •

فاستدعاهما سعد زغلول باشا وبعد أن أنس فيهما خيرا اجتمع الوفد المصرى وقرر ضمهما اليه •

وفى هذه الأثناء راجت فى البلاد حركة العمل على طلب استقلالها فتبارى القوم بحماسة شديدة ليحصل كل منهم على أكثر عدد ممكن من التوكيلات المذكورة كما سعى كثيرون للانضمام الى هيئة الوفد فضم

(١) ولد عام ١٨٧٦ ، ودرس بمدرستى الناصرية ثم الخديوية وتخرج فى مدرسة الحقوق وخدم بالسلك القضائى حتى عين قاضيا بالمحاكم الأهلية ، وقد اشترك فى ثورة ١٩١٩ ونفى سنة ١٩٢١ مع سعد زغلول الى سيشل ، وفى وزارة سعد سنة ١٩٢٤ عين وزيرا للمواصلات ، وقد خلف سعد بعد وفاته ١٩٢٧ فى رئاسة الوفد ورئاسة البرلمان الائتلافى • ألف وزارته الأولى سنة ١٩٢٨ وفى عهد وزارته الثانية أجـرى مفاوضـات ١٩٣٠ مع هندرسون وزير الخارجية البريطانية • ألف وزارته الثالثة بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، حيث تم فى عهدها توقيع بروتوكول الاسكندرية بانشاء الجامعة العربية ، وفى عهد وزارته الخامسة قام فى أكتوبر ١٩٥١ بالغاء معاهدة ١٩٣٦ • اعتزل الحياة السياسية بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى وفاته ١٩٦٥ (يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٣١١) •

(٢) ولد سنة ١٨٨٦ بالقاهرة ، تلقى تعليمه بها ، ثم حصل على دبلوم الطب سنة ١٩٠٧ ، وفى عام ١٩١٩ انضم الى الوفد ، وكان من بين الأعضاء الذين سافروا الى باريس • وقد استقال من الوفد نتيجة المنازعات التى نشبت بين أعضائه ١٩٢١ وقد أراد عبد الخالق ثروت ضمه الى وزارته الثانية سنة ١٩٢٧ كوزير للدفاع ، ولكن الملك فؤاد رفض ، فاختير وزيرا للخارجية فى وزارة محمد محمود فى يونيو (١٩٢٨) •

اليه كلا من أصحاب السعادة والعزة حمد الباسل (١) وسينوت حنا بك (٢) وجورج خياط بك واسماعيل صدقي باشا (٣) ومحمود أبو النصر

---

(١) حمد الباسل (١٨٧١ ـ ١٩٤٠) مغربي الأصل ولد بمصر ونشأ نشأة بدوية ، عين عمدة لقبيلة الرماح بالفيوم خلفا لوالده محمود الباسل · تخلى عن منصب العمدية لأخيه عبد الستار الباسل ، وفي عام ١٩١١ عين في مجلس مديرية الفيوم ، ثم انتخب عضوا في الجمعية التشريعية ، وبعد ذلك اختير وكيـلا للوفـد المصرى · ألف كتاب « نهج البداوة » ·

(مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : مذكراتي بعد الهجرة ، ص ٤٢٦) ·

(٢) سينوت حنا ولد في أسيوط ١٨٨٠ ، من عائلات الصعيد العريقة ، درس في مدرسة الاليانس الفرنسية بأسيوط ثم كليو الفرير بالاسكندرية · كان من أصدقاء مصطفى كامل ، وبدأت صلته بسعد زغلول في الجمعية التشريعية حيث عين عضوا بها في أواخر ١٩١٣ · انضم الى أعضاء الوفد المصرى في نوفمبر ١٩١٨ · وكان ينشر المقالات في الصحف لسان حال الوفد ضد الحكومة وضد الاحتلال ، وضد لجنة ملنر حيث كان يدعو الى مقاطعتها ، وكان شعاره « لا قبطي ولا مسلم ، وانما كلنا أمام الوطن مصريين » · وكان من الموقعين على النداء الموجه الى الشعب في ٢٤ مارس ١٩١٩ ، وقد نفي مع سعد زغلول الى عدن سنة ١٩٢١ وانتخب عضوا بمجلس النواب المصرى سنة ١٩٢٤ ·

(زكي فهمي : صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير الرجال في مصر ، ص ١٢٩) ·

(٣) اسماعيل صدقي باشا (١٨٧٥ ـ ١٩٤٩) ابن أحمد باشا شكرى من كبار رجال الحكومة في عهد الخديو اسماعيل والخديو توفيق ـ جده لوالدته محمد سيد أحمد باشا رئيس ديوان الأمير محمد سعيد باشا بن محمد على باشا الكبير · ولد بالاسكندرية · نال ليسانسية الحقوق ١٨٩٤ وعمل موظفا بالحكومة اختير ناظرا للزراعة ١٩١٤ · واشترك في الحركة الوطنية ونفي مع سعد زغلول وصحبه الى مالطة في مارس ١٩١٩ · سافر الى باريس مع الوفد المصرى بعد الافراج عنه ـ وهناك اختلف مع أعضائه · اشترك في مفاوضات « عدلى ـ كيرزون » ١٩٢١ التي فشلت · عين وزيرا للمالية في وزارة ثروت عقب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ · اشترك في لجنة دستور ١٩٢٣ شكل وزارة برياسته (١٩٣٠ ـ ١٩٣٣) وفي أثناء حكمه استبدل الدستور وألف « حزب الشعب » · ترأس الوزارة مرة أخرى في ١٩٤٦ · اضطلع بمفاوضة الحكومة البريطانية وكـان يمثلها « لورد ستانسجيت » وانتهت بمعاهدة « صدقي ـ بيفن » التي فشلت · استقال من الوزارة وذهب الى أوربا مصطافا · مات في باريس ١٩٤٩ ونقلت جثته الى القاهرة ·

(اسماعيل صدقي : مذكراتي ص ٥ ·)

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٠ ·

بك (٤) وواصف غالى بك (٥) ·

وقد كان لانضمام سينوت بك حنا وجورج بك خياط الى الوفـــد أثر عظيم زادته قوة على قوته ، وأظهرت أنه يمثل الأمة المصرية بجميع طوائفها ·

طلب السفر الى مؤتمر الصلح

وفى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ أرسل سعد باشا الى السلطة العسكرية يطلب له ولأصحابه جوازا بالســفر الى أوربا لعرض مطالب البلاد على مؤتمر الصلح والتمكن من اسماع صوت مصر فى أعطائها حق تقرير مصيرها · فردت عليه السلطة فى اليوم التالى قائلة بأن طلبه سينظر فيه فى أقرب وقت ممكن · فطلب اليها فى يوم ٢٨ التعجيل بالنظر فى طلبه ، فجاءه منها فى اليوم التالى ما ملخصه : [٢٣]

« أنه قد عرضت صعوبات تمنع من اجابته الى طلبه فى الوقت الحاضر ، ومتى زالت تلك الصعوبات تبادر باعطائه وصحبه الجوازات التى يطلبونها » ·

فما وصل هذا الرد الى سعد باشا حتى أمر بكتابة الخطاب الآتى :

الى المندوب السامى باللغة الانجليزية وهذه ترجمته :

الى صاحب الفخامة السير ريجنلد ونجت

المندوب السامى لحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ·

---

(٤) محمود أبو النصر هو أحد أعضاء الحزب الوطنى الذين شاركوا مصطفى كامل ومحمد فريد فى العمل السياسى · له مواقف وطنية مشهورة تحمل بسببها العنت من سلطة الاحتلال البريطانى ترافع عن ابراهيم ناصف الوردانى فى ١٢ مايو ١٩١٠ ودافع عنه دفاعا بليغا مع أحمد مصطفى وابراهيم بك الهلباوى · شارك فى اجتماع المؤتمر المصرى ومباحثاته فى ٢٩ ابريل ١٩١١ لقمع الفتنة الطائفية والقى خطبة فيه · ترافع فى القضية التى اتهم فيها محمد فريد وعلى فهمى كامل واسماعيل حافظ بالحض على كراهية الحكومة فى مارس ١٩١٢ ·

(محمد فريد ــ مذكرتى بعد الهجرة ص ٥١ هامش ٥) ·

(أحمد شفيق ــالقسم الثانى ج ٢ ص ٢١١) ·

(٥) واصف غالى باشا ابن بطرس غالى الذى أغتيل ١٩١٠ · ذا ثقافة فرنسية عالية · فى ١٩١٩ أصبح ممثلا غير رسمى للسياسة المصرية فى باريس الى أن التحق بالوفد · شغل منصب وزير الخارجية فى وزارة سعد زغلول الأولى من يناير الى ديسمبر ١٩٢٤ ، وأيضا فى وزارة النحاس عام ١٩٢٨ · كان ضمن وفد المفاوضات فى لندن من مارس الى مايو ١٩٣٠ عين وزيرا للشئون الخارجية فى وزارة النحاس فى مايو ١٩٣٦ وكان عضو وفد المباحثات من أجل المعاهدة المصرية البريطانية ·

يا صاحب الفخامـــة :

« أتشرف بأن أعرض على فخامتكم أنه قد ألف وفد برياستى بقصد السفر الى انجلترا للمفاوضة مع أولى الحل والعقد البريطانيين بشـــأن مستقبل مصر • وقد أرسلت الى رئاسة الجيش الانجليزى بتاريخ ٢٠ الجارى خطابا التمست فيه اعطائى أنا وزملائى جوازات السفر فأجابت السلطة العسكرية فى اليوم التالى بأن طلبنا سينظر فيه فى أقـــرب وقت ، ولمـا كانت المهمة التى أخذناها على عاتقنا تقضى بوجودنا بلندرة(١) من غير تأخير فقد حررنا أمس طالبين النظر فى ملتمسنا واليوم ورد لنـا خطاب من السلطة العسكرية يتضمن أنه حدثت بعض صعوبات لم يتيسر معها اجابة طلبنا الى اليوم وأنه بمجرد تذليل هذه الصعوبات تســـارع الى اجابتنا الى طلبنا ، وتلقاء هذه الاجابة ونظرا الى أنه من الضرورى أن يكون وفدنا بلندرة قبل الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر جئنا بهـــذا راجين من فخامتكم أن تتفضلوا باستعمال مالكم من نفوذ لدى السلطة العسكرية لحصولنا على جوازات السفر سريعا وفى الوقت المناسب •

[٣٤] وأنا معتمدون كثيرا على تقاليد بريطانيا العظمى التى مازالت تقدم للعالم كثيرا من الأمثلة على تمسكها بمبادىء الحرية الشخصية اعتمـادا يجعل لنا الثقة فى أن طلب التصريح لنا بالسفر سيفصل فيه عاجلا •

وانا فى انتظـار اجابة ملتمسنا نقـــدم لفخامتكم عظيم الاحترام والتبجيل » •

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفـــد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

رد دار الحماية

فجاء الرد فى أول ديسمبر ١٩١٨ وهذه ترجمته •

عزيزى زغلول باشا :

« كلفت من قبل فخامة المعتمد السامى البريطانى باحاطتكم علمـا بوصـول خطابكم المؤرخ ٢٩ الماضى وباخبـاركم ردا عليه بأن فخامته قد رأى بعد استشارة حكومة جلالة الملك أنه لا يستطيع التوسط لـــدى السلطة العسكرية فى هذا الموضوع •

(١) لندرة هى لندن وكان الساسة والصحفيون المصريون فى ذلك الوقت يستخدمون الترجمة الفرنسية للاسم بحكم ثقافتهم •

« وأضيف الى ذلك أنكم ان كنتم تريدون تقديم اقتراحات بخصوص كيفية الحكم فى مصر مما لا يخرج عن الخطة التى رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل • فالأفضل أن مثل هذه الاقتراحات تقدم كتابة الى فخامته ــ ولهذه المناسبة ألفت نظركم الى خطاب (١) السير ميلن شيتهام الذى أرسله بناء على أمر حكومة جلالة الملك الى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر » •

القاهرة فى أول ديسمبر ١٩١٨

المخـــلص

ج• س• سيمس

السكرتير الخصوصى بالنيابة

جواب الوفد على رد دار الحماية

وفى يوم ٣ ديسمبر ١٩١٨ أرسل سعد باشا كتابا (٢) الى المندوب السامى باللغة الانجليزية وهذه ترجمته :

صاحب الفخامة السير فرنسيس ريجنلد ونجت

المندوب السامى لحكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا •

تشرفت باستلام الخطاب المؤرخ أول ديسمبر ١٩١٨ الصادر من سكرتير جنابكم الخاص ردا على كتابى المؤرخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ المختص بجوازات السفر المطلوبة لاعضاء الوفد المصرى • [٢٥]

« ولقد ورد فى هذا الخطاب أن فخامتكم مستعدون لقبول ما يقدم لكم من الاقتراحات المكتوبة بشأن نظام الحكم فى مصر ، بشرط أن لا تكون غير متفقة مع الخطة التى سبق أن رسمتها حكومة جلالة الملك • وردا على هذا لا يسعنى الا أن أصرح لجنابكم بأنه لا يسوغ لى ولا لأحد من أعضاء

(١) المقصود به التبليغ الذى أرسله القائم بأعمال المعتمد البريطانى فى ١٦ ديسمبر ١٩١٤ عقب اعلان الحماية على مصر فى ١٩١٤/١٢/١٨ رسميا • وعزل الخديو عباس حلمى ، وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، وكان بمثابة دستور أولى لنظام الحماية ، (انظر ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٦٩) •

(٢) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ص ١٩ •

الوفد أن يطلب طلبات غير مطابقة لمشيئة الأمة التى عبرت عنها بالتوكيلات المعطاة لنا • وانى ألفت نظر فخامتكم الى أن هذه التوكيلات التى أقبل عليها كثير من علية القوم كأعضاء الجمعية التشريعية والهيئات النيابية الأخرى ما كانت الا لتستغرق أفراد الشعب كلهم (١) لو لم تتداخل السلطات وتمنع تداولها وتصادرها • وان سفرنا الى انجلترا لم يكن الغرض منه الا مفاوضة رجال السياسة ونواب الأمة وغيرهم ممن يديرون الرأى العام البريطانى الذى اليه ترجع الشؤون الحكومية لأننا مقتنعون بأن نجاح قضيتنا يتوقف جله على ما فطر عليه هذا الرأى العام من حب العدل والحرية والانتصار للضعيف •

من هذا ترون فخامتكم أنه يستحيل علينا أن ندرك غرضنا بواسطة تبليغات تقدم فى مصر فقط مادامت القضية التى ندافع عنها يجب عرضها بادىء ذى بدء على الرأى العام البريطانى وهو لا يمكنه أن يحيط علما بتفاصيلها الا من مصادرها الطبيعية ، أى من ممثلى الأمة المصرية ، فعدم تمكننا من السفر يقضى على المهمة التى أخذنا على عاتقنا تنفيذها طوعا لمشيئة البلاد ، على أنه من الصعب التوفيق بين منعنا من السفر وبين ما تقتضيه مبادىء الحرية والعدل التى فتحت بريطانيا العظمى وشركاؤها أبوابها لخير الانسانيه ولتحقيق ميول الشعوب •

وتفضلوا فخامتكم بقبول فائق الاحترام ،،،

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
(الامضاء) سعد زغلول

القاهرة فى ٣ ديسمبر ١٩١٨

[٣٦] وفد الحكومة

قلنا ان الشعور الوطنى لم يكن مقصورا على فئة دون أخرى ، بل ان جميع طبقات الأمة كانت تشعر بأن الواجب عليها أن تعمل للاستقلال ونجاتها من الحال التى كانت عليها فى أيام الحرب ، وليس أدل على ذلك من أنه فى الوقت الذى كان سعد باشا وزملاؤه يسعون لاستقلال

(١) بمعنى تستوعب أفراد الشعب كلهم •

مصر فيذهبون الى دار الحماية ويؤلفون الوفد ويسعون للحصول على جوازات السفر الى أوربا ، فى هذا الوقت ، وفى يوم ١٣ نوفمبر بالذات كان صاحب الدولة حسين رشدى باشا يرفع تقريرا الى صاحب العظمة السلطان فى وجوب سماع صوت مصر فى مؤتمر الصلح والدفاع عن حقها فى تقرير مصيرها ، وأن يكون هو وعدلى باشا الوفد الذى يمثل الحكومة فى مؤتمر الصلح ، وقد صادف هذا التقرير ارتياح عظمة السلطان وهذه صورته :

حضرة صاحب العظمة السلطانية :

« ان الحوادث تتوالى بسرعة ، وقد أوشكت مفاوضات الصلح أن تبتدىء ، وعما قريب يشرع فى تسوية جميع المسائل التى نشأت عن الحرب ، وانه لمن الأهمية بالمكانة العظمى أن يعرض بطريق مباشر على حكومة صاحب الجلالة البريطانية رغائب عظمتكم ورغائب حكومتكم فيما يختص بمستقبل مصر السياسى ، ولهذا أعرض على عظمتكم أن تعهدوا الى والى زميلى عدلى باشا فى القيام بهذه المأمورية ، وفى أثناء غيابنا ينوب عنى سرى باشا فى رئاسة مجلس الوزراء وثروت باشا فى وزارة الداخلية وينوب زيور باشا عن عدلى باشا فى وزارة المعارف » .

وقد عرضت هذه الفكرة على المندوب السامى عند مقابلة رشدى باشا اياه فى ذلك التاريخ فلم ترق فى نظره فخرج رشدى باشا من عنده وقدم استقالته الى عظمة السلطان ولكنها لم تحز قبولا .

خطاب الوفد الى رئيس الوزراء

بطلب تسهيل سفر الوفد

وفى ٤ ديسمبر ١٩١٨ أرسل الوفد الى رئيس الوزراء الخطاب الآتى :

[٢٧] « حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء .

« لما شرعنا فى السفر الى انجلترا لنطلع أولى الشأن فيها على رأى الأمة المصرية فى حكم نفسها تشرفنا بمقابلة دولتكم فى ١٣ نوفمبر الماضى فصرحتم لنا بأنه قد حدثت صعوبات يتوقف على النظر فيها البت فى أمر الجوازات ، فوسطنا فخامة المندوب السامى فى ذلك ، فكان جوابه فى أول ديسمبر الجارى أنه بعد مخابرة حكومته لا يستطيع المداخلة عند السلطة العسكرية فى أمر تلك الجوازات ، غير أنه أن كان لدينا اقتراحات

تتفق مع خطة الحكومة الانجليزية التى اعلنتها من قبل فلا بأس من تقديمها اليه بالكتابة لافتا نظرنا فى هذا الصدد الى خطاب السير ميلن شيتهام الى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر ، فأجبنا فخامته أمس بأننا لا نستطيع أن نفاوض فيما لا ينطبق على رأى الأمة الذى عبرت عنه بالتوكيلات الصادرة لنا وأبنا له كيف أن ايقاف الرأى العام الانجليزى على حقيقة الرأى العام المصرى غاية لا تدرك هنا بل بسفر وفد الأمة .

« فمهما يكن من تلك الصعوبات التى لا نعرف طبيعتها وتلقاء تصريح دولتكم المتقدم ذكره وما اعلن عن سفر دولتكم ومعالى وزير المعارف كوفد من قبل الحكومة فاننا لا نزال نعتمد بحق على عدلكم فى أن تصرفوا قبل سفركم جهدكم الى تسهيل السفر على وفد الأمة أيضا .

« وأنا شديد الثقة فى أنه يعز عليكم أن تفوت مصر هذه الفرصة الوحيدة لعرض مطالبها الحقة .

« وفى انتظار الرد تفضلوا يا دولة الرئيس بقبول عظيم احترامى
القاهرة فى ٤ ديسمبر ١٩١٨ .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
(الامضاء) سعد زغلول

[٢٨] من الوفد الى رئيس الوزارة الانجليزية

وفى نفس اليوم أرسل الوفد الى رئيس وزراء انجلترا التلغراف الآتى :

« صاحب السعادة المستر لويد جورج الوزير الأول لبريطانيا العظمى .

دوننج ستريت ـ لندن

« تحدث فى مصر أمور مخالفة لتقاليد الحرية والعدل التى هى شعار دولة بريطانيا العظمى وللسياسة الحرة التى لا زلتم اماما لها الى حد أن المصريين أصبحوا يتساءلون هل التصريحات التى ما فتىء ساسة المملكة يعلنونها كل يوم لا يعنى بها الا فريق من بنى الانسان دون فريق آخر أقل استحقاقا للرعاية .

« هل تقبلون سعادتكم أن يخنق صوت أمة بأسرها بينما أرجاء العالم تدوى بأصوات الأمم المطالبة بما لها من الحقوق وبحرية التصرف فى مستقبلها ؟

« وهل تقبل أمتكم العظيمة وهى خارجة تحمل أكاليل النصر من حرب لم تخض غمارها الا دفاعا عن الحرية أن يصوب باسمها أنفذ سهم فى قلب هذه الحرية . ؟

« ان مصر وهى عارفة بحقوقها وواجباتها رأت أن توقف بنفسها الرأى العام الانجليزى على حقيقة حالها وأن تطلعه على مطالبها القومية مؤملة فى عدله تمام تحقيقها .

« فالذين بيدهم السلطة لم يكفهم أن يمنعوا تداول التوكيلات التى قصد بها تحويل الوفد المكون لهذا الغرض وهو الدفاع عن قضية مصر ، بل تجاوزوا ذلك الى وضع عراقيل على طريق هذا الوفد الى انجلترا .

« وهذا أمر يشبه أن يكون الغرض منه اقامة سد منيع بيننا وبين الرأى العام الانجليزى فيصبح عسيرا أن يقف على الحقائق من مصادرها الطبيعية .

« فبالنيابة عن الوفد المصرى أرفع هذه التصرفات لنظركم السامى » (١) .

القاهرة فى ٤ ديسمبر ١٩١٨

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

(الامضاء) سعد زغلول

---

(١) أرسل سعد هذه البرقية باللغة الفرنسية الى مستر لويد ولكن المندوب السامى أصدر أمرا الى الرقابة بمنع ارسال هذه البرقية وبعث بترجمتها الانجليزية الى لندن .
(انظر : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٦٤ ــ ١٦٥) .

نداء الوفد لمعتمدى الدول الأجنبية بمصر

[٢٨] كانت كل المكاتبات والمراسلات الى ذلك الوقت تدور بين الوفد من جهة ودولة رئيس الوزارة المصرية أو ممثلى الحكومة الانجليزية من جهة أخرى . وقد رأينا أن الوفد لم يحصل على نتيجة يرتاح اليها من جهة أخرى ، فالحكومة المصرية لم تستطع أن تحول بين الانجليز وبين مصادرة التوكيلات ولم يفلح الوفد فى الحصول على جوازات السفر من السلطة العسكرية الانجليزية والمندوب السامى البريطانى . ورأى أنه قد حان الوقت لكى يعرف ممثلو الدول الأجنبية(١) حقيقة ما ترمى اليه الحركة المصرية فأرسل فى ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ النداء الآتى بعد الى معتمدى الدول الأوروبية بمصر :

[٢٩] « ايمانا بالتصريحات المؤكدة التى أعلنها ساسة الحلفاء عند نشوب الحرب ولازالوا يجاهرون بها من انتصارهم للحرية والحق .

« واعتمادا على تلك الروح الجديدة التى تدفع أمم العالم وديموقراطياته نحو ذلك المثل الأعلى مثل الحيـاة المطمئنة فى كنف العدل وبحبوحـة السلام .

« وثقة على الأخص بأن دخول جمهورية الولايات المتحدة الفاصل فى المعترك العالمى لم يكن لها فيه من قصد سوى صيانة حقوق الأمم الضعيفة واستنتاج عصر عدل مجرد عن الهوى تبور فيه الى الأبد صفقة من لا ينظر الا الى ارضاء مطامعه الشخصية ولا يهمه غير بسط سلطته على بنى الانسان اعتمادا على القوة والجبروت .

« فمصر التى تعرف واجباتها وتهتم بمصالح نفسها ـ وقد دخل ذلك الايمان قلبها وجعلت ذلك الاعتماد وهذه الثقة سندها ـ رأت بمجرد عقد الهدنة الأخيرة أنها بعد أن لبثت طول مدة الحرب على أكمل حال من

---

(١) حتى هذا الوقت كانت درجة التمثيل الأجنبى فى مصر لا تزيد عن درجة المعتمد والقنصل العام Agent and Consul-General وذلك بحكم انها كانت قبل ١٩١٤ جزءا من الدولة العثمانية ثم فرضت عليها الحماية البريطانية بعد ذلك .

السكينة وحسن الوفاء قد آن الأوان لتجهر ، على هذا المنوال من السكينة والوفاء ، بما لها من الحق فى أن تحيا حياة حرة خالصة من القيـــود والأغلال .

« كل مصرى يمازج مؤاده هذا الشعور وكل مصرى كان يضبط شعوره حتى وافت هذه الفرصة فتفتحت أفئدة الامة جمعاء واندفعت من ذاتها تطلب لمصر الاستقلال الذى كان دائما ضالتها المنشودة والذى من أجله سفكت تارة دم أبنائها فى ميادين القتال وتارة كانت تهب للمعارضة بغاية الشدة كلما عرض من الحوادث ما من شأنه اقصاؤها عنه .

[٣٠] « مصداق هذا الشعور الراسخ أن الوفد الذى تألف من الموقعين عليه للقيام بمطالب البلاد الحقة والدفاع عنهـــا فى الخارج لم يكد يتم تأليفه حتى تقبلت الأمة مهمته بالارتياح وأيدته فيها بالاجماع . ولقد كان هذا الوفد الذى من بين رجاله كثير من أعضاء الجمعية التشريعية أن يستغنى عن أى توكيل خاص لأداء مهمته هى من بديهيات الحق الطبيعى للحكومات ، فكر فى أنه لو حصل على رأى الأمة فى صورة توكيل يمضيه أفرادها وخصوصا من يكونون منهم قائمين بوظائف نيابية لكان ذلك أبلغ فى الدلالة على مشيئة البلاد وأقوم فى البيان عن كنه شعورهـــا ، لدى من ليسوا عالمين بحقيقة حالها .

لم تكد هذه الفكرة تظهر حتى أخذ الجمهور على نفسه أمر تحقيقها ولم تكن الا برهة من الزمان يسيرة حتى امتلأت التوكيلات بألوف الامضاءات من بينها عدد عظيم للعلية من أفراد الأمة كأعضاء الجمعية التشريعيـــة ومجالس المديريات والمجالس البلدية وغيرهم . ومما لا ريب فيه أن هذه الحركة لو تركت وشأنها لأجمعت الأمة بهذا الشكل على مطابقة مأموريتنا لـــا يخامر كل فؤاد من أفئدة أبنائها .

« ولكن مبادىء الحق والعدل التى انتشرت فى العالم انتشارا لا يقاوم بدليل ما يرن فى آذاننا من أصواتها الواصلة الينا من أوربا وأمريكا وما نقرأه عنها فى تصريحات كبار الرجال أولى الشأن فى التعبير عن آراء أممهم ــ هذه المبادىء يظهر أن أمتنا بالغت فى الاعتداد بها .

« نقول هذا لأنه كانت تصدم أفكارنا التى تتوارد علينا تباعا من الاجراءات التى تباشرها السلطة لمنع تداول التوكيلات ثم مصادرة ما تم التوقيع عليها فعلا .

« تظلم وفدنا لدولة رئيس الوزراء من هذه الاجراءات فكان جوابه :

« ان الأوامر الخاصة بذلك قد كان صدورها من جناب مستشار

الداخلية ، وأن التوكيلات التى تداولت اعتبرت مما يدعو للاخلال بالنظام العام » ٠

[٣١] « الله شهيد أن البلاد لم تكن قط أكثر منها سكينة ورزانة عندما اهاب بها الداعى واستوقفها لتجهر برأيها فى هذا المشهد الرهيب ٠ فالمصريون شبابا وشيوخا ، سكان مدن وقرى ، أغنياء وفقراء ، كلهم قد نسوا ما بينهم من الفوارق الطائفية والمذهبية والحزبية وقاموا جميعا بدافع الاخلاص والوطنية قومة رجل واحد ملبين دعوة الداعى يزينهم الاعتدال والتعقل فى القول والفعل ٠

« ولقد كنا نعتقد أن تداخل السلطات فى هذا الشأن لا يتجاوز حد عمل احتياطى من أعمال رجال الضبط وأن ما فيها من التعسف ليس منبعثا الا عن افراط فى الغيرة ، ولم يدر بخلدنا أن استنكار السلطات لهمتنا يبلغ بها الى المعاملات الجديدة التى عاملتنا بها وهى منعنا عن السفر لأوربا لأداء موجب التوكيل الذى أخذناه على عاتقنا ، ذلك أن قدمنا طلبا كتابيا لفخامة المندوب السامى البريطانى نرجوه فيه أن يتوسط لدى السلطة العسكرية لمنحنا جوازات السفر فورد الينا الجواب فى أول ديسمبر سنة ١٩١٨ من السكرتير الخصوصى يبلغنا أن فخامته بعد أن استشار حكومة جلالة ملك بريطانيا لا يستطيع التوسط المطلوب ٠

« فنظرا لأن تلك الاجراءات يصعب التوفيق بينها وبين الروح السائدة فى الأمم والحكومات التى سيأخذ مندوبوها مجالسهم فى مؤتمر الصلح ، ونظرا لأن هذه الاجراءات مناقضة على خط مستقيم للتأكيدات المتكررة على رؤوس الملأ من أن صوت الشعوب وافصاحها بالحرية عن ميولها القومية سيكون لها الأثر الفاصل فى تقرير مستقبلها ٠

« ونظرا لتلك المعاملات الاستثنائية التى عوملت بها الأمة المصرية حتى لم يسلم منها الوزراء المصريون أنفسهم من الاستهتار بمبدأ الحرية الشخصية ومن غمط مبدأ الحق الطبيعى لكل أمة فى أن تسمع قبل من عاداها صوتها بالنسبة للمسائل الجوهرية الخاصة بها ، تلك المسائل التى لا يمكن الوقوف عليها الا بعد اعطاء الأمة كامل الحرية فى التعبير عن رأيها ٠

نظرا لكل ما تقدم

[٣٢] « أتينا بهذا محتجين لدى حضرات نواب الدول الصديقة التى يهمها أمر مصر على الخطة التى صار اتخاذها معنا وعلى كل قرار يتخذ بشأن

مستقبل مصر بدون أخذ رأى الأمة المصرية فيه (١) .

القاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩١٨ .

امضاءات أعضاء الوفد المصرى (٢)

تأثير هذا الاحتجاج

[١٣٢أ] لم يكد هذا الاحتجاج يصل الى ممثلى الحكومات الأجنبية فى مصر حتى ذاع خبره فى جميع البلاد والأوساط ، وتناقله أفراد الشعب وهيئاته المختلفة ، وأصبح موضع حديثهم ، ومثار اعجابهم ، وكان له أثر بليغ فى ازدياد حماسة الشعب والتفافه حول الوفد ، وكانت النداءات التى يوجهها الوفد الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، والى أعضاء مؤتمر الصلح ، وممثلى الحكومات الأجنبية فى مصر تشعل نار الحماسة فى الشعب ، وتقوى الرابطة بينه وبين الوفد ، وكان المظهر الخارجى البديع لهذه الرابطة الوفود التى أخذت تتدفق كالسيل الجارف على بيت الأمة لتتعرف خطى الوفد وأعماله .

وبدأ اتصال الوفد من ذلك الوقت بطلبة المدارس فتألفت منهم لجنة سميت « لجنة الطلبة » كانت تعقد اجتماعات متوالية ، فى أمكنة مختلفة .

ومتابعة لهذه الخطة أرسل الوفد الاستنجاد الآتى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ليعينه على تحقيق مسعاه فى السفر لحضور مؤتمر السلام .

أمـوال الوفـد

قد يسأل الانسان : كيف كان الوفد يحصل على المال الذى يستخدمه فى بث دعايته فى الداخل والخارج ؟ والجواب عن ذلك أن أعضاء الوفد اكتتبوا بما استطاع كل منهم ، فاجتمع بذلك بضعة آلاف من الجنيهات ، وكان نصيب سعد باشا من هذا الاكتتاب أن باع ١٧٠ مائة وسبعين فدانا من أخصب الأراضى كان يملكها فى مديرية البحيرة بسعر الفدان ٢٠٠

(١) يلاحظ أن أصل الخطاب كان موجها الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر باللغة الفرنسية وانه مؤرخ فى ٩ ديسمبر وليس ٦ ديسمبر كما جاء فى المذكرات
F.O. 407 Enc. 1 in No. 49.

(٢) بلغ عدد هذه الامضاءات فى الأصل الفرنسى ١٦ امضاء لكل من :
سعد زغلول باشا ، على شعراوى باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، محمد محمود باشا ، حمد الباسل باشا ، عبد العزيز فهمى بك ، أحمد لطفى السيد بك ، محمد على بك ، محمود أبو النصر بك ، عبد اللطيف المكباتى بك ، سينوت حنا بك ، دكتور حافظ عفيفى بك ، مصطفى النحاس بك ، جورج خياط بك ، حسين واصف باشا ، ميشيل لطف الله بك .

مائتى جنيه ، فكان أوذاك النواة الأولى لخزانة الوفد ثم أخذ سيل التبرعات والاكتتابات يتدفق على هذه الخزانة من أنحاء البلاد المصرية (١) ٠

[٣٣] من الوفد المصرى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

وفى يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٨ أرسل الوفد الاستنجاد الآتى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ليعينه على تحقيق مسعاه فى السفر لحضور مؤتمر السلام وهو : جناب الدكتور ولسون

رئيس جمهورية الولايات المتحدة ـ باريس

« سافرت من بلادك لتبلغ العالم القديم آية الهدى ولتمثل للعيون عزم أمريكا الحرة على تسوية شئون الأمم على قاعدة الحق والعدل ، فأضفت الى مجدك مجدا آخر حقيقا بشكر الانسانية ، وليس فى العالم أمة تعدل الأمة المصرية فيما استشعرته من الفرح لطلوع صبح العصر الجديد الذى سيشمل العالم أجمع بفضل جهادكم فيفيض عليه نعم سلام لا يكدر صفوه ولا نقاءه عبث العابثين من أهل الاتوقراطية أو سياسة أولى المنفعة وحب السلطان ٠

« وما من أمة أشد اعجابا من الأمة المصرية بتنزه الأمة الأمريكية عن الأغراض فى خوض غمار هذه الحرب ٠ ذلك التنزه الذى مكنها من أن تطلب عالية الرأس أن يسوى فى العدل بين الأقوياء والضعفاء وبين الأمم الكبيرة والأمم الصغيرة ٠

لذلك ترى مصر حقا عليها على أثر وصولكم الى أوربا لتلوا بنفسكم الدفاع عن أسمى القضايا وأشرفها وهى قضية الانسانية ، سعيكم الذى فيه نجاح الحق والعدل ٠

« ان الوفد المصرى الذى من أعضائه كثير من أعضاء الجمعية التشريعية والذى قد وكلته الأمة توكيلا خاصا فى السفر الى أوربا ليعرض على أولى الشأن مطالب المصريين ويؤيدها بالبرهان ، قد كان يرى واجبا عليه أن يقدم اليكم شخصيا تحيات مصر وعبارات اعجابها لو استطاع لذلك سبيلا٠ غير أن السلطة مع الأسف قد منعته جوازات السفر فحرمتنا بذلك من أن نفضى الى الرأى العام بآلامنا وأمانينا وعرضت القضية المصرية الى خطر الأحكام غير المبنية على الحجج الكافية والأدلة الصحيحة ٠ وحالت بين مصر

---

(١) هذا القسم غير متصل بالسياق العام للمذكرات ولكننا نثبته فى مكانه كما جاء بها ٠

وبين تحقيق رغباتكم الصحيحة التى أقركم عليها الحلفاء وهى « توجيه مصير الأمم الى حيث تتجه ميولها » ٠

« أجل أن السلطة البريطانية قد طلبت الينا أن نبدى اقتراحات مكتوبة فى ادارة مصر بشرط أن لا تخرج عن دائرة الحماية التى رتبتها ٠ وأنها بذلك تطلب الينا المحال لأن مصر لم تقبل مطلقا هذه الحماية التى ليست الا عملا من الأعمال الحربية والتى مع كونها مناقضة لآمالنـــا فى الاستقلال فهى مناقضة أيضا للحقوق التى كسبناها من تركيا من زمان بعيد ٠ فان هذه الحرب أبعد ما يكون من أن تضيق دائرة تلك الحقوق بل على ضد ذلك توسع فيها الى حد الاستقلال تطبيقا للمبادىء الجديدة التى تقضى باحترام الجنسيات ٠ وانا تلقاء ذلك لنأســف لتصرف حكومة أمة اعتقادنا بحريتها متين ٠

[٣٤] وانا لمعذورون فى أن نقف فى وجه هذا التصرف لأننا لم نصــغ الا الى داعى وجودنا القومى ٠

لهذه الأسباب

« وباسم مصر ذلك البلد الراقى فى معارفه ، القديم فى مدنيته ، ذلك البلد المتجانس السكان والمتشرب بأفكار التقدم والتمدن ، نحتج بشدة على كل اعتداء على حقوقه واستقلاله ٠ فمصر تضرع الى جنابكم أن تهيئوا لها فرصة أن تسمع صوتها بالاحتجاج وبآمالها الشرعية » ٠

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية

ورئيس الوفد المصرى

(الامضاء) سعد زغلول

استقالة رشدى باشا من الوزارة

قلنا انه فى الوقت الذى ذهب فيه سعد باشا ورفيقاه الى المعتمد السامى البريطانى للتحدث معه فى شأن مصر ومستقبلها السياسى كان رشدى باشا وزميله عدلى باشا يرفعان تقريرا الى عظمة السلطان يبديان فيه رغبتهما فى السفر الى انكلترا للتكلم فى شأن القضية المصرية وأنهما عرضا هذه الفكرة على المعتمد السامى فلم ترق فى نظره ولذلك قدم رشدى باشا كتاب استقالته الى عظمة السلطان فلم تقبل ٠

ولقد بذلت مساع كثيرة لحمل رشدى باشا على العدول عن الاستقالة فرفض وزاد على ذلك أن قــدم كتابا الى عظمة الســـلطان يصر فيه على الاستقالة وهذا نصه :

[٣٥] **صاحب العظمة السلطانية :**

« فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ رفعت الى سـدتكم السنية التقرير الآتى نصه :

(ان الحوادث تتوالى بسرعة وقد أوشكت مفاوضات الصـلح أن تبتدىء وعما قريب يشرع فى تسوية جميع المسـائل التى نشأت عن الحرب . وأن لمن الأهمية العظمى أن يعرض بطريق مبـاشر على حكومة صاحب الجلالة البريطانية رغائب عظمتكم ورغائب حكومتكم فيما يختص بمستقبل مصر السياسى ولهذا أعرض على عظمتكم أن تعهـدوا الى والى زميلى عدلى باشا القيام بهذه المأمورية وفى أثناء غيابنا ينوب عنى سرى باشا فى رئاسة مجلس الوزراء وثروت باشا فى وزارة الداخلية وينوب زيور باشا عن عدلى باشا فى وزارة المعارف) .

« ولقد عرضت هذا الرأى بعد موافقة عظمتكم على الحكومة البريطانية بواسطة فخامة القومسيير العالى (١) فكان جوابها حامـلا لى على تقديم استقالتى فرفعتها بالنص الآتى الى عظمتكم :

صاحب العظمة السلطانية :

عنـدما أخذت على عاتقى أمام ضميرى وأمام وطنى وأمام التـاريخ مسئولية منصبى فى عهد النظام الجديد قد عاهدت نفسى عهدا أساسيا أن أطلب من الحكومة الانجليزية عند الشروع فى مفاوضات الصـلح أكثر ما يمكن من الحرية لمصر .

والآن وقد أوشكت هذه المفاوضات أن تبتدىء طلبت من الحـكومة الانجليزية بعد تصديق عظمتكم أن تسمع أقوالى فكان جوابها بمثـابة التسويف « الى ما بعد الصلح » على أننى بالعكس أرى أن الوقت الحاضر هو الذى ينبغى فيه عرض ما لمصر من الأمانى القومية وتأييده .

فلهذه الأسباب أتشرف بتقديم اسـتعفائى بين يدى عظمتكم من رئاسة الوزراء ووزارة الداخلية وأن زميلى عدلى يكن باشا الذى عينتموه لمرافقتى فى مهمتى يتمسك بمشاركتى فى هذا الأمر فهو يقدم شخصيا استعفاءه من وزارة المعارف العمومية » .

[٣٦] « ولكن رفع الرجاء الى عظمتكم ألا تقبلوا هذه الاستقالة الا بعد مراجعة لندرة فلم يكن جوابها الجديد الا مؤيدا للجواب الأول .

« لهذا أصررت على الاستقالة . ومن ذلك الحين لم ترد تبليغات

---

(١) يقصد المندوب السامى وقد جاءت القومسيير العالى ترجمة لـ High Commissioner.

رسمية ، ولكن حدثت مساع ومخابرات أخرى بغير هذه الصفة لم توصل الى نتيجة ما .

« فى هذه الأثناء تألفت وفود من أعضاء الهيئات النيابية (١) فى البلاد وطلبوا أن يسمح لهم بالسفر الى لندرة ليدافعوا عن مصلحة مصر فنصحت أن يؤذن لهم فى ذلك وأن تسمع أقوالهم فلم يصغ لنصحى ولم يكتفى(٢) بذلك بل أبوا على أنا نفسى أن تسمع أقوالى فيما عساه أن يكون نظام الحماية .

« لهذا التصرف ستحرم مصر دون غيرها من الأمم أن يسمع صوتها فى الوقت الذى يبت فى مصيرها .

« فبناء على هذه الاعتبارات يلزمنى أن أعود فألح لدى عظمتكم مع الاحترام بقبول استعفائى »

الخادم الوضيع والصادق المخلص

٢٣ ديسمبر ١٩١٨ **الامضاء (حسين رشدى)**

ولقد كسبت قضية مصر بهذه الاستقالة كسبا جديدا ، فقد أثبتت أن الأمة حكومة وشعبا قد أجمعت أمرها على السعى لاستقلالها لا فرق بين الحكام والرعايا ، يضاف الى هذا أن هذه الاستقالة قد زادت الحركة القومية قوة على قوتها ، وانتشر نبؤها بين طبقات الأمة التى كانت تترقب كل ما يقوم به زعماؤها من الأعمال وذاع نبأ الاستقالة فى جميع الأوساط شأنه شأن غيره من الأنباء الخطيرة .

وسعى الانجليز سعيا حثيثا لحمل رشدى باشا على سحب استقالة وزارته ، غير أنه كان مصرا على الاستقالة ، وقد لقى تشجيعا من طبقات الشعب فزاره فى منزله كثير من كبار الموظفين والأعيان وأعضاء الجمعية التشريعية ليظهروا له اعجابهم بموقفه .

(١) يقصد اعضاء الوفد المصرى .
(٢) هكذا وردت فى الاصل وصحتها (لم يكتف) .

من الوفد المصرى
الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

[٣٧]

جناب الدكتور ودرو ولسن

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

بلنــدن

« فى يوم وصولكم الى انجلترا يرفع الوفد المصرى الى سعادتكم باســم جميع المصريين بأن تسـتعملوا نفوذكم لدى الحكومة البريطانية للتصريح لنواب البلاد الممنوعين من مغادرة بلادهم لغير سبب مقبول بأن يذهبوا الى أوربا حتى يحيطوا السلطات المختصة علما بآمالهم ورغباتهم الوطنية .

« وان أعضاء الوفد اذا هم شددوا فى طلب سفرهم لعرض مطالب مواطنيهم فى قضية مستقبل مصر السياسى على أنظار سعادتكم وعلى الرأى العام البريطانى وعلى أنظار من سيجتمعون حول مائدة مؤتمر الصلح فانهم لم يطالبوا الا بحق طبيعى مقدس .

« ان مصر تطلب استقلالها ــ وهو الحق الطبيعى للشعوب . وترفع بكل احترام هذا النداء لسعادتكم للوصول الى هذا الغرض الشريف .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

(الامضاء) سعد زغلول

٢٦ من ديسمبر ١٩١٨

تصميم رشدى باشا على الاستقالة

ولما لم تجب السلطة الانجليزية دولة رشدى باشا الى طلبه ولم تقبل استقالته أرسل هذا الخطاب القاطع بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ الى عظمة السلطان وهو :

[٣٨] **يا صاحب العظمة السلطانية :**

« ان التأجيل فى قبول اســـتعفائى قد يكون من عواقبـــه تحميلى المسئولية التى أردت والتى أريد قطعيا اجتنابها وهى مســـئولية قيامى

بمنصب الوزير الأول لمصر وعدم اهتمامى مع ذلك بمصيرها فى الوقت الذى سيحصل فيه البت فى أمرها نهائيا .

فاتوسل الى عظمتكم بقبول ذات الاستعفاء بدون ارجاء ولكيلا أجعل سبيلا الى تجديد التسويف أجاهر أنه قطعى لا رجوع فيه . فلم يعد محل للمفاوضات فيما يتعلق به ولم يبق سوى الاشتغال بتأليف وزارة جديدة .
وانى لعظمتكم يا مولاى

العبد الخاضع والخادم المخلص الأمين

الامضاء (حسين رشدى)

من الوفد الى الدكتور ولسن

[٣٩] وفى يوم ٣ يناير ١٩١٩ أرسل الوفد تلغرافا ثالثا الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة يطلب منه المساعدة فى تسهيل سفر الوفد ، وهذا نصه :

جناب الدكتور ودرو ولسن

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

باريس

« قد أحطنا سعادتكم بتلغرافين متتاليين علما بما اتخذته السلطات البريطانية من منع سفر الوفد المكلف بالدفاع فى أوربا عن مطالب مصر الوطنية .

« واننا رغم مشاغلكم الهامة المتعددة نعتقد بأنكم لا تتركون موضوعا تلزم فيه معونتكم تحقيقا للاحترام الواجب نحو الحرية .

« وبما أننا لازلنا ممنوعين عن مغادرة بلادنا . فالوفد المصرى يكرر لسعادتكم رجاءه بتسهيل السبل له حتى يتمكن من عرض مطالب بلاده » .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

بين الوفد والجاليات الأجنبية

رأى الوفد المصرى فى ذلك الوقت أن من أهم واجباته أن تعرف الجاليات الأجنبية فى مصر حقيقة المطالب المصرية التى كانت فى ذلك الوقت تجهل مايرمى اليه الوفد من هذه الحركات المتتابعة التى كان يقوم بها . وقد انتهزت السلطات البريطانية ذلك الجهل فأخذت تذيع فى الأوساط الأجنبية أخبارا عن الحركة المصرية التى من شأنها أن تذهب الطمأنينة من نفوس الأجانب (١) .

فطن الوفد الى هذا الواجب فأصدر البيان التالى :

[٤٠] ملخص وجيز عما تراه الأمه المصرية فى نظام مستقبلها

١

« **تطلب مصر الاستقلال التام :**

(أ) لأن الاستقلال حق طبيعى للأمم .

(ب) لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال بل هى سفكت فى سبيله دم أبنائها . ولقد كان ماحازته من النصر فى ميدان القتال كافيا لرد السيادة اليها لولا اجماع الدول العظمى فى سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ واكراهها على تقليل مطامعها الى أدنى حد ممكن وجعلها تكتفى بالاستقلال الداخلى فقط وهو مع ذلك واسع النطاق يكاد يبلغ حد الاستقلال التام .

(ج) لأن مصر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الاسمية اذ أن تركيا أصبحت بسبب نتائج الحرب لاتستطيع التمسك بهذه السيادة .

(د) لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها الجنسية والأدبية .

٢

« تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية وأن تراعى فى تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ما للأجانب فيها من المصالح وأن

(١) ظل الادعاء البريطانى قائما بأن أهم دواعى احتلالها لمصر واستمرار هذا الاحتلال حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم . وقد رفع هذا الادعاء فى مواجهة الثورة العرابية والحركة الوطنية التى اشتد عودها قبل قيام الحرب العالمية الأولى .

تقوم بعمل اصلاحات اقتصادية وادارية واجتماعية ، تستعين على تحقيقها بذوى العلم من أهل البلاد الغربية كما كانت عادتها فيما مضى .

٣

[٤١] « تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها ستحترم بكل دقة وادا كان العمل أظهر أن بعضها يدعو الى تحوير اليق بمقتضيات الأحوال فانها تعرض ما يعن لها من وجوه التعديل التى من شأنها المساعدة على تقدم البلاد مع صيانة المصالح المنظور فيها وتكون فيما تعرضه من ذلك واسعة الصدر غاية فى الاخلاص والمجاملة .

٤

« تتعهد مصر بالبحث في وضع طريقة للمراقبة المالية لاتقل فى أهميتها بالنسبة للبلاد الأجنبية ذوات المصلحة عما كان متبعا قبل اتفاقية ١٩٠٤ ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومى .

٥

وتكون مصر مستعدة لقبول كل ماتراه الدول من الاحتياطات مفيدا للمحافظة على حياد قناة السويس .

٦

وتعتبر مصر نفسها حائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانة جمعية الأمم وأن تشترك بهذه المثابة بقدر ما لديها من الوسائل فى تحقيق مبادىء الحرية والعدل على النمط الحديث .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

بيان للنزلاء الأجانب

ولم يكتف الوفد بهذا حرصا منه على عدم تسمم أفكار الجاليات الأجنبية بما يذيعه مشايعو المحتلين ، فأصدر فى ١٠ يناير ١٩١٩ البيان الآتى :

« ختمت هذه الحرب الكبرى بالنتيجة الباهرة الحقيقة بها وهى تحكيم الحق والعدل فى الشئون الدولية بدلا من حق الأقوى وحفظ الموازنه وبذلك يمكن الوصول الى سلام دائم فيه تنتقل المنافسة المسلحة الى مسابقة سلمية مشروعة تضمن حرية التجارة فى كل بلد على أساس ثابت متين . سلام فيه تزول الاحقاد التى تزرعها فى نفوس الشعوب الصغيرة سيادة الشعوب الكبيرة عليها بالقوة القاهرة . سلام فيه تنعدم بين الأمم الكبيرة أسباب الخلاف الناشىء من المزاحمة فى الاستعمار واستئثار بعضها بمنافعه دون البعض الآخر . سلام فيه تصبح رواج التجارة غير مرتبط الا بأسبابه الذاتية دون الاعتبارات السياسية والقوى الحربية . [٤٢]

« على هذا الأساس رأت مصر أن الفرصة قد تهيأت لها كما تهيأت لغيرها أن تخرج من العبودية التى أرادها عليها الأقوياء لتدخل فى هذا الاخاء الانسانى العام .

« لهذه الغاية وكلت عنها الوفد الذى أرأسه ليسعى بالطرق المشروعة فى استقلالها استقلالا تاما مجردا من كل سيادة اجنبية . ومازال هذا الوفد ينتظر أن يعطى جوازات السفر منذ ستة أسابيع . وعلى رغم احتجاجنا لدى السلطات البريطانية العليا ولدى وكلاء الدول فى مصر فان الاعتداء على حريتنا الشخصية لايزال قائما يمنعنا من السفر .

« واننا فضلا على ما أجملناه من برنامجنا لوكلاء الدول السياسيين بمصر ، يسرنا أن نوقف كل ذى مصلحة فى مصر من الأجانب على حقيقة هذه الحركة السلمية وآمال مصر المستقبلة ذلك لأننا نعتمد أيضا فى بلوغ غايتنا من تحرير بلادنا على جميع الرجال الأحرار الذين ترتاح نفوسهم للعمل لحرية الشعوب المظلومة . ولا يترددون فى أن يجعلوا حب نشر الحرية وتحقيق مبادىء الحق والعدل يجب (١) فى نفوسهم كل عاطفة أخرى . [٤٣]

« لهذا الغرض نعلن الى جنابكم أننا ونحن نعبر عن أغراض الشعب المصرى ينبغى أن نتمتع نحن أيضا بتلك الحرية التى تمكن وطننا من أن يستعيد مقامه القديم ويقوم بنصيبه من خدمة الانسانية . ينبغى أن نشتغل بشئون بلادنا فى شكل حكومة دستورية حتى نصلح من حالتنا

---

(١) وقد كتبها فى الهامش مرة أخرى « يلقح » .

الاجتماعية ما يفسده عادة حكم الأجنبى عمدا ومن غير عمد وحتى نبلغ ما يؤهلنا اليه استعدادنا من درجات الكمال . نبغى أن نظل كاسبين ثقة الأجانب نسهل لهم وسائل مايزاولونه من الأعمال التجارية والصناعية فى بلادنا ونرعى مالهم فيها من الامتيازات خير رعايه . نبغى أن نبقى كما كنا فى الماضى عارفين برسوخ قدمهم فى المدنية الحديثة مستعدين لأن نستقدم من كبار الفنيين منهم من عسانا نحتاج اليهم للمساعدة فى الأعمال العامة ، ولكن لا على أن يكون مناط الاختيار الاعتبارات الجنسية فقط كما هو حاصل الآن ، بل الكفاءة حيثما وجدت بصرف النظر عن كل اعتبار آخر .

« نبغى أن نسهل الدخول فى العائلة المصرية الكبرى لكل من يريد وذلك بتخفيف قيود التجنس بالجنسية المصرية . وبالجملة نبغى استقلالنا التام المجرد عن كل سيادة أجنبية من غير أن يكون فى هذا الاستقلال مساس بحقوق الأجانب وامتيازاتهم المالية فى التشريع والقضاء وحرمة المنازل والحرية الشخصية وكل مايتعلق بالأمن العام . تلك هى آمالنا ومقاصدنا . وكل ماعدا ذلك مما يخالفه ليس الا عملا من أعمال أعداء القضية الوطنية . [٤٤]

« فباسم الوفد المصرى أعلن الى كل أجنبى فى مصر من ذوى المصالح، ان هذا الوفد الذى يسعى لاستقلال أهل البلاد يقرن بسعيه للاستقلال احترام المصريين حقوق الأجانب كل الاحترام . كما أنى انتهز هذه الفرصة لأشهد كل رجل حر على المعاملات المناقضة للحرية التى منى بها الوفد المكلف باسماع مؤتمر الصلح صوت مصر ، وعرض مطالب أهلها . ولأعلن أن كل حكم فى مستقبل المصريين من غير أن نسمع أقوالهم مناقض لقواعد الحق والعدل التى جعلت أساسا لأحكام مؤتمر السلام » .

القاهرة فى ١٠ يناير ١٩١٩

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

***

لقد كان من مميزات الحركة المصرية أن جميع الطبقات والهيئات كانت تعمل للوصول الى الغرض الذى كانت ترمى اليه وهو استقلال البلاد ولم يكن العمل مقصورا على الهيئات المتصلة بالوفد بل كان يشمل أيضا الهيئات الأخرى الغير متصلة به فكانت الاحتجاجات ترسل الى سفراء الدول من الوفد ، ومن الهيئات والجماعات الأخرى التى لم تكن مشتركة معه فى العمل ، وكانت تلغرافات الاحتجاج ترسل الى كبريات الصحف الأوربية والأمريكية من كثير من الجماعات والهيئات المنظمة وما ذلك الا لأن الروح الوطنية كانت تعم جميع طبقات الأمة فى داخل البلاد وخارجها .

من الطلبة النازلين بانجلترا

الى مؤتمر الصلح

قام المصريون جميعا بوادى النيل يؤيدون الوفد المصرى ويؤازرونه واتصلت أنباء الحركة بجميع المصريين فى كل الأصقاع فقام هؤلاء يرفعون الصوت عاليا بحق مصر فى الاستقلال التام . ومن ذلك ما أرسله الطلبة المصريون النازلون بانجلترا الى مؤتمر الصلح وهذه ترجمته :-

[٤٥] « بناء على التصريحات المتكررة التى أعلنتها دول الحلفاء وعلى الأخص بريطانيا العظمى وامريكا من أنهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لصيانة مصالح الأمم الضعيفة وتحريرها من استعباد الأقوياء وتخويلها حق النظر فى شئون نفسها وترقية بلادها لمصلحة نفسها على ما تقتضيه تقاليدها ووفق عاداتها وأخلاقها .

« وبناء على ما لنا من الثقة التامة فى أن تلك الدول الفخام موطدة العزم بنية صادقة على الوفاء بموجب تلك التصريحات المتكررة التى دوت بها أرجاء العالم .

« فنحن الموقعين عليه نتقدم اليكم بالأصالة عن نفسنا وبالنيابة عن المصريين النازلين ببريطانيا العظمى من مسلمين وأقباط ملتمسين بكل احترام أن ينظر المؤتمر بصفة رسمية فى قضية الأمة المصرية وأن يعير مطالب المصريين الحقة من العناية ما يوصلهم الى أن يحيوا حياة الأمم الحرة .

« عند اعلان الحرب على تركيا سنة ١٩١٤ كانت مصر من الوجهة القانونية الدولية ولاية من ولايات الدولة العثمانية ذات استقلال داخلى ، وبهذه الصفة فهى داخلة تحت حكم المبادىء التى تقرر تطبيقها على ولايات الدولة العثمانية فلها أن تبت فى مصير نفسها عملا بالمبدأ القاضى بذلك على المعنى المراد منه ، ولا يجوز عدلا حرمانها من التمتع به ، وان الحماية التى أعلنتها حكومة بريطانيا فى ديسمبر أى بعد شهرين من دخول [٤٦] تركيا الحرب ليس من شأنها أن تمس ما للمصريين من حق البت فى مصيرها فان هذه الحماية باطلة قانونا اللهم الا اذا صار الاحتجاج بحق الفتح والاحتلال العسكرى ، ذلك الحق الذى توافق الحلفاء ومن بينهم بريطانيا على القضاء عليه والاستعاضة عنه بما هو أليق بالانسانية وهو وجوب ترك الحرية للشعوب نفسها لتبت فى مصيرها ، هذا الحق الذى نادت بريطانيا العظمى بوجوب تطبيقه على الأمم الضعيفة مدللة بذلك على أنها حاملة لواء تحرير هذه الشعوب من رق الحكم الأجنبى وانالتها ماتميل

اليه من الاستقلال التام فى شئونها الداخلية والخارجية معا • واعتمادا على هذا نتقدم بعرض مسألتنا لنظر الدول كافة وعلى الخصوص بريطانيا العظمى وأمريكا •

واننا مع ماتقدمه لايسعنا الا لفت نظر المؤتمر الى أننا لا ننكر النتائج الادارية الحسنة التى حصلت مصر عليها بفضل المشورة الأوربية مدة الأربعين سنة الماضية ، ولكننا مع ذلك نلفته أيضا الى أن بلادنا سارت فى سبيل رقى مداركها السياسية شوطا لا يمكن انكاره • أن مصر قد قطعت المرحلة التى تحتاج فيها لوصاية الأجنبى وأصبحت أهلا لأن تحكم نفسها وتدبر شئونها بغير مداخلة الغير ولا ينقصها الا عطف العالم المتمدين عليها ومساعدتها لنوال هذا الغرض • أما حجتها التى تعتمد عليها فى هذا الصدد فواضحة جلية مما كان منها أثناء الحرب الماضية •

«فباسم الحرية والمبادىء الديمقراطية نرفع صوتنا هذا للدول العظمى وعلى الأخص لبريطانيا وأمريكا مؤملين بقلوب ملؤها الثقة الوطيدة أن تساعدنا على تحقيق غرضنا المنشود من زمن طويل وهو تحرير بلادنا تحريرا تاما واستقلالها استقلالا مكفولا بضمانة الدول كما سيكون الحال فى شعوب أوربا الضعيفة وذلك تطبيقا لمبادىء الحق التى رسمها الرئيس ولسن ونادى بها الجميع •

[٤٧] من الوفد الى رئيس مؤتمر الصلح بباريس

ولما لم تثمر الرسائل التلغرافية التى أرسلت الى الدكتور ولسون رئيس الجمهورية الأمريكية ثمرها المرجو أرسل الوفد المصرى الرسالة التالية للمسيو كليمنسو (١) رئيس الحكومة الفرنسية ورئيس مؤتمر السلام فى ١١ يناير ١٩١٩ •

---

(١) المسيو جورج كليمنسو (١٨٤١ ــ ١٩٢٩) سياسى فرنسى ، عضو فى مجلس النواب الفرنسى (١٨٧٦ ــ ١٨٩٣) ثم مجلس الشيوخ منذ ١٩٠٢ ، ورئيسا للوزراء ١٩٠٦ ــ ١٩٠٩ للمرة الأولى ، و ١٩١٧ ــ ١٩٢٠ للمرة الثانية ، ومثل فرنسا فى مؤتمر السلام فى فرساى (١٩١٩) وتولى رئاسة المؤتمر •

« مسيو جورج كليمنسو

بباريس

والى رئيس مؤتمر السلام الذى يحكم فى مصير الأمم الصغرى لا على قاعدة المفاوضة بين الأقوياء . بل على قاعدة العدل المجرد عن الهوى . الى الرجل المعروف فى العالم بشدة عارضته فى الحق (١) . ينهى الوفد المصرى الموكل عن الأمة المصرية فى طلب استقلالها والدفاع عن قضيتها لدى أعضاء مؤتمر الصلح ، ان القوة أخذت علينا كل سبيل الى أوربا حتى لا يسمع مؤتمر السلام صوت الشعب المصرى ورأيه فى حكم نفسه . ومهما يكن من الاتفاق المزعوم حصوله على المسألة المصرية . فان الحكم فى مصيرنا من غير أن تسمع أقوالنا مناقض لما اتفق عليه جميع الحلفاء . على أن لنا أكثر من حق أن نطمع فى مساعدة فرنسا التى كان شعارها فى كل زمن أنها ممهدة طرق الحرية للشعوب والمساعدة لها على نيلها .

« ان عقولنا وميولنا وقوانيننا مطبوعة بطابع الروح الفرنساوية لأن كل مدنيتنا الحديثة لا تزال على رغم ما وضعه الاحتلال البريطانى من العوائق مطبوعة بالطابع الفرنساوى وجاذبيتنا لفرنسا وعطفها علينا آثارهما أشهر من أن تذكر .

« فباسم الحرية التى أنت نصيرها القوى فى كل موقف من مواقفك الخطابية أو الكتابية ، وباسم العدل المجرد عن الهوى الذى تعهدت بأن تجعله أساسا لجميع أحكام المؤتمر . وباسم الانسانية التى تأبى أن تكره الأمم على أن تنتقل من يد الى يد أخرى كما تنتقل ملكية السلع نناديك من وراء البحر ألا تتخذ سكوتنا الاكراهى الذى هو النتيجة الطبيعية لحبسنا فى حدود بلادنا دليلا على رضانا بسيادة الغير علينا وألا تسمح بالحكم فى مصيرنا من غير أن تسمع أقوالنا » . [٤٨]

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

---

(١) وقد كتب بجانبها يبلغ .

من الوفد المصرى
الى المعتمد السامى

حاول الوفد أن يسافر الى باريس حيث يعقد مؤتمر الصلح ليعرض القضية المصرية عليه ، فذهبت محاولاته مع الريح . وأرسل التلغرافات المتوالية الى رؤساء وزعماء الدول الكبرى الظافرة ولكن أحدا من هؤلاء لم يكلف نفسه عناء الرد عليه . يضاف الى ذلك أن مندوبى الدول الصغرى كانوا يفدون تباعا على باريس لتمثيل بلادهم فى مؤتمر الصلح مع أن هذه الدول لم تبلغ شأو مصر فى التقدم والعمران ولم تضح بما ضحت به مصر لنصرة الحلفاء .

وهذا ما دفع الوفد الى ارسال كتابه الآتى الى المعتمد السامى (١) البريطانى بمصر وهو :

« القاهرة ١٢ يناير ١٩١٩

[٤٩] ياصاحب الفخامة

أتشرف بأن أجدد باسم الوفد المصرى احتجاجنا على الحجر الذى ضربته السلطة العسكرية دون سفرنا الى أوربا واعتراضنا مرة أخرى على هذا التصرف الضار بالحرية الشخصية التى كانت حمايتها فى كل زمان من أخص تقاليد الأمة البريطانية .

ولقد كنا منذ خطابنا الأول الذى أرسلناه الى فخامتكم فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ نتعلل بالرجاء فى أن الحكومة البريطانية بعد أن ازدادت علما بحقيقة هذا التصرف الشاذ الذى منيت به مصر بلا حق ووقفت تمام الوقوف على ما ترتب عليه فى طول البلاد وعرضها من الأثر السىء لا تتردد فى القضاء عليه .

ولكن انتظارنا تلك النتيجة قد ذهب سدى . بل رأينا مع الدهشة المؤلمة أن وفود البلاد المجاورة لنا تسلك سبلها الى أوربا بعد أن تجوس خلال ديارنا فتلقى فى قلوب أهلها من الغضاضة ما يستدعيه عدم المساواة فى المعاملة .

أمن الجائز أن يحبس المصريون وحدهم داخل حدود بلادهم دون جميع أمم الشرق وأن يحال بينهم وبين اسماع العالم المتمدين صوتهم ؟

(١) يقصد المندوب السامى .

أمن الجائز أن المصريين الذين أتت عليهم هذه الحرب وهم مالكون لحقوقهم فى الحرية يبعدون ــ تحكما ــ عن المؤتمر الذى يقام فيه العدل بين الأمم فى حين أن الشعوب الأخرى التى كانت الى الأمس تحت نير سيادة الغير تدعى لتجادل عن نفسها ؟

أو من المقبول أنه فى الوقت الذى يتبادل فيه ملك انجلترا ورئيس الولايات المتحدة الخطب الجميلة التى يهتف لها العالم بأجمعه وفى ساعة اعلانهما حق جميع الناس فى الحرية وجهرهما بأن على الأقوياء واجب العطف على الضعفاء . أمن الجائز أنه فى هذه الساعة نفسها تعانى أمة بأسرها مرارة الألم من المساس بحريتها السياسية وفوق ذلك يغصبونها بحرمانها حتى من التطلع لطلب العدل والانصاف ؟ . [٥٠]

اننا تلقاء ما نعرفه لفخامتكم من حرية الضمير وبعد النظر اللذين تشف أعمالكم عنها لا يسعنا أن نظن أنه يفوتكم أن حبس أمة بهذه الكيفية يمكن أن يضر بمستقبلها بل ربما مس بما بيننا نحن المصريين وبين بلدكم العظيم العريق فى الحرية من العلاقات التى طالما حرصنا على أن تكون مطبوعة بطابع الكمال والتى ليس من شأن مثل هذه المعاملة أن تقويها فى النفوس .

على هذا لنا وطيد الأمل أن نرى عما قليل من آثار عدلكم ما يخرجنا من هذا الموضوع المؤلم الذى جاوز فى استمراره الحدود .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

من الوفـد المصرى
الى رئيس الوزارة البريطانية

وكذلك أرسل الوفد التلغراف الآتى الى المستر لويد جورج كبير وزراء انكلترا وأحد أعضاء مؤتمر السلام وهو :

القاهرة فى ١٢ يناير ١٩١٩

[٥١] **صـاحب السعادة المستر لويد جـورج**

كبير وزراء بريطانيـا العظمى

دوننج ستريت ــ لندن ·

يا صـاحب السعادة

تشرفت بأن أرسلت لسعادتكم تلغرافـا فى ٤ ديسمبر المـاضى بسطت فيه ما وقع من رجالكم فى مصر من العسـف ومصادرة الحـرية الشخصية · وقد مضى على ذلك شهر كامل ولا تزال الحال كما كانت · حتى ان الأمة المصرية بأسرها من أكبر وزير الى أصغر فلاح محبوسون داخل حدود بلادهم لا يسمح لأحدهم بالخروج من هذا الحصار الشديد ·

وتلك هى حالتنا التى ليست ظروفها مجهولة لديكم ولا ندرى أى مسوغ من القانون العام أو من القواعد الاجتمـاعية بل من أسـاليب السياسة المعقولة يسوغ للانجليز أن يتعمدوا هـذه المعاملة المهينة لأمة تاريخية كأمتنا ·

أجل ان أمتنا العريقة فى المدنية مهما ضعفت قوتها لها عند العالم كرامة المعلم الأول وفضل السبق فى المدنية ·

بل أنكروا عليها السبق فى المدينة واطمسوا آياته الناطقات وأكفروا بصنيعها على العالم وهبوها لفيفا من المتوحشين نظامهم الفوضى وقانونهم الاعتداء · أفلا حفظتم لها حق المساعد المعين ؟

وانتفعتم فى هذه الحرب برجالها وأموالها وصرحتم فى مواطن شتى بأن ذلك كان من أكبر العوامل فى احراز النصر فى الشرق فبينما مصر المساعدة تنتظر أن تعامل بما يتفق مع حالها اذا هى تراكم غداة الهدنة قد قلبتم لها ظهر المجن وحبستم أهلها بين حدودها على الذل والهوان ·

[٥٢] بل هبوا هذه الأمة لا متمدنة ولا مساعدة فهلا عاملتموها بما اتفقتم عليه مع الدكتور ولسن من (أنكم تعدلون في الذين تحبون أن تعدلوا فيهم وفي الذين لا تحبون أن تظلموهم) ؟ فاذا كنا لا نجد هنا للعدل ظلا فيما يتعلق بحرية السفر والاقامة فأجدر بنا ألا ننتظر عدلا نعامل به في أكبر من الحرية الشخصية خطرا ، وأعلى منه فى التقيد أثرا وهو حرية البلاد السياسية .

وعلى أى وجه قلبنا أسباب حبسنا في بلادنا لا نجد له مبررا فى الشرائع الانسانية ولا موجبا فى الأعمال العسكرية ، الا احتمالا واحدا ، لا يزال بنا بقية من حسن الظن تصرفنا عن الاعتداد به وهو : انه يراد تقديم سكوتنا الاكراهى فى مؤتمر الصلح دليلا على أنه رضا بحالتنا السياسية الحاضرة ، أى الحماية .

ويشهد الله اننا ما ظننا يوما واحد منذ أعلنت الحماية أنها نظام يراد اقامته فى مصر ، بل كل ما فهمناه أنها ضرورة حربية ينتهى أجلها بانتهاء الحرب . ولم نكن لنظن أن انجلترا تنوى التمسك بحماية صادرة منها وحدها من تلقاء نفسها وبدون اتفاق بينها وبين الأمة المصرية .

فاسمحوا لنا سعادتكم أن نسائل من شخصكم الرجل الحر هل يستطيع أن يقنع ضميره المملوء حرية بأن ما يقع فى مصر باسمه وبأمره غير مناف تمام المنافاة للحرية التى اختارها شعارا قضى العمر فى خدمتها وبلغ باسمها أعلى مركز يتمناه الانسان ؟ كلا فان مبادىء الحرية وحبس ثلاثة عشر مليونا أمة واحدة أمران لا يجتمعان . لذلك يجوز أن نصرح بحقيقة وان كانت مرة وهى أن أعلى مركز يتبوءه رئيس حكومة انما هو التوفيق التام بين ضميره وبين قوله وعمله . الى الرجل الحر نترك الحكم لنفسه أو عليها فى هذه القضية .

[٥٣] « واسمحوا لنا أيضا أن نسائل رجل السياسة هل يعرف الشعب الانجليزى الشريف شيئا عن حبس المصريين فى بلادهم ؟ أم هل كان الحبس كما هو الظاهر اجراء من السلطة التنفيذية وعلى مسئوليتها من غير أن يعلم الشعب من أمره شيئا ؟ وهل تغتفر تقاليد الشعب الانجليزى الحر مثل هذا التصرف مهما جر فى ظاهر الأمر من المنافع ؟ وما علمنا جورا يجنى من ورائه الا الخسران والى أى مبدأ ترجع الوزارة هذا التعسف واذا استطاعت أن تتخلص من هذه المسئولية بالقائها على عاتق السلطة العسكرية . فهل يستطيع سعادة الرئيس أن يقنع ضميره الحر بأن فى حبس الأمة ادنى فائدة للأعمال العسكرية أن بقى الى الآن معنى لما يسمى أعمالا عسكرية فى مصر بعد الهدنة بشهرين .

« لقد عرفتك منابر الحرية والمساواة خطيبا فياضا • وطالما اهتزت أعوادها اعجابا بصراحتك وترنحت طربا بانتصارك للفقراء على الأغنياء ، وللضعفاء على الأقوياء ، وللسوقة على الشرفاء ، فهل هى لا تزال على عهدها تعرف فيك حامى أشرف المبادىء أم هل أصبحت تنكرك بعد أن ألبست أمة بأسرها ثوب الحداد على الحرية الشخصية ؟

« مسموح ــ على المبادىء القديمة ــ لرجل السياسة أن يكون استعماريا غير أنه لا يعلم أحد الى اليوم أن حب الاستعمار أجاز لدولة حصر أمة ليس بينها وبينها حرب • واذا كان حب الاستعمار لا يبيح للمستعمرين والمحافظين مثل هذا التصرف فكيف بالأحرار ؟

« أن الحكومة الانجليزية التى استطاعت ما استطاعت لا يعجزها شىء • ولكنها لا تستطيع بغمط الحق وتعمد الاذلال أن تكسب شيئا من قلوب المصريين • على أننا نكرر أن المصريين يعلمون حق العلم أن الأمة البريطانية الشريفة لا تعلم شيئا عن هذا الحبس ولو علمته لغضبت له • فان الغضب للحرية أظهر صفات الأحرار • [٥٤]

« وتفضلوا ياسيدى الرئيس بقبول عظيم الاحترام » •

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

خطاب رئيس الوفد المصرى
فى الاجتماع الذى عقد بمنزل الباسل باشا

اختمرت فكرة الحرية الكاملة فى أذهان المصريين وتعشقها الجميع بلا استثناء ، وأصبح كل مصرى يتساءل عما وصلت اليه الحركة وما يراد لها فى المستقبل •

فلم تكن أعمال الوفد المصرى حتى ذلك الوقت تعلن الى الأمة المصرية بصفة رسمية بل كانت تنقل اليها أخبارها بطرق غير مباشرة • ولكن الوفد رأى أن المسألة قد وصلت الى الحد الذى يجب عليه فيه أن

يعلن أعماله الى الأمة بصفة رسمية . وذلك لكي يكون على بينة من المراحل التى سارت فيها قضية البلاد فتزداد بذلك التفافا حول الوفد وثقة به من جهة وتقوى به روحها المعنوية من جهة أخرى .

وكان الوفد يرمى الى غرض آخر وهو أن يزيد الأجانب المقيمين فى مصر علما بحقيقة الحركة المصرية وأغراضها ووسائلها حتى يطمئنوا اليها ولا تؤثر فيهم الدعاية السيئة التى كانت أعداء الحركة لا يفتنون يبثونها بينهم . لذلك دعا سعادة حمد الباسل باشا عضو الوفد نفرا كبيرا من أعضاء الجمعية التشريعية والهيئات النيابية الأخرى والعظماء وكبار ذوى الآراء للاجتماع بمنزله فى ١٣ يناير ١٩١٩ لسماع كلمة الوفد فيما يعمل لتحقيقه من الحصول على استقلال البلاد كاملا وحريتها تامة .

وهذا هو الخطاب الذى ألقاه سعد زغلول باشا رئيس الوفد فى فى هذا الاجتماع :

[٥٥] « أيها السادة :

« انى أشكر زميلى حمد الباسل باشا على أن هيأ هذه الفرصة التى انتهزها لأحدثكم عن تفاصيل هذه الأزمة التى تجتازها مصر فى الوقت الحاضر حتى لا يفوت بعض أولى الرأى عندنا شىء من أعمال الوفد الذى شرفته البلاد بتوكيلها للسعى فى قضيتها الكبرى ، قضية الاستقلال .

« ليست فكرة الاستقلال جديدة فى مصر بل هى قديمة يتأجج فى قلوب المصريين الشوق الى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل فيه وتخبو تارة كلما استطاعت القوة أن تخمد أنفاس الحق .

« ولقد كان الوقت الحاضر أنسب فرصة لتحقيق هذه الفكرة لأن رابطة السيادة التركية أخذت تتضاءل حتى لم يبق شك فى انقطاعها وأن الاحتلال الفعلى لا يجد فرصة أنسب من هذه الفرصة ليحقق رجاء اللورد سالسبورى الذى قال فى ٣ نوفمبر ١٨٨٦ « نحن لا نبحث الا عن الخروج من مصر بشرف » .

« قلب هذا الاحتلال الذى لم يكن له حق فى البقاء الى حماية من بادىء رأى الانجليز ومن غير اتفاق مع مصر ولكنها هى أيضا أمر باطل بطلانا أصليا أمام القانون الدولى ومخالف مخالفة صريحة للمبادىء الجديدة التى خرجت بها الانسانية من هذه الحرب الهائلة .

[٥٦] « فنحن أمام القانون الانسانى أصبحنا أحرارا من كل حكم أجنبى فلا ينقصنا الا أن يعترف مؤتمر السلام بهذا الاستقلال فتزول العوائق التى تقف بيننا وبين التمتع به بالفعل .

ولهذ الغرض السامى المطابق لما فى نفوس المصريين جميعا ألفت أنا وأصحابى الوفد المصرى لنسعى فى الوصول الى الاعتراف بهذا الاستقلال وتشرفنا بتوكيل الأمة ايانا . وما ضرنا أن أمرت الحكومة الناس بالكف عن تلك التوكيلات وبمصادرتها لأن مالدينا منها ومن خطـاب الوزير الأول الذى تعترف فيه الحـكومة بعملهـــا ما يكفى فى افاده أن الأمة مجمعة على طلب الاستقلال ... هل أمة كمصر مدنيتهـا أقدم المدنيات وفضائلها الاجتماعية التى تنتقل بالوراثة من جيل الى جيـل ظاهرة الأثر من حيث وداعة الأخـلاق وحب احترام القوانين والتماثل التام فى الميول يمكن أن تسأل فى أمر استقلالها من غير أن تجرح عواطفها المدنية بهـذا السـؤال ؟ وهل أبناء المدنية الفرعونيـة والمدنية العربية غريب عليهم أن يستقلوا فيشاطروا فى تقدم المدنية فى خطواتها الى الأمام ؟

« غير أننا كنا مضطرين الى هذا التوكيل لأنه قد عزى الينا أننا لا نطلب من الحياة الا الدرك الأسفل أن نعيش آمنين طاعمين كاسين . فكان توكيل الأمة الجواب القاطع على هذا الاتهام .

« منعنا عن السفر وصودرت الحرية فى أشخاصنا وفى المصريين جميعـا فلم نغـادر (١) مرجعا من المراجـع الا احتججنا لديه على هـذا التصرف . وها نحن أولاء لا نزال نطمع فى أن يخلى بيننا وبين القيام بمهمتنا بأنفسنا . وان ما أؤكده لكم هو أن هذا المنع لم يزد زملائى الا حبا فى التقدم الى الغرض العام وحده فى تضحية كل ما يستدعيه من الضحايا سالكين سبيل الحق والعدل . وما لنا غيره فى من سبيل .

[٥٧] « كان فى عرف السياسة مباحا أن تضحى مبادىء الحق والعـدل قربانا على مـذبح المنفعـة . وقليلا ما كانت تحتـرم الا اذا اتفقت مع هذه المعبـودة السياسية العامة . ولكننا ندخل الآن بمبادىء الدكتـور ولسن فى عصر من السياسية جديد . عصر العدل المجرد عن الهوى وكفيلته عصبة الأمم . عصر فيه منفعة الضعفاء تكال بنفس الكيل الذى اتخذ لمنفعة الأقوياء . عصر احترام الانسانية فى الشعوب الضعيفة والقوية

---

(١) نترك .

على السواء فلا سيادة لقوى على ضعيف بل الكل أعضاء حقوقهم متساوية فى الآخاء الانسانى العام ٠

« من الناس من يرون هذا المذهب السياسى الجديد أجمل من أن يتيح فى هذه الحياة الدنيا ٠ حياة المزاحمة على البقاء والمغالبة على المنافع ٠٠٠ نعم مذهب جميل ولكن تطبيقه ممكن متى جد الدكتور ولسن فى تطبيقه بحزمه المعروف ٠ وأنه لجاد ٠ بل ارتقى الى أن أقول ان تطبيقه سهل متى صحت نيات أكثرية الدول التى أقرته بالاجماع ٠ ذلك لأن هذا المذهب غير مخالف لما ألف الانسان من الوصايا الدينية وقواعد الفلسفة الأخلاقية ثم هو متفق مع الأفق الذى وصلت اليه الانسانية فى تطورها الجديد ٠ ألا ترون أن مبادىء الديموقراطية التى أوجدت هذا المذهب تنتشر على جميع صورها الممكنة فى ارجاء البلاد المتمدنة بقوة هائلة وبسرعة لم يعهد لها نظير فى تاريخ المبادىء الانسانية ، ألا ترون أن أفكار الشعوب فى هذا الوقت متجهة الآن الى الاستعاضة عن مظهر هذه المزاحمة الوحشى بمظهر انسانى صرف ، مزاحمة الأسواق التجارية ٠ بمعنى أنه عوضا عن أن كانت التجارة يسيرها المدفع وتحميها حدود المستعمرات تصبح التجارة تسيرها الحرية وتروجها جودتها وفضلها على غيرها ٠ وبذلك تتحقق المزاحمة لكنها على صورة أكثر تمشيا مع روح الديموقراطية الحاضرة ٠ [٥٨]

« ثقوا كل الثقة بهذه المبادىء الجديدة فانه لا مناص من تنفيذها ولا تقولوا كيف ننال الاستقلال وما أعددنا لنيله العدة المعروفة ٠

« كلا ان بلادنا كما قلت لكم خلو الآن أمام القانون الدولى من كل سيادة أجنبية وبعيد على مؤتمر السلام أن يرتب سيادات جديدة للأقوياء على غيرهم ٠ بل ما وجد الا ليقرر احترام الحقوق ويحرر الأمم من الاستعباد ٠

« وان ايماننا بقواعد الحق والعدل هى عدتنا ٠ وكفى بها عدة ٠ وان اجماع أمتنا على الاستقلال حجة قائمة ٠ وما ينقصنا الا أن يسمع مؤتمر السلام صوت الأمة ، ولكن سيصله ولو من بعيد ٠ يصله فينصت اليه على رغم ما يقال من أن مؤتمر السلام الذى يعقد اليوم أشبه ما يكون بما سبقه من المؤتمرات ٠ هذا هو النحو الذى ننحوه فى قضيتنا وأما خطة مصر المستقبلة فهى :

أولا : تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية وأن تراعى فى تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ما للأجانب فيها من

المصالح وأن تقوم بعمل اصلاحات اقتصادية وادارية واجتماعية نستعين على تحقيقها بذوى العلم من أهل البلاد الغربية كما كانت تلك عادتها فيما مضى ٠

ثانيا : تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها ستحترم بكل دقة واذا كان العمل أظهر أن بعضها يدعو الى تحوير اليق بمقتضيات الأحوال فانها تعرض ما يعن لها من وجوه التعديل التى من شأنها المساعدة على تقدم البلاد مع صيانة المصالح المتطورة فيها وتكون فيما تعرضه من ذلك واسعة الصدر غاية فى الاخلاص والمجاملة ٠ [٥٩]

ثالثا : تتعهد مصر بالبحث فى وضع طريقة للمراقبة المالية لا تقل فى أهميتها بالنسبة للبلاد الأجنبية ذوات المصلحة عما كان متبعا قبل اتفاقية سنة ١٩٠٤ ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومى ٠

رابعا : تكون مصر مستعدة لقبول كل ما تراه الدول من الاحتياطات مفيدا للمحافظة على حياد قناة السويس ٠

خامسا : تعتبر مصر نفسها حائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانة جمعية الأمم وأن تشترك بهذه المثابة بقدر مالديها من الوسائل فى تحقيق مبادىء العدل والحق على النمط الحديث ٠

« وأن من الفضيلة أن نقرر بان كل ما نقوله عن مصر ينسحب على السودان لأن مصر والسودان كل لا يقبل التجزئة بل أن السودان كما قال المستشار المالى فى تقريره سنة ١٩١٤ « ألزم لمصر من الاسكندرية » ٠

« قد يطيش الفهم فيظن أن هناك منافاة بين طلب الاستقلال والرضا بامتيازات الأجانب ٠ كلا ٠ لا منافاة بين الاثنين فى الوجود وان كان فيه تضييق لدائرة السيادة التامة التى يقتضيها الاستقلال فلنكن عمليين ولنطرح المناقشات العقيمة التى لا طائل تحتها والتى لا يعتبر الاصرار عليها الا ضربا من المكابرة ٠ والمكابرة فى القضية العامة خروج على الوطنية الصادقة ٠ ولنقبل على عملنا اقبال العالمين بما ينفع الأمة ٠

« ان تحبيب الأجانب فى الاقامة بمصر وتسهيل سبل العمل لهم مفيد للبلاد أكبر فائدة لنقدم عن طيب خاطر مرغبات هذه الاقامة ولنسهل بما فى طاقتنا سبل المزاحمة التعليمية والتجارية والصناعية فانكم لا تنكرون أن هذه القرون الأخيرة قد عزلتنا عن الحركة العالمية بعض

[٦٠] الشيء . وأن الأجانب في مصر صلة أنعم بها من صلة بيننا وبين ينابيع العـلم ومواطن الاختراع والاكتشاف ، وأن مصر المستقلة لابد لها من الدخول في المسـابقة العـالمية ولا شك في أنه يهمها جيدا أن تكون باكورات هذه المسابقة في بلادها .

« تعلمون أن حالنا الاجتماعية الخاصـة مانع شـديد من مخالطة الأجانب في بلادنا المخالطة التامة التي من شأنها أن تولد في النفوس الصداقة الأكيدة التي تغني في البلاد الأوربية عن الامتيازات . وقد نتج عن ذلك أن الأوربي يقيم في بلادنا بين ظهرانينـا شـطر عمـره ولا يزال مع ذلك أجنبيا عنا لا يعرف منا الا الوجه الخارجي لصفات المعاملات دون أن يعلم مناحينا الداخلية ودون أن نعلم منه هذه المناحي أيضا لأن بيوتنا غير مفتوحة لهم فبيوتهم غير مفتوحة لنا بحكم المقابلة فلا بد لهم من ادارة تحبب لهم الاقامة بيننا وهذه الادارة هي الامتيازات .

« كذلك تعلمون كما ألمعت لكم أنه من الضروري لنا جعل بلادنـا ميدانا للمسابقة العلمية والتجـارية والصـناعية وهذه المسابقة مترتبة على كثرة وفود الأجانب الى مصر المتوقف في ذاتـه على ثقتهم باكرام وفادتهم وضمانة طيب الاقامة لهم ولا سبيل الى ذلك الآن مع الاعتبارات الاجتماعية التي أشرت اليها الا بقاء الامتيازات .

« واني شديد الثقـة بأنه بعد زمان ما سـيرى الأجانب أنفسهم الا حاجة لهم بهذه الامتيازات بل سوف يحبون أن ينزلوا عنها متى خالطونا أو عرفونا معرفة تامة بعد نيلنا الاستقلال .

« بهذه المناسبة أروي لكم على سبيل الفكاهة أني قد اطلعت على ورقة مطبوعة مهملة التوقيع ينصح كاتبها فيهـا بالا تقبل الامتيازات [٦١] الأجنبية الا بطريقة المساومة ولا نرضى بضمانات حقوق الدائنين الا بأخذ ورد على طريقة المساومة أيضا . ينصحنا أن نجعل أمر استقلالنا ميـدانا للمسـاومات التي لا تليق بصراحة الأحرار ! وللنـاس عدد رؤوسهم آراء !! ويظهر لحسن الحظ أن كاتب هذه الورقة ليس مصريا وأنه شاعر بأن الرأي العام المصري ضده ولذلك كتم اسمه ولم يجرأ على اظهاره .

« عجبا . كيف يظن ذلك الكاتب بنا أن نسمح لأنفسنا بالخوض في أمر حقوق ثابتة للغير عندنا تقضي علينا الذمة باحترامها وتدعونا المصلحة الى تسهيل السبل لتنفيذها .

« أغرب من ذلك وأدخل في باب الوهم — ولكن من وجه آخر أن من المسرفين على أنفسهم من يكاد يصل بنياتنا التي صرحت بها لكم نية أخرى

وهى المساس بحقوق العائلة الحاكمة عائلة محمد على ذلك الرجل العظيم الذى هو أول عامل لاستقلال مصر فى تاريخها الحديث وأول بناء فى صرح مدينتها الجديدة · نية لا وجود لها الا فى ألسنة الذين يدعونها رجما بالغيب أو لوصم حركة الأمة للاستقلال بوصمة انكار الحقوق على ان تعلق الأمة لهذه العائلة الكريمة أظهر من أن يكون محلا للشكوك ·

« كلا فلسوف يعرف هؤلاء وهؤلاء أن مصر الحرة ستحترم كل حق لديها لأنها ستكون باستقلالها مدينة للحق والعدل ·

« أرانى قد بلغت بكم غاية ما كنت أريد أن أحدثكم بها من حيث وجهتنا فى عملنا وخطتنا التى أعلناها الى الدول · فلم يبق على الا أن أردد ثناء الانسانية على الدكتور ولسن واعترافنا نحن المظلومين بجميله على ما يعانى فى الدفاع عن قضيتنا وأدعوكم بمناسبة هذا اليوم الذى هو أول يوم لانعقاد مؤتمر السلام الى أن نظهر احساساتنا الأكيدة نحو محرر الشعوب بأن أرسل اليه بعد موافقتكم تلغرافا يتضمن آيات ثنائنا عليه واعتدادنا بفضله على الانسانية بالنص الآتى : [٦٢]

فى اجتماع عقد اليوم حضره كثيرون من أعضاء الجمعية التشريعية وبقية الهيئات النيابية وغيرهم من أعيان البلاد تقرر بالاجماع أن أرسل لجنابكم تلغرافيا النداء الآتى لمناسبة افتتاح مؤتمر الصلح :

« الى رئيس الولايات المتحدة ذلك الرجل العظيم الذى قاد أمته فى خوضها غمار المعترك الأوربى لمجرد خدمة الانسانية وتخليص العالم فى المستقبل مما يعانى من أهوال الحرب ، نرسل آيات الولاء وعبارات الاحترام ·

« الى الفيلسوف الكبير والسياسى القدير الذى يتبوأ اليوم أعلى مركز بين قادة الأمم ، وبسمو مبادئه آمن رجال السياسة فى جميع الأقطار ، نقدم واجب التحية ومنتهى الاعجاب ·

« الى رجل الديمقراطية الكبرى الأمريكية · الذى غادر بلاده لينشر على العالم لواء السلام المقيم يرفعه العدل الشامل وتحوطه عصبة الأمم بحمايتها لعرض قضية مصر التى يتسلط عليها الأجنبى تسلطا يأباه أهلها أجمعون ·

فلتحيى الولايات المتحدة وليحيى الدكتور ولسن ·

ولقد وافق هذا الجمع الحاشد بين الهتاف العالى والتصفيق الشديد

[٦٣] على هذا التلغراف ثم هتفت ثلاث مرات هتافا شديدا اهتزت له أركان المكان وسرى دويه فى الفضاء :

« ليحيى الرئيس ولسن ٠٠ لتحيى أمريكا ٠٠ لتحيى مصر وليحيى الاستقلال ٠

« ولقد كان لهذه الخطبة أثر كبير فى البلاد ، فقد انتشر خبرها بين جميع الطبقات وتناقلها الناس فى القاهرة ، وعواصم المديريات ٠ فلم يبق بلد الا وعرفها ٠ وقد أذكت الروح الوطنية فى جميع أفراد الامة لتقف على أخبار الحركة وتعلن تأييدها للوفد فى خطته وموافقتها على برنامجه ٠

أما الوفد فقد زاده هذا التأييد شجاعة وثباتا ٠ وقد رأى أن يستمر فى تنوير رؤساء الحكومات الأوربية بالموقف فى مصر فأرسل الى رئيس الوزراء الايطالية فى ١٣ يناير ١٩١٩ التلغراف الآتى :

[٦٤] **جناب السنيور أورلاندو (١)**
بسفارة ايطاليا
بباريس

« ان قرب مصر من ايطاليا حدا بكثير من الايطاليين الى اتخاذها وطنا ثانيا لهم ٠ وبفضل مجهوداتهم الفكرية ونشاطهم فيما يزاولونه من الأعمال قد صاروا من أهم أصحاب المصالح وتوثقت بيننا وبينهم علاقات المودة من زمن بعيد ٠ تلك العلاقات تشجعنا أن ننتظر من ايطاليا عطفها فى هذا الظرف العصيب الذى فيه يقضى فى مستقبل الأمم الصغيرة ٠

« ولقد كنا بلا ريب نعد أنفسنا أسعد حظا لو استطعنا أن نعرض مباشرة على مسامعكم أعمال امتنا ٠ ولكن الوفد المصرى الذى وكلته الأمة عنها فى طلب استقلالها والدفاع عن قضيتها قد حجرت عليه القوة أن يبرح حدود البلاد ٠

« تلقاء ذلك لا يسعنا ألا أن نلفت نظر العالم الى أن حبسنا عن السفر ووضع الأمة المصرية فى حالة يستحيل عليها أن تبدى رغبتها فى أمر مستقبلها أمام مؤتمر السلام لا يمكن أن يتخذ عليها حجة فى الرضا

(١) فيتوريو ايمانويل أورلاندو (١٨٦٠ ــ ١٩٥٢) رجل سياسة ايطالى كان رئيسا لوزراء ايطاليا (١٩١٧ ــ ١٩١٩) وتولى رئاسة وفدها فى مؤتمر الصلح فى باريس ٠

بالسيادة الأجنبية . ولا شك فى أن تسوية المسالة المصرية من غير سماع رأى المصريين دن جهة مخالف كل المخالفة لمبادىء الدكتور ولسن التى اقرها جميع الحلفاء وأطراها جلالة ملك ايطاليا فى خطبته الأخيرة التى تردد صداها فى سراى الكورينال . وفيه من جهة أخرى ما فيه من انتهاك حقوق أمة قديمة المدنية مستعدة للمحافظة على مصالح الأجانب فيها ورعاية مالهم من الامتيازات والحقوق . [٦٥]

« ولا حاجة بنا الى آن نبسط لكم أن الحماية التى أعلنتها بريطانيا على مصر ليست الا عملا من جانبها ودن تلقاء نفسها ومن غير اتفاق مع الأمة المصرية ولا رضا منها بأية صورة من صور الرضا الصريح ولا الضمنى فهو أمر باطل أمام القانون الدولى ومخالف للمبادىء الجديدة التى أنتجتها الحرب الحاضرة والتى هى حقيقة بتلك الضحايا الهائلة .

« فمصر الآن أصبحت بحكم نتائج الحرب حرة أمام قانون الحق والعدل . وما كان المؤتمر الذى يضمكم بين أعضائه الأجلاء ليكون واسطة لاذلال الشعوب الصغيرة واتباعها للأمم الكبرى .

« فنحن المحرومين من اسماع صوتنا نضع قضيتنا بين يديكم واثقين تمام الثقة فى عدلكم وحبكم للحرية .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

من الوفد المصرى
الى وزير خارجية امريكا

وكذلك أرسل الوفد فى نفس اليوم التلغراف الآتى الى وزير خارجية أمريكا وهو :

« جناب المستر لنسنج [٦٦]
بسفارة الولايات المتحدة
بباريس

« اليكم أيها الأمريكان يرجع الفضل فى تأييد الحق والعدل . فالانسانية مدينة لكم باخائها المستقبل(١) . والأمم الصغيرة التى أحييتم

(١) المقصود فى المستقبل .

نفوسها بالرجاء فى الاستقلال تطمع فيكم أن تتمموا مهمتكم الانسانية بالحزم الذى هو أخص صفات الأمريكان ·

ونحن هؤلاء قوم مصر ان كنا وقعنا فى الضعف بحكم تداول السلطات بين الناس فاننا أبناء أقدم مدنيات العالم ولم نكن كما يراد تمثيلنا لأعينكم قوما منحطين جديرين بوصاية الغير عليهم · لسنا نعجل برأى البريطانيين فينا أمام مؤتمر السلام ولكن بوادرهم فى مصر لاتدل الا على أنهم يريدون أن يحرمونا كل مزايا المبادىء الولسنية حتى من حق ابداء رغبتنا فى نظام بلادنا السياسى · فان الوفد المصرى الذى وكلته الأمة لاسماع أعضاء المؤتمر صوتها مازال محجورا عليه أن يجوز حدود البلاد · كذلك أخذت القوة على جميع المصريين كل سبل السفر الى أوربا فأصبح عسيرا عليهم أن يشكوا فى أن حبسهم على هذا النحو انما يراد به الحيلولة بين صوت مصر وبين المؤتمر · وليتخذ هذا السكوت الاكراهى دليلا على الرضا بالحماية · وليس خافيا عليكم أن هذه الحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى انما كانت من بادىء رأى الانجليز وبلا اتفاق بينها وبين الأمة المصرية التى لم يبد منها أية علامة من علامات الرضا الصريح أو الضمنى فيها · [٦٧]

« أليس أن تمسك بريطانيا بالحماية معناه أن قاعدة حق الأقوى لازال معمولا بها ؟ أو ليس أنها فازت بتقرير هذه الحماية نهائيا فلا يفسر وصولها الى هذا الغرض الا بأن الولايات المتحدة انما نصرت الحلفاء لتسهل لها استرقاق الأمم ؟ كلا · ان ايماننا بمبادىء الدكتور ولسن واعتقادنا بحزم أمريكا فى تطبيقها بغاية الدقة يجعلاننا فى حل من الرجاء فى تحقيق مطالبنا · وان بلادنا بمدنيتها القديمة وثروتها وتجانس أهلها وقدرتها على أن تقوم بنفسها من غير قيم وخلوها الآن من كل سيادة قانونية للغير عليها ، أولى الأمم بالتمتع بنعم المبادىء الجديدة لسياسة العالم ·

« فبين يديكم نضع آمالنا القومية ولذمتكم نكل الدفاع عنها حتى لا تضيع حقوقنا بحجة أن خصومنا أقوياء واثقين أن فى الانسانية لحسن الحظ قوة أخرى هى قوة المبادىء لا تستخدم لاذلال الأمم بل لتخليص الانسانية من رجس البغى ولتحرير رقاب الشعوب ونقول ذلك متمسكين بقول الدكتور ولسن « ان مصلحة أضعف الشعوب مقدسة كمصلحة أقواها » ·

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

من الوفـد المصرى

الى رئيس مجلس النواب البريطانى

وفى اليوم التـــالى أرســـل الوفد الى رئيس مجلس النواب (١) الانجليزى التلغراف الآتى :

[٦٨] « جناب رئيس مجلس النواب البريطانى
بلنـــدن

« لما عقدت الهدنة ووقف العالم على باب السلام وتصفية المشــاكل الدولية كان من الطبيعى أن تتقدم مصر بعرض حالها على مؤتمر الصلح لتتخلص من وضع شاذ لم يكن ليبرر وجوده الا المجاملات الدولية على حساب الحق والعدل · سيادة لتركيا أكرهت مصر على قبول ترتيبها عليها · واحتلال انجليزى قلب الى حماية لم يكن لها داع ، ولكنها ألبست ثوب الضرورة الحربية · ولا شك أن وصفا كهذا لا يمكن تسوية أمره الا باتفاق دولى فى مؤتمر الصلح ·

لهذا المعنى أراد المصريون أن يعرضوا قضيتهم على المؤتمر فتألف برئاستى وفد من النواب وغيرهم من ذوى الرأى مزودين بتوكيل من أعضاء الهيئات النيابية وعدد عديد سواهم من أهــل البلاد للسعى فى تسوية حال مصر باستقلالها ·

قرر هذا الوفد أن يبدأ عمله بالسفر الى انجلترا ليعرض على الشعب الانجليزى الحر مطالبه ويتخذ من تعضيد الرأى العام الانجليزى عدة يعتد بها لدى الدول الأخرى · ولم يكن قراره هذا محلا للغرابة فاننا على الرغم من اعلان الحماية التى أثارت الشكوك فى نيــات الحكومة البريطانيــة لا نســتطيع التصديق بأن البريطانيين يحنثون فى عهودهم ـ وشرفهم مربوط بها ـ ويصرون على البقاء فى مصر بالقوة ورغم ارادة أهلها بل اننا على ضد ذلك ظننا أن الفرصة الحاضرة هى الفرصة التى كان ينتظرها [٦٩] اللورد سالسبورى اذ قال للسفير الفرنساوى (خطأ ما يظنه قومكم من أننا نريد البقاء فى مصر الى ما لا نهاية فاننا لا نبحث الا عن الخروج منها بشرف) ·

فعلى شرف الأمة البريطانيــة الضنينة به كان اعتمــادنا فى أن تســاعدنا انجلترا على استقلالنا لتكسب بذلك صــداقتنا الخالصــة - وما صداقة الشعب أيا كان بالشىء القليل ·

---

(١) المقصود مجلس العموم · House of Commons

غير أن الحكومة الانجليزية شاءت أن تجعل بيننا وبين الشعب الانجليزى الكريم سدا لا يستطاع كسره · وزعزعت فى نفوسنا الثقة بعهود الانجليز واستخفت بالحرية الشخصية والتقاليد الانجليزية من وراء الرأى العام الذى لا نشك فى تألمه متى اطلع على حقيقة تصرفاتها ·

لسنا جمعية سرية ولا عاملين فى الخفاء بل اننا نعمل لحريتنا فى العلن وبالصراحة · عرضنا رأينا فى أمر بلادنا يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ على مندوبكم السامى فى مصر وأفضينا اليه بعزمنا على السفر الى انجلترا وعرضنا ذلك أيضا على الحكومة الأهلية (١) يومئذ فلم يقف فى سبيلنا أحد فشرعنا نأخذ رأى البلاد فى صيغة توكيلات تناقلها الناس وتداولوها فاذا عمال الحكومة يأمرون الناس بالكف عن هذه التوكيلات ويصادرونها بالقوة ، فلما احتججنا على ذلك التصرف المناقض للحرية كتب الينا رئيس الوزارة المصرية أن هذا من عمل المستشار الانجليزى وأن هذه التوكيلات اعتبرت مخلة بالنظام العام · وكانت تلك هى أول مظاهر خنق الحرية الشخصية فى البلاد نقول خنقها وتصدقنا فيها الحوادث ، فان الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية أخذوا يسيئون الى من أمضوا التوكيلات بطريقة لا تسمح بالشك فى أنهم قد تنازلوا عن تقاليدهم القومية فى احترام الحرية ، واتخذوا لأنفسهم فى معاملة الناس شعارا [٧٠] لا يليق بمبادىء القرن العشرين ·

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى أن السلطة العسكرية لم تعطنا جوازات السفر الى انجلترا فسألنا المعتمد السامى التوسط فى الأمر ، فكان جوابه أنه بعد أن استشار حكومته لا يستطيع التدخل فى أمر السلطة العسكرية · طريقة جميلة لخنق الحرية بحبل من حرير · ولكنها مع ذلك أصرح ما يكون فى الدلالة على نية الحكومة الانجليزية بالنسبة للمصريين ·

احتججنا تلغرافيا الى رئيس الوزارة الانجليزية على هذا الحبس فى ٤ ديسمبر ١٩١٨ فلم يجد احتجاجنا نفعا الى اليوم · وكأن الحكومة الانجليزية تريد أن تكرهنا على السكوت وأن تقدم الى مؤتمر السلام هذا السكوت الاكراهى دليلا على رضانا بحمايتها ·

ليس فى التعبير بالحبس ، عن منع السلطة ايانا من السفر شىء من الغلو ، فان المصريين الآن محبوسون حقيقة فى حدود بلادهم من أكبر كبير الى أصغر صغير لا يعطى أحد منهم جوازا بالسفر الى أية جهة

(١) يقصد الحكومة المصرية ·

كانت حتى أن رئيس الوزارة طلب أن يسافر هو ووزير المعارف لمفاوضة الحكومة الانجليزية فى مستقبل مصر ، فلما لم يجب الى طلبه الا بالتسويف استقال هو وزميله فى ٢ ديسمبر الماضى · وبناء على رجاء مندوبكم السامى أجل عظمة السلطان قبول هذه الاستقالة ومع ذلك فانهما أصرا عليها وامتنعا عن مباشرة أى عمل من أعمال الحكومة وفوق ذلك فان رئيس الوزارة قد جدد استقالته مرتين فى ٢٣ و ٣٠ ديسمبر فلم يبق عندنا الآن وزارة أصلا ولم يعقد مجلس الوزراء منذ أربعين يوما · وعلى أن مجلس الوزراء هو السلطة الوحيدة الممثلة لمصر الآن · وبعيد عن الذهن أن يتصور شذوذا أشد من هذا فى حكومة هى ذاتها من الشذوذ بمكان أحقيق برئيس مجلس النواب أن يرضى بأن نظاما نيابيا يعطل على هذا النحو · [٧١]

هوان لا يدرى الى متى يستطاع الصبر عليه : أبمثل هـذا الاذلال يؤمل الانجليز فى القرن العشرين أن يكسبوا صداقة الأمم ، ألكتم أنفاس الحرية خاض الانجليز غمار الحرب ؟ أم أنهم انما صـلوا حرهـا لحمـاية الشعوب الضعيفة واقرار الحق والعدل فى نصابهما ؟ ·

تلك هى الأسئلة التى يطوف طائفها بأذهان المصريين كل يوم من أيام حبسنا وعند كل تصرف من التصرفات الجارية فى مصر · وما ينقم الانجليز من المصريين الا أنهم غرموا لهم فى حربهم مغارم شتى : كتائب مصرية مسلحة حاربت معهـم جنبا لجنب · وعمالا يربو عددهـم على المليون ، وأموالا ومؤنا ودواب ، وشيئا آخر لا يقل أهمية عما ذكر : وهو اخلادهم الى السكينة التامة طول الحرب مع أن الانجليز استهانوا بكرامة المصريين وعبثوا بحقوقهم اذ أعلنوا حمايتهم على مصر بلا مسوغ من القانون ولا ضرورة من ضرورات الحرب · فعلوا ذلك نابذين ما عرضه عليهم بعض أولى الرأى من المصريين من أن تعلن مصر استقلالها وتحمل مع الانجليز كصديقة حليفة لهم أعباء الحرب بقدر طاقتها ·

أبعد هذا يعامل المصريون معـاملة الأعداء يحصرون فى بـلادهم ويصادرون فى حريتهم ويهانون فى كرامتهم ؟ ولا شك أن هذه الحال مجهولة لدى مجلس النواب الانجليزى والرأى العام والا لما دامت ·

فباسم الأمة المصرية التى تعرفون قدمها فى المدنية أناشدكم الشرف الانجليزى والتقاليد الانجليزية الا ما عرضتم حالنا على مجلس النواب وسعيتم بنفسكم منذ اليوم فى حماية الحرية الشخصية وجعل السلطة تخلى بيننا وبين تنفيذ المهمة التى علقتها أمتنا فى أعناقنا · لسنا ندرى أى وقع يقع التماسنا منكم ولكننا ندرى أن هـذه المعاملات فى العصر الحاضر ظلما وبلا مسوغ سبة للانسانية وطمس لمعالم التقاليد البريطانية

التى أنتم أولى الانجليز برعايتها وأقدرهم على رد الحكومة الى احترامها · وتفضلوا بقبول فائق الاحترام · ·

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

[٧٢] **مغادرة السير ونجت المندوب السامى**

البـلاد المصرية

وفى ٢١ ينـاير ١٩١٩ غادر القـاهرة السير ونجت (١) المندوب السامى تصحبه قرينته اللادى ونجت قاصـدين لندن · والمفهوم لدى الجميع أن انجلترا اسـتدعته لتأخذ رأيه فى حالة مصر وتستشيره فى السياسة التى يجب اتباعها فى تلك البلاد ·

منع السلطة الانجليزية

عقد اجتماع الوفـد المصرى

أراد الوفد أن ينبه أفكار الأمة ويوضح خطته فى العمل على نيـل البلاد حقوقها فحزم على عقد اجتماع ببيت الأمة فى يوم ٣١ يناير ١٩١٩ ·

فلم تكد تعلم السلطة الإنجليزية بنبأ هذا الاجتماع حتى أدركت خطره وهو اذكاء روح الوطنية فى النفوس · ولهذا أرسلت القيادة العليا للقوات البريطانية بمصر الكتاب الآتى الى الوفد وهو :

[٧٣] **القاهرة فى ٢٧ يناير ١٩١٩**

يا صـــاحب الســـعادة :

علمت أن سعادتكم تعدون اجتماعا فى منزلكم بمصر فى ٣١ الجارى يحضره نحو الستمائة أو السبعمائة شخص · وانى أرى أن مثل هـذا الاجتماع قد يحدث منه اقلاق للأمن ·

---

(١) سير فرانسيس ريجنلد وينجت : ولد سنة ١٨٦١ ، كان رئيســا للمخابرات العسكرية فى حملة استرداد السودان ١٨٩٨ ، ثم عين سردارا للجيش المصرى وحاكما عاما للسودان (١٨٩٩ ــ ١٩١٦) ، واخيرا مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر (١٩١٧ ــ ١٩١٩) ·

فبناء على هذا الاعلان الصادر تحت الأحكام العرفية بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٤ ، أرجو أن تتكرموا بالعدول عن اقامة هذا الاجتماع (١) .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

قائد القوات البريطانية فى مصر
الامضاء (الجنرال هـ.و.وطسن)

رد سعد باشا

ولم يكد سعد باشا يستلم هذا الجواب حتى أرسل خطابا الى القائد العام يسأله فيه ان كان لديه ما يمنع من ارسال اخطار لمن وجهت اليهم الدعوة لحضور اجتماع ٣١ يناير بأن هذه الدعوة منعت بناء على أمر السلطة العسكرية ، فأتاه منه الرد الآتى : ــ

[٧٤] القاهرة فى ٢٨ يناير ١٩١٩

يا صاحب السعادة :

ايماء للاعلان الصادر فى جريدة الاجيبشان غازيت بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير ١٩١٩ بمناسبة دعوتكم لحفلة شاى فى يوم الجمعة ٣١ الجارى أخبركم أنه لا مانع عندى من أن تنشروا اعلانا آخر تصرحون فيه أن دعوتكم منعت قهرا .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

قائد القوات البريطانية فى مصر
الامضاء (الجنرال هـ.و. وطسن)

---

(١) كتب السير شيتهام برقية فى ٣ فبراير ١٩١٩ الى وزارة الخارجية البريطانية يشير فيها الى أن الاجتماع كان سوف يعقد فى سرادق كبير يقام الى جوار دار سعد زغلول ، وكان سيسبب اضطرابا للأمن .

F.O. 407/184 No. 34 Cheetham to Curzon Feb. 3, 1919. Tel. No. 18.

من الوفد المصرى
الى كبير وزراء الدولة البريطانية

وقد انتهز الوفد فرصة منع السلطة الاجتماع الذى دعا اليه وأرسل الى رئيس الوزارة الانكليزية التلغراف الآتى فى أول فبراير سنة ١٩١٩ وهو :

[٧٥] صاحب السعادة المستر لويد جورج

بباريس

ان السلطة الانجليزية فى عهد رئاسة أكبر وزير من الأحرار لم تقف فى اهتضام الحرية الشخصية عند حد منعنا من السفر ، بل غلت فى اهتضامها الى أدق آثارها . أجل لم يكف أن طوردت هذه الحرية فى مظاهرها الوطنية بما صار اتخاذه من ضروب التضييق والتقييد على حرية الصحافة وحرية الاجتماعات العمومية بل وصل الأمر الى المساس بحياتنا داخل أسوار المنازل وكل هذا تحت أستار الأحكام العرفية .

ومن المستحيل علينا وقد مضى ثلاثة أشهر بعد الانتصار فى الميدان الشرقى أن ندرك الوجه المبرر لهذا النظام الاستثنائى خصوصا وأننا فى ١٣ نوفمبر طلبنا الغاءه من مندوبكم السامى هنا فأجابنا بما يقوى فينا هذا الأمل ، وأضاف أن المفاوضة جارية فعلا بهذا الصدد .

ولكن السلطة العسكرية ما زالت للآن تطبق هذا النظام الاستثنائى حتى على أمور هى من أبرأ ما يكون ومن أبعد الأشياء عن الدخول تحت متناول القوانين العسكرية . ان سوء استعمال هذا النظام بلغ فينا حدا يظن معه أن ما يقاسيه المصريون من صنوف الكيد وضروب التعدى على الحرية انما هى أمور متعمدة مقصودة . على أن السلطة التى لا تحجم عن اتخاذ أشد طرق المعاملة عسفا تفر مع ذلك من احتمال مسئوليتها علنا . [٧٦]

دعوت فريقا من أعيان البلاد وذوى المكانة فيها ليجتمعوا عندى بالأمس اجتماعا وديا فأمرت السلطة العسكرية بمنع هذا الاجتماع . فمن هذه الحادثة تستدلون على مقدار ما يعانى المصريون من جراء الأحكام العرفية التى لم يعد الآن مبرر لبقائها .

وانا مع احتجاجنا باسم الأمة المصرية على بقاء هذه الأحكام ، نصرح علنا بأن اقامة نظام تدعمه القوة المسلحة فى وجه أمة تطالب بحقوقها

بكل ما تستطيع من الهدوء والسكينة لهو استمرار لتلك السياسة المخالفة للحق والعدل اللذين اتخذهما العالم قاعدة لنظامه الجديد ·

وكيل الجمعية التشريعيـة المنتخب

ورئيس الوفـد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

من الوفـد المصرى

الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

وأرسل الوفد فى نفس اليوم أيضا التلغراف الآتى : الى الدكتور ولسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة وهو :

[٧٧] **الدكتور ودرو ولسن**

رئيس الولايات المتحدة

بباريس

نحن المصريين محبوسون فى حدود بلادنا ولكننا لم نيأس من أن تشملنا المبادىء السامية التى وضعتموها للسياسة الدولية الجديدة · فان مصر بمركزها الخاص أولى بانطباق مبادئكم الحرة من كل ما عداها من الأمم الصغرى التى تغير مركزها السياسى بنتائج الحرب · والتى هى اليوم محل للبحث فى تعيين مصيرها · انها قد نالت حريتها فعلا من سنة ١٨٤١ · فما ننتظر من مؤتمر السلام الذى اتخذتم العدل المجرد عن الهوى أساسا لأحكامه الا استقلالها بفك رباط السيادة التركية عنها نهائيا · وما كان الاحتلال الفعلى البريطانى ولا الحماية التى أعلنت وقت الحرب بدون اتفاق مع المصريين ليكسب بريطانيا العظمى عليها أى حق ·

ليست مصر فى حاجة لوصى ولا معين بل هى قادرة على النهوض بنفسها ، واحتمال نصيبها من أعباء المدنية ·

قد يقول من لهم منفعة استعمارية فى استعبادنا أن لهم وللأجانب مصالح فى مصر ولكنكم أعدل من أن تسمحوا باستعباد أمة تاريخية بحجة أن لغيرها فيها مصالح · على أننا مستعدون للقيام بما تقضى به جمعيه

[٧٨] الأمم من الضمانات الكافلة لرعاية تلك المصالح · دون أن يكون فى ذلك مساس باستقلالها ·

واننا ونحن تحت سلطان القوة القاهرة ، لا أمل لنا الا ثقتنا بأنكم لا تتسامحون فى تطبيق المبادىء التى شرعتموها وباسم هذه المبادىء عينها نناشدكم أن تسمعوا صوت مصر قبل البحث فى أمرها · وألا تسمحوا بأن تحرم من استقلالها التام ارضاء للأقوياء ·

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

من الوفد المصرى
الى رئيس مؤتمر الصلح

وفى يوم ٢ فبراير ١٩١٩ أرسل الوفد الى رئيس مؤتمر الصلح تلغرافا أشار فيه الى ما سبق أن أرسله الى المؤتمر ، وطلب منه بالحاح أن يعرض قضية مصر على المؤتمر وهذا هو نص التلغراف :

[٧٩] **« المسيو جورج كليمنسو**
رئيس مؤتمر الصلح
بباريس

« نحن وكلاء الأمة المصرية جميعها عرضنا لكم بتلغرافنا المرسل فى ١١ يناير الماضى أننا محبوسون فى حدود بلادنا ، محظور علينا السفر لتقديم مطالبنا القومية للمؤتمر · وناشدناكم الذمة ألا تتخذوا سكوتنا الاكراهى رضا ضمنيا منا بسلطة الأجنبى التى نزلت بنا قوة واقتدار وألا تبتوا أمرا فى مصيرنا قبل سماع أقوالنا ·

« يدل ما يرد من الاخبار على أن المؤتمر مشتغل الآن بأمر البلاد التى غير الحرب مركزها السياسى ، وأن مصر نظرا لأحوالها الخاصة لجديرة بكل عناية عند تسوية أمر مستقبلها · اذ هى حصلت على حريتها من سنة ١٨٤٠ وآخر الروابط التى كانت تربطها بتركيا قد انقطع

الآن . فمؤتمر الصلح لا يسعه وهو يسير على قاعدة العدل المجرد عن الهوى الا أن يقرر خلوص الاستقلال التام لها ، وألا عبرة لها بالاحتلال لكونه مؤقتا وفعليا ولا بالحماية لكونها وضعت أثناء الحرب وبلا رضا من المصريين بها .

« ان مصر لا حاجة لها بوصاية الغير ؟ ولا حمايته بل هى أهل لادارة شئونها بنفسها وللقيام بما عليها من الواجبات فى سبيل المدنية والعمران . وعبثا يحاول خصومنا التذرع بالمصالح الأجنبية وضرورة حمايتها . ان هذه المصالح لا شىء يهددها بل نحن مستعدون استعدادا صادقا لقبول كل ما تقرره جمعية الأمم من الضمانات الكافلة لصيانتها . [٨٠]

« ان أملنا فى النجاح قائم على ما لدينا من الثقة المطلقة فى ألا هوادة فى المبادىء التى أقرها المؤتمر وأن ليس عند الأخذ بها من محيص . وهى تقتضى عليه بسماح أوجه دفاعنا قبل البت فى قضيتنا .

« وانا نرجوكم أن تتنازلوا لعرض طلبنا هذا على المؤتمر ولنا وطيد الأمل أن تعيروه من عالى عنايتكم وجميل تعضيدكم .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

نائب فرنسى
يستجيب لدعوة مصر

بالرغم من المجهودات العظيمة التى بذلها الوفد وبالرغم من لهجة تلغرافاته التى تحرك أجمد العواطف وأصلب الارادات فان صوتا من أصوات هؤلاء السادة الرسميين الذين استغاث بهم الوفد بأمريكا وانجلترا وفرنسا وايطاليا لم يستجب لدعوته (١) اللهم الا ذلك النائب الفرنسى الحر المسيو دى مونزى ، اذ أن صوته قويا بجريدة « اللانترن » الفرنسية الصادرة فى ٥ فبراير ١٩١٩ ولأهمية مقالته هذه

(١) تشير الوثائق البريطانية ان ممثلى أمريكا وفرنسا فى القاهرة كانوا ضد اى تخفيف للقبضة البريطانية على مصر وان كان الممثل الانجليزى فى القاهرة قد لاحظ أن ابناء الجاليتين الايطالية والفرنسية كانوا اقل تعاطفا مع نظام الحماية القائم بحكم ما يترتب عليه من ضعف مركزهم . F.O. 407/184 No. 54.

فى الدلالة على تعسف السلطات وعدم اكتراث مؤتمر السلام بهذه المظالم نقتبس منها ما يلى :

[٨١] « الأمم المنتظرة فى الدهليز »

بينما الفكرة الأساسية للمؤتمر تتحدد بجلاء وبينما تضافر الأمم يتكون فى شكل عصبة أو جمعية . لازال بدهليز المؤتمر شعوب واقفة تطلب بالحاح أن يكون لها من يمثلها ، فهل الرئيس ولسن سيسافر قبل صدور قرار بقبولها ؟ وهل سيسمح بسماع لينين ومندوبيه رسل العصابات ولا تنال كل الأمم الأخرى المضطربة المركز شيئا من هذه الرعاية ؟ » .

وبعد أن تكلم صاحب المقالة عن سوريا وأرمينيا وتساءل عمن سيسمح لهم بالكلام باسم هذه الشعوب انتقل الى مصر فقال ما ترجمته حرفيا :

« أهذا كل ما هنالك ؟ كلا . بل هناك أمم أخرى محكوم عليها بما نسميه « البكم الرسمى » أليس صحيحا أن المصريين التمسوا عطف المؤتمر على مصالح مصر ؟ .

« أليس صحيحا أن وفدا منهم تكون تحت رئاسة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ؟ .

« أليس صحيحا أن سعد زغلول باشا ورفيقيه رشدى باشا وعدلى باشا كانوا قد حصلوا من السير ونجت المندوب السامى البريطانى على وعد باعطائهم جوازا للسفر وتصريحا بدخولهم جلسات المؤتمر الثانوية لأن باريس ليست هى ستوكهلم ؟ .

« أصحيح أنه لما صار تسويف الوفاء بهذا الوعد امتعض المصريون على خلاف ما هو معروف عنهم من التناهى فى الامتثال والولاء ؟ .

[٨٢] « أصحيح أن هذا الامتعاض قد كان مظهره هجر المناصب الوزارية، وأنه من أواخر نوفمبر لم يوجد مصرى واحد يقبل مسئولية تشكيل الوزارة تحت رعاية بريطانيا العظمى ؟

« أصحيح أن المصريين لم يقفوا هذا الموقف مدفوعين بعوامل حزبية متطرفة ، بل الذى دفعهم اليه انما هو خيبة ظن رجالهم الذين كانوا ينتظرون قرارا دوليا يحقق بالفعل تلك الأقوال التى صرح بها رجال السياسة من الانجليز أنفسهم ؟

« أصحيح أن هذه المسألة تضر بالمنزلة التى للسلطان فؤاد لدى الجمهور ؟ .

« حقا انه ليس لنا المداخلة فى شيء من هذا اذ كله يدخل ضمن الدائرة السياسية الخاصة بحليفتنا الكبيرة وان المسيو بيشون لا يتأخر عن تنبيهنا لواجباتنا ان تطرف أحد منا مثل فرنكلين بيريون ووجه اليه سؤالا عن مثل هذه الأمور .

« نعم ان المسألة المصرية فى ذاتها ليست من اختصاصنا ولكن الذى من اختصاصنا نحن الفرنسيين كسائر ذوى الشأن فى الحرب هو النظر فى أمر السلام الذى ضحينا من أجله بكل شيء ، وكيف يستتب فى المستقبل فى كافة البقاع التى يمكن أن يكون مهددا فيها .

« اذن فهذا وحده سبب كاف يسوغ لنا حق المداخلة لمصلحة كل من كان نظامه السياسى موضعا للنزاع من بعض الوجوه أولئك الذين ربما قاموا عاجلا أو آجلا بأعمال يكون من شأنها العبث بسلام العالم فى المستقبل » .

[٨٣] رد رئيس الوفد المصرى على مستر برسيفال المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية

فى الوقت الذى كان الوفد مشتغلا فيه بارسال بياناته واحتجاجاته الى أعضاء مؤتمر السلام من أمريكيين وفرنسيين وانجليز وايطاليين .

وفى الوقت الذى كانت الأمة المصرية مشتغلة فيه بأمر مستقبلها يسعى كل فرد منها لتعرف حقائق الأمور وما وصل اليه سعى الأقطاب والزعماء .

نقول فى هذا الوقت نفسه كانت السلطة الانجليزية تعد القانون الذى وضعه السير برونيت (١) المستشار القضائى بوزارة الحقانية المصرية .

وفى أوائل شهر فبراير ١٩١٩ كان المستر برسيفال المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية يلقى فى جمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع محاضرته عن مشروع قانون العقوبات .

---

(١) كان المشروع الذى أعده السير وليم برونييت يهدف الى انشاء مجلس شيوخ تسيطر عليه غالبية من الاوربيين ومنحها سلطات أعلى من السلطات التى يملكها مجلس النواب المكون من المصريين . F.O. 407/184 No. 152 Memorandum by Sir R. Graham on the Unrest in Egypt.

وفى يوم ٧ فبراير كان جنابه يلقى القسم الأخـير من المحاضرة وكانت القاعة غاصة بجمع كبير من عظمـاء الوطنيين والأجانب وفى مقدمتهم وزير الحقانية (١) ومستشارها (٢) ووكيلها (٣) وكثير من رجال القضاء والمحاماة فى المحاكم الأهلية والمختصة وغيرهم · وحضرها سعد باشا واخوانه أعضاء الوفد ومعهم كثير من المشتغلين بالحـركة الوطنية فامتلأت بهم القاعة ولم يبق بها موضع لقدم ·

وما كاد المستر برسيفال يفرغ من القاء محاضرته حتى قام سعد باشا وأبدى الملاحظات الآتية · قال :

[٨٤] « أيها السادة :

« انى أشكر حضرة المحاضر على ما قاله من أنه يريد أن يكون لمصر فى المستقبل شرع خاص · ولكنى أقول لحضرته أن هـذا الشرع موجود فعلا منذ أمد بعيد ــ ان أمتنا المصرية ليست من قبيل الأقوام الهمج الذين ليست لهم شرائع مقررة · وأيما بلد ما كبلدنا تكون له حياة عريقة فى القوانين والشرائع فان من الخطر أن يعمد الى تغيير كلى فى شرعه بدون أن تدعو الضرورة لذلك ، أو تهدى اليه التجربة والاختيار ·

« ان قانون العقوبات المصرى المأخوذ عن القـانون الفرنسى جرى عليه العمل من زمن طويل · فهو جزء من محصولنا القانونى تشربتـه أفئدة قضاتنا ومحامينا وسرى فى أخلاق الأمة سير الدم فى الجسد · قد يكون فى المشروع الذى تكلم عنه حضرة المحاضر بعض نصوص صالحة فى ذاتها · ولكنى لا أرى محلا لقلب التشريع الموجود الآن رأسا على عقب [٨٥] من الأرض الى السماء ومن السماء الى الأرض ·· ان فى ذلك ضررا عظيما بما ألفه الناس فى هذه البلاد من المعلومات القانونية · ولكن يظهر أن المراد هو التخلص من النظريات والتقاليد المؤسسة عليهـا هـذه المعلومات ·

« لأجل وضع نصوص قانونية مكان أخرى موجودة من قبل ينبغى أولا أن تكون هذه النصوص الجديدة متفقة مع أخلاق البـلاد وعاداتهـا

---

(١) عبد الخالق ثروت باشا ·

(٢) المستر ايموس ·

(٣) محمد شكرى (انظر : عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ص ١٠٤) ·

ومألوفاتها العلميـــة . ثانيـــا : أن تقـوم الأدلة على ضرورة وضـعها كالاحصائيات وقضاء المحاكم وآراء أهل الفن .

« لست أنكر الفائدة من مناقشة مشروع جديد لهذه الجمعية ولكنى الاحظ أن موضوع المناقشة الآن ليس مجـــرد مذهب علمى فى مسألة بعينهـا وانما هو أعظم من ذلك بكثير هو أمر يمس حالتنا الســياسية والاجتماعية مما لا يصح أن يتخذ هذ المنبر أداة له (يريد منبر خطابة الجمعية) .

« استمحيكم القول بأنى أخشى كثيرا أن يكون فى بحث هـــذا الموضوع فى هذه الجمعية العلمية خروج بها عما وضعت له . وأن يتخذ ذلك وسيلة للقول برضا الأمة بهذا التقنين وأن يستغنى به عن مناقشات الجمعية التشريعية التى هى الأداة التشريعية النظامية فى البلاد .

« واشار حضرة المحاضر الى أنه تحول على الجمعية التشريعية مشروع يتضمن تعديلا فى نصوص القانون الخاصة بالضربات والجروح ولـم نفعل فيه شيئا . نعم ان هذا المشروع تحول عن لجنة الحقانية التى أنا رئيسها فرأت أنه يلزمها للاقتناع بضرورة التعديلات المعروضة بيانات [٨٦] واحصاءات طلبت من وزارة الحقانية تقديمها اليها وكررت هذا الطلب عدة مرات حتى انتهى دور انعقاد الجمعية ولم ترد هذه البيانات .

« رأيت أنه من واجبى أن أبدى لحضراتكم ما قدمت من الملاحظات ، ولكن هناك أمر آخر هو أهم ما يجب التنبيه اليه . قد تكلم حضرة المحاضر عن الباب الثانى من المشروع وفى هذا الباب ما يتعلق بحالة سياسية لا وجود لها الآن بمصر . ان بلادنا لها استقلال ذاتى ضمنته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى . وعبثا يحاولون الاعتماد على ما حصل من تغيير هذا النظام السياسى أثنـــاء الحرب . انكم أيها السادة تعلمون وكل علماء القانون الدولى يقررون أن الحماية لا تنتج الا من عقد بين أمتين تطلب احداهما أن تكون تحـت رعاية الأخرى وتقبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية . فهى نتيجـة عقد ذى طرفين موجب وقابل ولم يحصل من مصر ولن يحصل منهـا أصـلا .

« وفى سنة ١٩١٤ أعلنت انجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن تطلبها أو تقبلها الأمة المصرية فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونا . بل هى ضرورة من ضرورات الحرب تنتهى بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة » .

بعد ذلك أعلن الرئيس انفضاض الجلسة · ومما يجدر ذكره أنه أثناء ابداء هذه الملاحظات وعقب ابدائها أظهر الحضور ارتياحا كليا لما تضمنته موافقتها كل الموافقة للرأى العام المصرى ·

[٨٧] تصميم رشدى باشا على الاستقالة

لما كرر رشدى باشا تقديم استقالته وألح فى قبولها وفشلت المساعى فى حملة على سحبها ، أراد المندوب السامى ان يقنعه بالعدول عنها ، فوعده وأكد له الوعد بأنه عندما يصل الى لندن يبذل جهده فى اقناع الحكومة الانجليزية فى التصريح له ولزميله عدلى باشا بالسفر الى انجلترا ·

ولكن لما وصل السير ونجت الى لندن ومضت المدة الكافيـة لاقناع الحكومة الانجليزية باصدار هذا التصريح ولم يرد منـه شىء · قدم رشدى باشا العريضة الآتية الى عظمة السلطان وهى :

[٨٨] « **يا صاحب العظمة السلطانية :**

« على أثر كتابى المرفوع الى سدتكم العلية بتـاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ الذى ألححت فيه ذلك الالحاح على عظمتكم بقبـول استعفائى قد كنت رضيت من باب التوفيق بالاتفاق الآتى بيانه : وهو أن صـاحب المقام الجليل المندوب السامى ينتهز فرصة سفره الى لندن فيشرح شفهيا للحكومة البريطانية أننى بعد وصول الحالة الى الحد الذى بلغته أصبحت لا اكتفى بما عرض على وقتئذ من سفرى أنا وزميلى عدلى باشا الى لندرة فى النصف الأول من فبراير واننى أشترط لسحب اسـتعفائى شرطا أساسيا وهو اباحة السفر الى أوربا لمن يطلبه من المصريين · وكان من ضمن ذلك الاتفاق ورود جواب الحكومة البريطانية بالتلغراف فى بحـر مدة مناسبة بعد وصول المندوب السامى الى انجلترا · وأنه اذا كان هذا الجواب سلبيا فان عظمتكم تقبلون استعفائى فورا · وأننى فى أثناء هذه الفترة أباشر بصفة وقتية محضة تسيير الأمور المستعجلة ، الأمر الذى دعانى للتوقيع على مرسوم تجديد المحاكم المختلطة منعـا لوقوف سـير القضاء ·

« على أنه قد مضى عشرة أيام على الأقل بعد الوقت الذى لابد أن يكون المندوب السامى وصل فيه الى لندرة . ومع ذلك فلم يصلنى جواب ما .

« يستحيل على أن أقبل أى تأخير جديد وانني أعتبر فى حل من القيام ولو مؤقتا بأى عمل ، حتى ولو كان مستعجلا فأعود الى التمسك بكتابى المشار اليه المؤرخ فى ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ ، والتمس من عظمتكم بكل الحاح انهاء حالة شاذة قد زاد طول العهد عليها .

« وانني لعظمتكم يا مولاى العبد المخلص والخادم الأمين المطيع »

القاهرة فى ١٠ فبراير ١٩١٩

(حسين رشدى)

[٨٩] وكان الوفد يقظا يستفيد من كل ظرف طارىء لخدمة القضية المصرية ، فعمل على اذاعة آراء السير برسيفال . وزد سعد باشا عليه وعمل أيضا على الاستفادة من موقف رئيس الوزراء رشدى باشا .

والحق أن هذا الموقف قد أفاد القضية المصرية فائدة عظيمة ، فقد اظهر أن الأمة متضامنة فى مطلبها لا فرق بين الحكومة والشعب ، وأذكى روح الحماسة فى نفوس الجمهور . وخلق فى البلد موقفا شاذا هو خلوها من حكومة كان له أكبر الأثر فى الحركات التى قامت بعد ذلك الوقت .

وكان كل يوم يمر يضاعف القلق واضطراب الخواطر واهتياج الشعور ورأى الوفد ألا تفوته هذه الفرصة من غير أن يبلغها الى مؤتمر الصلح فارسل الشكوى الآتية الى المسيو كليمنسو رئيس المؤتمر فى ١٥ فبراير ١٩١٩ : [٨٩أ]

[٨٩ب] « أرسلنا لجنابكم عدة تلغرافات لم يصل لنا رد عليها فخمنا فى الأمر وأخذنا نتساءل هل منعت شدة المراقبة التى تخنق صوت المصريين وصولها اليكم ، اذ لا نستطيع أن نتصور أن ضميركم الشريف لا يثور غضبا لو كنتم علمتم بما تسام به أمتنا جميعها من صنوف المعاملات . كما لا نتصور أن مؤتمر الصلح وهو المجلس الأعلى للقضاء بين الشعوب يسمح ان تنتهك حرمة أمة ما مثل هذا الانتهاك وأن يحجر على بنيها الاتصال بباقى العالم المتمدن وأن تكمم أفواههم وتكسر أقلامهم لا لعلة سوى أن الدولة المحتلة تريد ارهاقهم بمطامعها السياسية .

« ان الحلفاء ما فتئوا يصرحون جهرا بأنهم انما خاضوا غمار الحرب لتحرير الضعفاء وتحكيم مبادىء العدل فى الأرض ، فهل لمؤتمر الصلح أن يقضى على ما تأتيه انجلترا معنا من ضروب السياسة المناقضة تمام المناقضة لهذه التصريحات وأن يساعدنا على اقرار هذا العدل فينا ؟ .

« ان انجلترا لم تقف عند حد ما عاملت به الوفد المصرى بل هى اتخذت دستور البلاد هزؤا . اذ هى تركتها من ٢ ديسمبر للآن بلا وزارة ؟ ذلك أن رئيس مجلس الوزراء ووزير المعارف طلبا بموافقة السلطان أن يشخصا الى لندرة للمفاوضة مع رجال الحكومة هناك فى شأن نظام مصر المستقبل . ولكن السلطات الانجليزية أبت عليهما السفر أول الأمر فهاجهما هذا الحجر فقدما استقالتهما وأيداها مرتين . وبعد شهرين أذن لهما بالسفر ولكنهما لما شاهدا البلاد قائمة قاعدة تدوى كافة أرجائها بنصرة الاستقلال التام أيقنا ألا فائدة من السفر مادام الأهالى ممنوعين عن التوجه لعرض مطالبهم الوطنية على مؤتمر الصلح . ومن أجل هذا اشترطا لسحب استقالتهما رفع الحجر عن المصريين . [٩٠]

« تلك حال مصر التى لها بمقتضى ما وضعه المؤتمر من المبادىء أن ترسل مندوبين يمثلونها فيه فانها لم تقتصر على قطع علاقاتها مع دول الوسط (١) بل هى اشتركت فعلا فى الأعمال الحربية . ان هذا حق لا مراء فيه . وحرمان مصر من التمتع به لا يكون الا سكوتا عن الحق من جانب القضاة الذين بيدهم ميزان العدالة .

« المهم ان ذلك السلام الدائم الذى تصبو اليه الدول لعسير تحقيقه ما لم تحل جميع المسائل حلا نهائيا مرضيا . والبت فى مصير مصر بدون سماع قولها انما هو استيفاء لمشكلة هى من أمهات المشكلات لتعلقها بأهم بلد فى القارة الأفريقية ، وبقاء هذه المشكلة قائمة لا يكون من ورائه الا دوام استياء المصريين وسخطهم ، وليس هذا بمتفق مع ما تسعون اليه من السلام المقيم .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

---

(١) دول الوسط التى ضمت كلا من امبراطورية النمسا ـ المجر والامبراطورية الألمانية ثم من انضم اليهما فى حربهم ضد الحلفاء (فرنسا ـ بريطانيا ـ روسيا) ثم من انضم اليهم .

من الوفد المصرى
الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

كما أرسل الشكوى الآتية الى الدكتور ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة فى ١٦ فبراير ١٩١٩ :

[٩١] « رئيس مندوبى الولايات المتحدة
بسفارة الولايات المتحدة
بباريس

« سمع المؤتمر أخيرا بصفة رسمية أقوال مندوبى سوريا التى كانت جزءا من الدولة التركية ولازال ممتنعا عن سماع صوت المصريين . فهل من المقبول أن اقساما معادية للحلفاء تصل الى الادلاء بمطالبها وان مصر التى اشتركت فى اعمال الحرب فى صف الحلفاء تحرم من هذا الحق ؟ .

« انالمركز القاسى الذى تضعنا فيه انجلترا ليفوق فى مناقضته للمعقول كل ما يتصوره العقل البشرى .

« فمصر وهى وحدها التى حيل بينها وبين العالم المتمدين تضرع الى مؤتمر الصلح أن ينقذها من هذا العناء .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

[٩٢] من عادة الانجليز ان يعملوا فى البلد الذى يحتلونه أو يستعمرونه عمل المقيم فيه أبد الدهر وان كانوا يعلمون أن لا حق لهم فى الاقامة فيه بل ولو علموا أنهم على وشك الخروج منه . تلك خطتهم التى يسيرون عليها . وتطبيقا لهذه القاعدة تراهم فى الوقت الذى كانت فيه الأمة المصرية ثائرة تطالب باستقلالها وتسعى للخلاص من الحماية الانجليزية بكل ما فى وسعها كان السير وليم برونيت مستشار وزارة الحقانية يضع مشروع قانون نظامى (١) للدولة المصرية يقلب جميع الأوضاع القضائية والمالية والسياسية ويجعل المصريين أجانب فى بلادهم .

(١) أى : دستور

فانبرى للرد عليه دولة حسين رشدى باشا بمذكرة مفصلة (١) وطبعت هذه المذكرة وأذيعت فى جميع الاوساط ، فكان لها أثر كبير فى فتح أعين الأمة الى ما يدبر لها من القضاء على كيانها كأمة مستقلة . وزاد اعجاب الأمة بموقف رشدى باشا وها هو نص المذكرة :

[٩٢ أ]

مذكرة حسين رشدى باشا

« ان الانسان ليستغرق فى الذهول كأنه فى حلم عميق ويبهت من الدهشة التى تصدمه عندما يطلع على مشروع الاصلاحات الدستورية الذى قدمه السير وليم برونيت .

« هذا المشروع — وما أدراك ما هذا المشروع — يتلخص فيما يأتى :

أولا : مجلس نواب مصرى ولكن استشارى محض — مجلس أعيان له السلطة التشريعية فعلا ومؤلف من أعضاء رسميين (هم الوزراء المصريون والمستشارون الانكليز ومن فى مرتبتهم من الموظفين الانجليز (٢) الآخرين) . ثم من أعضاء منتخبين (١٥ أجنبيا و ٣٠ مصريا) ولكن بحيث أن اجتماع الأعضاء الأجانب المنتخبين مع الأعضاء الرسميين تتكون منهم الأغلبية فى مجلس الأعيان » . « فترى أن شرذمة من الأجانب (الأعضاء المنتخبين بمجلس الأعيان والمستشارين والموظفين الانكليز الآخرين) مع معاونة ستة أو سبعة من الوزراء — غير مصريين ، ولكنهم مسئولون أمام الحكومة الانجليزية ترى هذه الشرذمة تقنن لمصر ، فهى تسن القوانين لا فيما يتعلق بالأجانب وحدهم ، بل فيما يسرى أيضا على المصريين أنفسهم ، وحينئذ فلو أن ممثلى الأمة فى مجلس النواب وفى مجلس الأعيان رفضوا المصادقة على مشروع من مشروعات القوانين فان هذا المشروع يكتسب القوة القانونية رغما عن ذلك ويصبح نافذا فى المصريين ، وما ذاك الا لأن العناصر الأجنبية فى مجلس الأعيان قد تكون قررته بمعاونة بضعة وزراء مصريين غير مسئولين أمام الأمة .

[٩٣]

ثانيا : ولايقف الأمر عند هذا الحد فان مشروع السير وليم برونيت يجيز أيضا فى الأحوال المستعجلة تقديم مشروع القانون الى مجلس الأعيان مباشرة دون عرضه أولا على مجلس النواب .

---

(١) ارسلت المذكرة الى رياسة مجلس الوزراء والى دار الحماية .

(٢) مرة يكتبها الانكليز ومرة يكتبها الانجليز فى أصل المذكرات .

« أفهل من الجائز أن يفرض على مصر – وهى التى كانت فى أيام سيادة الأتراك الاسمية عليهـا متمتعة باستقلال ذاتى تام – مشروع للاصلاحات الدستورية كهذا المشروع ، وذلك فى وقت يدور فيه البحث على اقامة دول مستقلة لأقوام ليس لهم من الخبرة سوى ميزة العنصرية ، وقد كانوا بالأمس عبارة عن مجرد ولايات بسيطة يحكمها الأتراك ؟ ليت شعرى أيصح عرض ذلك على مصر فى الوقت الذى يجاهر فيه أولو الحل والعقد فى بلاد الحلفاء من أعلى المنابر وعلى رؤوس الأشهاد بما للشعوب الصغيرة من الحق فى حكم نفسـها بنفسها والهيمنة على ادارة أقدارها وشئونها ، بل بعد أهرق عشرة ملايين من رجال الحلفاء دماءهم لفوز مبادىء الحرية والعدل ؟

« هذا ولقد ذهب السير وليم برونيت مذهبا مستنكرا حينما يقول فى مذكرته أن حق الشعوب الصغيرة فى حكم نفسها بنفسها وتولى ادارة شئونها هو أمر مقبول بالنسبة للشعوب التى تتألف من أمة متجانسة وليس هذا حال مصر . ولعمرى أن القارىء المصرى ليتحول وجهه بازاء مثل هذا المذهب الى صحيفة مرقومة كلها بعلامات التعجب والاستفهام . والسير وليم برونيت يؤيد مذهبه هذا بوجود جاليات أجنبية فى مصر ، ولكن هل كان فى تدفق السيل الألمانى والسيل النمسوى على فرنسا وانكلترا قبل الحرب ما يمنع توافر التجانس فى كل من هذين البلدين ؟ نعم ان الأجانب فى مصر يتمتعون ببعض امتيازات مستنبطة من معاهدات قديمة وعادات عتيقة يعتبر بقاؤها اليوم من الأمور المناقضة لروح العصر . ولكن هذه الحال الخاصة لا يمكن الاستناد عليها لزماننا اليوم . ومن حقنا فى حكم أنفسنا وتولى شئوننا بأنفسنا وهو الحق الذى كنا ولا نزال نتمتع به قانونا الى الآن . [٩٤]

« يقول السير وليم برونيت : ولكنكم تحت حماية بريطانيا العظمى فأجيب على ذلك أن حقنا فى سن شرائعنا بأنفسنا لايتنافر مطلقا مع حماية تكون متلائمة بوجه صحيح وفكر سليم مع ظروف البلاد وأحوالها . ان الحمـاية ليس معناها الضـم والاستلحاق ولكن مشروع الاصـلاحات الدستورية الذى وضعه السير وليم برونيت يقلب الحماية الى ضم مجرد بسيط ، ولتأييد مشروعه يتمسك بالبلاغ المرسل من الحكومة البريطانية الى المرحوم السلطان السابق ولكن يلاحظ أولا أن هذا البلاغ صدر فى وقت لم تكن فيه المبادىء العامة للحرية والعدل قد بلغت الشـأو الذى وصلت اليه فى طورها الحالى ، ثم ان هذا البلاغ يؤدى على أية حال الى استبعاد المشروع الذى يجنح اليه السير وليم برونيت ، وحسبنا أن نقرأ [٩٥]

هذا البلاغ ، فانه لا يتضمن لا من حيث المنطوق ولا من حيث المفهوم انقاصا في حقوق مصر • والحال أن السير وليم برونيت ينوى اصابتها بنقص من هذا القبيل ، اذ أنه يريد أن ينتزع منها حق سن القوانين بنفسها لنفسها ، بل ان ذلك البلاغ يؤخذ منه بالعكس أن بريطانيا العظمى قصدت أن ترفع مصر فوق المستوى الذى كانت فيه حينئذ وذلك لأنه يتضمن الاشارة الى زوال بعض القيود التى كانت مفروضة على مصر بمقتضى الفرمانات العثمانية • وفى الواقع لا يمكن العقل أن يتصور كيف أن الحماية من الوجهة المنطقية تقضى بتخفيض شأن مصر ، فان بريطانيا العظمى لم تجد الى ذلك العهد ما يدعوها الى توجيه أى ملام الى مصر ، ولم يحدث بعد ذلك العهد الا كل مايوجب الغبطة بها والاستقباح منها • فلقد جاءت بريطانيا العظمى الى مصر فى عام ١٨٨٢ بدعوة من ولى الأمر حينئذ لقمع فتنة عسكرية ، وقابلتها جميع الطبقات الرزينة من السكان مقابلة الصديق لصديقه ، وقام ضباط أركان حرب المصريون بمؤازرتها فى مهمتها بتقديم المعلومات والخطط الى هيئة أركان حربها • وعندما اشتبكت بريطانيا العظمى فى الحرب مع تركيا بقيت هادئة بل جنحت الى تمام السكون وذلك بالرغم من اضطراب الضمائر اضطرابا خطيرا من الوجهة الدينية [٩٦] بسبب الخلافة • بل ان مصر تعدت ذلك الموقف أيضا فبذلت للجيش البريطانى معاونة من أفضل وجوه المعاونة الفعلية ، فجعلت تحت تصرف القائد العام جميع مواردها من مال ومؤونة ووسائل نقل ورجال ، فأرسلت الى فلسطين جيشا للمساعدة المستديمة يبلغ عدده ١٧٫٠٠٠ مصرى (فرقة العمال وفرقة الجمالة) ، ولقد أوجب استبقاء هذا الجيش بهذا العدد على الدوام استخدام نحو مليون ونصف مليون من رجال مصر • ولقد اعترفت هيئة أركان الحرب البريطانية وفى مقدمتها القائد العام اعترافا جاهرت به على رؤوس الأشهاد بالمعاونة التى قامت بها مصر للجيوش البريطانية •

« ولست أريد التوسع فى التعرض للآراء المؤلمة التى أبداها السير وليم برونيت عن المستوى السياسى للبلاد المصرية • ولكن أكتفى بالاشارة فى عرض الحديث الى الملاحظتين الآتيتين :

أولا : اذا كان المفكرون من أبناء مصر لم يكن لهم نصيب فعلى أكبر فى أعمال اللجنة المؤلفة لتنقيح القوانين بقصد التوصل الى الغاء الامتيازات الأجنبية فانما ذلك راجع الى أن السواد الأعظم منها كان يرى فى بقاء النظامات الدولية فى مصر ضمانا ضد مطامع الضم التى يرمى اليها غلاة أنصار التوسع الاستعمارى من رجال الانجليز كصديقى السير وليم برونيت •

ثانيا : اذا كان أحد النواب قال للسير وليم برونيت ان المجلس الحالى تنقصه الخبرة الفنية الكافية لبحث مشروع قانون عن السفاتج (الكمبيالات) فانى أسائل السير وليم برونيت كم رجلا من بين المستشارين [٩٧] وغيرهم من الموظفين الانجليز فى مصر الذين يريد أن يوليهم منصب التقنين يستطيع أن يبحث مشروع قانون كهذا بحث خبير ملم بأطراف الموضوع . ان المجالس النيابية كلها تدرس المسائل الفنية وتفصل فيها بناء على تقرير ذوى الخبرة الفنية . ومجلسنا كان له أيضا أن يستعين بآراء رجال الفن للبت فى مشروع كهذا . ثم اننا لاننكر هنا أننا انما نطلب حق التقنين فيما يختص بنا نحن المصريين . أما القوانين التى كان يجب بحكم الامتيازات الحصول على تصديق الدول عليها لجعلها نافذة فى الأجانب (كما هو الحال بالنسبة لمشروع القانون الخاص بالسفاتج) فاننا نقبل بشأنها نظاما خاصا .

« **والنظام الدستورى الذى يجب منحه لمصر ينبغى أن يكون فى اجماله :**

(أ) « مجلس نيابى ومجلس عال (مجلس أعيان) يؤلف كلاهما من المصريين دون سواهم ويختار أعضاء مجلس النواب بطريق الانتخاب . وأما أعضاء مجلس الأعيان فيعينهم ولى الأمر لمدة حياتهم من بين الوزراء وكبار موظفى الحكومة السابقين .

(ب) « لايصدر قانون الا بعد تصديق المجلسين عليه واعتماد السلطان له . أما القوانين التى كان تنفيذها فى الأجانب على عهد الامتيازات يقتضى مصادقة الدول عليها ، فهذه القوانين لا يسرى احداها عليهم الا بعد قبول بريطانيا العظمى باعتبارها حالة محل الدول ويجب [٩٨] ذكر هذا القبول فى ديباجة القانون نفسه قبل ايراد نصوصه وأحكامه .

« وما هى الهيئة التى تستشيرها الحكومة البريطانية لأجل ابداء قبولها أو رفضها ؟ انى أقترح أن يكون ذلك موكولا الى المحكمة العليا مجتمعة بهيئة عامة أى بجميع غرفها وبعد أن ينضم اليها بعض عناصر أجنبية منتخبة كالمحلفين بالجلسات التجارية ، مثلا ، فهذه الطريقة تشابه الطريقة المتبعة الآن لسن القوانين المختلطة مع بعض التحسين فيها (المادة ١٢ من القانون المدنى المختلط) .

هذا فيما يتعلق بضمان مصالح الجاليات الأجنبية . وأما الوسيلة المؤدية الى ضمان مصالح حاملى قراطيس الديون المصرية ، فتكون على الوجه الآتى :

« فى كلا المجلسين لايجوز البحث فى شئون الدين العمومى وبصفة عامة فى جميع التعهدات والالتزامات الناشئة عن اتفاقات دولية ٠

« وانى أضيف فى هذا المقام بصفة عرضية لأجل استيفاء بيان الضمانات المالية التى تعرضها على دائنينا أننا لا نمانع مطلقا فى قبول هيئة أو مستشار مالى تكون موافقته ضرورية :

١ ـ لأجل أية زيادة في المصروفات طالما لم يوجد احتياطى عام يتجدد مقداره ٠

٢ ـ لأجل أخذ أي مبلغ من هذا الاحتياطى ٠

٣ ـ لأجل عقد أى قرض ٠

« ويكون موكولا الى هذه الهيئة أو المستشار المالى من الجهة الأخرى السهر على دفع مجموع المال المتحصل من الضرائب العقارية الى صندوق خاص لحين وفاء المبلغ اللازم لتسديد فوائد واستهلاك أصل الدين الممتاز والدين المضمون وكذلك للمحافظة على بقاء الاحتياطى الخاص والرصيد المخصص لادارة الحركة وهما الأمران المخولان الآن لصندوق الدين ٠ [٩٩]

(ج) يكون الوزراء مسئولين بطريق التضامن أمام مجلس النواب عن السياسة العامة للحكومة ويكون كل منهم مسئولا عن كل عمل من أعمال ادارته يخالف القانون ٠

ان السير وليم برونيت يتكلم عن مسئولية الحكومة البريطانية أمام الجاليات الأجنبية وأمام حاملى القراطيس المصرية (١) ٠ فهذه المسئولية تغطيها الضمانات التى تفرضها تغطية كافية وافية ٠ ولكن هناك مسئولية اخرى ملقاة على عاتق الحكومة البريطانية وقد أغفل السير وليم برونيت الكلام عليها : تلك هي مسئوليتها أمام الشعب المصرى ٠ ان بريطانيا العظمى ملزمة أدبيا بأن تضمن للشعب المصرى وجود حكومة قائمة على المبادىء المقررة فى القانون العام الحديث فمسئولية الوزراء أمام نواب الأمة تتكفل بهذا الإلتزام ٠ فشتان ما بين هذا وبين مشروع الاصلاحات الدستورية الذى وضعه السير وليم برونيت ٠ نعم ان العناية بمرافق ١٥٠٫٠٠٠ فرد هم مجموع الجاليات الأجنبية في مصر (٦٢٫٩٧٤ يونانيا ، ٣٤٫٩٢٦ ايطاليا ، ٢٠٫٦٥٣ انجليزيا ، ١٤٫٨٩١ فرنسيا ، ٧٫٧٠٥ نمساويا ، ٢٫٤١٠ روسيا ، ١٫٨٤٧ ألمانيا ، ١٫٩٥٨ من الملل الأخرى) ،

(١) أى الدائنين الأجانب للخزينة المصرية ٠

وبمرافق حاملى اقراطيس الدين المصرى لهى من الأمور المحمـودة ، وقد أبدينا نحن أنفسنا قبولنا لها واقرارنا عليها • ولكن مرافق مصر وحقوق أمة يبلغ عددها اثنى عشر مليونا من النفوس هل هى مما يداس بالأقدام ؟ [١٠٠] ان مصر من عهد محمد على تتولى التقنين بنفسها لنفسها • أما الآن وفى الوقت الذى ترتفع فيه مرتبة الشعوب ، فبأى تهـكم مر مؤلم تسقط مرتبتنا وتنزع منا امتيازات كنا نتمتع بها تحت السيادة التركية • فأى جريمة اجترمناها حتى نضرب بهذا الحكم المحزن ؟ وما الذى نلام عليه ، اللهم الا أننا عاونا بريطانيا العظمى بقدر ما تسع طاقتنا وبكل وسائلنا فى الصراع الذى قام به الحلفاء ضد ما حاولته ألمانيا من بسط سلطتها على العـالم طبقـا لهذين المبدأين الجرمانيين الممقوتين المستنكرين اللذين قد تدهورا الآن تدهورا تاما وهمـا : (ان القوة فوق الحق) ، و (ان كل شعب يحق له أن يرغم شعبا آخر ولو كان متحضرا ولكنه أقل منه تقدما أو مفترضا بأنه كذلك على الخنـوع لحضـارته) • نعم اننـا فى ميـدان الحضارة لايبلغ بنا الجنون الى الادعاء بأننا بلغنا شأو دولة كبريطانيـا العظمى • الا أنه على الأقل لاتصح المقارنة بيننا وبين بعض البلاد الشرقية الأخرى الموضوعة تحت حماية الدول الأوربيـة • ان مصر بما لهـا من النظامات السياسية والادارية والقضائيـة تؤلف من زمن بعيد حـكومة حقيقية ، بأتم المعانى الحديثة لهذه الكلمة • فهى تأبى تشبيهها ببلاد فى طفولة الحضارة ، وترى أن لها الحق الشرعى فى وضع نفسها من جميع الوجوه فى الميزان بازاء دول أخرى كانت خاضعة فيما مضى من الأيـام للحكم التركى ثم تمتعت من يوم تحريرها بنظام دستورى شبيه بالنظام الذى نطالب به » •

الامضاء

حسين رشدى

[١٠١]

مطالب المحامين الانجليز العشرة
ورد رئيس الوفد عليها

أثار عشرة من المحامين الانجليز عاصفة بمصر بمذكرة قدموها الى لجنة الغاء الامتيازات طلبوا فيها مطالب فندها ورد عليها المحامون لدى المحاكم المختلطة بمذكرة طويلة • ثم عالج الموضوع السير وليم برونيت المستشار القضائى وسكرتير لجنة الغاء الامتيازات • ولكن المحامين العشرة عادوا الى مطالبهم وتأييدها والالحاف في انفـــاذها ، وقالوا فى مذكرة جديدة قدموها ما ملخصه :

« من الواجب علينا رعاية لمصلحة الأمة البريطانية فى مصر وضمانة للمصالح المالية والاقتصادية الانجليزية فيها أن نذكر للجنة آراءنا بصراحة فنقول انه ليس فى الامكان تحقيق الآراء القانونية الجديدة التى تطلبها اللجنة الا اذا أصبحت اللغة الانجليزية عاجلا أو آجلا لغة المحاكم بصفة نهائية •

« ونحن نطلب وضع القوانين الجديدة باللغة الانجليزية رسميا ومن الممكن ترجمتها الى اللغتين الفرنسية والعربية ويجب أن تكون اللغة الانجليزية اجبارية فى الدفاع الشفوى والتحريرى أمام جميع المحـــاكم عدا التى يجب أن تكون لغتها عربية • ولكن لا تكون اللغة الانكليزية(١) اجبارية الا بعد مضى مدة محدودة نقترح أن تتراوح بين خمس وسبع سنين •

« ويجب أن يوضع القانون الأهلى مطابقـــا للأصول القانونيـــة الانجليزية • ونرى أنه من الموافق ادخال نظام القانون الجنائى الانجليزى فى مصر ، وليس لقائل أن يقول أنه ليس لدينـــا ما يدل على نجاح هذا النظام فيها اذ الأمر بالعكس •

[١٠٢] ونحن متأكدون أن تطبيق القانون الجنائى الانكليزى فى مصر يكون حاسما لكثير من العلل الموجودة فى النظام الحالى وخصوصا سوء النظام بين البوليس والنيابة ولابد أن نتساءل هنا ان كان من الممكن ادخال نظام المحلفين فى المحاكم الجنائية فى مصر أولا ، ونظن أن ادخاله لا يجد شيئا من الصعوبة •

---

(١) مرة اللغة الانجليزية ومرة اللغة الأنكليزية هكذا فى المذكرات •

« ولا نستطيع أن نفيض الآن فى كيفية انشاء المحاكم الوطنيـــة الجديدة ، ولكننا نقول أنه من الضرورى ايجاد أوربى بجانب الوطنى فى المحاكم للنظر فى المسائل الأهلية ٠

« وليس من الصعوبة على أعضاء نقابة المحاماة المختلطة اعداد أنفسهم لهذه التغيرات ، ولمـا كانت اللغة الانكليزية آخذة فى الانتشار بسرعة فاننا لا نظن أن تبدو معارضة من جانب المصريين فى هـــذه التغييرات والقانون الانجليزى معمول به فى الهند وفى السودان ٠ »

نشر هذا فى جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٦ فبراير ١٩١٩ فما كاد الوفد يطلع عليها حتى بادر رئيسه باعداد الرد عليه وأرسله الى بعض الجرائد لنشره ولكن الرقيب لم يصرح بذلك ٠ ونحن نثبت للقارىء هنا رد سعد باشا الذى حرم الناس من قراءته فى حينه وهو :

[١٠٣] « طلب المحامون الانجليز العشرة أن تكون المرافعـــة أمام المحاكم باللغة الانجليزية ، وأن توضـــع القوانين رسميا بهذه اللغــة وأن يكون وضعها على المبادىء الانجليزية وأن يكون بجانب كل قاض وطنى قاض أجنبى ٠ وزعموا أن المصريين يقبلون هذه المطالب عن طيب خاطر وأنها لازمة لضمانة المصالح الانجليزية فى مصر ٠

« أبدوا هذه الملاحظات ولم يقدموا على مطلب منها دليلا بل لـــم يستأنسوا لها بشىء من المعقول مخالفين بذلك ما تقتضيه صناعتهم من البرهنة على صحة طلباتهم وكأنهم يتوهمون أن جنسيتهم كافية لتبرير كل طلب ومصلحة مواطنيهم تعلل صحة كل رغبة ٠ ولكن فاتهم أن يعلموا أننا فى نهاية زمان القوة وبداية عصر الحق وأن المصـــالح متساوية فى وجوب العناية بها لا فرق بين مصلحة القوى ومصلحة الضعيف ، وأن الأمة المصرية لا يمكن أن تترك الغير يتحدث عن ميولها بما يوافق رغبته ، ولا أن تغض الطرف عن كل ما يمس مصلحة بنيها ٠

« ان مصالح الانجليز فى مصر كغيرها من مصالح الدول الأجنبية قديمة ولم يمسها ضرر من عدم وجود ما يطلبه هؤلاء المحامون فما الذى حدث الآن حتى تتضرر تلك المصالح بعدم جعل اللغة الانجليزية وحدها هى لغة القوانين والمرافعات وبعدم وضع القوانين على المبادىء الانجليزية ٠ ومن عدم وجود قاض انجليزى بجانب كل قاض وطنى ٠ ألا توجد بمصر [١٠٤] مصالح أخرى تجب رعايتها غير المصالح الانجليزية ؟ أين مصالح الأمة المصرية بتمامها ؟ أين مصالح الأمم الأخرى النازلة فيها ؟ هل يريد هؤلاء الحقوقيون أن تداس كل هذه المصالح تحت أقدام المصالح الانجليزية ؟

فى أى شرع قرأوا أن مصلحة أمة بتمامها تبلغ زهاء ثلاثة عشر مليونا يضحى بها لمصلحة بضعة أشخاص أجانب عنهـا لهم فوق هـذه المصلحة مصالح فى بلادهم تكفيهم العيش وشر الحاجة لو قنعوا بها ؟ فى أى شرع قرأوا أن القاضى يجب أن يكون أجنبيـا عن المتقاضين لا يعرف لغتهم ولا أخلاقهم ، وأن المتقاضـين هم الذين يجب عليهم أن يتعلموا لغته ليترافعوا بهـا ليتمكن من القضـاء فيهـا بالقانون الذى يعرفه هو وهم يجهلونه · أليس من الغريب أن تصدر هذه المطالب من حملة القوانين فما الذى ننتظره من حملة السيف والخنجر ؟ ·

« أعجب من هذه المطالب زعم هؤلاء المحامين بأن الأمـة المصرية تقبلها ـ كيف يرضى المصريون أن ينقلب شرعهم رأسا على عقب ويستبدل به شرع لا يعرفون مبادئه ، ولا يدركون مناحيه بلغة لا يعرفونها ولن يعرفوها الا اذا بدلوا بغيرهم ؟ كيف يقبلون أن يترافع عنهم من لا يمكنهم أن يشرحوا بلغتهم وقائع قضيتهم ويرتاحون الى أن يقضى فيهم من يجهل عوائدهم واخلاقهم وميولهم وتاريخهم ؟ أليس هذا الزعم جرأة على الحق لا مثيل لها ؟

« ان من يقرن هذه الطلبات الخاصة بالقضاء بمذكرة السير برونيات المستشار المالى والتشريعى وهى التى رد عليها حضرة صاحب الدولة رشدى باشا رئيس الوزراء فى مذكرته المشهورة يرى الكل صادرا عن ميل واحد هو الرغبة فى جعل المصريين غرباء فى بلادهم ·

[١٠٥] قبول استقالة رشدى باشا

ولما لم يمكن تحقيق رغبات دولة رشدى باشا ولم يمكن كذلك زحزحته عن هذه الطلبات قبلت استقالته التى سبق أن قدمها وأصر عليها · وهذا نص كتاب قبول الاستقالة :

« عزيزى رشدى باشا » :

« ان استقالة دولتكم التى رفعتموها الينا كانت من أشد بواعث الأسف لدينا ، فمع الشكر لدولتكم ولحضرات زملائكم على ما قمتم به من الخدمات الصادقة ارجو الاستمرار فى ادارة الأعمال الى أن يتم تاليف الوزارة الجديدة ، والله المستعان · » (١)

أول مارس ١٩١٩ ·

---

(١) جاء قبول استقالة الوزارة بعد رفض الحكومة البريطانية لشروط رشدى بالسماح بالسفر لأعضاء الوفد المصرى بالاضافة له ولعدلى بعد أن قبلت سفر الأخيرين فقط ·
F.O. 407/184 No. 56.

[١٠٦]

كتاب الوفد المصرى الى
عظمـة السلطـــان

كان المصريون يتوقعون ألا تقبل استقالة وزارة رشدى باشا رغم الحاحه فى قبولها · ولكن هذه الاستقالة قبلت ، وكان قبولها دليلا على أن السلطة الانجليزية فى مصر لا تقيم وزنا لأى اعتبـــار لا يتفق مع مطامعها ، وأكبر ظننا أنه لو صرح للوفد المصرى وبعض الوزراء بالسفر الى أوربا لما نتج عن ذلك شىء يحرم انجلترا مما كانت تصبو اليـــه نفسها · لربما كان ذلك التصريح سببا فى تهدئة المصريين وبث روح الثقة فى نفوسهم ·

فلما قبلت هذه الاستقالة أرسل الوفد الى عظمة السلطان الكتاب الآتى فى ٤ مارس ١٩١٩ وهو :

[١٠٧] « يا صاحب العظمـــة :

« يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصرى أن يرفعوا الى مقام عظمتكم بالنيابة عن الأمة ما يلى :

« لما اتفق المحاربون على أن يجعلوا مبادىء الحرية والعدل أساسا للصلح وأعلن أن الشعوب التى غيرت الحرب مركزها تؤخذ رأيها فى حكم نفسها أخذنا على عاتقنا السعى فى استقلال بلادنا والدفـــاع عن قضيتها أمام مؤتمر السلام مادام أن حق الأقوى قد زال ·

« واعتمادا على هذه الظروف وعلى أن مصر غرمت كل ما قدرت عليه من المغارم فى صف القائمين بحماية الأمم الصغرى ، لا يكون لدى مؤتمر السلام ما يمنع من الاعتراف بحريتنا السياسية اتباعا للمبادىء التى أسس عليها ، عرضنا رغبتنا فى السفر على كبير وزرائكم صاحب الدولة حسين رشدى باشا فوعد بمساعدتنا على السفر وثوقا منه أننا انما نعبر عن رأى الأمة كافة · فلما لم يسمح لنا بالسفر وحبسنا داخل حـــدود بلادنا بقوة الاستبداد لا بقوة القانون ، وحيل بيننا وبين الدفاع عن قضية هذه الأمة الأسيفة ، ولما لم يستطع دولته أن يتحمل مسئولية البقاء فى منصبه فى حين أن الشعب يصـــادر فى مشيئته استقال هو وزميلـــه صاحب المعالى عدلى باشا يكن استقالة نهائية قوبلت من الشعب بتكريم [١٠٨] شخصيهما والاعتراف بوطنيتهما ، ولقد كان الناس يظنون أنه كان لهما فى وقفتهما الشريفة دفاعا عن الحرية عضد قوى من نفحات عظمتكم ·

لذلك لم يكن ليتوقع أحد فى مصر أن يكون آخر حل لمسألة سفر الوفد هو قبول استقالة الوزيرين لأن فى ذلك متابعة للطامعين فى اذلالنـــا وتمكينا للعقبة التى ألقيت فى سبيل الادلاء بحجة الأمة الى المؤتمر ، وايذانا بالرضا بحكم الأجنبى علينا الى الأبد ٠

« ولقد نعلم أن عظمتكم ربما كنتم مضطرين لاعتبـــارات عائلية أن تقبلوا عرش أبيكم العظيم الذى خلا بانتقال أخيكم المغفور له السلطان حسين الى رحمة الله ، ولكن الأمة من جهة أخرى كانت تعتقد أن قبولكم لهذا العرش فى زمن الحماية الوقتية الباطلة رعاية لتلك الظروف العائلية ليس من شأنه أن يصرفكم عن العمل لاستقلال بلادكم ٠

« غير أن حـــل المســألة بقبول استقالة الوزيرين اللذين أظهرا احترامهما لارادة الأمة لا يمكن أن يتفق مع ما جبلتم عليه من حب الخير لبلادكم والاعتداد بمشيئة شعبكم ٠

« لذلك عجب الناس من مستشاريكم كيف أنهم لم يلتفتوا الى أن الأمة ــ فى هذا الظرف العصيب ــ انما تطلب يا أرشد أبنـــاء محررها الكبير محمد على أن تكونوا العون الأول على نيل استقلالها مهما كلفكم ذلك ٠ فان همتكم أرفع من أن تحددها الظروف ٠

« كيف فات مستشاريكم أن عبارة استقالة رشدى باشا لا تسمح لرجل مصرى ذى كرامة وطنية أن يخلفه فى مركزه ؟ كيف فاتهم أن وزارة تؤلف على برنامج مضاد لمشيئة الشعب مقضى عليها بالفشل ؟

« عفوا يا مولانا ٠ قد تكون مداخلتنا فى هذا الأمر ٠ وفى غير هذا الظرف غير لائقة ، ولكن الأمر جل الآن عن أن يراعى فيها أى اعتبـــار غير منفعة الوطن الذى أنت خادمه الأمين ٠ [١٠٩]

« ان لمولانا أكبر مقام فى البلاد فعليه أكبر مسئولية عنها وفيه أكبر رجاء لها ٠ واننا لا نكذبه النصيحة اذا تضرعنا اليه أن يتعرف رأى أمته قبل أن يتخذ قرارا نهائيا فى أمر الأمة الحالية ، فاننا نؤكد لسدته العلية أنه لم يبق أحد من رعاياه من أقصى البلاد الى أقصاها الا وهو يطلب الاستقلال ٠ فالحيلولة بين الأمة وبين طلبها مسئولية لم يتحر مستشارو مولانا أمرها بالدقة الواجبة ٠

لذلـــــك

« دفعنا واجب خدمة بلادنا واخلاصنا لمولانا أن نرفع لسدته شعور أمته التى هى أشد ما تكون رجاء فى استقلالها وأخوف ما تكون من أن

(١) يرى البريطانيون أن هذا الالتماس كان مغلفا بروح التهديد للسلطان اذا ما اصر على تشكيل وزارة جديدة ٠ F.O. 407/184 No. 64.

تلعب بها أيدى حزب الاستعمار ، والتى تطلب اليه بحقها عليه أن يغضب لغضبتها ٠ ويقف فى صفها ٠ فتنال غرضها وانه على ذلك لقدير ٠

« واننا نتشرف بأن نرفع عبـــارات الاخلاص الى مقـــام عظمتكم الكريم ،،، توقيعات أعضاء الوفد (١)

٤ مارس ١٩١٩ ٠

***

احتجاج الوفد الى معتمدى الدول بمصر

كما أرسل فى اليوم نفسه الخطاب الآتى الى معتمدى الدول العظمى بمصر :

[١١٠] **القاهرة فى ٤ مارس ١٩١٩ ٠**

« **جناب المعتمد ٠٠٠**

« **قضى الأمر وبلغ العسف غايته :**

« لم ينفع مصر أن كانت شرفا لأقدم أشعة المدنية فى العـــالم ، ولا أنها زينت صحف التاريخ بآثار مجدها الخالد ٠ لم ينفعها أن نالت حريتها من قبل بسفك دم أبنائها ٠ ولا أنها مازالت دائبة يوما بعد يوم من عهد محمد على الكبير الى الآن على أن تستعيد المركز الذى لها حـــق الوجود فيه بين الأمم ٠ لم ينفعها تقديمها لقضية الحلفاء أثناء الاقتتال أفيد أنواع المعونة تأثيرا ٠ وقيامها بذلك فى نفس الساعة التى افتتحت بريطانيا العظمى فيها الحرب بأشد ضروب التصرفات السياسية ظلمـــا وهو اعلانها الحماية ٠ لم ينفعها مالها من وحدة العنصر ، ونبوغ الطبقة الراقية فيها ، وما عليه أهلها من الشغف ، بالنظام وتعشـــق الحرية ، والتسامح العظيم ، تلك الخصائص التى تجعلها جديرة بالاستقلال ٠

« اذن فكل شىء يجب أن يتوارى أمام مطامع الاستعماريين التى لا نهاية لها ٠

« ان المصريين دون جميع الأمم التى غيرت الحرب مركزها السياسى هم وحدهم الذين بطشت بهم يد القوة فحرمتهم حتى من حقهم فى أسماع

(١) بلغ عدد التوقيعات على هذا الكتاب ١٥ توقيعا لكل من : على شعراوى ، عبد اللطيف المكباتى ، محمد محمود ، حافظ عفيفى ، أحمد لطفى السيد ، سليمان ، حسين واصف ، عبد الخالق مدكور ، حمد الباسل ، محمود أبو النصر ، عبد العزيز فهمى ، سينوت حنا ، محمد على ، اسماعيل صدقى ، سعد زغلول ٠ وتشير الوثائق البريطانية الى انه قدم فى ٣ مارس لا ٤ مارس ٠ F.O. 407/184 Enc. in No. 74.

صوتهم لمؤتمر السلام . ظلم صارخ يزيد فى ايلامه للأنفس ما يصلنا كل يوم من الأنباء عن المطالب القومية التى يعرضها للمؤتمر نواب الحجاز وارمينيه وفلسطين وسوريا ولبنان تلك البلاد التى كانت للأمس ايالات تركية .

[١١٩] ها نحن أولاء محكوم علينا بالبكم نعلك فيه شكيمة الغيظ . وبالحزن المبرح نلبس ثيابه حدادا على حريتنا المسلوبة .

« ان الدولة التى تسومنا الخسف ، ما لبثت أن قررت نهائيا قطع الطريق علينا الى المؤتمر . ساخرة بوعودها . كأنها لم تكن ، تقصد بهذه الوعود سوى أن تفوت على الأمة فرصة نفيسة ، وأن تعيى همم بنيها .

« ان الوزارة التى أندفعت بوطنيتها الى انتهاج ما يوافق القضية المصرية اضطرت للاستقالة لأنها لم تستطع الصبر على مثل هذا الانتهاك اللاحق بأقداس، حقوقنا ونحن نعتقد أنه لا يوجد مصرى واحد جدير بأن يدعى مصريا يستطيع أن يؤلف وزارة يكون مفروضا عليها حتما أن تسير على برنامج يرمى الى خنق البلد والقضاء على البقية الباقية لها من الحقوق .

« أبلغنا جنابكم من قبل أمانى البلاد ومطالبها . فمن الفضلة تكرير بيانها الآن . وغير خاف على جنابكم أيضا جميع أساليب الدهاء المستعملة لابتلاع البلد بالمرة تحت ستار ما يسمونه اصلاحات سياسية وقضائية وادارية . والذى نقصده الآن انما هو أن نشهدكم على المعاملة الجائرة التى ترزأ بها مصر لكى تقولوا لحكومتكم أنه على الرغم من العهود التى التزمت بها انجلترا على رؤوس الأشهاد وعلى الرغم من المبادىء التى أقرها الحلفاء بالاجماع . لازال فى العالم أمة تتحكم فيها القوة الغاشمة لخدمة مصالح لا اتفاق لها مع دواعى المدنية وهى أقل اتفاقا مع دواعى العدل والانصاف » (١) .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
رئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

---

(١) تقول الوثائق البريطانية ان هذين الكتابين المرفوعين الى السلطان والى ممثلى الدول الأجنبية فى مصر هما اللذين دفعا السلطات الانجليزية فى القاهرة الى التفكير فى نفى زعماء الوفد .

F.O. 407/184 No. 64.

[١١٢]

استدعاء القائد العام للقوات البريطانية فى مصر لأعضاء الوفد وانذاره لهـم

ولقد وجدت السلطة الانكليزية فى كتاب الوفد الى عظمة السلطان وفى احتجاجاته المتوالية ما اعتبرته تعديا وتهديدا ولهـذا بيتت للوفد شرا ، مهدت له بالتهديد والانذار ٠

ففى يوم ٦ مارس ١٩١٩ استدعى القائد العام للقوات البريطانية فى مصر رئيس وأعضاء الوفد المصرى لمقره بفندق سافوى الساعة ٣ بعد الظهر وألقى عليهم البلاغ الآتى :

« علمت أنكم تضعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة ، وأنكم تقيمون العقبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة ٠ وحيث أن البلاد لا تزال تحت الأحكام العسكرية ٠ لذلك يلزمنى أن أنذركم أن أى عمل منكم يرمى الى عرقلة سير الادارة يجعلكم عرضة الى المعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » ٠

وبعد أن أتم جنابه القاء هذا البلاغ باللغة الانجليزية وترجم باللغة الفرنساوية ، أراد بعض أعضاء الوفد الكلام فرفض قائلا : « لا مناقشة ». وتركهم وانصرف ٠ ولما طلب أعضاء الوفد هذا الانذار ـ سلم اليهم نصه باللغة الانجليزية وعقب ذلك ارسل الوفد التلغراف الآتى نصه الى المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانجليزية وهو :

« **يا صاحب السعادة** « :

« تعلمون ضرورة أن وزارة رشدى باشا لمـا علقت سحب استقالتها على سفر الوفد قبلت استقالتها نهائيا ٠ وليس لذلك معنى الا الحيلولة بيننا وبين عرض قضيتنا على مؤتمر السـلام ٠ وقد نتج فعـلا من هذه السياسة أن أعظم رجال مصر أهلية لادارة البلاد فى هذه الآونة قد بدأوا يرفضون بتاتا تاليف وزارة تعارض مشيئة الأمة التى هى مجمعة على طلب الاستقلال ٠ فالنتيجة الطبيعية لذلك أن تقع مسئولية بقاء البلاد بلا حكومة على الذين وضعوا من هم أهل للوزارة فى مركز حرج أمام ضمائرهم وأمام مواطنيهم ٠ غير أن السلطة العسكرية عمدت الى تحميلنا مسئولية امتناع المرشحين للوزارة عن قبولها ٠ أعنى أرادت أن نكون نحن المسئولين عن أعمال الذين منعونا عن السفر فسببوا بالمنع الأزمة الحالية ٠ لأن السلطة العسكرية أنذرتنا اليوم بأننا نضع الحماية موضع البحث ونعرقل تاليف الوزارة الجديدة وتوعدتنا بأشد العقاب العسكرى ٠ على أنها تجهـل أننـا نطلب الاستقلال التام ونرى الحمـاية غير مشروعة ٠ كما تعـلم بالضرورة أننا قد أخذنا على عاتقنا واجبا وطنيا لا نتأخر عن أدائه بالطرق

[١١٣]

المشروعة مهما كلفنا ذلك وحسبنا أن نذكر لكم هذا التصرف الجائر الذى يجر سخط العالم المتمدين حتى تفكروا فى حل هذه الأزمة بسفر الوفد فيرتاح بال الشعب » .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

القبض على رئيس الوفد وثلاثة من أعضائه

ولقد حدث بعد ذلك ما كان متوقعا وما كانت المقدمات تدل على وقوعه ، ولقد نفذت السلطة العسكرية ما كانت عاقدة العزم على انفاذه من قبل بعد أن تأكدت أن الوفد جاد فى عمله .

فما كاد الوفد يرسل برقيته السالفة الذكر الى المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية والتى ناقش فيها الحماية وقانونيتها حتى بادرت السلطة العسكرية فى يوم ٨ مارس ١٩١٩ باعتقال سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى وحضرات محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا واسماعيل صدقى باشا وساقتهم الى ثكنة قصر النيل ومنها الى بورسعيد حيث أبحروا الى مالطة .

كتاب على شعراوى باشا الى عظمة السلطان

[١١٤]

وعقب هذا القبض ترأس شعراوى باشا الوفد الذى بادر فى نفس اليوم بارسال الكتاب الآتى الى عظمة السلطان وهو :

« يا صاحب العظمة :

« يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصرى برفع ما يلى لمقام عظمتكم السامى :

« قبلتم استقالة الوزيرين رشدى باشا وعدلى باشا فلما فهمنا أن هذا ربما كان الحل الوحيد لمسألة سفر الوفد المكلف بالدفاع عن قضية بلدكم الأسيف وأنه حل لا يسمح لرجل مصرى ذى كرامة ووطنية أن يقبل تأليف الوزارة ما دام الوزيران المستقيلان قد علقا سحب استقالتهما على أمر سفر الوفد ، وقد عرضنا لسدتكم العلية متضرعين أن تتعرفوا رأى الأمة قبل البت نهائيا فى هذا الأمر . وان تعيدوا النظر فى الخطة التى اختطها مستشاروكم وأن تبدو للأمة آية من آيات ما جبلتم عليه من

حبها . فتكونوا فى صفها مدافعين عنها لتنال غرضها ، تضرعنا بذلك الى مولانا ولبثنا متطلعين ، بكمال الثقة ، الى أن ابن اسماعيل الجالس على عرش محمد على الكبير سيرينا من نفحاته ما يحقق الأمل .

« غير أنه لم يمض يومان حتى استدعتنا السلطة العسكرية فى ٦ مارس وأبلغتنا أنها علمت أننا نضع مسألة وجود الحماية موضع البحث وأننا نلقى العراقيل فى سبيل الحكومة المصرية تحت الحماية بمحاولة منع تشكيل الوزارة . وأنذرتنا بالعقاب العسكرى الشديد ان أتينا عملا يرمى الى تعطيل سير الوزارة ، ثم منعتنا من مناقشتها فى هذا البلاغ .

[١١٥] « لم تصب السلطة فى رأيها فان هذه الحماية باطلة ولكل انسان الحق المطلق فى أن يضعها تحت البحث والمناقشة القانونية . وأما عدم نجاح الحكومة فى تشكيل الوزارة فانما هو النتيجة الطبيعية للخطة التى اتخذت فى مسألة سفر الوفد فان كل مصرى ذى كرامة لا يمكنه ، حقيقة، أن يقبل الوزارة فى هذا الظرف من غير أن يستهين بمشيئة بلاده .

« ولم يقف الأمر عند هذا الانذار . بل قبضت السلطة أمس على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا واسماعيل صدقى باشا وزجتهم فى قصر النيل ثم سيقوا اليوم الى بورسعيد فالى حيث لا نعلم . وذنبنا فى ذلك أننا نطلب حريتنا السياسية طبقا للمبادىء الشريفة التى اتخذت قاعدة للسياسة العالمية الجديدة . والتى قبلتها انجلترا نفسها . ولم نتعد حدود القانون فلم نهج فى البلاد ثائرا ولم نحرك ساكنا ، بل قبلنا توكيل الشعب ايانا أن نصدع بأمره ونسعى لتحقيق مشيئته عند الذين يقولون انه لم يبق فى العالم شعب سيد ومسود بل العالم فى الاخاء الانسانى سواء .

« على هذه الاعتبارات يصعب علينا يا مولاى أن نفهم مبررا لهذه الخطة القاسية التى جرت عليها السياسة الانجليزية تحت ستار الأحكام العسكرية ، تلك الاحكام التى لا ندرى ما يسوغ وجودها الى الآن بعد الهدنة بأربعة أشهر وبعد أن امتحنت مصر فى أشد ظروف الحرب حرجا فلم يكن منها الا الاطاعة للأوامر العسكرية من غير بحث واخلاد الى السكينة لم يوجد مثلها فى بريطانيا العظمى نفسها . [١١٦]

« اليكم يا صاحب العظمة وأنتم تتبوأون أكبر مقام فى مصر عليكم أكبر مسئولية فيها ، نرفع باسم الأمة أمر هذا التصرف القاسى فان شعبكم الآن يحق له أن يعتبر هذه الطريقة بادرة تخيفه على مستقبله . كما يحق

له أن يكرر الضراعة لسدتكم العلية أن تقفوا فى صفه مدافعين عن قضيته العادلة .

« واننا ـ مع كمال الاحترام نتشرف برفع آيات اخلاصنا الى مقام عظمتكم الكريم » .

توقيعات أعضاء
الوفـــد

٨ مارس ١٩١٩ .

من الوفد المصرى الى
المستر لويد جورج (*)

ثم أرسل الوفد المصرى فى اليوم نفسه التلغراف الآتى الى المستر لويد جورج :

[١١٧] « المستر لويد جـــورج :

« الحاقا لتلغرافنا المرسل لجنابكم فى ٦ مارس الحـــاضر الذى أبلغناكم فيه أن السلطة العسكرية تلقى على الوفد المصرى مســـئولية المصاعب التى تعانيها الحكومة فى تشكيل وزارة جديدة وتتوعدنا بالعقاب العسكرى الشديد نحيطكم علما بأن هذه السلطة قد قبضت اليوم على سعد باشا زغلول رئيس الوفد وعلى ثلاثة من أعضائه . فطريقة الارهاب برزت الى حيز الفعل ولكننا اجابة لدعوة ضمائرنا . واعتمادا منا على أننا لم يقع من جانبنا أى عمـــل مخالف للقوانين سنستمر على الدفاع بكل الطرق المشروعة عن قضيتنا العادلة .

وكيل الوفـد المصرى
وعضو الجمعية التشريعية
الامضاء (على شعراوى)

(*) رئيس الوزراء البريطانى .

من الوفد المصرى الى معتمدى الدول بمصر

كما أرسل فى نفس اليوم أيضا الخطاب الآتى الى معتمدى الدول بمصر :

[١١٨] « جناب المعتمـــد :

« نتشرف بأن نرفع الى جنابكم أن السلطات الانجليزية قد قبضت اليوم على حضرة صاحب المعالى سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصرى وأصحاب السعادة محمد محمود باشا ، واسماعيل صدقى باشا ، وحمد الباسل باشا من أعضائه · وانا نشهدكم يا جناب المعتمد على هـــذا العمل غير المفهوم الذى هو مظهر من مظاهر طريقة الارهاب الفعلى التى اتخذت لالقاء الرعب فى قلوبنا · غير أننا نشعر تمام الشعور بواجبنا الوطنى الذى نقوم بازائه نحو بلادنا وسنستمر غدا كما كنا أمس على أن ندافع عن قضيتنا بكافة الطرق المشروعة دون سواها وسيحكم العالم المتمدين يوما أى الفريقين كان فى أحرج المراكز ملازما حدود القانون وسيعلم أنحن أم مضطهدونا قد أخل بأبسط قواعد العدل ·

وتفضلوا يا جناب المعتمد بقبول فائق احترامنا ،،، (١) ·

عضو الجمعية التشريعية
ووكيل الوفـد المصرى
الامضاء (على شعراوى)

[١١٩] وكان هذا العمل الأخرق الذى أتته السلطة الانجليزية كالشرارة التى ألقيت فى مستودع البارود ·

لقد كانت المشاعر مضطربة والنفوس مهيأة للثورة لأن أعمال السلطة الإنجليزية فى أثناء الحرب وبعدها والمعاملة القاسية التى عومل بهـــا أعضاء الوفد وهم من صفوة رجال مصر وأعظمهم نفوذا والقبض على سعد باشا الذى طالما برهنت الأمة ـ فى كثير من المواقف ـ على حبها اياه أنه موضع آمالها وهو واخوانه موضع آماله وتقديرها له (٢) كل ذلك لم

---

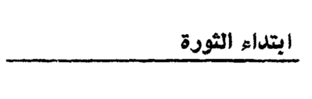
(١) يلاحظ السير شيتام ممثل المعتمد البريطانى فى القاهرة ان هذه الخطابات التى وجهت الى جهات مختلفة كانت معتدلة نوعا وان كانت فى صياغتها واستخدامها لنفس الحجج تؤكد ان كاتبها جهة واحدة هى رئاسة الحركة الوطنية فى القاهرة على حد تسميته ·
F.O. 407/184, No. 119.

(٢) مكتوبة هكذا والصحيح « وهو واخوانه موضع آمالها وتقديرها له ··· » ·

يبق فى قوس صبر الأمة منزع فهبت كلها بجميع طبقاتها وفى جميع أرجاء البلاد تعلن عن مشيئتها ٠

وأكبر ظننا أن الحكومة الانجليزية لو كانت قد عرفت نفسية الأمة المصرية لما سلكت هذ االمسلك ، ولما أقدمت على اغضابها بالوقوف فى وجه أمانيها الأولى ثم بالقبض على زعمائها ، بل لعملت من أول الأمر على اجابة مطالبها ، لكنها أساءت فهم نفسيتها فأساءت التصرف ، وكان ذلك لخير أراده الله بالأمة المصرية ٠

ابتداء الثورة



[١١٩أ] لم تكد تشرق شمس يوم ٩ مارس ١٩١٩ حتى كان نبأ القبض على أعضاء الوفد المصرى قد انتشر فى جميع أنحاء البلاد ، ابتدأت الثورة بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة ، فساروا بنظام وسكينة تتقدمهم أعلامهم ويهتفون بحياة مصر والوفد المصرى وبسقوط الحماية الانجليزية • فهاجمهم رجال البوليس وألقوا القبض على أكثر من ثلثمائة طالب منهم •

حتى اذا تنفس صبح اليوم التالى وهو يوم ١٠ مارس ١٩١٩ كان جميع طلبة المدارس والمعاهد قد أضربوا عن عملهم وألفوا من أنفسهم مظاهرة كبيرة ، وانضم لهم الأهالى ، فساروا فى روعة ومهابة مخترقين شوارع القاهرة وميادينها مارين بدور المعتمدين السياسيين (١) •

بيد أنه كان من المتعذر الا يحصل فى هذا اليوم ما يوجب الأسف فقد تعدى البعض على واجهات عدد من المحال التجارية وجلها ملك للأوربيين • فلما رأى الطلبة أن هذا العمل يشوه من جلال مظاهرتهم بادروا فى اليوم التالى باذاعة منشور فى الجرائد العربية والأجنبية يأسفون فيه لما وقع ، ويعدون بمنع وقوع مثل هذا التخريب •

وفى نفس اليوم أيضا أضرب عمال الترام وقدم موظفو وزارة الحقانية احتجاجا على اعتقال الزعماء الى عظمة السلطان حتى اذا كان يوم ١١ مارس تعطلت المواصلات فى كل أنحاء القاهرة باضراب سائقى السيارات وعربات النقل والركوب • وأقفل معظم التجار متاجرهم • [١٢٠]

ولما رأت السلطة الانجليزية كثرة المظاهرات وتشعبها ووجدت أن الشعور الوطنى يتزايد يوما بعد يوم أصدرت أوامرها بقمع تلك المظاهرات بقوة جنودها فاندفع الجنود البريطانيون ومعهم معداتهم من بنادق وحراب وسيارات مدرعة وأخرى مجهزة بالرشاشات ، فكانت المصادمة الأولى بينهم وبين الطلبة على الكوبرى الممتد فوق السكة الحديدية الموصل الى شارع شبرا •

ولكن الطلبة لم ترهبهم جنود الانجليز ولم يزعجهم ما تزودوا به من سلاح فازدادوا ثباتا فى مظاهراتهم • وما كان أروع من رؤية أن

(١) خرج طلبة مدرسة الحقوق من مدرستهم فى الجيزة ومروا بزملائهم طلبة مدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة فتبعوهم واجتازوا جزيرة الروضة حتى وصلوا الى القصر العينى ثم خرجوا الى ميدان لاظوغلى • (الاخبار فى ١٩١٩/٣/١٢) •

الطلبة كانوا يقابلون رصاص البنادق بصدورهم ؟ اذا سقط رافع العلم في مقدمة موكب من المواكب مضرجا بدمائه تقدم غيره ورفع العلم بدله مناديا بحياة الوطن فيردد اخوانه النداء في حماسة وقوة ٠

وفي يوم ١١ مارس أيضا أضرب المحامون عن مزاولة أعمالهم وأرسلت النقابة واحدا في كل محكمة ليطلب تأجيل القضايا ٠

وقد اذاع القائد العام في هذا اليوم البلاغ الآتي :

« جناب قائد عموم القوات في القطر المصري بلغت الجمهور الى انه لما كانت البلاد لا تزال تحت الأحكام العرفية فلا يجوز القيام بأى احتجاج عمومي أو أية مظاهرة ٠ وكل شخص يخالف هذا الأمر يحاكم بصفة مستعجلة » (١) ٠

[١٢٠-١] وهنا يجدر بنا أن ننوه بالدور الذي اضطلع به الأزهر في الثورة ٠ لقد كان طلبة الأزهر على الدوام في مقدمة الصفوف في المظاهرات وكانوا من أكثر الطلبة جرأة وحماسة ، وكانوا من أكبر العاملين على بث الروح الوطنية وحركة الاضراب في طبقات الشعب المختلفة ٠ وقد كانوا كذلك من أكثر الطبقات تضحية في سبيل القضية المصرية ٠

ومن أروع المظاهرات التي شاهدناها (٢) الجنود الانجليزية [١٢٠-٢] عسكرت أمام أبواب الأزهر لتمنع خروج الطلبة وتوقع الرعب في قلوبهم والفشل في صفوفهم ، وكان الجند مدججين بالسلاح ومعهم المدافع الرشاشة ، ولكن هذا لم يضعف من عزيمة الطلبة وقد دفعت الحماسة أحدهم فهجم على أحد المدافع فاختطفه من أيدى الجند وسار به نحو زملائه عند أبواب المسجد ٠ ولكن الجند ادركوه واستردوه منه ٠ تلك جرأة منقطعة النظير ٠

[١٢٠-٣] ولم يكن عمل الأزهر مقصورا على الدور الذي اضطلع به طلابه ، بل أنه احتفظ بتقاليده القديمة ، ومثل الدور الذي طالما مثله في جميع الثورات المصرية التي حدثت منذ انشائه (٣) ، فكانت الخطب النارية والقصائد الحماسية تلقى من فوق منبره يستمع اليها طلابه وطلاب

(١) نص البلاغ : الاخبار والمقطم في ١٩١٩/٣/١٢ ٠

(٢) يسفر عبد الرحمن فهمي ــ لأول مرة ــ عن نفسه في هذه العبارة ٠

(٣) دور الأزهر معروف في مقاومة الظلم في العهد العثماني ، كذا في مقاومة الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ــ ١٨٠١) ثم مظالم الحكام في الفترة التي أعقبتها ٠

(انظر : عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٠ ج ٢ ، ٣) ٠

المدارس كافة ورجال ونساء من كافة الطبقات ، كانوا يهرعون اليه فى جميع الأوقات وفيه كانت تدبر كثير من المظاهرات وتوضع الخطط ، [١٢٠-٤] وفى الأزهر كان يجتمع رجال الدين المسلمون منهم والمسيحيون يلقون الخطب ويعملون لتوحيد الصفوف وتوثيق الروابط بين المسيحيين والمسلمين ، فكنت ترى فيه العلم وقد تعانق عليه الهلال والصليب . كما كنت ترى عمامة القسيس السوداء الى جانب عمامة الشيخ البيضاء رمزا للاتحاد فى سبيل الوطن .

وكان علماء الأزهر وطلاب المدارس وممثلون لطبقات الشعب [١٢٠-٥] المختلفة يؤمون الكنائس فى كثير من الأيام لتوكيد الاتحاد بين العنصرين اللذين تتألف منهما أغلبية الأمة المصرية .

وقد فطنت السلطة الانجليزية الى هذه القوة الخطيرة الكامنة فى الأزهر التى يبثها فى عموم طبقات الشعب فحاولت بكل ما لديها من الوسائل أن تمنع الشعب من الاجتماع فيه ، فوقف الجنود بأسلحتهم فى مسالك الطرق يسدونها فى وجه الذاهبين اليه ، ولكنهم لم يفلحوا فى ذلك بل اتخذ الناس مسالك غيرها لا يعرفها الجنود ومنها سطوح [١٢٠-٦] المنازل ينتقلون عليها من سطح الى سطح وقد هدم جدار فى أحد المنازل لكى يصل الناس منه الى الجامع الأزهر . ولم تستطع سيارات السلطة العسكرية أن تتوغل فى كثير من هذه الطرق لضيقها والتوائها .

وكانت الحركة قوية فى الأحياء الوطنية كحى الأزهر وسيدنا الحسين والسيدة زينب والحسينية ونحوها ففيها أقيمت الحواجز من [١٢٠-٧] الحجارة لتعطيل حركة السيارات المسلحة وحفرت حفر عميقة فى عرض الطريق أشبه بالخنادق فى ميادين القتال . واتخذت أنقاضها ستارا يحتمى به أفراد الشعب من رصاص الانجليز ويدافعون من ورائه عن أنفسهم بالطوب والحجارة . وأقفلت بعض أبواب القاهرة القديمة كباب زويلة .

[١٢٠-٨] وكانت روح التضحية والتضامن قوية جدا وليس أدل على هذا من أن رجال الشرطة قبضوا فى احدى المظاهرات بحى السيدة زينب على عدد من الطلبة وساقوهم الى السجن فى هذا القسم وبدلا من أن يفر باقى الطلبة خشية أن يقبض عليهم رجال الشرطة تقدمت جموعهم طالبة أن يقبض عليهم كلهم لأنهم قد اشتركوا مع زملائهم فى الجريمة أن كانت هناك جريمة لأنهم لا يحبون أن يختص بعضهم بشرف التضحية والألم فى سبيل الوطن دون البعض الآخر .

— يلاحظ أن ترقيم الصفحات من (١٢٠ — ١) الى (١٢٠ — ٨) هو نفس الترقيم الوارد فى المذكرات .

[١٢١] **امتداد لهيب الثورة الى المدن والأرياف**

كان مما أذكى نيران الثورة ـ تلك الدماء الذكية التى أراقها الجنود الانجليزية • وقد اتصلت أنباء الثورة بسرعة عجيبة الى كل بلاد القطر، فقامت مظاهرة فى الاسكندرية لم يتعرض لها الجند فانتهت بسلام • وقامت مظاهرة أخرى فى طنطا فصدرت الأوامر بقمعها بالقوة المسلحة، فراح ضحيتها شهداء كثيرون (١) •

ثم قطعت خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والمسرات فى كل أنحاء القطر فى ١٣ مارس وما بعده •

وحتى يوم ١٤ مارس بينما النـــاس خارجون من صـــلاة الجمعة بمسجد سيدنا الحسين واذا ســـيارتين مدرعتين انجليزيتين تطلقان رشاشاتهما عليهم من غير سابق انذار أو تحذير •

وفى نفس هذا اليوم أطلق الجنود البريطانيون الرصاص على الناس فى حى الســيدة زينب فقتــل منهم ثلاثة عشر ١٣ قتيــلا وجرح سبعة وعشرون •

وقد صدر فى هذا اليوم أيضا بلاغ من القائد العام بعد أن علم بقطع المواصلات بين طنطا وتلا هذا نصه :

« جناب القائد العام للقوات فى القطر المصرى ينذر الجمهور أن كل من يتلف مواصلات سكك الحديد أو التلغرف أو التليفون أو يلحق أى عطل بها أو يعبث بها بأى وجه من الوجوه أو يحاول عمل أى شىء من هذه الأعمال يعرض نفسه للاعدام رميا بالرصاص بمقتضى الأحكام العرفية » •

[١٢٢] ولكن الناس لم تعد تؤثر فيهم مثل هذه التهديدات بعد أن رأوا من اعتداءات الجنود الانجليزية ما يفتت الأكباد ويدمى القلوب فراحوا يواصلون التدمير والتخريب فدمروا محطة سكة حديد قليوب ، واضطر القطار الذى سافر من القاهرة يوم ١٤ مارس الى الصعيد الى الرجوع الى القاهرة ثانية لقطع الخط فى طريقه وقد كسرت عرباته ونوافذه •

---

(١) تقول التقارير البريطانية ان طنطا كانت أول مدينة اقليمية تبدأ فيها الاضطرابات (١٢ مارس) وان القوات البريطانية قد وصلت صباح ذلك اليوم اليها حيث اضطرت الى اطلاق النيران على المتظاهرين مما سبب خسائر فى الأرواح •
F.O. 407/184 No. 78.

وفى ١٤ مارس كذلك احتج الوفد المصرى على استعمال الرصاص ضد المتظاهرين وقدم الاحتجاج الى معتمدى الدول بمصر ، كما احتج كذلك بعض الأطباء .

وخشيت السلطة العسكرية أن تمتد حركة الاضراب الى موظفى الحكومة فتزداد بذلك الثورة حدة وتتعطل الأعمال الرسمية ، فأصدرت فى نفس اليوم البلاغ الآتى الى الموظفين : (١)

« جناب القائد العام للقوات فى القطر المصرى ينبه جميع مستخدمى الحكومة باجتناب الحركات السياسية وبالاستمرار فى أعمالهم حيث يكونون تحت حماية السلطة العسكرية ويعلن الجميع أن كل من يحاول أن يتعرض لهم أو يؤخرهم فى أداء الأعمال المفروضة عليهم يعرض نفسه للعقاب الشديد بمقتضى الأحكام العرفية » .

وفى ١٥ مارس اعتصب عمال عنابر السكة الحديد ، وكان مما أدى الى هذا الاعتصاب أن الحكومة ألحقت بعض الجنود الانجليز بهذه العنابر للتمرن على مختلف الصناعات ، فظن العمال أن الحكومة ترمى من وراء عملها هذا الى احلال هؤلاء الجنود محلهم . وقد حاولت الحكومة بعدئذ تهدئة خواطرهم وابعاد هذه الظنان عن أفكارهم ولكن العمال ظلوا معتصبين .

ولما كان المحامون مازالوا مضربين عن مباشرة أعمالهم فشلوا بذلك حركة التقاضى ـ دعا عملهم هذا الى اجتماع رئيس محكمة الاستئناف (وكان وقتئذ يحيى باشا ابراهيم) والمستر شيلدون ايموس [١٢٣] نائب مستشار الحقانية فى ١٥ مارس للنظر فى اضراب المحامين فكتبا الى نقابة المحامين يرجوانها العدول عن الاضراب ، ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبعثا الى كل محام على حدة يسألانه هل هو لا يزال ضمن المحامين المشتغلين أو لا فيوقع معظم المحامين على طلب يقولون فيه أنهم يطلبون نقل أسمائهم من جدول المحامين المشتغلين الى جدول المحامين غير المشتغلين ،فلما لم يمكن تحويل المحامين عن عزمهم أعلن القائد العام المنشور الآتى فى ١٧ مارس سنة ١٩١٩ وهو :

---

(١) لم يكن سبب البلاغ الموجه الى الموظفين مجرد الخشية من امتداد حركة الاضراب اليهم بل كان السبب ان حركة الاضراب كانت قد امتدت فعلا الى عدد من موظفى وزارتى الأشغال والمعارف كما تكشف ذلك الوثائق البريطانية منذ يوم ١٢ مارس .
F.O. 407/184 No. 75.

[١٢٤] « قد أمرت أنا الموقع على هذا ادورد ســـتانسلاوس بولفين بمقتضى السلطة المخولة لى بصفتى القائد العام لجيوش جلالة الملك فى القطر المصرى بما هو آت : ـ

تسرى أحكام هذا الاعلان الى أن يصدر أمر آخر مخالفا له ٠

أولا : يوقف سريان كل نص من نصوص القانون يقضى بحضــور محام أمام المحاكم الأهلية عن الخصوم فى أى دعوى كانت جنائية أو غير جنائية ٠ وللمحكمة الحق فى أن تنظر وتفصل فى كل الدعاوى الداخلة ضمن اختصاصها والتى ينطبق عليها نص من النصوص المذكورة ولو أدى ذلك الى عدم حضور محام عن أى خصم من الخصوم ٠ وعلى المحكمة فى هذه الأحوال أن تعمل ما فى وسعها لمساعدة الخصوم المساعدة التى تقتضيها ظروف الدعوى حتى لا يلحق سير الدعوى أى ضرر ما من جراء غياب المحامى ٠ وعليها أن تنظر من تلقاء نفسها فى كل الدفوع الفرعية التى يخولها القــانون للخصــوم ٠ وللمحكمة اذا رأت ضرورة أن تعين من قبلها عضوا من أعضاء النيابة أو أى شخص تتوفر فيه المعلومات القانونية للقيام بواجب الدفاع عن الخصوم ٠

ـ ٨ ـ

[١٢٥] **ثانيا** : تسرى أحكام الفقرة الأولى بما تضمنته من الحقوق المخــولة للمحاكم الأهلية ، أو الواجبات على كل دعوى جنائية أو غير جنائية ، تنازل فيها المحامى عن توكيله بعد أن قبله ، وترى المحكمة أنه لا يتسنى للخصم تعيين محام آخر عنه فيها ٠ ولا عبرة اذا نص القانون بوجوب حضور محام أو لم ينص ٠

ثالثا : يجوز لكل خصم فى الدعاوى الجنائية أو غير الجنائية المرفوعة أمام المحاكم الأهليــة أن يوكل عنــه من يشــاء للقيــام بأعباء اجراءات الدعــوى ٠

رابعا : كل لجنة ملحقة بالمحاكم الأهلية نص القانون على عضــوية محام أو أكثر من المحامين الأهليين فيها تعتبر مشكلة تشكيلا قانونيا اذا حل القضاة محل المحامين فى عضويتها » ٠

أ٠ س٠ بولفين

امضاء (ليوتنانت جنرال) القائد العام

لجيوش جلالة الملك فى مصر

أمضى هذا الاعلان منى فى ١٧ مارس سنة ١٩١٩ عن جناب القائد العام لجيوش جلالة الملك فى القطر المصرى بمقتضى اذن رسمى صادر الى بتاريخ ١٢ يناير ١٩١٨ .

هـ . د . وطسن ماجور جنرال

قائد الجيش فى مصر

[١٢٦] تأليف المحاكم العسكرية

وقد تألفت منذ هذا اليوم المحاكم العسكرية ، وبدأت بمحاكمة المقبوض عليهم فى قضايا المظاهرات .

مظـاهرة السـيدات

لم تشأ المرأة المصرية أن تحجم عن المساهمة فى تلك الثورة التى اشتد لهيبها فأرادت أن تحظى بشرف هذا العمل المجيد ، حتى تبرهن على أنها ليست أقل قوة وعزيمة عن أختها الغربية . وحتى تذكى نار الحماسة الوطنية فى قلوب الرجال . ففى ١٦ مارس انطلق كثير من عقائل العائلات الراقية بين أنحاء القاهرة هاتفات بحياة الحرية والاستقلال مناديات بسقوط الحماية ، وقد مررن بموكبهن بدور القنصليات ومعتمدى الدول الأجنبية والناس من حولهم يصفقون لهن ويهتفون والنساء من نوافذ بيوتهن يزغردن ويهتفن فكان ذلك منظر جميل رهيب يأخذ بمجامع القلوب .

ولكن لم يكن للسلطة أن تترك مثل هذا الموكب الرائع دون أن تشوه من جلاله ، فضرب الجنود الانجليز نطاقا حولهن وسددوا اليهن فوهات بنادقهم وحرابهم ، على أن السيدات لم يرهبن هذا التهديد ولم يفت فى عضدهن مشهد أولئك الجند المسلحين ، بل تقدمت واحدة منهن الى جندى كان قد وجه اليها بندقيته وقالت له بالانجليزية أطلق بندقيتك فى صدرى لتجعلوا فى مصر مس كافل (١) ثانية فخجل الجندى وتنحى للسيدات عن الطريق بعد أن لبثن فى وهج الشمس أكثر من ساعتين .

وقد حيا شاعر مصر العظيمة حافظ بك ابراهيم هذه المظاهرة بقصيدة لاذعة استهلها بقوله :

---

(١) مس كافل هى الممرضة الانجليزية المشهورة التى أسرها الألمان فى الحرب العالمية الأولى واتهموها بالجاسوسية واعدموها رميا بالرصاص وكان لمقتلها ضجة كبرى فى العالم .

خرج الغـــوانى يحتججن ورحت أرقب جمعهنـــــه

ومنهـــا :

واذا بجيش مقبــــــل والخيـــــل مطلقـة الأعنـة

ومنهـــا :

فتطـاحن الجيشـــان ســـا عات تشيب لهـــا الأجنـــة

ومنهـــا :

فليهنـــأ الجيش الفخـــو ر بنصره وبكسرهنـــــــه
فكأنمـــا الألمـــان قـــد لبســـوا البراقع بينهنـــه
وأتو (بهندبرج) (*) مختـ ـفيا بمصـــر يقـودهنه
فلذاك خافـوا بأســـــهن وأشفقوا من كيـــدهنه (١)

٠١

[١٢٦] ـ وقد كان بعض معتمدى الدول الأجنبية فى ذلك الوقت يظهرون شيئا من العطف على الأمانى القومية ويقابلون المتظاهرين بروح طيبة ويتلقون منهم احتجاجاتهم ونداءاتهم المختلفة ويعدونهم بابلاغها الى حكومات بلادهم ، ونخص بالذكر من هؤلاء معتمد دولة الولايات المتحدة الأمريكية ومعتمد ايطاليا ، وكان المتظاهرون أحيانا يلجأون الى هؤلاء المعتمدين اذا ما ضيق الخناق عليهم الجنود الانجليز ٠

وقد اعتصب أيضا عمال شركة النور فباتت القاهرة فى ظلام دامس ، وكانت المظاهرات تقام ليلا تتقدمها المشاعل ٠

[١٢٧] وازدادت الحركة جرأة وزاد الناس اقداما ، فأخذوا يهاجمون مراكز البوليس ٠ ففى ١٦ مارس هجم الأهالى على مركز منيـــا القمح وخلصوا المسجونين ، ثم هاجموا محطة السكة الحديد فانقض الجنود الانجليز عليهم وقتلوا ثلاثين منهم (٢) ٠

ولما وصلت الثورة الى تلك الحال ، استدعى القائد العام رجال الوفد المصرى وحادثهم فى الأمر ملقيا تبعة هذه الحوادث كلها عليهم ٠ فرد عليه

(١) قالها حافظ ابراهيم فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ونشرت اذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرهـــا فى الصحف الى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ ٠

(ديوان حافظ ابراهيم ، جـ ٢ ، ط ٢ ، القاهرة ٠ دار الكتب المصرية عام ١٩٣٩

★ هندنبرج : هو القائد الألمانى المعروف فى الحرب العظمى ٠

(٢) يقول التقرير البريطانى عن حوادث منيا القمح الواقعة بين بنها والزقازيق ان طائرة قد عاونت الجنود الانجليز فى ضرب المتظاهرين وانه بالاضافة الى الثلاثين قتيلا أصيب ١٩ آخرون اصابات بالغة ٠ F.O. 407/184 No. 151.

الوفد بأن سبب هذه الاضطرابات انما هو اعتقال زعماء الأمة وتدخل الجنود الانجليزية فى فض مظاهرات الشعب بالحراب والرصاص ٠

ولما وجدت السلطة أن الشدة التى اتبعتها مع الشعب لم تؤت ثمرتها المرجوة ، أصـدر القائد العام بلاغا يعلن الجمهور « بأن الدوريات المكلفة بالمحافظة على النظام ، سواء أكانت واقفة فى مكان معين أم مارة فى سيارات لا تتعرض للجمهور مادام سائرا الى تأدية أعماله فى هدوء وسكينة ، ولكنه فى حالة التعدى عليها بالقاء الحجارة ، وما سوى ذلك أو فى حالة مفاجأة الغوغاء وهم المباشرون تخريب المحال التجارية أو نهبها أو أى مكان آخر فان الجنود مأمورون باطلاق النيران » ٠

أخذت الحوادث فى هذا الوقت تتتابع وتتزايد وتشتد ، فلم يكن من السهل أن يقف الانســان على كل ما يحدث فى جميع أنحاء القطر بالدقة الكافية ، فقد اتلفت مواصلات السكك الحديدية ، وقطعت أسلاك البرق كما أسلفنا وحسب القارىء لكى يلم بما يقرب من حقيقة الواقع أن نذكر له ما اتصل بنا نبأه من الحوادث وأن نأتى له بنصوص البلاغات الرسمية التى صـــدرت من قائد الجيوش البريطانية لمصر ، وأن نطلعه على بعض التقارير التى أرســلت لنا من الأهالى ، ونترك له معرفة الحقيقة من خلال أسطر الأنباء والبلاغات والتقارير ٠ ويلاحظ القارىء أن البلاغات الرسمية تســمى المتظاهرين رعاعـا ، ولكن الحقيقة أن المتظاهرين لم يكونوا من الرعاع ، بل من جميع طبقات الشعب ٠

[١٢٨] غير أننا يجدر بنا أن نصف للقارىء المظاهرة الكبرى التى قامت فى القـاهرة فى يوم ١٧ ٠ فقد استصدر منظمو المظـاهرة اذنا من السلطة العسكرية باقامتها ، وقد انتظمت هذه المظاهرة آلافا مؤلفة من جميع طبقات الأمة ، صغيرها وكبيرها ، ســار فيها علماء الأزهر والقضاة والمعلمون والمحامون والتجار وأرباب الأعمال وطلبة الأزهر والمدارس وطبقات الصناع وعلى الجملة فقد مثلت فيها طبقات الأمة كلها ، وكانت مظاهرة رائعة برهنت على قوة الروح الوطنية وتغلغلها فى جميع النفوس ٠

[١١٢٨] ولم يحدث فى هذه المظاهرة ما يخل بالنظام ، ولم يعتد المتظاهرون على أحد ، بل ساروا فى هدوء وروعة ٠ وكانت جموع الشعب وأفراد الجاليات الأجنبية يهتفون لهم ويحيونهم فى كل مكان ٠

وقد كان لهذه المظاهرة أثر كبير فى نفوس الأجانب ، فقد أيقنوا أن ليس من أغراض الحركة الوطنية الاعتداء على أرواح الأجانب وأموالهم وان وقع الاعتداء على بعض متاجرهم ٠ غير أنه قد حدثت فى أثناء هذه المظاهرة الرائعة المنظمة أن أطلق الرصاص على المتظاهرين من نوافذ بعض البيوت ، فسقط بعضهم قتيلى دون سبب يدعو الى ذلك الاعتداء ٠ فأدى

هذا الى نتيجته الطبيعية وهى رد الاعتداء بمثله ، فهجم بعض المتظاهرين على بعض متاجر الأجانب انتقاما لما وقع منهم ، ولكن هذه الحركة قد قضى عليها بحكمة الزعماء ، ولم تمتد لأكثر من هذا (١) .

وفى ١٧ مارس حدث فى دمنهور أن قام الأهالى بمظـــاهرة كبرى فتعرض لهم مدير البحيرة (٢) وأهانهم بكلمات أثارت عواطفهم ، فانقضوا عليه ضربا بنعالهم حتى كادوا يجهزون على حياته ، ثم لم يكفهم ذلك بل زادوا عليه احراق داره ، لولا أن أظهر لهم رجال البوليس العطف ولين الجانب .

كما قامت فى نفس اليوم مظاهرة فى الاســكندرية ذهب ضحيتها ٤ قتلى و ٢٠ جريحا من المتظاهرين (٣) .

وفى ١٨ مارس قامت مظاهرة فى المنصورة أطلق عليها الرصاص . كما أطلق الرصاص كذلك على المتظاهرين فى الفيوم ، وقام البدو أيضا بهجوم على مركز كوم حمادة فأرسلت قوة بريطانية لتأديبهم .

وقد صدر بلاغ فى هذا اليــوم من القائد العــام ذكر فيه حوادث الاسبوع الماضى واليك نصه :

[١٣٩] « حدث فى خلال الاسبوع الماضى عدة حوادث اعتداء على الممتلكات العمومية والخصوصـــية فى أجزاء مختلفة من مصر وأهم تلك الحوادث ما يلى :

« نظم الطلبة فى القاهرة مظاهرة يوم ١١ الجارى ، فانتهز الرعاع فى الحال هذه الفرصـــة للتدمير والنهب ، فتدخل الجنود ومنعوا هذا العمل . وحدثت مشاغبات صغيرة مختلفة فى هذا اليوم والأيام التالية قمعت بأقل مايمكن من استخدام القوة فلم تحدث غير ست وفيات واحدى وثلاثين اصابة منها ٢٢ بنيران البنادق .

« وهجم بضعة آلاف من الرعاع على محطة طنطا يوم ١٢ الجارى ، وكانت تحميها قوة عسكرية فاضطر الجنود ورجال البوليس الى اطلاق النار فقتلوا ٢٢ شخصا وجرحوا نحو خمسين .

« ووقع مثل هذا الاعتداء فى أجزاء أخرى من البلاد أفضت الى سلب

---

(١) تقول التقارير البريطانية عن هذه المظاهرة انه قد انتظم فيها عشرة آلاف شخص وانها سارت أمام الوكالات الفرنسية والايطالية والامريكية وحيتها وانه قد قاد المظاهرة طلاب الأزهر الذين تبعهم الطلاب الآخرون وأن يونانيا أطلق النيران عليها فقتل طالبا مما ادى الى اعتقال اليونانى . F.O. 407/184 No. 151

(٢) ابراهيم حليم باشا .

(٣) تقدر الوثائق البريطانية عدد القتلى باربعة عشر قتيلا وليس أربعة .

محطات السكك الحديدية والقطارات واحراقها ونهب المخازن وتدمير كثير من ممتلكات الأفراد .

« وتتخذ الاحتياطات العسكرية فى جميع انحاء البلاد لحماية المحطات والمواصلات .

« وفرقت الطيارات بنيرانها الرعاع فى نقط عديدة وكانوا يشتغلون بتكسير خطوط السكة الحديدية .

« وفى ١٤ الجارى هجم الرعاع فى قليوب - وكان عددهم يتراوح بين الألفين والثلاثة آلالاف من القرويين - على قطارين من قطارات الركاب كانا مسافرين الى القاهرة ، وكان أحد الجنود البريطانيين فى المحطة وذبح . وكان بين ركاب القطارين قليل من الضباط البريطانيين تمكنوا بمسدساتهم من ابعاد الرعاع منهم وتسيير القطارين الى القاهرة وبعد ذلك نهب الرعاع المحطة وحطموها .

[١٣٠] « على أن الرعاع أطلقوا فى ١٤ الجارى النيران على شرذمة من الجنود فى حى السيدة زينب فأجابهم الجنود باطلاق النيران فقتل ثلاثة عشر شخصا وجرح سبعة وعشرون .

« وهجم الرعاع فى ١٥ الجارى على محطتى الرقة والوسطى (١) وعلى ما كان فيهما من القطارات وهجموا فى الرقة على اكسبريس الصباح القائم من القاهرة ونهبوا مافيه وسرقوا جميع أمتعة الركاب ، وقد عاد هذا القطار فيما بعد الى القاهرة . ونهب فى الواسطى بضعة قطارات بعضها قطارات بضائع وأخذ كل ما فيها وذبح أحد مستخدمى السكة الحديدية هناك . وقد نهبت كلتا المحطتين وأحرقتا ، وكان المغيرون ممن جاءوا من القرى المجاورة .

« وفى ١٦ الجارى أغار الرعاع فى منيا القمح - وقد جاءوا من القرى المجاورة - على المركز وأطلقوا سراح المعتقلين وأخذوا بعدئذ يهجمون على المحطة ، وكانت تخفرها شرذمة من الجنود ، فاضطر هؤلاء (الجنود) الى اطلاق النيران فقتلوا ثلاثين وجرحوا ١٩ وهرب عدد ممن أصيبوا باصابات بسيطة .

[١٣١] « وفى ١٧ الجارى حدثت مظاهرة منظمة فى القاهرة باذن من السلطة العسكرية ، فسار موكب مؤلف من بضعة آلاف من الناس فى شوارع المدينة ولم يقع حادث سيىء بفضل الاحتياطات التى اتخذها كل من ولاة الأمور ومن منظمى المظاهرة .

« وقد سلك رجال بوليس القاهرة مسلكا باهرا وكان لهم تأثير

(١) على خط الوجه القبلى .

كبير فى تقليل حوادث النزاع فى المدينة وكانت مهمتهم فى حفظ النظام أثناء مظاهرة أمس دقيقة بصفة خاصة ، وقد قاموا بها بنجاح عظيم ومثل هذا القول ينطبق على رجال البوليس فى الأرياف ، فقد سلكت مراكز صغيرة منفردة فى كثير من الحوادث ببسالة عظيمة فى الدفاع عن الممتلكات التى عهدت اليهم حراستها ٠ ففى تلا حدث أن رجال البوليس فرقوا جماعة من الرعاع كانوا قد قطعوا الخط الحديدى وقبضوا على ستة من المشاغبين ٠ وفى الحوامدية حدث فى خلال الهجوم على محطة السكة الحديد أن خمسة من رجال البوليس المسلحين أبدوا مقاومة باهرة وأحاط الرعاع بمصنع من مصانع السكر فى المكان نفسه يوم ١٦ الجارى ولكن الخفراء تمكنوا من تفريق المشاغبين بنيرانهم من الداخل ٠

« والقائد العام للقوات البريطانية لايود منع الوفود المؤلفة تأليفا منظما من الوصول الى ولاة الأمور على شرط أن يأتوا اليهم من الطرق المناسبة الصحيحة ، وأن يؤلفوا من عدد قليل فقط من الأشخاص وأن يحصلوا على اذن منه (القائد العام) قبل ذلك ٠

« وعقد القائد العام النية على اعادة النظام وعلى اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لوضع حد للأحوال الحاضرة ٠ واتباعا لهذه الخطة أصدر أوامر مشددة بألا يسمح فى ابان القلق الحالى باجتماعات عمومية أو مظاهرات أو مواكب ، لأن مثل هذه المظاهرات مهما كانت نية القائمين بها سلمية ينتهزها الأشقياء كفرصة للاعتداء على الأرواح والممتلكات ٠ [١٣٣]

« فللقائد العام ـ والحالة هذه ـ الثقة بأن جميع الذين يطيعون القانون يساعدونه فى اعادة النظام بتنحيهم عن الاشتراك فى المظاهرات العامة أو مشاهدتها (١) ٠

ومن المظاهر الجديدة فى هذه الحركة أن الشعب قد ألف من أفراده جماعات لحفظ النظام فى أثناء المظاهرات وفى أمكنة الاجتماع أطلق عليها فى ذلك الوقت اسم « الشرطة الوطنية » وقد جعل لأفرادها شارات خاصة تميزهم عن غيرهم ٠ وكان الجمهور يستجيب الى نداءاتهم ويخضع لمطالبهم طائعا مختارا ، وقد كثرت فى ذلك الوقت الأغانى الشعبية الحماسية التى تصف أمانى الشعب وتندد بأعمال السلطة الانجليزية وكان العامة يتغنون بها فى الطرقات ، والأطفال يرددونها فى المنازل ٠

وقد كان الشعب يكرم ضحايا المظاهرات تكريما رائعا ٠ وكانت جنازات هؤلاء الشهداء تضم الآلاف المؤلفة من جميع طبقات الأمة ، وتخترق

(١) انظر نص البلاغ المذكور فى : الاخبار فى ١٩١٩/٣/٢٠ وان كان يلاحظ أن الصحف لم تنشر البلاغ بالشكل الذى جاء به فى الذكرات ، فقد سقطت فقرات عديدة من البلاغ فى الصحيفة ٠

اهم الشوارع الرئيسية فى الأحياء المصرية والأجنبية وتنادى بسقوط الاستعمار ، وتشهد الناس على أعمال السلطة العسكرية . ولم يكن الاشتراك فى هذه المظاهرات الشعبية مقصورا على طائفة دون أخرى ، بل كانت جميع الطبقات تشترك فيها .

كان يسير فيها الطلبة والتجار وعامة الشعب والموظفون ورجال الشرطة والجيش وأصحاب المهن الحرة من المحامين والأطباء .

وقد استفزت أعمال السلطة الانجليزية شعور الأهلين فاعتدوا فى بعض أحياء القاهرة على بعض الضباط والجنود الانجليز ، وقتلوا عددا منهم .

وكان مما يؤسف له أن بعض الأرمن قد أطلق الرصاص على المتظاهرين فى بعض أحياء فى القاهرة فأدى ذلك الى اعتداء بعض من عامة الشعب على الأرمن فى جهة عابدين وشارع الخليج ، غير ان الشعب نفسه قد أوقف هذه الاعتداءات التى من شأنها أن تسىء الى الحركة القومية .

[١٣٣] وفى ١٩ مارس اعتدى الجنود الانجليز على المظاهرات التى قامت بالفيوم فهاجمهم البدو فرد عليهم الجنود باطلاق الرصاص فقتل من البدو ما يقرب من أربعمائة .

وأعقب هذا الحادث صدور البلاغ التالى من القائد العام :

« فى الأيام الأخيرة أطلق بعض البدو النار على العساكر البريطانية فقتلوا بعضهم . واذا عادوا الى مثل ذلك تتخذ فى الحال ضدهم اجراءات شديدة ربما أفضت الى خسائر لابد منها حتى بين الأبرياء » (١) .

وفى نفس اليوم ذهب على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك الى قائد القوات البريطانية وبينا له ما وصلت اليه الحال من الخطورة ، واحتجا على اطلاق الرصاص على المظاهرات السلمية .

وقد زادت حركة الاعتداء على السكك الحديدية وتخريب مهماتها بدرجة عظيمة ، وزحف المتظاهرون على بعض مراكز البوليس وطردوا الموظفين منها ، واستولوا هم عليها .

وفى ١٩ مارس كذلك صدر البلاغ الآتى من القائد العام :

[١٣٤] « حدث تلف عظيم فى خطوط السكة الحديدية والتلغرافات فى أماكن مختلفة من مديرية القليوبية وهجم الرعاع فى أحد الاماكن على

(١) نص البلاغ فى الأخبار فى ١٩١٩/٣/٢٢ .

فصيلة صغيرة من الجنود فاطلق هؤلاء النار أولا فى الهواء ولكنهم اضطروا بعد ذلك الى اطلاق النيران على الرعاع فقتلوا منهم ستة ·

« وقتل فى طوخ وقها خمسة من المشاغبين بنيران البنادق ·

وقبض فى بنها على ٥٧ شخصا واسترد كمية من الأمتعة المسروقه ، وساعد الأهالى فى قها على حل أجزاء طيارة ــ كانت قد أكرهت على النزول الى الأرض وتحطمت ــ وشحنها فى قطار من قطارات البضاعة ·

« وحدثت قلاقل شديدة فى دمنهور يوم ١٧ الجارى ، فقد هجم المشاغبون على المدير ابراهيم حليم باشا أثناء ذهابه فى سيارة الى مكتبه وأصيب بجراح شديدة وحالته خطرة · وقد حاول المدير الاحتجاج بشدة على عمل المشاغبين وكان معظمهم من البدو فهوجم قبل التمكن من ارسال المساعدة · وقد شتت الجنود الرعاع وقتلوا ١٢ شخصا ·

[١٣٥] « وفى ١٧ الجارى سار العمال والطلبة فى الاسكندرية فى موكب فأوقفهم الجنود وأنذروهم بالرجوع ، ولكن المتظاهرين حاولوا شق نطاق الجنود ، فأطلق هؤلاء النيران وشتتوا المتجمهرين · وكانت الخسارة ٤ قتلى و ٢٠ جريحا · (١)

« ودمرت محطات السكة الحديدية فى بولاق الدكرور والبدرشين والحوامدية وفى المديريات التى تلى القاهرة جنوبا ·

« وحدثت بعض مظاهرات منظمة فى يومى ١٥ و ١٦ الجارى فى جنوب بنى سويف ولكن المعتقد أن الحالة هادئة فى جميعها ·

« ودمرت جميع محطات السكة الحديدية فيما بين بركة السبع والقاهرة ، على أن الخط طهر وسافرت القطارات اليوم من القاهرة الى الاسكندرية وبور سعيد ، تقل الركاب ·

« ويقال بالاجمال أن الحالة أخذت تتحسن فى جنوب القاهرة ، ولكنها لا تبعث على الارتياح بلا ريب فى البحيرة والغربية والدقهلية والمنوفية ·

« وقد وردت الأنباء فيما يتعلق بالقلاقل التى حدثت فى مديرية البحيرة ، والواسطى أن البدو ينتهزون فرصة الحالة الحاضرة ليدخلوا المنطقة المزروعة للسرقة والنهب » (٢) ·

---

(١) تقدر الوثائق البريطانية عدد قتلى الاسكندرية باربعة عشر قتيلا ·

(٢) انظر نفس النص فى الأخبار ١٩١٩/٣/٢١ ·

الانذار باحراق القرى

[١٣٦] وفى ٢٠ مارس صدر الانذار الآتى من القائد العام :

انذار عام

« كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية والمهمات الحديدية يعاقب عليه باحراق القرية التى هى أقرب من سواها الى مكان التدمير . وهذا آخر انذار » .

التهديد بتخريب البلاد

وفى نفس اليوم دعا القائد العام الى مركزه بفندق سافواى بعض الوزراء والأعيان والكبراء وأفضى اليهم بما خلاصته : « ان السلطة اقتصرت حتى الآن على اتخاذ اجراءات دفاعية ضد الحوادث الجارية فى البلاد . فاذا استمرت هذه الحوادث فسوف أرانى مضطرا الى الالتجاء الى خطة هجومية ، وانى أحذركم من حملى على انتهاج هذه الخطة التى تكون عاقبتها وبالا على البلاد . فان مدارها تدمير العمائر وتخريب القصور ، فضلا عن هدم القرى واهراق الدماء البريئة الى غير ذلك مما يقتضيه الموقف . وانى جمعتكم هنا لأنذركم هذا الانذار واعلموا أن بعض الانذارات فاعملوا كل ما فى وسعكم لتسكين الأهالى ومنعهم من احداث القلاقل .

وصدر فى ٢٠ مارس البلاغ الرسمى الآتى من القائد العام .

[١٣٧] **« أبلغت الحوادث التالية منذ صدور البلاغ الرسمى الأخير :**

« فى ١٥ الجارى أغار جمهور على المحاكم فى بنى سويف وكانت منعقدة وطردوا الموظفين وحاولوا القبض على القاضى البريطانى . ولما عجزوا عن ذلك حطموا مكاتب مختلفة من مكاتب الحكومة . ثم هجموا على المديرية وقد طردتهم ثلة صغيرة من الجنود الهندية جىء بها من الفيوم . وبعد ذلك احتشد النزلاء البريطانيون فى ثلاثة منازل حولوها الى حالة دفاع . ووصلت جماعة أخرى من البدو فنهبوا المدينة .

« وقد وصلت أنباء جديدة عن القلاقل التى وقعت فى المديريات الجنوبية . ففى يوم ١٥ الجارى هوجم القطار القادم من الأقصر الى المنيا وسلم بعض مافيه ووجدت جثث سبعة ضباط بريطانيين فى عربة حارس القطار (الكمسارى) .

وفى صباح اليوم التالى وصل قطار من الجنوب يقل بعض السيدات والضباط عائدين من أجازاتهم ٠

« وفى يومى ١٧ ، ١٨ الجارى وصلت جماعات أخـــرى من البدو وغيرهم فاستمر النهب فى المدينة ، وفى مساء يوم ١٨ الجارى استبدل الحرس وجىء بالنزلاء الى القاهرة عدا الذين اختاروا منهم البقاء هناك ٠

« وفى ليلة ١٨ الجارى دمرت محطة قلين تدميرا تاما ٠ وهاجمت فصيلة من الجنود فى بركة السبع جماعة من المشاغبين كانـوا يشتغلون بتدمير كبرى السكة الحديدية فقتل وجرح كثيرون من المشاغبين وقبض على بضعة أشخاص ٠

ووقعت قلاقل شديدة أخرى فى المنصـورة فى يوم ١٨ الجارى ٠ واضطر ولاة الأمور الملكيون (١) أن يدعوا الجنود لمساعدتهـم على اعادة النظـــام ٠

[١٣٨] وهجم الرعاع على رجـال البوليس فى محطــة كوم حمادة يوم ١٩ الجارى فشتتهم رجال البوليس المصرى ٠

« وقام قطار من القاهرة فى الساعة ٤ والدقيقة ١٥ بعد ظهر يوم ١٩ الجارى فوصـل الى بنها فى الساعة ١٠ مساء وقد أبلغ أن الحالة هادئة على الخط ، وعاد هذا القطار صـباح اليوم من بنهـا فوصل الى القاهرة عند الظهر ٠

« ووصل القطار الذى غادر بورسعيد الساعة الثامنـة من صباح اليوم الى القاهرة فى الساعة ٤ والدقيقة ٢٠ بعد الظهر بدون حادث ٠

« وفى ١٩ الجارى هجمت قوة كبيرة من البدو فى مدينة الفيوم على رجال الحرس ولكنها صـــدت بعد أن تكبدت خســـارة ٤٠٠ من القتلى والجرحى ٠

وقد وجه القائد العام الانذار التالى الى سكان مديرية الفيوم والوجه القبلى :

وقد أطلق البدو فى الأيام القليلة الماضـــية النيران على الجنـــود البريطانية وقتلوا بعضهم ٠ فاذا أطلق البدو النيران على الجنود البريطانية مرة أخرى اتخذت فى الحال وسائل شديدة قاهرة لابد أن تفضى الى ضياع أرواح كثيرة من الأبرياء ٠ وهذا آخر انذار ٠

---

(١) الملكيون يقصد بها : المدنيين ٠

« وفى ليلة أمس هوجمت محطة المواصلة فى جوار القاهرة وسرق كثير من البضائع • وأطلق رجال البوليس والخفراء النيران وشتتوا الرعاع • وفيما عدا ذلك بقيت القاهرة والأماكن المجاورة هادئة •

« ووصل القطار الذى غادر بورسعيد الساعة الثامنة من صباح اليوم الى القاهرة فى الساعة (١) والدقيقة ٢٠ بعد الظهر بدون حادث •

[١٣٩] أخذت القوات الانجليزية بعد ذلك تسافر الى الجهات لتقبض على ناصية الحال • ولكن نيران الثورة فى الوجه القبلى كانت لا تزال متأججة فحدثت بين الأهالى وبين القوات المسافرة الى الصعيد على البواخر النيلية بين ديروط وأسيوط مناوشات قتل فيها كثيرون من الأهالى • كما قتل بعض الضباط الانجليز وبعض العساكر •

وفى أسيوط استولى الأهالى على مركز البوليس وأخذوا منه السلاح وهاجموا القوات الموجودة هناك ، ولولا وصول الامدادات اليها لفتكوا بها •

أما فى القاهرة ، فقد عمت السكينة كل أرجائها ، ونقل النزلاء المستهدفون للاعتداء عليهم بالوجه القبلى الى الوجه البحرى ، ووضعت القوات فى مديريتى الجيزة وبنى سويف • وابتدأت القوات ترد الى الأقاليم كبار الموظفين الذين كان الثوار قد طردوهم •

ولما أرادت القوات الانجليزية القبض على الذين وجهت اليهم تهم الاعتداء على موظفى الحكومة ، حدثت مذبحة بميت القرشى (مركز ميت غمر) قتل فيها ما يقرب من مائة شخص •

وفى ٢١ مارس صدر البلاغ الآتى :

[١٤٠] **القاهرة فى ٢١ مارس ١٩١٩**

« عادت الحركة على خطوط المواصلات الرئيسية فى شمال القاهرة وقد احتلت المحطات الكبرى ووضع نظام محكم من الدوريات •

« ووصل قطار الركاب الذى غادر القاهرة يوم ١٩ الجارى الى الاسكندرية فى الساعة التاسعة والربع من يوم ٢٠ منه • وتسير القطارات كالعادة فى اتجاه بورسعيد ولكن نقل الركاب لا يزال محدودا نظرا للضرورات العسكرية •

---

(١) لم يذكر الساعة فى الأصل •

« ولا يزال القلق عظيما فى الجهات البعيدة عن خطوط المواصلات . ففى المنوفية دمرت جميع محطات السكة الحديدية فى حين وردت الأنباء بأن البدو يبدون حركة على حدود البحيرة .

« وفى آخر نبأ من كوم حمادة وتاريخه ١٨ الجارى أن ألفين من البدو كانوا يزحفون يومئذ على المدينة .

« وقد أمر القائد العام باصدار الانذار التالى الى البدو الغربيين :

« عليكم أن تلزموا خيامكم واذا حاولتم الاقتراب نحو الشرق عوقبتم عقابا صارما . وهذا آخر انذار » .

« ولا يزال الرعاع فى أراضى الدلتا الوسطى والأراضى الواقعة فى شرقيها يواصلون أعمال التدمير والنهب . يحرضهم محرضون لا مبدأ لهم .

« واستولى الفلاحون على محصول الدومين وأشعلوا النيران بمنازل المستخدمين وأبنية شركة أراضى البحيرة فى كوم أبو هال .

« وقتل ضابط البوليس فى سمنود فى صباح اليوم ١٨ الجارى . [١٤١]

« وفى ١٧ الجارى أحرق ديوان المركز فى رشيد فى حين استولى الرعاع فى التاريخ نفسه على مركز زفتى وتغلبوا على رجال البوليس ورفعوا عليه العلم العثمانى (١) .

« واصدر القائد العام بعد ذلك انذارا آخر وقد أخذت الطيارات توزعه على الفلاحين فى أنحاء القطر وهاك نصه :

انذار عام
حرق القرى (٢)

« كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية أو المهمات الحديدية يعاقب عليه باحراق القرية التى هى أقرب من غيرها الى مكان التدمير وهذا آخر انذار » .

« وقام جماعات من القرويين والبدو بهجمات جديدة على خط السكة الحديدية بين القاهرة والفيوم . وقد وردت الأنباء بوجود جماعات كبيرة من

---

(١) لم تشر الوثائق البريطانية الى حادثة رفع أهل زفتى للعلم العثمانى على حد ما جاء فى البلاغ الصادر يوم ٢١ مارس وان كانت قد أشارت الى انهم قد علقوا صورة الخديوى السابق (عباس حلمى) والأمر جد مختلف .

انظر F.O. 407. 184 No. 183.

(٢) نص الانذار فى المقطم ١٩١٩/٣/٢٣ .

البدو فى الفيوم نفسها · وأطلقت النيران فى بعض الأحوال على الطيارات التى تقوم بأعمال الدورية فأجابت هذه بقذف القنابل واطلاق نيران المدافع السريعة فأحدثت خسائر شديدة من القتلى والجرحى ·

« وقد لوحظ فى هذه المنطقة أيضا أن المحرضين استخدموا جهل البدو بنتيجة الحرب الحقيقية فحرضوهم على حمل العلم العثمانى ·

« ونهب المشاغبون فى الصف البنك الزراعى وأحرقوه ·

[١٤٢] « وصد الخفراء فى العياط هجمة وقتلوا بعض الناهبين ·

« والحادث الوحيد الذى وقع فى جوار القاهرة هو الذى وقع من أعمال النهب فى الجيزة وقد أخمدها رجال البوليس فى الحال وقبضوا على ٨٥ شخصا ، واستردوا بعض ما سرق من الأمتعة ·

« ووقعت بضع حوادث هوجم رجال الحرس فيها أثناء الليل · خذ مثلا ـ أن وطنيا مسلحا بسكين هجم على حارس فى قلعة القاهرة وجرحه وقد قبض على المعتدى ، وسيحاكم أمام محكمة عسكرية » ·

[١٤٣] تعيين اللورد اللنبى مندوبا ساميا فى مصر

لما غادر السير ونجت البلاد فى ٢١ يناير ١٩١٩ كان مفهوما وقتئذ أن انجلترا استدعته للبحث معه فى حالة مصر والسياسة التى تتبعها فيها · ولكن لما قبضت السلطة العسكرية على سعد زغلول باشا ورفاقه ونفتهم الى مالطة ، وقام الشعب المصرى قومته المعروفة التى آلت الى ما لم يكن يتوقعه المحتلون ، رأت الحكومة الانجليزية أن تستبدل بالسير ونجت غيره ممن تعهد فيهم البأس والحزم اذ كان من رأى السير ونجت أن تجيب انجلترا الوزيرين رشدى باشا وعدلى باشا الى مطالبهما ·

وفعلا نفذت انجلترا ما أرادت ، فعينت المارشال اللنبى(١) ـ الذى كان قائدا عاما للجيوش البريطانية فى الشرق ابان الحرب ـ مندوبا ساميا فوق العادة فى مصر والسودان ·

وفى يوم ٢١ مارس وهو اليوم الذى وصل فيه اللورد اللنبى الى بور سعيد قادما من انجلترا نشر البلاغ الآتى فى الجريدة الرسمية :

(١) الفيلد مارشال ادموند اللنبى (١٨٦١ ـ ١٩٣٦) ـ قائد انجليزى اشتهر بدوره خلال الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية (١٩١٥ ـ ١٩١٦) ثم قاد الحملة على فلسطين واستولى على بيت المقدس فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، وتولى منصب المندوب السامى فى القاهرة (١٩١٩ ـ ١٩٢٥) ·

« انه بالنسبة لحالة البلاد ولغياب القومسير العالى البريطانى من مصر قد عين المارشال اللنبى مندوبا ساميا فوق العادة · وقد منح السلطة العليا فى جميع الأمور المدنية والعسكرية وفى اتخاذ ما يراه من الاجراءات صالحا لاعادة النظام واحترام القوانين فى هذه البلاد · وادارة شئون الحكومة فى كل الأمور ، مع تثبيت حماية جلالة الملك فى مصر على أساس أمين متين » ·

ولما وصل المارشال اللنبى الى مصر وزاره بعض الكبراء والأعيان ، أفضى اليهم بالتصريح التالى : [١٤٤]

انني أتيت الى مصر لأغراض ثلاثة وهى :

اولا : أن أضع حدا ونهاية للاضطرابات الحالية ·

ثانيا : أن أعمل تحريات دقيقة عن جميع الأسباب التى حملت أهل البلاد على الشكاوى ·

ثالثا : أن أزيل كل الشكاوى التى تستوجب العدالة ازالتها » ·

ثم عقب على ذلك بقوله : « الواجب عليكم أن تعملوا ما فى وسعكم لحسن قيادة الأمة وأن تعملوا بالاتحاد معى فى صالح بلادكم ·

« ولا يتبادر الى ذهنى قط أن أحدكم يرفض مساعدتى بكل ما فى وسعه وانى أعتمد عليكم للبدء فى العمل فورا فى سبيل تهدئة الخواطر الثائرة حتى اذا استتب الأمر وعادت السكينة فانى على يقين من انكم ستضعون ثقتكم فى شخصى لأقوم بدون تحيز بمنع كل شكوى وآمر بكل ما فيه ارضاء الأمة المصرية وبما فيه خيرها » ·

استمرار الاضطرابات

لم يسكن تصريح المارشال اللنبى من سورة غضب الشعب اذ لم يخف عليه وهو الذكى بفطرته ، الفطن بسجيته ما يقصد منه · ولم يرجعهم عن عزمهم ذلك النداء الذى أصدره بعض الوزراء والعلماء والأعيان فى ٢٤ مارس ١٩١٩ واليك نصه :

[١٤٥] ## نداء الأمة المصرية

« اصدرت السلطة العسكرية انذارا بأنها ستتخذ أقسى ما يكون من الوسائل الحربية عقابا على ما يقع من الاعتداء على طرق المواصلات .

« ولا يخفى على أحد أن الاعتداء على الأنفس أو على الأملاك محرم بالشرائع الالهية والقوانين الوضعية وان قطع طرق المواصلات يضر أهل البلد ضررا واضحا . اذ هو يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ويوقف حركة نقل المحاصيل والأرزاق ويعطل المعاملات والأخذ والعطاء ويسبب العسر وسوء الحال . على أن العقاب عليه يعرض بعض القرى للتخريب ويعرض الأنفس البريئة الى أن تؤخذ بما لم ترتكب من الذنوب ، وينبغى أن يلاحظ أن مثل هذا الاعتداء يضيع على المصريين ما ينتظرونه من العطف عليهم بما يسبب من رواج اشاعات السوء عنهم .

« من أجل ذلك رأى الموقعون على هذا ، من أقدس الواجبات الوطنية، أن يناشدوا الشعب المصرى باسم مصلحة الوطن أن يجتنب كل اعتداء والا يخرج أحد فى أعماله عن حدود القوانين حتى لا يسد الطريق فى وجه كل الذين يخدمون الوطن بالطرق المشروعة .

كما أننا ندعو أعيان البلاد وأرباب النفوذ فيها أن يقوموا بالواجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيسارعوا الى اتخاذ ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع ما ينجم عنه ضرر البلاد .

[١٤٦] « وانا شديدو الرجاء فى أن الأمة المصرية بما عرفت به من العقل والروية تصغى الى هذا النداء وتلزم طريق الحكمة فى سلوكها . والله الهادى الى سواء السبيل » .

شيخ الجامع الأزهر	مفتى الديار المصرية	بطريرك الأقباط
(محمد أبو الفضل)	(محمد بخيت)	(كيرلس)

شيخ مشايخ الطرق الصوفية	رئيس المحكمة الشرعية العليا
(عبد الحميد البكرى)	(محمد ناجى)

نقيب الأشراف	رئيس الوزراء	رئيس الجمعية التشريعية
(عمر مكرم)	حسين رشدى باشا	أحمد مظلوم باشا

وزير أشغال

اسماعيل سرى باشا — يوسف وهبه باشا — عدلى يكن باشا عبد الخالق ثروت باشا — أحمد حلمى باشا — يوسف سابا باشا اسماعيل أباظة باشا — محمود صدقى باشا — على شعراوى باشا · محمد على بك — أحمد زيور باشا — عبد العزيز فهمى بك — محمود أبو النصر بك — أحمد لطفى السيد بك — جورج خياط بك — سينوت حنا بك — عبد اللطيف المكباتى بك — مصطفى النحاس بك — دكتور حافظ عفيفى بك — الياس عوض بك — حسين واصف باشا — حافظ المنشاوى بك — قلينى فهمى باشا — عبد الستار الباسل بك — محمد السيد أبو على باشا — محمد السباعى المصرى بك — محمود نافع باشا — محمد عز العرب بك — محمود سليمان باشا — سيد محمد خشبة بك — عبد الرحمن محمود بك — عمر عبد الآخر بك — ابراهيم مراد باشا — أحمد خيرى باشا — ابراهيم نبيه باشا — محمد عبد الخالق مدكور باشا — على المنزلاوى بك — أحمد عفيفى باشا — محمود خليل باشا — كامل جلال باشا — للوم السعدى المصرى بك — عبد الله عبد السميع بك — على المصرى بك — أحمد رشوان بك أحمد حشمت باشا — على رفاعى بك (١) ·

بلاغ رسمى

وفى يوم ٢٢ مارس أذيع البلاغ الرسمى الآتى :

[١٤٧] « أخذ النظام والسكينة يعودان بسرعة بسبب توسيع نطاق الاحتلال العسكرى فالسكينة التامة تسود الآن مديرية القليوبية فى حين أخذت السكينة تستتب كذلك فى المديريات الأكثر بعدا ·

« وقبض فى طوخ على سبعين شخصا ممن كانت لهم يد فى الاضطرابات وعلى ١٢٠ شخصا فى بنها وعلى ثلاثين شخصا تقريبا فى قليوب فى حين يقبض على كثيرين غيرهم · واسترد رجال البوليس والخفراء كمية كبيرة من الأمتعة المسروقة · وقد قام رجال البوليس فى

---

(١) يلاحظ أن الموقعين على هذا النداء يتكونون من رجال الحكومة جنبا الى جنب مع رجال الوفد أو رجال الحزب الوطنى ، والواضح أن الاضرار بمصالحهم الاجتماعية باعتبار أغلبهم من ملاك الأراضى الزراعية ، وأن قطع المواصلات ، أساء اليهم اقتصاديا ، الأمر الذى دفعهم الى اصدار هذا البيان ·

الأرياف ـ كما ذكر في بلاغ سابق ـ بواجباتهم في أحوال تنطوى على التحرش والمخاطرة الشديدين بثبات وحزم عظيمين ٠

« وأشد القلاقل التى نذكرها اليوم ما وقع فى مركزى دسوق وكفر الشيخ في شمال الغربية حيث وردت الأنباء بوقوع حوادث جديدة من أعمال النهب في الحقول وسرقة المواشي واضرام النار عمدا ٠

« وأخذ الفلاحون فى الجهات الواقعة جنوبى القاهرة فى كثير من الأحوال يعودون الى أعمالهم الأصلية ولكن القرى التى اشتهرت بصفة خاصة فى حوادث الاعتداء الأخيرة معروفة جيدا ٠

ووصلت الآن أنباء رسمية من الجهات الواقعة فى جنوب المنيا (١) ومنها يؤخذ أنه وقعت قلاقل فى جهات مختلفة فى جنوب القطر ، ولكنها كانت بالاجمال أقل شدة من الحوادث التى وقعت بين المنيا والقاهرة ٠ [١٤٨]

« ووصلت الى وادى حلفا باخرة قادمة من الشلال تقل ٧١ مسافرا بينهم ثلاث عشرة ممرضة و ٢٤ ضابطا كانوا يقضون أجازاتهم فى أسوان والباقى من المسافرين الذين قدموا من الأقصر ولم يستطيعوا العودة الى القاهرة مباشرة ٠

« ولم ترد أنباء من الجهات الجنوبية عن وقوع تلف كبير فى خطوط السكة الحديدية ولا عن وقوع ضرر لمصانع السكر وغيرها ٠ والآن وقد أعيدت خطوط السكك الحديدية الرئيسية فان الخطوط التلغرافية تصلح الآن كذلك بسرعة ٠

ولم يقع شيء فى جهة القاهرة ، اذا استثنينا هجومين صغيرين قام بهما اللصوص على محطة الفرز وأحبطهما رجال الحرس » ٠

وفى ٢٣ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى : [١٤٩]

« حدث تقدم جديد فى سبيل اعادة النظام ٠

وتسير القطارات على الخط الرئيسى الآن فى مواعيد منتظمة وتقطع قطارات الركاب الطريق بين الاسكندرية والقاهرة فى أربع ساعات ونصف الساعة ٠

« وقبض على عدد كبير من الزعماء والمشاغبين فى الاعتداءات الأخيرة وسيحاكمون بموجب الأحكام العرفية ٠

---

(١) يحدد السير شيتام المنطقة الواقعة بين ملوى وأسيوط باعتبارها أخطر مناطق الثورة وأن أهالى ديروط بالذات يتحملون مسئولية مقتل القائمقام بوب بك وعدد من الضباط الانجليز وان سكان أسيوط واللجنة الوطنية فيها التى تتكون أساسا من الأقباط لا تفتأ تصدر المنشورات الثورية بتشجيع من المدير ٠ F.O. 407/184 No. 184.

« وقد ألقى الأعيان فى كثير من مدن المديريات خطبا نصحوا فيهـا السكان بالتزام السكينة ·

« ولا تزال الحالة غير مرضية فى المراكز المتطرفة فى شمال الشرقية والدقهلية والغربية وفى غرب البحيرة اذ لا يزال الرعاع من الفلاحين أو البدو يرتكبون فى جميع هذه المراكز أعمالا شـديدة من أعمال التـدمير والنهب ·

« وتوجد جماعات كبيرة من البدو فى مراكز كوم حمادة والدلنجات وحوش عيسى وأبى المطامير فى غرب البحيرة ·

« وأصيبت الفروع الحديدية فى المراكز البعيدة بتلف عظيم بحيث لا يمكن اصلاحها لنقل المحصولات الزراعية قبل مضى مدة طويلة ·

« وقد وردت الأنباء بأن الحالة هادئة فى كل جهات الواسطى وبنى سويف والفيوم فيما يلى القاهرة جنوبا · وأبلغ قائد الجنود فى الواسطى أن رجال البوليس سلكوا مسلكا باهرا ·

[١٥٠] « أما فيما يلى ذلك جنوبا فقد عادت الأحوال فازدادت قلقا فى المنيا وأسيوط ووردت الأنباء بهجوم قوة من البدو المسلحين فى جوار أسيوط .

« وفى ليلة أمس حاول بعضهم من جديد قطع السكة الحديدية بين امبابة وبولاق الدكرور ·

« وفيما عدا ذلك سادت السكينة جميع أنحاء القاهرة وما جاورها ·

وفى ٢٤ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى :

[١٥١] **بلاغ رسمى**

القاهرة فى ٢٤ مارس ١٩١٩

« طهرت جميع الخطوط الحديدية الرئيسية بين القاهرة والاسكندرية والقنال ·

« وأخذت القلاقل فى المديريات الشمالية تزداد تفرقا ·

« وفى ٢١ الجارى وقع هياج صغير فى بور سعيد ــ نظرا لتحريض المحرضين السياسيين للفعلة المشتغلين بالفحم على الاعتصاب · وقد حاول

الرعاع النزول الى حى النزلاء (١) وأعاد الجنود النظام بعد وقوع بعض الخسارة من القتلى والجرحى ٠

« وحاول بعضهم فى قرب المطرية العبث بالبواخر التى تسير بين بور سعيد ودمياط فأحبطت طيارة مائية مسلحة عملهم ٠

« وعاد النظام الآن فى دمياط ورشيد فى حين لا تزال زفتى وميت غمر وميت القرشى مركزا للتمرد والفتن ٠

« وخاطب البدو المتمردون فى غرب البحيرة البدو الذين يقطنون على الساحل بين الاسكندرية والسلوم على أن هؤلاء حافظوا على ولائهم للحكومة وأخذوا هم أنفسهم يحمون السكة الحديدية الممتدة على الشاطىء غرب الاسكندرية ٠

« واقتص أمس من البدو والقرويين فى غرب البحيرة اذ ألقيت القنابل فى حوش عيسى وأبى المطامير على المتمردين الذين كانوا يهجمون على الخط الحديدى ، وعاقبت دوريات السيارات الخفيفة جماعات أخرى صباح اليوم فى جوار كفر الدوار ٠

« وأطاع البدو على حدود مديريتى المنوفية والجيزة الأمر الذى صدر اليهم بالتفرق ٠

[١٥٢] « وحدث أمس فى جنوب القاهرة قلاقل أخرى فى الحوامدية فقد هجم الرعاع على مصنع السكر ولكن الجنود والخفراء طردوهم وقد قتل ثلاثة من المشاغبين وجرح أحد الخفراء وهو يقوم بواجبه فى المصنع وهجم الرعاع بعد ذلك على مزرعة فى جوار مصنع السكر فطردهم رجال البوليس ٠

وسادت السكينة جهات الفيوم وبنى سويف ، وقد نظم مأمور مركز سنورس قوة مؤلفة من ألف شخص من القرويين لحماية الخط الحديدى ٠

« والمواصلات التلغرافية باقية بين أسيوط وأسوان غير أن الحالة بين أسيوط وقنا لا تزال غير مرضية ، فقد وقع كثير من أعمال النهب والحرق عمدا فى مدينة أسيوط ٠

« ووصل الى القاهرة بعد ظهر اليوم ١٩ مسافرا من الذين عزلوا فى الوجه القبلى بسبب القلاقل بطريق النيل قادمين من بنى سويف وكان ينتظر وصول جماعة أخرى من الأقصر الى أسيوط بطريق النيل أمس ٠

---

(١) حى الأجانب أو الافرنج كما كان يسمى ٠ وقد كانت مدن القنال عموما مقسمة الى حى للافرنج وحى للمصريين (العرب) يفصل بينهما شارع عريض ٠

« وثبت لسوء الحظ أن عدد الضباط الذين قتلوا يوم ١٥ الجارى وهم عزل من السلاح أثناء سفرهم فى قطار اكسبريس القاهرة والأقصر كان تسعة لا سبعة كما أبلغ أولا . وقد وصل بيان يتضمن اشتراك سكان ثلاث قرى مختلفة فى الجريمة والتحقيق مستمر ولا يزال من المتعذر التثبت من أسماء الذين قتلوا .

« وسادت السكينة جميع أنحاء القاهرة وما جاورها .

« ووضعت قوة رادعة فى القرى التى لها يد فى الاعتداءات الأخيرة التى وقعت بين امبابة وبولاق الدكرور .

[١٥٣] « وتحتفظ الآن قوات كبيرة بخطوط المواصلات الرئيسية ونقل موظفو الحكومة والنزلاء (الأجانب) المستهدفون للاعتداء عليهم . وتقوم فصائل عسكرية بتهدئة الحالة فى البلاد . وقد بدأت فصيلتان العمل حين صدرت الأوامر الى فصائل أخرى بالسير ، والنية معقودة على ارسال قوات عسكرية الى الجهات البعيدة من البلاد وهذه القوات سترد ولاة الأمور الملكيين الى وظائفهم وتقبض على المجرمين وتتخذ أية وسيلة لازمة لاعادة النظام . فالمرجو من جميع الذين يحافظون على القانون أن يمدوا يد المساعدة فى هذه المهمة .

وقد لوحظ أن القرويين فى جهات معينة أخذوا على عاتقهم حماية الخطوط الحديدية .

« وقد خص عمل مستخدمى مصلحة البوستة المصرية بالشكر والثناء فقد وردت أنباء عديدة تدل كلها على أن عمال مصلحة البوستة بذلوا أقصى جهدهم لحماية البريد والنقود التى كانت فى عهدتهم » .

[١٥٤] تصريح اللورد كيرزون

وفى ٢٤ مارس ١٩١٩ صرح اللورد كيرزون وزيرالخارجية البريطانية فى مجلس العموم البريطانى بأقوال عن الحالة الحاضرة فى مصر أكد فيها أن الأخبار الواردة منها أقل خطورة من ذى قبل ثم أثنى على موظفى الحكومة المصرية ورجال البوليس والجيش ، وأشاد بحسن سلوكهم فى أثناء الاضطرابات قائلا ان هؤلاء هم صفوة الأمة . واستشهد بسلوكهم على أن عقلاء الأمة لم يشتركوا فى هذه الاضرابات والاضطرابات . ثم أبدى

أمله فى أن الأعيان الذين يشعرون أكثر من سواهم بما قدمه الانجليز لهم من الخدمات يبذلون مافى وسعهم لتهدئة الحالة .

ثم قال : « بودى أن أبين حقيقة نقطة ربما كانت سببا لسوء التفاهم الآن وهى أن حكومة جلالة الملك لم تبد قط أدنى معارضة أو سوء نية نحو مجىء اثنين من الوزراء المصريين وهما رشدى باشا وعدلى باشا الى انجلترا ، بل على النقيض من ذلك فان وجودهما هنا يقابل بمنتهى الرضا والارتياح وانى شخصيا أحترم هذين الرجلين السياسيين اللذين قدما لمصر وللامبراطورية مدة الحرب خدمات ذات قيمة . وان الطلب الذى عرض عليهما فى نهاية السنة الماضية بالرغبة فى تأجيل زيارتهما لهذه البلاد مدة لم يكن مبنيا الا على اعتبار أنه فى مدة اجتماع مؤتمر الصلح لا يمكن العناية الكافية ببحث المسائل المهمة الخاصة بعلاقتنا المستقبلة بمصر ، وبالاصلاحات الدستورية المرغوب فيها فى البلاد . كما أنه لا يمكن اعطاء هذه المناقشات الوقت اللازم لها . [١٥٥]

« ولا يسعنى الا تكرار القول بأن زيارة هذين الوزيرين أو سواهما من رجال السياسة المصريين الذين يكونون مزودين بتحمل المسئولية العمومية كانت تقابل وسوف تقابل كذلك بملء الرضا والارتياح . واننا نرى دائما أنه من أهم الأمور أن نتفق واياهم على تحديد الشكل الذى ستكون عليه الحماية البريطانية فى مستقبل الأيام » .

ثم عطف على القول بأن « الحال مع سعد زغلول باشا تختلف كل الاختلاف عنها مع هؤلاء لأنه هو وأعوانه هم الذين دبروا هذه الاضطرابات وهم قوم غير مسئولين . وغرضهم طرد الانجليز من مصر . وقد اختاروا وقت انعقاد مؤتمر الصلح بباريس موعدا للقيام بهذه الحركة الثورية فلا سبيل للمناقشة معهم » .

[١٥٦] احتجاج الموظفين على تصريح كيرزون

كان الموظفون الى هذا التاريخ يؤدون أعمالهم المصلحية . بيد أنهم فى الواقع كانوا متفقين مع الأمة فى أمانيها ومطالبها . فلما رأوا أن الساسة الانجليز يؤولون سلوكهم على غير ما قصدوا كما جاء فى تصريح كيرزون فاعتبروا ذلك عارا ومسبة لهم فأجمعوا أمرهم على أن يحتجوا على تصريح كيرزون وعلى الحالة الحاضرة ، وفعلا كتبوا الاحتجاج وقدموه الى عظمة السلطان ، كما قدموا صورة منه الى معتمدى الدول العظمى بمصر ، وأعلنوا عزمهم على الاضراب ثلاثة أيام .

[١٥٧] **اصلاح السكك الحديدية**

لم تقع حوادث تخريب بعد انذار القائد العام بحرق القرى ـ ولكن الثورة كانت لا تزال كامنة فى النفوس • وقد أخذت السلطة بعدئذ فى اصلاح الخطوط الحديدية ووضعت فى المحطات المهمة جنودا بريطانية خشية محاولة الاعتداء عليها ثانية • حتى اذا أصلح الخط الرئيسى بين مصر والاسكندرية وقنال السويس حرمت السلطة السفر على هذا الخط من غير اذن خاص • وهذا هو نص الاعلان الذى ألصقته على جدران المحطة :

« مرخص السفر بالسكة الحديد الى الاسكندرية والاسماعيلية وبور سعيد والسويس فقط •

أولا : الى الأوربيين بشرط أن يكون معهم جوازات سفر (باسبورت) مؤشر عليها بما يفيد الاذن بالسفر الى خارج القطر •

ثانيا : أن يكونوا فعلا من السكان المقيمين فى أحد البلاد الأربعة المذكورة أعلاه •

ثالثا : الى المصريين بشرط أن يكونوا من موظفى الحكومة ومعهم كتابة رسمية تجيز لهم السفر موقعا عليها من أحد رؤساء مصلحتهم الانكليز • وأن يثبتوا أن الغاية من سفرهم القيام بخدمة تخص السلطة العسكرية » •

كما حرمت السلطة منع السفر فى النيل أو السيارات •

وفى يوم ٢٥ مارس صدر البلاغ الرسمى الآتى : ـ

بلاغ رسمى

القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩

[١٥٨] « طهرت جميع خطوط السكك الحديدية الرئيسية التى تصل القاهرة بالاسكندرية ومدن القنال •

أما الطريق الفرعى الذى يصل قليوب بطنطا مجتازا أشمون وشبين الكوم فقد أصلح الطريق الدائم بين طنطا وأشمون ، ولا تزال الاصلاحات جارية فى الجزء الواقع بين أشمون وقليوب •

« ويؤخذ من الأنباء الجديدة التى وصلت عن القلق الذى وقع فى بور سعيد يوم ٢١ الجارى أن المحرضين نظموا الرعاع فهجموا على حى النزلاء (الأجانب) تحت تأثير الحشيش(١) ، وقد بلغت الخسارة التى ألحقها الجنود بالمشاغبين ٦ من القتلى و ١٧ من الجرحى بجراح بليغة . وقد انتهى الاعتصاب وعادت جميع الأحوال الى مظهرها العادى .

« وحدث فى جوار ميت غمر (فى جنوب مديرية الدقهلية) ـ وهى التى ذكرت أمس أنها لاتزال مع زفتى وميتالقرشى مركزا للتمرد والفتن ـ ان قطارا كان يشتغل باصلاح الخط يوم ٢٢ الجارى فجعله الرعاع فى معزل بقطع الخط من أمامه ومن خلفه ووصل الى مكان الحادثة قطار مسلح لاسعافه يوم ٢٣ الجارى فهاجمه المشاغبون بدوره ولكنهم تكبدوا خسارة تزيد على مائة من القتلى والجرحى .

« ولم تقع مشاغبات جديدة عدا هذا الحادث فى المديريات الشمالية.

[١٥٩] « وتصل الآن أنباء تدل على أن كثيرا من المزارع (العزب) التابعة لمصلحة الدومين وشركات تحسين الأراضى وأصحاب الأملاك قد اجتيحت فدمرت الآلات وأحرقت مساكن الفلاحين وسرقت جميع المواشى ومخازن الغلال . ومع أن الأنباء لا تزال ناقصة فانه يظهر أن أصحاب الأراضى المستخدمين هربوا فى معظم الأحوال بأرواحهم بالالتجاء الى أصدقائهم من الوطنيين .

« وقبض فى دمنهور على أكثر من مائة شخص من المشاغبين وبينهم زعيم المشاغبين فى الاعتداء على المدير . وقد تعافى المدير واستطاع أن يستأنف أعماله .

« ولم ترد أنباء جديدة من أطراف الدلتا الغربية .

« وعادت المواصلات بالسكة الحديدية بين الواسطى والفيوم . وأبلغ المدير أن البدو ارتدعوا بسبب العقاب الصارم الذى لحقهم يوم ١٩ الجارى

---

(١) يصور البلاغ ثوار بورسعيد بأنهم مجموعة حشاشين وهو أمر يدعو للسخرية خاصة أنه لم تات أية اشارة الى مثل هذا الكلام حتى فى التقارير التى كان يرسلها السير شيتام الى لندن .

في مدينة الفيوم ، وقد عاد رجال البوليس الى احتلال المراكز المتطرفة التى أخليت مؤقتا ٠

« وتتخذ الوسائل اللازمة لاعادة النظام فى أسيوط وما يليها جنوبا.

[١٦٠] « وقد سادت السكينة أنحاء القاهرة وما جاورها » ٠

فظائع الجنود الانجليزية فى العزيزية والبدرشين (*)

سبق أن أشرنا الى أن السلطة العسكرية أرسلت قواتها الى بعض الجهات لقمع الاضطرابات كما أرسلت غيرها لاصلاح المواصلات ٠ وقد أتى هؤلاء الجنود فى قريتى العزيزية والبدرشين فى يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ من الحوادث المؤلمة ما تنبو عن سماعها الآذان وتشمئز منها النفوس ٠ ونحن نكتفى هنا باثبات الشكوى التى رفعها كل من عمدتى العزيزية والبدرشين الى مجلس مديرية الجيزة والجمعية التشريعية ، اذ فيها صورة مما اقترفه الجنود الانجليز ، وهما :

شكوى عمدة العزيزية

« حضرات أعضاء الجمعية التشريعية ومجلس المديرية بالجيزة ٠

« أنا ابراهيم دسوقى رشدان عمدة العزيزية الموقع على هذا أتشرف بأن أرفع لحضراتكم ما يأتى :

« سمعت طرقا شديدا على باب منزلى ليلة الثلاثاء ٢٥ مارس الساعة الرابعة بعد منتصف الليل ، وكنت نائما ٠ فاستيقظت مذعورا ووجدت على سلم بيتى نحو عشر جنود من الانكليز مسلحين بالبنادق يقودهم اثنان من ضباطهم يحملان المسدسات فى أيديهما ويرافقهم أمباشى وعسكرى مصريان ومترجم ٠ فقال لى المترجم :

(يأمرك الضابط بأن تقدم سلاحك حالا ، ثم تجمع أسلحة البلد فى خمس عشرة دقيقة) وكان مسدسى فى حجرة نومى فأحضرته للضابط [١٦١] وما فعلت هذا حتى اندفع الجند فدخلوا حجرة النوم وكانت بها زوجتى

(*) العزيزية والبدرشين من مراكز الجيزة ٠

وبناتي الثلاث الصغيرات ، وقد اشتد خوفهن وامتلأن رعبا فاختفين تحت سرير النوم جازعات وأسرعن فى التوارى قبل أن يلمحهن الجند الذين انهالوا وضباطهم على الصندوق والدولاب فكسروهما كسرا وأخذوا ما كان بهما من الحلى ، ثم عكفوا على الفراش يفتشون فأخذوا محفظتى وبها خمسون جنيها وساعتى وسلسلتها الذهبيتين ثم عثروا على زوجتى ملقاة تحت السرير فجذبوها من شعرها جذبا عنيفا ، وكانت تبكى وتستغيث وحولها بناتها الصغيرات يصرخن مولولات أخذ منهن الفزع والرعب مأخذا عظيما وأكبرهن سنا تبلغ الثامنة من عمرها • وفتشوا زوجتى شر تفتيش • ثم انطلقوا للغرف الأخرى يسلبون ما بها مما يروق لهم ، ويحطمون كل ما تقع عليه عيونهم من خزائن وصناديق وموائد وأثاث وآنية حتى وصلوا وأنا معهم مخفورا للشقة الأخرى من المنزل وكانت بها زوجتى الثانية وولداها فحاولت أن تختبىء فأدركها أحد العساكر بضربة ألقتها صريعة منتحبة تكاد تموت وجلا ، ورفعت عينى للضابطين أتوسل اليهما أن يرأفا بالمخدرات من النساء وأن يرحما أطفالى الضعفاء • فلم يتحركا وفهمت من جمودهما أنهما راضيان عن كل ما يصنع بنا فسكت • ثم صعدوا للطابق الأعلى فوجدوا خزانة سميكة من الحديد حاولوا فتحها فعجزوا فأمرونى أن أفتحها ولما ترددت هددنى الضابط بالقتل فاعطيته المفتاح ففتحها بيده وأخذوا ما كان بها وهو تسعمائة وخمسون جنيها وباقى مصوغات زوجتى الثانية ونساء أولادى اللواتى كن يومئذ غائبات ثم أمرونى [١٦٢] أن أرشدهم عن بيوت المشايخ وساقونى نحوها لهذا الغرض مخفورا بالسلاح مجردا مما يقينى ويسترنى من الثياب • فصنعوا بهذه البيوت وبمنازل بعض الأهالى التى تظهر عليها الوجاهة ما صنعوه بمنزلى بفظاعة تختلف عنفا وجسامة •

« ثم أمروا المترجم فصاح فى الناس بأن الانجليز سيجعلون البلدة كلها طعمة للنار وأن كل شخص له أن يأخذ نقوده وما لديه من حلى ومتاع ثمين ليغادر البلد سريعا فبادر السكان الى تنفيذ ذلك وخرجوا رجالا ونساء وأطفالا يسرعون السير هائمين خوف أن تلتهمهم النار بما يحملون • وكان البلد محاطا بصنوف من العساكر المسلحة بالبنادق فانقضوا على الناس عند خروجهم وسلبوهم كل ما وجدوه معهم ، وكانوا يفتشون النساء ويرفعون منهن ملابسهن أو يمزقونها عليهن عاريات لا يستر أجسامهن شىء ويضعون أيديهم حيث شاءوا بحجة التفتيش • ولم أنظر بنفسى اغتصابا ، وانما سمعت بالبلد عند عودتى أن الجنود الانكليزية اغتصبوا

بعض النساء غير أن الفلاحين يستحيل عليهم صونا لسمعة بيوتهم وفرارا من العار الدائم أن يعترفوا علانية بشيء من ذلك مهما كانت النتائج ٠

« وقد تركت القوة الانكليزية في بيتي بعض العساكر عند مبارحتها اياه ٠ ورأيت النار تندلع منه وأنا في أقرب بيت له من بيوت المشايخ ٠ وعلمت من أهلي أن الجنود وضعوا فيه النار بعد أن أخذوا أو دمروا كل شيء ففروا مسرعين خوف أن يحرقوا أحياء وبعد أن استولى رجال الجيش الانكليزي على ما يملكه أهل البلد انبثوا فيه وأشعلوا النار في البيوت [١٦٣] بأن كانوا يجمعون القش والمواد السريعة الالتهاب ويوقدون بها النار فاذا أبطأ الاشتعال صبوا عليها جازا مما في البيوت وكان بعضهم يحمل صفيحة ملآى بالبترول يسكبون منها لمساعدة الحريق ٠ وكانوا يطلقون النار على كل من رأوه يحاول أن يعود فيطفيء بيته ٠ ولما كان البلد مكونا من أربعة كفور انتقلوا اليها وكانت كلها محصورة بالعساكر والجنود المسلحين يفعلون بها مثل مافعلوا بالكفر الذي أقطنه ٠ وقبضوا على المشايخ فضموهم لي بعد نهب منازلهم وكذلك وكيل شيخ الخفراء الذي سلبوا ماله أيضا وأهانوا زوجته كل الاهانة ثم أخذوا يجمعون الأوز والدجاج ويخنقونها وكانوا قد عثروا في داره على راية يمشي بها امام الموتى حين دفنهم مكتوبا عليها الشهادتان وآيات من القرآن الشريف فربطوها بها وحملوها لوكيل شيخ الخفر وخفير آخر وكانوا يريدون تحميلي اياها ، وما بقي حمله بعضهم وساروا جميعا في هذا الموكب نحو الحوامدية وكلما استبطأوا سيرنا ـ وأكثرنا كبار السن وضعاف ـ وخزونا بأطراف السنج ولم يسمحوا لنا بالركوب مبالغة في التعذيب وكانت الشمس قد ارتفعت فجاء جندي منهم بآلة تصوير وأخذوا رسمنا على هذا الحال ٠

« ووصلنا نقطة الحوامدية ونحن في حالة يرثى لها قرب الظهر فوجدنا بها أيضا عمدة البدرشين وأحد مشايخها فأخبرانا بأن بلدهم نالت قسطها من العذاب وبقينا مدة طويلة في الشمس والتراب تحت أفواه مدافع لهم في الحوامدية والجند حولنا بالبنادق ، ثم طلعنا جميعا لبناء [١٦٤] تابع لفابريقة السكر فصعدوا بنا اليه ووجدنا به ثلاثين ضابطا واقفين ورئيسهم جالس فجاء بنا عبد المجيد أفندي ثروت ملاحظ بوليس نقطة الحوامدية المؤقت أمامهم وقال الضابط الأكبر (سأخبركم الآن عن تهمتكم فجريمة العزيزية أن بعض أهلها ضربوا أحد الضباط البريطانيين في الطريق المؤدي لأهرام صقارة ٠ وكان الضابط يقصدها مع بعض الرفاق من الضباط ـ وجريمة البلدين معا هي أنني سمعت وأنا بالقاهرة أن أهلها

اشتركوا فى احراق محطتى الحوامدية والبدرشين ـ فقلت له أننى كنت أنا وعائلتى وأهل بلدى نحافظ على الفابريقة نفسها أثناء الهياج بدعوة من مديرها وملاحظ النقطة مصطفى أفندى عمار · وقد استهدفت للموت فى هذا السبيل وأصابت رصاصة ملاحظ البوليس فجرحته وأنا بجانبه وكان محتملا أن أقتل أثناء الدفاع ويمكنك أن تسمع شهادة الضابط المذكور ومدير الفابريقة ومستخدميها ومأمور المركز يعرف جيدا كل هذا · فلم يقبل رئيس الضباط كلامى (والحق أن بلدينا لم يشتركا فى تخريب السكة الحديدية وانما أتلفها على ما أعلم قوم غرباء واحراق المحطات كلها فى الجيزة كان قبل منشـور القائد العام بعـدة أيام ولا أعرف أبدا أن أحدا من بلدنا اعتدى على أى ضابط) ثم أنذرنا كبير الضباط بأن نجمع كل ما فى البلد من سلاح والا أحرقها وأحرقنا فيها وقال بأن كل مخالفة سيجازى عليها فى المستقبل بالاعدام · ثم كتب بالانجليزية فى ورقة كلف الملاحظ ترجمتها بالعربية فى ورقة أخرى ففعل ، وتلاها علينا وهى على ما أذكر بالنص الآتى :

[١٦٥] (نحن عمد ومشايخ العزيزية والبدرشين نأسف على ما أصـاب السكة الحديدية من التخريب وما حدث من الاعتداء على عساكر الدولـة البريطانية · ونقر بأن كل ما حدث لبلادنا حق وفى محله ونحن عـلى استعداد لتقديم الأنفار التى تطلب منا مهما بلغ عددهم مجانا وبلا أجر ، واذا تأخرنا نكون قابلين الأحكام العرفية) ·

« وأكد لنا الملاحظ أن الامتناع عن التوقيع ستكون نتيجته رمينا بالرصاص ولعلمنا أن ذلك ممكن جدا قياسا على ما ارتكبوه من الفظائع وتحت تهديد المدافع والبنادق وضعنا امضاءاتنا وقال لنا الملاحظ بأنه سيشهد على الورقة مكرها مثلنا لأنهم هددوه · وشهد عليها ثم ذهبنـا لمديرية الجيزة فشكونا شفاهيا لسعادة المدير ثم توجهنا للقاهرة فشكونا لجناب المستشار · وفى اليوم التالى أثبت حضرة مأمور ضبط مديريـة الجيزة أقوالنا فى محضر تحقيق واستدعى الأمباشى المصرى الذى كـان مرافقا للقوة التى هاجمت العزيزية وسمع شهادته بحضورى وهى تطابق أقوالنا وقرر أنه رأى العساكر بنفسه بعد هذا يلبسون الحلى الكثيرة ويعبثون بها ويعرضونها للبيع على المارة ·

« ولما عدت الى البلد وجدت أن عدد البيوت المحروقة بلغ مائـة وثمانين بيتا تقريبا وأن أكثر الأهالى هاجروا وأن أختى أصيبت بمرض

شديد مما لقيت من صنوف التعذيب ولم يبق فى منزلى غير بعض حصر محترقة . ونقلت عائلتى ففرقتها على البلاد البعيدة » .

[١٦٦] « وليس فى استطاعتى أن أسرد كل ما ارتكب من الفظائع ولا أن أصف سلسلة الأهوال التى نزلت بكفور العزيزية المسكينة ولكنى أذكر بعض الحوادث على سبيل التمثيل :

« أبلغنى الخفير عبد الله محمد أن الجنود انقضوا على بيته وأخذوا ما فيه من نقود قليلة وجردوا امرأته من حليها بعد أن فتشوها وعروها من ثيابها ووضعوا أيديهم فى كل مكان من جسمها العارى وضربوها بالسنج وهى تصيح مستنجدة مستغيثة ، ثم ختموا ذلك بوضع النار فى بيته » .

« أما الخفير محمود عبد العال فان عشرة عساكر أخذوا بندقيته واستولوا على ما فى منزله من نقود وحلى وتمكنت امرأته من الهرب والاختفاء فى القمح وأحرقوا بيته احراقا تاما . ثم ردوا له بندقيته وأخذوا ما وجدوه من الأوز وحملوه اياه وساقوه مخفورا معنا الى النقطة . وشهدت بنفسى ما فعلوه ببيوت المشايخ وبعض الأهالى . فمن المشايخ محمود عقبى دخلوا منزله وأنا معهم وسلبوا منه كل ما وقعت عليه عيونهم من نقود وحلى يقدرها الشيخ المذكور بخمسمائة جنيه تقريبا وقد أحرقوا كل أثوابه وملابس زوجته وأولادهما حتى أنه الآن يلبس ما استعاره من الناس . ثم قبضوا عليه وأخذوه معى الى الحوامدية .

« وقد أصبت بمرض عصبى شديد جعلنى فى غاية الضعف وأقمت مؤقتا بالقاهرة بعد أن قدمت استعفائى للمديرية » (١) .

عمدة العزيزية

ابراهيم دسوقى رشدان

[١٦٧] **شكوى عمدة البدرشين**

« حضرات أعضاء الجمعية التشريعية ومجلس مديرية الجيزة

« أنا محمد منظور الدالى عمدة البدرشين الموقع على هذا أتشرف بأن أرفع لحضراتكم ما يأتى :

---

(١) يوجد أيضا تفاصيل عن الحادث فى البلاغ ١٩٣٣/٤/١١ ، تحت عنوان مذكرات يومية عن الثورة المصرية ١٩١٩ .

« فى الساعة الرابعة والنصف بعد منتصف ليلة الثلاثاء من يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ هجم على منزلى أربعون عسكريا مسلحون ومعهم ضابط انكليزى وملاحظ الحوامدية عبد المجيد أفندى ثروت وسأل الضابط عن سلاحى ثم أوقفونى مخفورا بالسلاح فى الصالة ودخل العسكر غرفة نومى وبها زوجتى وزوجات أولادى وبناتى الصغيرات ، وكنت اسمع من مكانى صياحهن وصوت تكسير الصناديق وقد جذب أحدهم حلقا من أذن بنت لى صغيرة فجرحها • وآلمنى صوت استغاثتها فهممت بالدخول رغم الحراسة فضربنى جندى بعقب بالبندقية • وكان الضابط ومعه الملاحظ يفتش حجرتين فى الجهة الشرقية من المنزل فعاد ببندقيتين لى واثنتين للخفراء الرسميين واستأذنت الضابط فى لبس ثيابى فأذن لى • ودخلت محل نومى فوجدت السيدات يرتعدن مفزوعات ويحكين لى ما صنعه العساكر من تفتيشهن تفتيشا معيبا وسلب كل ما وجدوه من نقود أو حلى • وخرجت فطلبوا منى أن أدلهم على بيوت مشايخ البلد الخمسة وانطلقوا بى مخفورا أنا وولدى لمنزل أحدهم وفى أثناء وجودهم به أخذ حراسى من العساكر يفتشوننا فأخذوا منى ومن أولادى نقودنا وساعاتنا • وعند خروج الضابط الكبير رجوت من الملاحظ أن يشكو له • فأجابه بالعربية قائلا : « مافيش فلوس » واستمرت قوات أخرى تطوف منكبة على سلب [١٦٨] بيوت المشايخ وبعض الأهالى • وأخذونى وولدى وأحد المشايخ الى نقطة البدرشين القريبة من البلد • وكنت أرى الحرائق مرتفعة يعلو لهيبها فى الجو تلتهم المنازل وأسمع أصوات الاستغاثة يتخللها ضرب الرصاص • ولا أعلم أى البيوت تحترق • وأى الناس يقتلون ولكن علمت عند عودتى من الحوامدية أنهم أصابوا كثيرين منهم :

١ ـ ابراهيم عطوه الدالى ابن عمى قتلوه فى عقر بيته بعد أن سلبوا منه نقوده •

٢ ـ عبد الجواد سيد معروف ، قتلوه فى منزله بالرصاص ، وبعد موته احتزوا رأسه وفصلوها عن جثته يعبثون بها •

٣ ـ ابراهيم سيد رفاعى قتل رميا بالرصاص •

٤ ـ غالية زوجة الشيخ حسنين الجرار (الكفيف البصر) وقد حاول جندى منهم أن ينال بغيته منها بالاعتداء على عفتها فدافعت عن عرضها دفاعا شديدا وقاومت الجندى مدة طويلة ولما لم يتمكن العسكرى منها أخذ يضربها بعقب البندقية فى رأسها حتى سقطت

جريحة وبعد ذلك جردوها من حليها وفاضت روحها بعد ساعات قليلة . وقال لى زوجها أنها عانت آلاما شديدة .

٥ ـ محمد أبو العلا ضيا هشم الرصاص ذراعه وعلمت أن الطبيب قطعه فى اليوم التالى وحالته خطرة .

٦ ـ على السيد الدالى الخفير الرسمى اخترقت الرصاصة جسمه ولم يمت .

[١٦٩] ٧ ـ أحمد أحمد حماد ضرب بعقب البندقية فى رأسه فأصابه بجرح بليغ واستمر أحد العساكر يضرب حتى أغمى عليه وسرقوا ما كان فى جيبه .

٨ ـ السيد محمد كاغه ضرب فى صدره بسنجة فجرح .

وأخذت الشراذم البريطانية ترد مترادفة تحمل الأسلاب والغنائم وغاب جنديان فى البلد طويلا فكلف الضابط الكبير ملاحظ البوليس بالبحث عنهما فى البلد وجلس الضابطان والعساكر بقهوة فى شرق البدرشين يقتسمون النقود والحلى أمام أعيننا ، ثم عاد الملاحظ بالجنديين .

وانصرف الجيش الانكليزى من الحوامدية تاركا ايانا بنقطة البدرشين بعد أن تعهد الملاحظ بأن يصحبنا الى الحوامدية . وسرنا مع الملاحظ اليها الساعة عشرة ونصف وبعد مدة صعدنا مع عمدة العزيزية ومشايخها الى بناية حيث وجدنا مجلسا من ثلاثين ضابطا ذكر لنا رئيسهم تهما غريبة لا صحة لها اذ الحقيقة أن بلدى لم ترتكب جرما ولم تقترف اثما ولا أعرف أحدا منها اشترك فى تخريب أو تدمير أو احراق ولم يعتد أحد على أى ضابط أو جندى من الانجليز فهم الذين يعتدون علينا وقد بلغ بى التسامح أن ضابطا انكليزيا يشتغل بجمع الذرة للسلطة هجم قبيل الاضطراب العام على منزلى بمحل الحرم وكنت نائما وحاول أن يضربنى بمسدس كان معه بدعوى أننى تأخرت فى تلبية أوامره فاكتفيت بأن أمسكت يده ومنعته من قتلى وكان هذا بحضور الباشجاويش رئيس نقطة البدرشين وخرج الضابط الانكليزى من بيتى بعد ذلك آمنا تحت حمايتى وذهب الى [١٧٠] الموردة(١) يعد فيها زكائب الذرة كأن لم يحدث شىء . وشكوت للمديرية والداخلية والقائد العام بالتلغراف وعلمت أن حضرة المأمور أرسل تقريرا للمديرية أنصفنى فيه بذكر الحادثة على حقيقتها وعدت من الحوامدية الى

(١) مرسى القرية حيث تجمع الحاصلات للنقل النهرى .

البلد ومعى أولادى فقابلنى أهلها بالبكاء والعويل كل يقص علينا نكبته ويشرح نصيبه من الفاجعة • وعزم أكثرهم على المهاجرة وهاجروا من البلد فعلا وأجهض عدد كبيرا جدا من السيدات الحوامل •

ودخلت منزلى فوجدت زوجتى المسكينة وقد فقدت صوابها وأصيبت باضطراب عقلى كان يجعلها تنطق بكلمات محزنة وتبكى بلا انقطاع • ووجدت ابنتى طريحة الفراش مريضة •

وان حوادث البلد العديدة تبلغ من البشاعة والشناعة والفظاعة مالا قدرة لى على وصفه ، ولكننى أذكر على سبيل المثال ما نال الشيخ محمود عبد المطلب أحد مشايخ البلد فان العساكر دخلوا منزله بلا ضابط وجردوه من كل ما كان به من نقود وحلى وتبلغ قيمته سبعمائة جنيه تقريبا وأهانوا زوجته وسلبوا أساورها وحلقها ولبتها (١) واقتسموا ما حصلوا عليه أمامه . وأخرجوه مخفورا الى قنطرة البلد ثم نسوه على ما يظهر لاشتغالهم بسواه فعاد الى بيته •

ودخل عساكر الانكليز منزل سليمان غطاس فلم يتركوا به نقودا أو حليا ولم يقتصر أذاهم على الناس ، بل تعداهم الى الماشية فانهم ضربوا جاموسة هذا الرجل بالرصاص فقتلوها •

[١٧٩] وقد شكونا أمرنا للمديرية ، وفتح حضرة مأمور الضبط ابراهيم أفندى دسوقى أباظة تحقيقا سمع فيه أقوالنا وسمعت أنا شهادة الملاحظ أمامه تدل على صدقنا وتنطبق على الحقيقة الهائلة فقد روى ما شاهده بنفسه من مناظر القتل واشعال النار لاحداث الحرائق والنهب والسرقة والتدمير والاعتداء على النساء واهانتهن وسلبهن حلاهن بعنف وقسوة تركت فى أيديهن وآذانهن الآثار الدامية من خلع الأساور والأقراط • وقرر فوق ذلك أمامى فى التحقيق المذكور أن رجال الجيش كانوا يهينونه اذا احتج وضباطهم كانوا لا يعبأون بما يشاهدونه من الفظائع بل يشتركون أحيانا فى ارتكاب بعضها ، وذكر أنهم هددوه شخصيا باعتباره شريكا لنا فى جرائمنا اذا لم يشهد علينا مكرها ، وأكرهوه فعلا على توقيع التعهد الذى وقعنا عليه • كما ذكر أنه رأى الأوز المسروق مطبوخا ومهيئا للأكل على مائدة حضرات الضباط وكان رئيسهم يأكل معهم •

ومما يجب ذكره أن العساكر اعتدوا أيضا على باشجاويش نقطة البدرشين الذى كلفه الملاحظ (على ما عرفت أثناء سماع شهادة الباشجاويش فى التحقيق) أن يصحب قوة انكليزية للتفتيش فى ناحية

(١) كردان وحلى يلبسان فى الرقبة •

من البلد مع أنه كان بملابسه الرسمية ودخلوا بيته فى البدرشين وسرقوا منه بعض جنيهات وقرر الباشجاويش المذكور ما رآه من نهب البيوت واشعال النار برمى القنابل المحرقة واطلاق القنابل فى الحال على من يحاول الممانعة فى سلب ماله ، وقد روى فى التحقيق ما سمعه عن محاولة اغتصاب عفة غالية زوجة الشيخ حسنين الجزار وقتلها • وقد شكا له جنوده المصريون الثلاثة من رجال البوليس من أن منازلهم نهبت ونقودهم سلبت ونساءهم فتشت وأهينت •

[١٧٢] « وكادت البلد تقفر من السكان ووجدت نفسى عاجزا عن القيام بأعباء عملى فقدمت استقالتى للمديرية » .

عمدة البدرشين

محمد منظور الدالى

[١٧٢ أ] وقد عقد مدير الجيزة فى ذلك الوقت (حمدى بك سيف النصر) مجلس المديرية وأثبت نص هذين البلاغين فى دفتر محاضر الجلسات • غير أن رجال السلطة الانجليزية طلبوا هذا الدفتر ونزعوا منه المحضر •

وطبع نص البلاغين فى كراسة صغيرة انتشرت بسرعة البرق بين الناس فى القاهرة وغيرها من بلاد القطر • فكان لها أسوأ الأثر فى نفوس الشعب (*) •

فظائع الجنود الانجليزية فى الشبانات

[١٧٣]

وقد أحرق العساكر فى نفس اليوم قرية الشبانات بمديرية الشرقية بعد نهبها • واليك ما يقوله راغب أفندى بشاى من أهالى تلك القرية فى تقريره الذى أرسله الينا (١) •

[١٧٣] فى منتصف الساعة الحادية عشرة من يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ حضرت ثلة من الجنود البريطانية وأحاطت بمنزل عمدة القرية فاستدعانى العمدة لأكون واسطة التفاهم بين الفريقين لأنى الشخص الوحيد الذى يعرف الانجليزية فى البلدة •

(*) مضاف هذا القسم فى صفحة مستقلة وحدد صاحب المذكرات مكانها على النحو الذى وضعت به هنا .

(١) انظر أيضا : البلاغ فى ١٩٣٣/٤/١١ تحت عنوان مذكرات يومية عن الثورة المصرية ١٩١٩ •

توجد قطعة أرض مزروعة تابعة للقرية واقعة خلف شريط السكة الحديد وحيث انه كانت قد صدرت أوامر عسكرية وقتئذ بمنع مرور الأهالى بعد الساعة السابعة مساء على شريط السكة الحديد فقد طلب ضابط هؤلاء الجنود استصحاب العمدة لتلقى الأوامر من قائدهم وهو ضابط برتبة كولونيل بخصوص مزارعى قطعة الأرض المذكورة ولما وصلت أحاط بى الجنود وجعلونى تحت الحفظ ، فأخبرنى الكولونيل بأنه فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٤ مارس ١٩١٩ قتل أحد الجنود الهندية الذى كان حارسا للسكة الحديدية بجهة البلدة ولم يعثروا على جثته فأنذرنى باحراق القرية ان لم يسلم اليهم الفاعل . وعلى ذلك ضربت الجنود نطاقا حول البلدة وصدر أمر باخراج جميع الأهالى من كبير وصغير . فكانوا يساقون بالحراب فى غير ما شفقة ولا رحمة حتى النساء والأطفال. ومن المناظر المحزنة أن امرأة كانت حاملا وأوشكت على الوضع فكانت تتألم ولا تقوى على السير فوخزها الجنود بحرابهم حتى توفيت المسكينة فى الحال .

وبعد أن تم اخراج جميع الأهالى فصلوا الرجال عن النساء ثم نصبوا مدفعا رشاشا خلف الرجال بعد أن أجلسوهم على الأرض وطلب ضابطهم [١٧٤] من العمدة احضار أصحاب الحقل الذى وقعت فيه الجريمة فاتضح عدم وجود أحد منهم فى ذلك اليوم بالحقل لأنه مزروع قمحا وفولا فلا داعى لوجودهم به . فأخبر الضابط العمدة حينئذ بالجريمة التى وقعت فى حقل هؤلاء الناس وأمره باحضار الجانى فى الحال والا أضربوا النار فى البلد . فبين العمدة أنه لا علم له بهذه الجريمة وأن الجانى لو كان من أهل القرية لاتصل به خبره ، لذا طلب منه أن يمهله يوما ليبحث عنه فى القرى المجاورة فأبى وأخيرا طلب منه أن يمهله عشرة دقائق فأصر على الرفض . وقد كانوا مزمعين على قتل خمسين من كبار القرية ففصلوا الأطفال الى مكان السيدات .

وفى الساعة ٢½ أصدر ذلك الضابط أمره باحراق البلدة وأنذر بأن من يقف منا يرمى بالرصاص .

وآنذاك رأينا الجنود يحطمون أبواب المنازل ويدخلونها ويأخذون منها كل ما يعثرون عليه مما خف حمله وغلا ثمنه ثم يشعلون النار فيها .

وبعد أن أحرقوا البلدة تركوها وانسلوا خفية بين الغلال وقد منعوا أهالى القرى المجاورة من حضورهم لنجدتنا وبات نيف وأربعة آلاف نفس تلك الليلة فى العراء يفترشون الغبراء ويلتحفون بالسماء .

« واستمرت النار مشتعلة يومين وفى بعض الأماكن بقيت بضعة أيام وأصبح أهل القرية لا يملكون الا ما على أجسامهم » ٠

ومن الغريب حقا أن بلاغا رسميا واحدا لم يشر الى هذا الحادث ، وهذا يدل على أن الضابط الذى أمر بارتكاب هذه الفظائع شعر بعظم هذه المسئولية فلم يبلغ رؤساءه ٠

وفى يوم ٢٦ مارس صدر البلاغ الرسمى الآتى :

[١٧٥] « لم ترد أنباء عن وقوع حوادث جديدة فى المديريات الشمالية فى خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ٠

« وفى مساء ٢٤ الجارى أطلقت النيران على قطار فى غرب أبو حماد ٠

« وفى خلال ليلة ٢٤ ــ ٢٥ الجارى حدث تلف بسيط فى خط طنطا ومحلة روح ٠

« ويؤخذ من البلاغات التى وردت من المراكز أن الطرق الزراعية والترع أصيبت فى خلال الهجمات الأخيرة على المواصلات بتلف جسيم كذلك ٠ وكان معظم التلف الذى أصاب الطرق فى جنوب الدقهلية والبحيرة وذلك لمنع وصول القوات الانجليزية الى هذه البلاد ٠

« وهجم المشاغبــون فى بعض الحوادث على ترع الرى والأقنيــة ونزعوا الأبواب التى تستخدم لتنظيم توزيع المياه ٠

« ودمر كوبرى مقام على احدى الترع بين المنصورة والسنبلاوين فسد الترعة وأفضى الى غمر جزء كبير من الأرض بالمياه ٠

« ووصلت فصيلة من الجنود الراكبة الى حوش عيسى فى غــرب البحيرة حيث قبض على عدد كبير من المجرمين ٠ وقد وردت الأنباء بأن القرويين فى هذه الجهة أخذوا يعودون الى أعمالهم العادية ٠

« وتسود السكينة جميع الجهات الواقعة بين القاهرة وأسيوط وجهة الفيوم ٠

[١٧٦] « وكانت القوة الصغيرة من الحرس المحلى فى أســيوط والنزلاء معرضين مدة بضعة أيام مضت لهجوم دائم فوصلت مساء أمس قوة لنجدتهم بطريق النيل (١) من القاهرة وأعادت الحالة الى ما كانت عليه ٠

(١) السبب فى ذلك تعطيل السكك الحديدية ٠

« ووصل البريجيدير جنرال بيكت واللفتنانت كولونيل ومستر شماينتور ومس تومون ومس كالدكلوف فى مساء يوم ٢٢ الجارى الى أسيوط قادمين من الأقصر بطريق النيل . وقد وردت الأنباء بأن مدينة أسيوط أصيبت بخسارة كبيرة بسبب أعمال النهب ووقع الاختيار بصفة خاصة على حوانيت الأقباط والأرمن للسلب والنهب ..

« وثبت أن القائمقام بوب بك مفتش السجون فى الوجه القبلى كان بين الذين قتلوا فى الاعتداء على قطار القاهرة والأقصر يوم ١٥ الجارى ولا يزال من المتعذر التثبت من أسماء الذين ذهبوا ضحية هذا الاعتداء (١).

وفى ٢٧ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى :

[١٧٧] « استتب النظام فى القاهرة وجميع أنحاء الدلتا اذا استثنينا الجهات التى حول زفتى (فى جنوب شرقى الغربية) ودسوق (فى شمال غربى الغربية) فقد هدد جماعة من المشاغبين فى زفتى بالدخول الى المركز عنوة ، ولكنهم تفرقوا بعد أن أنذرهم المأمور بأن رجال البوليس سيطلقون عليهم النيران . وقد قطع فرع السكة الحديدية فى اليوم نفسه فى غرب المدينة (٢) .

« وفى يوم ٢٦ الجارى وصلت فصيلة متنقلة الى كفر الشيخ وأعادت النظام ووصلت فصائل متنقلة أخرى الى مدن مختلفة فى غرب البحيرة . وقد وردت الأنباء بأن الترع والقناطر فى هذه المديرية (البحيرة) لم تصب بأذى .

« وتحتل الفصائل المتنقلة فى المراكز البعيدة الأخرى مراكز المشاغبات المختلفة . وقد قبض على كثير من الزعماء وكبار المشاغبين . ويساعد الأعيان فى جهات معينة ولاة الأمور بتأليف لجان للأمن العام .

« وقد وصل ما يثبت قتل المستر آرثر توماس سمث المفتش الأول للقاطرات فى مصلحة سكك حديد الحكومة فى الواسطى وقتل الخواجه يوسف نخله دهان وكيل الانجلو اجبشن بنك بالزقازيق وذلك فى خلال المدة الأولى من الاضطراب .

« ولم ترد تفاصيل جديدة من أسيوط بعد .

---

(١) نص المنشور المذكور فى المقطم فى ١٩١٩/٣/٢٧ .

(٢) تقول الوثائق البريطانية ان أكثر من ألفى متظاهر فى زفتى هاجموا المركز وأنهم لم يتوقفوا الا تحت تهديد السلاح .

F.O. 407/184 No. 184.

[١٧٨] « وأما الأنباء التى وصلت من الجهات الواقعة بين قنا وأسوان فلا تزال ناقصة · ولكن يبدو مما ورد منها أن التلف الذى وقع فى هذه المنطقة اقتصر على السكة الحديدية وخطوط التلغراف وان جميع النزلاء الأجانب والبنوك ومصانع السكر فى سلام ·

« ولا ينتظر وقوع قلق من جانب البدو فى غرب البحيرة وفى الفيوم · وقد عرض الذين يقطنون على الضفة الشرقية للنيل بين قنا وأسوان مساعدتهم لولاة الأمور ·

« وتسود السكينة جهة الشاطىء من الاسكندرية الى السلوم وفى الواحات البحرية والخارجة والداخلة (١) ·

وفى ٢٨ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى :

[١٧٩] « ان النبأ الوحيد الذى وصل فى خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة عن حدوث مشاغبات جديدة هو ما ورد من منطقة دسوق حيث وردت الأنباء بأن الرعاع من سكان القرى المجاورة نهبوا قرية كفر يوسف حنس والكنيسة وطردوا السكان (٢) ·

« وكان الحرس المحلى فى أسيوط قد توقع الهجوم عليه فاتخذ مكانا دفاعيا أدخل فيه البريطانيون والاميركيون وغيرهم من النزلاء الأجانب فى أسيوط وكان عددهم مع المسافرين من الملكيين (٣) القادمين من جهة الجنوب ١٤٦ شخصا ، ووضعت النساء والأطفال ـ وعددهم نحو سبعين فى المدرسة الثانوية الأميرية ـ وهؤلاء جميعا فى سلام وهم ينقلون الآن الى القاهرة ·

« وفى صباح ٢٣ الجارى هوجم المكان وقبل أن تستطيع الامدادات الوصول الى المراكز الذى يحرس الطريق من قرية الوليدية الى المدرسة تمكن الرعاع من اختراق النطاق وأخذوا يطلقون النيران على جنودنا ، وقد صد هذا الهجوم بعد أن تكبد الثائرون بعض الخسائر من القتلى والجرحى ·

« وفى خلال ٢٣ الجارى حاول الرعاع مرات أخرى مختلفة الدخول الى الاستحكامات عنوة ·

---

(١) نص البلاغ المذكور فى المقطم فى ١٩١٩/٣/٢٨ ·

(٢) تذكر الوثائق البريطانية أن تلك الأحداث قد جرت يوم ٢٦ مارس.
F.O. 407/184 Nos, 140, 141.

(٣) المدنيين ·

[١٨٠] « وفى خلال يومى ٢٣ و ٢٤ الجارى اشتغل جنودنا بتفريق جماعات المشاغبين ومكافحة الرماة .

« وفى ٢٤ الجارى وصلت طيارتان مائيتان فاشتركتا فى أعمال الدفاع .

« وكانت حوادث السلب تقع فى خلال جميع هذه المدة فى مدينة أسيوط وأضرمت النار فى مصنع التبن وأحرقت المخازن . وأما البنك فقد وردت الأنباء بأنه فى أمان .

« ولقيت قوة مسافرة فى احدى البواخر لانقاذ أسيوط بعض المقاومة بين ديروط وأسيوط ووجدت جماعات من الرماة على ضفتى النيل ففرقوا بنيران المدافع السريعة والبنادق ، وشوهد جماعة من المشاغبين فى أحد الأماكن فأنزلت قوة من الجند تحت النيران ، وقد قتل عشرة من العصاة فى هذه النقطة وقبض على ستة سالمين .

« وفى خلال سفر النجدة فى النهر أصيب اللفتنانت كولونيل هازل بيد أحد الرماة من الشاطىء وتوفى متأثرا بجراحه . وقد جرح ضابط آخر من ضباط هذه القوة وأصيب جنديان بجراح خفيفة .

ووصلت هذه القوة الى أسيوط نحو ظهر ٢٥ الجارى فأعيد النظام فى الحال .

« وقد أثنى قائد الجنود فى أسيوط ثناء مستطابا على المساعدة التى قام بها المدير ومأمور السجن فقد أبدى المأمور أعظم عزم وحزم فى اخماد فتنة حدثت فى السجن ـ وهو خارج المنطقة الدفاعية مباشرة ـ حيث أطلق الرعاع سراح المسجونين من غرفهم .

[١٨١] « ووردت الأنباء بأن العصابات المسلحة التى هجمت على أسيوط والتى كانت موزعة على طول النيل شمالا الى ديروط كانت مؤلفة من البدو وغيرهم من سكان المراكز البعيدة تعززهم العناصر التى لا تطيع قانونا القاطنة فى هذا الجزء من وادى النيل » .

ووصل التلغراف التالى من مصلحة الحدود :

« وصلت فصيلة « تريجاى » الباحثة الى قنا ووصلت الجنود البريطانية أمس الى الأقصر وكل شىء حسن . وقد قدم العرب القاطنون

بين أسوان والأقصر كل مساعدة وهم يستخدمون الآن فى حماية السكة الحديدية فى جنوب الأقصر » (١) .

وفى ٢٩ مارس صدر البلاغ الرسمى الآتى :

[١٨٢] « لم ترد أنباء عن حدوث اضطرابات جديدة .

« وقد بقيت فصيلة البريجيدير جنرال هولستون الرادعة فى أسيوط لاعادة النظام فى الجهات المجاورة .

« ويزحف الماجور جنرال السرجون شى من الواسطى جنوبا مع فصيلة قوية من جميع الأسلحة ويعيد النظام أثناء سيره .

« وتزحف الفصائل المتنقلة فى الدلتا بسرعة من مكان الى آخر وتقبض على عدد كبير من المجرمين وهؤلاء ينظر فى قضاياهم فى الحال .

« ويؤخذ من جميع المعلومات التى وصلت الينا حتى الآن أن آلات الرى والترع لم تصب بضرر كبير فقد نزعت ـ كما ذكرنا من قبل ـ أبواب الترع فى بعض الأحيان وأفضى سقوط أحد الكبارى الى غمر جزء كبير من الأراضى فى شمال الدقهلية .

« على أن موظفى مصلحة الرى لزموا مراكزهم باخلاص . وقام الموظفون الصغار ببرنامج مناوبات الرى فى كل مكان أمكن القيام بذلك . وعليه يمكن الحكم حتى الآن بأن محصول البلاد لم يصب بالاجمال الى أى حد يمكن تقديره وقد أحرقت مكاتب الرى فى أسيوط ومدينة سمنود .

« ووردت الأنباء فيما يتعلق بالاضطرابات الخارجة عن حد القانون التى وقعت فى أسيوط أن موظفى الحكومة المصرية سلكوا أحسن سلوك .

[١٨٣] « ان جميع حوادث القلاقل والاضطرابات تعلن رسميا على أثر التثبت من صحتها فيجدر بالجمهور اذن الا يثق بالاشاعات الكثيرة التى لا أساس لها والتى تذاع فى مثل هذه الآونة » (٢) .

---

(١) مما يلفت فى التقرير السابق أن عناصر من بعض القبائل القاطنة بين أسوان والأقصر قد عاونت السلطة الانجليزية فى حماية السكك الحديدية ، ويرجح أن تكون هذه العناصر من قبيلة البشارية التى كان يستمد منها اغلب قوات الهجانة وكانوا دائما عنصرا مواليا للسلطة .

(٢) نص البلاغ المذكور فى المقطم فى ١٩١٩/٣/٣١ ويلاحظ فعلا ان البلاغات الرسمية كانت تتطابق الى حد بعيد مع ما كان يرسله الممثلون البريطانيون فى القاهرة الى لندن ، غير أنها فى النهاية كانت تقدم رؤية هؤلاء كما حدث فى البلاغ المذكور الذى أطلق على الثوار توصيف المجرمين !

[١٨٤] وفى ٣١ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى :

« لم ترد أنباء عن وقوع قلاقل جديدة .

« وقد أفضى نشاط الفصائل المتنقلة فى الدلتا الى استرداد جزء كبير من الممتلكات التى سرقت من الحكومة والأفراد . وقد شرع فى جمع الأسلحة ، وقبض على كثيرين . وأظهر القرويون ـ الا فى بعض جهات معينة ـ صداقة (١) ازاء الجنود ، وهم يساعدون فى أعمال الترميم فى الطرق والسكك الحديدية .

« ولا تزال تقع حوادث عدائية متفرقة . ففى ٢٩ الجارى جرح قروى مسلح ببندقية حارسا كان يخفر كبريا فى جوار القلج (٢) .

وفى ٢٨ الجارى أطلق جماعة من القرويين النار على دورية من الجنود فى جوار كفر الدوار فتشتتوا وتتخذ الآن وسائل رادعة فى القرى ذات الشأن .

« ووردت الأنباء بأن جهة الحوامدية وجهة المنيا مراكز للمشاغبات وستعيد قوة بقيادة الماجور جنرال لونجلى النظام فى جهة الحوامدية فى حين تلقى الماجور جنرال السرجون شى الأوامر باعادة السكينة فى المنيا أثناء سيره جنوبا .

« ويجرى الآن اصلاح السكك الحديدية فى الوجه القبلى . وقد جاء فى تقرير من المهندس المكلف بالعمل أن التلف الذى أصاب الخط كبيرا جدا . وقد دمرت محطتا السكة الحديدية فى الحوامدية والبدرشين تدميرا تامة تناول الأبنية نفسها كذلك .

« ونظرا لتعطيل المواصلات بالسكة الحديد أصبح من اللازم انشاء [١٨٥] مواصلات بواسطة البواخر مع المديريات الجنوبية . وقد تطلب انخفاض مياه النيل فى هذه الآونة فتح أبواب خزانات أسيوط وأسوان . ولا ريب فى أنه كلما طالت الأحوال الحاضرة تعاظم ضياع المياه المخزونة فى النهر التى كانت فى الأحوال العادية تستخدم فى رى الأراضى فى فصل الصيف، وخصوصا فى رى الذرة (٣) . ويجب فوق ذلك ملاحظة انه نظرا لانخفاض

---

(١) الدافع كان الارهاب الانجليزى وليس الصداقة للانجليز .

(٢) مركز بمديرية القليوبية قرب الخانكة .

(٣) يلاحظ هنا اللجوء الى سياسة التخويف للفلاحين والعاملين فى الميدان الزراعى .

مياه النيل انخفاضا غير عادى فقد عقدت النية على شحن كميات كبيرة من البترول الى المديريات الجنوبية ليتمكن المزارعون من رفع المياه لرى مزروعاتهم • وقد وصلت الى مصر كميات كبيرة من البترول وكانت جميع القيود الخاصة ببيع هذه الحاجة ستلغى فى خلال الأسبوع الحالى ، على أنه لا يمكن نقل البترول الوارد الى القطر الى القاهرة أو الجهات الجنوبية الا بعد اصلاح المواصلات الحديدية ، ولا مشـــاحة فى أنه كلما طالت الأحوال الحاضرة كان التأثير على حاصلات البلاد الغذائية أشد » •

[١٨٦]

تقرير الوفد المصرى الى المندوب السامى

كان المندوب السامى قد دعا اليه أعضاء الوفد المصري في يوم ٢٦ مارس ١٩١٩ وسألهم عن أسباب ذلك الاضطراب الواقع في البلاد وطلب منهم أن يقدموا اليه تقريراً عن تلك الأسباب . ففى ٣٠ مارس قدم اليه الوفد التقرير المفصل الآتى :

« **فخامة المندوب السامى** » :

« اجابة لدعوتكم يوم ٢٦ مارس الحاضر يتشرف الموقعون على هذا ، أعضاء الوفد المصرى أن يقدموا الى فخامتكم هذا التقرير ببيان الأسباب التى أوجبت استياء المصريين ولو أننا تلقاء تصريحات اللورد كرزون (١) فى مركز خاص بالنسبة لأسباب هذا الاضطراب الواقع فى البلاد حالا ، الا أن هذا الموقف لايثنينا عن أقدس واجباتنا الوطنيـــة والانسانية أن نساعد فخامتكم فى الوقوف على أسباب هذا الاضطراب التى نرجـو أن تزيلوها بحكمتكم لتزول مسبباتها .

« ان هذا الاضطراب العام الذى لم يكن فى حسبان أحد من الذين يشتغلون بسياسة مصر ليست مصدره فى نفوس المصريين أساس عداوة للبريطانيين بوجه عام ، كما يفهم من العبارات التى عبر بها اللورد كرزون من أننا نريد طرد أكبر مملكة فى الدنيا من بلادنا . بل جميع الأدلة التى

---

(١) جاء فى هذا التصريح الذى ألقاه اللورد فى مجلس العموم عن الحالة فى مصر أكد فيها أن الأنباء الواردة أقل خطورة :

ـ تجنى على الثورة وزعم أنها أقرب الى النهب والسلب وأثنى على موظفى الحكومة ورجال البوليس المصرى وأن الأعيان بذلوا أقصى ما فى وسعهم لتهدئة الاضطرابات .

ـ وأثنى على رشدى باشا وعدلى باشا على الخدمات التى قدماها لمصر وللامبراطورية خلال الحرب وأن زيارتهما لبريطانيا تقابل بالرضا والارتياح .

ـ وعرج على سعد باشا وأعضاء الوفد قائلا : « ان الحال مع سعد زغلول باشا يختلف كل الاختـــــلاف لأنه هو وأعوانه هم الذين دبروا هذه الاضـــــطرابات وأنهم قوم غير مسئولين » .

عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ١ ص ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

تتخذ من سلوك المصريين نحو بريطانيا العظمى منذ احتلالها مصر الى هذا اليوم لا تدل الا على أن الذى فى نفوس المصريين ليس هو العداوة بأى نوع كان ، بل هو الاحساس الطبيعى لكل أمة أن تستقل بشئونهـا مختلطا [١٨٧] بالرجاء فى عطف الشعب البريطانى الكريم أن يساعدنا على الاستقلال باعتبار أن الفرصة التى كان ينشدها اللورد (سالسبورى) بتصريحه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٨٦ (١) قد حان وقتها . فانه من المستحيل أن يرد على خواطر الأمة المصرية التى هى أهدأ الأمم فى سلوكها أن تفكر فى اغضاب بريطانيا العظمى فى حين أنها تتكل عليها فى مساعدتها على نيل استقلالها . فان الساسة البريطانيين فى مصر لا ينكرون حسن استعداد المصريين فى بدء هذه الحرب ، لأن تعاون مصر بقدر طاقتها بريطانيا العظمى فى الدفاع عن قضية العدل وحرية الشعوب الصغيرة متى اعترفت لهـا الامبراطورية باستقلالها . كما لاينكرون أن بعض رجال مصر المسئولين قد أظهروا هذا الاستعداد عند دخول تركيا الحرب .

« ولقد أظهرت الأمة فى سلوكها طول مدة الحرب أنها تنتظر من بريطانيا العظمى معاملتها على هذا السلوك المستقيم وعلى التضحيات الكبرى التى غرمتها بما تستحق من الرعاية فتعترف لها بالاستقلال بعد زوال السيادة التركية عنها .

« ثم ان الوفد المصرى ، الذى وكل لهذه الغاية ، قد جعـل فاتحة برنامجه أن يتجه الى الشعب البريطانى قبل كل شىء لنيل عطفه على مصر والمصريين ، وليبين للرأى العام هناك أن النقطة التى تلتقى فيها منافع بريطانيا العظمى واستقلال مصر ليست نقطة معدومة بل ايجادها فى حيز الامكان معتمدا فى ذلك على شـهادة فخامتكم للمصريين التى أعلنتموها بعد أن أحرزتم الظفر وتوج جهادكم بالنجاح . [١٨٨]

« كل ذلك ينفى بتاتا أن هذه الحركة نتيجة عداوة فى النفوس . وان كانت فى الجملة بعض نتائج اليأس وخيبة الرجاء .

« لما أعلنت الحماية على مصر (٢) تساءل المصريون ، مع الدهش ، كيف يمكن أن نكون مع البريطانيين الأحرار أقل حظا بكثير من جهة حريتنا

---

(١) جاء فى هذا التصريح : « ان جميع الوزراء الانجليز الذين تعاقبوا منذ أربع سنوات أجمعوا على الاعتراف بأن احتلال انجلترا لمصر زائل لا محالة وقد سجلت أوربا هذه الاعترافات . فطول الاحتلال اذن لا يؤثر مطلقا فى مركز مصر » .

خطبة اللورد سالسبورى رئيس الوزراء فى ٩ نوفمبر ١٨٨٦ ، التيمس .

(٢) أعلنت الحماية على مصر فى ١٤ ديسمبر ١٩١٤ .

مع الأتراك ؟ ولكنهــم لم يصدقوا هذا الفهم وظنوا أن الحماية ضرورة استدعتها الظروف الحربية فقط . ولاشك فى أن تأثر الطبقة المتنورة بهذا الشأن كان أكثر جدا من تأثر غيرها . الا أن طبقة العامة لم تلبث أن لاقت من تصرف الحكام الاداريين فى أمر التطوع والتكاليف الأخرى من الاهانات ما انحرفت به نفوسهم ، وتعداهم هذا الانحراف الى الطبقات المرتقية عنهم نوعا . وظهرت آثاره في حوادث رسمية . وزاد هذا الانحراف بما كان يهدد به الشبان الانكليز المفتشون بعض الأهالى المسئولين من سوء المعاملة متى تم لهم الأمر على مصر . غير أن انتظار تسوية المسألة المصرية على وجه يتفق مع مطامع المصريين فى الحرية كان ملطفا لتلك الحال . وكان رجاء الناس يزداد يوما فيوما بمقدار ما يقرأونه فى الصحف من خطب رجال السياسة فى بريطانيـا العظمى وفى الولايـات المتحدة وبما يطالعونه بشغف عظيم من الخطب التى كان يلقيها الدكتور « ولسون » فى حرية الشعوب وأنه لايكون بعد الآن شعب سـيد وشعب مسود . بل كلهم فى الآخاء الانسانى سواء . [١٨٩]

« غير أن هذا الرجاء كان يكدر صفوه ، الوقت بعد الوقت ، فى الأوساط المتعلمة ، ماكان ينشر وماكان يقال عن حركة التشريع الجديد أى حركة أعمال لجنة الامتيازات فان هذه الحركة لم ترض البلاد سواء فى ذلك المصريون والأجانب . ولكن الحــكومة لم تأبه لهذا الامتعاض ولاشك فى أن من يرقب ماجريات الحال فى مصر عن قرب لايستطيع أن ينكر أن هذه الحركة قد أزعجت المصريين على مستقبلهم لما رأوا فيها ان كل مصلحة فى مصر ترعى الا مصلحة أهل البلاد . ولم يكن بعيدا عليهم أن يعتقدوا أن رجاءهم الذى علقوه بعطف بريطانيـــا العظمى أوشك أن يخيب .

« ثم قفى هذا التشريع بمشروع قانونى نظامي روحه متسقة مع روح التشريع الذى وضع لتوحيد السلطات القضائية . وليس لاعتبار المصريين شيئا آخر الا كمية عاطلة ليس لهـم فى ادارة بلادهم نصيب بعد تخيـم الحزن على نفوس المصريين ولكنهم اعتقدوا أن كل ذلك من عمـل حزب الاستعمار ، وأن الشعب البريطانى الحر لا يرضى بهذا التصرف (١) .

---

(١) ويتلخص هذا المشروع فى انشاء مجلس نواب مصرى يؤلف من المصريين ولكنه استشارى محض ليس له سلطة قطعية فى أى أمر من الأمور وبجانبه مجلس شـيوخ يملك وحده السلطة التشريعية ولكنه خليط من المصريين والأجانب وهم الوزراء المصريين والمستشارين الانجليز وأعضاء منتخبين بطريقة متعددة القيود والشروط ، منهم ٣٠ مصريا و ١٥ أجنبيا بحيث تكون الأغلبية للأعضاء الرسميين والأعضاء الأجانب والأقلية للأعضاء =

« ومازالوا يعلقون آمالهم بالرأى البريطانى العام • ومؤتمر السلام الذى وضعت قواعده بفضل الأمم الحرة الأربع : البريطانيــة والامريكية والفرنسية والايطالية على أسس الحرية والحق والعدل •

« ولما نشرت هـذه القواعد تألف الوفد المصري وليس أعضاؤه غير المسئولين ولا غير المعبرين عن الرأى العام كما يقال ، بل انه فضلا عما لرئيسه وبعض رجاله من صفه النيابة عن الأمة ، قد وكله أكثر من ثلاثة أرباع نواب الجمعية التشريعية غير الوزراء كما وكله أعضـــاء الهيئات النيابية الأخرى (مجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية) وكثير من الأفراد أولى الرأى والنفوذ فى البلاد • [١٩٠]

« طلب الوفد الترخيص له بالسفر الى انكلترا وفرنسا فلم يرخص له بذلك فلما طال به الانتظار رفع شكواه الى المندوب السامى وقتئذ ثم الى رئيس الوزارة البريطانية وصار يطرق كل باب ليتمكن من السفر • وفى هذه الأثناء استقالت وزارة رشدى باشا لمنع عضوين منها من السفر فى الوقت الذى أراداه • ولم يـكن لمنـع المصريين من السفر : الوزراء وغيرهم ، الا النتيجة الطبيعية لذلك وهى الظن العام بأن السـيـاسة البريطانية لاتريد أن تحقق رجاء المصريين فى مساعدتها اياهم • وكاد هذا الظن يصل الى درجة الاعتقاد لولا أن السير ريجنلد ونجت ، لما رأى أن الوزارة علقت سحب اســتقالتها على اباحة السفر للمصريين ، وعد الوزيرين بأنه سيترافع فى ذلك أمام الحكومة البريطانية بنفسه • وانه شديد الأمل فى الحصول على رفع الحجر الى حد أن حصلت المناقشـــة بينهم فى تسهيل أسباب السفر ، وعلم الناس أن الوفد يستعد للسفر فعلا • ولو تم ذلك لكان قد ذهب بجزع المصريين من عدم تمكنهم من عرض مطالبهم • وتنفس عنهم بعض مايجـدون من مضض الانتظار • على أنهم كانوا يقرأون ، مع الدهش ، أخبار الوفود : وفد الحجاز ووفد الشــام ووفد أرمينية ووفد لبنان ، • الخ • [١٩١]

« تلك الشعوب ، فضلا عن أنها كانت بالأمس ولايات لا استقلال لها ، فلم يكن لها كان فى حالة حرب ضد الحلفاء فى حين أن مصر ، وهى أرقى منها مدنية وكان لها استقلال ذاتى مضمون بمعاهدة دولية (١) ، وكانت مساعدة فى فتح تلك البلاد ، لايكون لها وفد ولا يسمح لأهلها بالسفر

= المصريين • ولو نفذ هذا المشروع لصارت سلطة التشريع فى يد شرذمة من الاجانب ولصار المصريون فى بلادهم غرباء •

عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٣ •

(١) يقصد معاهدة لندن ١٨٤٠ •

لعرض قضيتهم على المؤتمر . ولا على الرأى العام البريطانى نفسه . لايشك احد فى أن هذه المعاملة من شأنها أن تزرع الاستياء فى النفوس ، فلما صرح هنا بعدم التصريح لأحد بالسفر وقبلت استقالة الوزارة ، تلك الاستقالة التى قالت عنها جريدة المورننج بوست فى عددها الصادر فى ٢٩ يناير ١٩١٩ أنها بعبارتها تجعل من الصعب جدا أن مصريا آخر يأخذ محل الرئيس بدون أن يستهدف لتصفية الشعب . اضطربت الخواطر وشملت الأنفس عوامل اليأس من تحسين الحال . فرفعنا عريضة الى عظمة السلطان أن يتوسط فى الأمر لكى يفرج خناق اليأس عن النفوس . وبدأت الوفود من أنحاء البلاد تفد على السراى (١) لهذه الغاية . ولم تستطع السلطات العليا أن تحمل أحدا من الذين يستطيعون القيام بأعباء المركز الصعب الذى وجدت فيه البلاد ، بفضل سياسة الشدة على أن يقبل تأليف وزارة . فاستدعتنا السلطة العسكرية وأنذرتنا أننا نعيق سير الحكومة بما نحاول من منع تأليف الوزارة . ولم يمض يومان من هذا [١٩٢] الانذار حتى قبض على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا اسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا ونفوا الى مالطة .

٢

« وقع ذلك والبلاد مقتنعة بأننا لم نأت شيئا غير مشروع لا أمام القانون العام ولا مارسته السلطة العسكرية من الحدود . فلم يكد خبر القبض على زملائنا يعلم حتى رأينا لفيفا عظيما من الشبان الطلبة فى المدارس العالية قد حضر يقول لنا أنهم لابد لهم أن يقوموا بمظاهرات فنصحناهم نصحا طويلا أن يكفوا عن ذلك وأن يعكفوا على دروسهم ملازمين الهدوء والسكينة . ولكن يظهر أن شبابهم الغض لم يحتمل صدمة اليأس الذى استحوذ عليهم من جراء سياسة الاحراج فلم يتدبروا النصيحة أو لم يستطيعوا اقناع اخوانهم بها . وقامت فى اليوم التالى للقبض على زملائنا مظاهرات الطلبة السلمية (٢) ، فقبض على نحو ثلثمائة منهم . وفى اليوم الذى تلاه أى يوم ١٠ مارس اشترك معهم طلبة الأزهر . فانتهز الغوغاء فرصة هذه المظاهرات واعتدوا على قطار الترام وكسروا زجاجات بعض الحوانيت . وفى يوم ١١ منه تظاهر الطلبة مظاهرة سلمية فأطلق عليهم الرصاص فقتل منهم (٣) . وفى يوم ١٢ منه استأنفوا مظاهرتهم

(١) القصر السلطانى .

(٢) بدأت مظاهرات الطلبة يوم ٩ مارس .

(٣) توقف عند هذا الحد ولم يذكر قتل منهم ماذا .

السلمية فأطلق عليهم رصاص البنادق والمدافع الرشاشة ، فقتل منهم أيضا ، ويومئذ قامت بطنطا مظاهرة سـلمية قوبلت برصاص المدافع [١٩٣] الرشاشة • فكثر القتل والجرح في المتظاهرين • وفي يومي ١٣ ، ١٤ منه حصلت في القاهرة مظاهرة من هذا القبيل فقوبلت بالرصاص أيضـا • ولاشك في أن اطلاق الجنود البريطانيين الرصاص على الطلبة العزل في هذه المظاهرات السلمية على هذا النحو وفي مثل هذا الظرف من شأنه أن تحدث (١) في البلاد أثرا سيئا لابد أن يكون هو النقطة الأخيرة التي فاض بها كأس الصبر في نفوس أهل البلاد لأنه في يوم ١٥ ابتدأت تأتي أخبار الاعتداء على طرق المواصلات ووقوع البلاد طرا في هذا الاضطراب الشديد • ذلك ولم يقف الاستياء من هذه المعاملة القاسية لأمة غير محاربة عند حد الرجال ، فان السيدات المخدرات لم يطقن أيضـا احتمال هذه الصدمة ولم يقف حجابهن الكثيف في طريق اظهار عواطفهن بل قمن نحو الثلاثمائة من عقائل أعلى البيوتات في القاهرة بمظاهرة نشرت الجرائد صبح يومها ـ أي يوم ٢٠ مارس ـ أنها مصرح بها • فما نزلن من عرباتهن وقطعن مسافة من طريقهن حتى وصلن الى بيت سعد زغلول باشا أحدق بهن الجنود البريطانيون مصوبين أفواه البنادق وسنان السنج نحوهن فوقفن في الشمس محصورات بقوة السلاح نحو الساعتين لايسمح لهن بالسير ولا بركوب عرباتهن والانصراف الى منازلهن • ثم سمح لهن أخيرا بعد أن شاهدن (٢) على تلك الحال رجال الوكالتين السياسيتين الأمريكية والطليانية •

[١٩٤] « وكان هذا أيضا مظهرا من مظاهر سياسة الاحراج تلك السياسة التي يجب عدلا وانصـافا أن تـكون هي المسئولة عن النتائـج التي نجمت عنها •

« غير أن السلطة العسكرية مع ذلك قد استدعتنا مرة أخرى في يوم ١٦ الجاري وأعلنت الينا أننا مسئولون عن هذا الاضطراب وأننـا مسئولون عن ازالته • ولكنها سمحت لنا هذه الدفعة (٣) أن نتناقش في أمر المسئولية • فأجبناها بأن هذا الاضطراب ليس نتيجة متوقعة ولا غير متوقعة لعملنا ولا يسوغه برنامجنا بحال من الأحوال ، بل نحن نأسف له وانما تسكين هذا الاضطراب فليس في يدنا وسيلة فاعلة ونصحنا بأن آنجح الوسائل في تهدئة الخواطر بالطرق السلمية انما هو تأليف وزارة تعطى من الترضيات ما يرضى الشعب حتى نستطيع أن نقوم بأعباء الظرف

(١) في الأصل (تحدث) والصحيح (يحدث) •

(٢) في الأصل (شاهدن) والصحيح (شاهدهن) •

(٣) يقصدون هذه المرة •

الحاضر (وكان هذا رأى أعضاء البلاد من علماء وبطريرك الأقباط الارثوذكس ووزراء ونواب وأعيان صرحوا به فى كتابهم المؤرخ فى ٢٤ مارس الذى أرسلوه الى القائد العام) وفى اليوم التالى وهو يوم ١٧ مارس قابلنا الوزراء الثلاثة رشدى باشا وعدلى باشا وثروت باشا واقنعناهم بأن يظهروا استعدادهم للمفاوضة فى تأليف وزارة تستطيع أن تقضى على هذه الحركة المخيفة التى نخشى عواقبها المجهولة ، فأظهروا هذا الاستعداد لرجال دار الحماية ، ولكن الأمر لم يتم ، والاضطراب يأخذ نسبا وأشكالا ليس الحكم على نتائجها فى نفوس الناس بالشىء الميسور .

٣

[١٩٥] « والواقع الذى نؤكده لفخامتكم بالصراحة التامة هو أن استياء المصريين نتج من عدم مساواتهم بالأمم الصغيرة التى لاتفضلهم فى المدنية بمنعهم من بسط آمالهم أمام مؤتمر السلام . وكل المصريين من أكبر الى أصغر رجل فيهم فى هذا الاستياء سواء . دفعهم اليأس الى اظهار ما فى نفوسهم . كل يترجمه على شاكلته فالرجال المسئولون من رسميين وغير رسميين قد ترجموه بالاحتجاجات المختلفة وبالامتناع عن العمل كالمحامين والشبان بالمظاهرات السلمية . وأما سكان الأقاليم فأعرب عنه بعضهم بالمظاهرات السلمية ، والبعض بالاعتداءات المخالفة التى بعضها موجب للأسف .

تلك هى حقيقة الوضع الذى فيه بلادنا الآن بسطناها الى فخامتكم بالاختصار وبالحق ، نرجو أن تأمروا بتحقيقها والرجاء معقود بعدلكم أن تزيلوا هذا الاستياء بالقضاء على أسبابه ، فان الأخذ بناصر أمة بأسرها أقدس واجب على عظماء الرجال .

« وتفضلوا بقبول احترامنا الفائق » (١) .

مصر فى ٣٠ مارس ١٩١٩

توقيعات أعضاء الوفد المصرى (٢)

---

(١) جاء فى المذكرات اليومية عن الثورة المصرية (البلاغ ١٢/٤/١٩٣٣) أن اللنبى ــ المندوب السامى البريطانى ــ قد استقبل أعضاء الوفد فى ٣١/٣/١٩١٩ استقبالا حسنا ، وأخبرهم أنه اطلع على تقريرهم وأنه استفاد منه استفادة كبيرة ، وأنهم كتبوا التقرير بتعقل ورزانة .

(٢) وقع على هذه المذكرة فى الأصل الفرنسى المقدم للمندوب السامى البريطانى كل من : على باشا شعراوى ، حسين باشا واصف ، عبد الخالق باشا مدكور ، عبد العزيز فهمى بك ، أحمد لطفى السيد بك ، محمد على بك ، سينوت حنا بك ، محمود أبو النصر بك ، جورج خياط بك ، دكتور حافظ عفيفى بك ، عبد اللطيف المكباتى بك ، مصطفى النحاس بك ، وهى مؤرخة فى هذا النص ٢٩ مارس وليس ٣٠ منه .

F.O. 407/184 Inc. in No. 185.

[١٩٦] فظائع الجنود الانجليزية بنزلة الشوبك (١)

وفى ٣٠ مارس وقعت الكارثة الأليمة والمصيبة المفجعة التى قام بتمثيلها الجنود الانجليزية بنزلة الشوبك من أعمال مديرية الجيزة . ولقد تجلت وحشية هؤلاء الجنود فى هذه الحادثة بأجلى مظاهرها وحسبنا وصفا لتلك الفظائع أن ننشر للقارىء صورة الشكوى التى رفعها عبد اللطيف أفندى أبو المجد ابن عمدة نزلة الشوبك (٢) للدوائر الرسمية ، وهاهى بنصها :

[١٩٧] شكوى

« مرفوعة لأعتاب الحضرة السلطانية ورجال الحكومة ونواب الأمة المصرية من عبد اللطيف أبو المجد ابن عمدة نزلة الشوبك عما حل بهذه القرية يوم ٣٠ مارس ١٩١٩ من قتل شيخها وشيخ خفرائها واعتقال عمدتها الذى لم يطلق سراحه بالضمان الا من أيام قليلة حتى أقفرت ممن يمثلها ـ الأمر الذى حدا بى الى رفع هذه الشكوى بالنيابة عنهم للسدة السلطانية الكريمة طالبا الغوث والرحمة والعدالة وهذا بيان الحادثة :

« فى يوم الأحد الموافق ٣٠ مارس ١٩١٩ أرسل حضرة ملاحظ بوليس نقطة المزغونة عسكريا أخبر عمدة نزلة الشوبك بقرب وصول قطار مسلح يحمل جنودا انجليزية لاصلاح السكة الحديدية وكلفه بأن يقدم له ثلاثين شخصا للمساعدة فى أعمال الترميم ، وطلب منه المحافظة على راحة هذه القوة واجابة طلباتهم . فاهتم العمدة بذلك واستجمع فى الحال العدد المطلوب من الأشخاص وأخذ هو وشيخ البلدة وشيخ الخفراء ينبهون على الأهالى بحسن مقابلة الجنود الانجليزية والتسامح معهم بكل مافى وسعهم حتى لايقع أى حادث مكدر وكان حضرة الملاحظ قبل ذلك قد جمع عمد البلاد التابعة له منبها عليهم بوجوب الاحتفاظ بالمسالمة التامة وتقديم المساعدات المطلوبة للقوات الانجليزية حتى لايوجد سبيل للاستياء من أى وجه كان .

---

(١) جاء فى المذكرات اليومية عن ثورة ١٩١٩ (البلاغ ١٩٣٣/٤/١٢) عن هذا الموضوع ما نصه : « جاءت الأخبار من ناحية الشوبك تنبىء بأن الانجليز وجدوا السكة الحديدية الموصلة للشوبك بمركز العياط مقطوعة فعمدوا الى جماعة من أهلها فضربوهم بالرصاص وكان أهل الشوبك قد رأوا العبرة فى أهل العزيزية والبدرشين فاستعدوا وحصلت مناوشة بينهم وبين الانجليز فقتل بعض الانجليز وجرح آخرون .

(٢) احدى قرى مديرية الجيزة .

« وعند الساعة الرابعة بعد الظهر حضر القطار ووقف بالقرب من البلدة ورأينا الجنود ينزلون نحوها • وكان العمدة وشيخ البلد وشيخ الخفراء والخفراء في انتظارهم للقيام بما يمكن أن يكلفوا به وللمحافظة على راحتهم التامة •

[١٩٨] « فلما رأى العمدة العساكر يقصدون دخول البلدة وخشى ما عسىما أن يترتب على هذا من النتائج الوخيمة أخذ يفهمهم بأنه لاحاجة لدخولهم البلدة ، وأنه مستعد لتقديم كل ما يأمرون به أو يرغبون فيه ، فلم يصغوا لقوله ولم يكترثوا به بل دخلوا البلدة وانسابوا فى أنحائها وكلهم مدججون بالسلاح وأخذوا يستولون على كل ما تقع عليه عيونهم من أغنام وحمام وأوز ودجاج • ومع استمرارهم في ذلك لم يجدوا معارضة ولا مقاومة من أحد • وحين وقع نظرهم على امرأة تدعى عزيزة بنت خضير زوجة عبد التواب عبد المقصود بادر اليها جماعة منهم وأخذوا يمسكونها من كل موضع في جسمها ثم حاولوا اغتصابها فاستغاثت بزوجها فخرج من المنزل للدفاع عن عرضه ومعه عصا ضرب بها رأس أحد الجنود فكان جزاء دفاعه عن عرضه أن قتل رميا بالرصاص •

« ولم يقتصر اعتداؤهم على النهب والسلب بل تعدوه الى تفتيش الأهالى ورميهم بالرصاص وهتك أعراض النساء ودخول المنازل واحراقها بعد تجريد أصحابها مما يمتلكون • ولما رأى والدى عمدة البلدة ذلك منهم عاد مسرعا الى منزله فرافقته اليه ولحسن الحظ كانت النساء وقتئذ غائبات فدخلناه وأغلقنا بابه المتين علينا وقد عالج الانجليز فتحه أو كسره مرارا وكان دوى الرصاص من البنادق يسمع باستمرار حتى الصباح اذ حضر حضرة ملاحظ البوليس ومعه قوة من الانجليز ونادى على العمدة أن افتح الباب ولاتخف • ففتحه ودخله الانجليز ولم يتركوا فى البيت موضعا الا فتشوه بحجة البحث عن السلاح ولما لم يجدوا به سلاحا انصرفوا مع حضرة الملاحظ وأخذوا العمدة معهم معتقلا مخفورا الى حيث لانعلم •

[١٩٩] « فأغلقنا الباب خلفهم وبعد قليل لم نشعر الا وقد عاد عشرة من الانجليز ودخلوا منزلنا من منزل جارنا عبد الرازق على السمان فاختبأت أنا وأخى الصغير فى غرفة كسر الانجليز بابها وأخرجونا منها وأحاط بنا بعضهم مسددين بنادقهم لصدرى ، وانصرف الباقون الى فتح الدواليب والصناديق وأخذ مابها من حلى وملابس ، وقد شق أحدهم بسنجته ثوبى وأخذ ما كان معى من النقود والحلى الذى كنت أحفظه وآخر ما سلبوه من المنزل السجاجيد التى عثروا عليها عند خروجهم وبعد هذا كله أشعلوا النار فى المنزل •

« وقد حل بمعظم منازل البلدة ما حل بمنزل العمدة فكانت النتيجة احتراق مائة وأربعة وأربعين منزلا . وعدد منازل البلدة مائتان وعشرة . وبلغ عدد القتلى من الأهالى واحدا وعشرين وعدد الجرحى اثنى عشر مات منهم اثنان والكثير منهم لا ترجى حياته . وأصبح من المتعذر حصر العدد الصحيح للقتلى والجرحى لأن البلدة خربت وتركها أهلها فلا يمكن الاهتداء الى كل من نقص من سكانها ولايستبعد أن تكون النيران أبادت بعض الجثث .

« وليس المقصد من شكوانا هذه تفصيل وقائع السلب والنهب لأنها وقعت على كل شخص فى البلدة بوجه الاجمال ، ولكننا نقتصر على ذكر بعض وقائع القتل وهتك الأعراض التى منها :

« أولا : حادثة قتل شيخ البلدة عبد الغنى ابراهيم طلبه وأخيه عبد الرحيم وابنه سعيد عبد الغنى طلبه واثنين آخرين منهما خفاجة مرزوق الذى كانت جريمته دفاعه عن عرض امرأته زينب بنت خليل التى حاول الانجليز اغتصابها بالقوة . وتفصيل الحادثة أن الانجليز قبضوا [٢٠٠] على الخمسة الأشخاص السابق ذكرهم ودفنوهم أحياء الى أنصافهم ثم قتلوهم ممثلين بهم شر تمثيل . فوجوههم مشوهة من ضرب السنج . وأثر الرصاص ظاهر فى النصف الأعلى من أجسامهم . وقد رآهم كثير من الأهالى على تلك الحال ومنهم محمود محمد رؤوف ومحمد خضير وعبد المنعم ابراهيم وغيرهم ممن أخرجوا الجثث المدفونة الى أنصافها .

« ثانيا : تعذر على الانجليز كسر باب منزل جارنا عبد المولى حسن فدخلوه من منزل مجاور له واستولوا على ما وجدوه من نقود وحلى . وبلغتنا امرأة جاد المولى المدعوة وافدة بنت الجابرى وهى حامل فى الشهر التاسع أن الجند حاولوا اغتصاب عفتها فتقدم زوجها للدفاع عنها فضربه أحدهم بالرصاص ، وتوفى فى اليوم الثانى . ولما فرت الزوجة الى غرفة أخرى تبعها الانجليز اليها وأمسكوا بها لينالوا غرضهم منها فلم تجد وسيلة الا أن تحول بينها وبينهم بطفلها البالغ من العمر سنة واحدة فقدمته لهم مستشفعة ومدت نحوهم يديها وهى تحمله علها تدخل على نفوسهم شيئا من الحنان والشفقة أو أن يكون هذا الطفل باعثا على تلطيف شىء من غلظتهم . فما كان منهم الا أن أطلقوا الرصاص على الطفل الرضيع فاخترقت واحدة منها كتفه ، ومازال حيا جريحا وأثر الرصاصة ظاهر وقد رآه كثير من الأهالى ورآه حضرة مأمور ضبط مديرية الجيزة عند التحقيق . وقبل أن يخرجوا من المنزل أتموا الفاجعة المحزنة باشعال النار فيه .

« وقد حضرت هذه السيدة أمام المحقق بالمديرية ولكنها انصرفت قبل تدوين أقوالها اذ فاجأتها آلام الحمل ٠ [٢٠١]

« ثالثا : بلغتنا أم السيد بنت محمد أن الخوف جعلها تجمع حولها أولادها الصغار وتعلق الباب عليها وعليهم ، وقد ظلت تسمع ضرب النار لا ينقطع طول الليل ٠ وعند الصباح دخل عليها اثنان من الجند وهما مسلحان بعد أن كسرا الباب ٠ وقضى أحدهما غايته منها بالاكراه أمام عينى أصغر أولادها لأن الآخرين كانا قد هربا مرتاعين الى سطح المنزل ٠ وبعد أن نهبا ما وجداه خرجا ودخل ثلاثة جنود غيرهما وهموا بارتكاب الاثم معها فصاحت مستغيثة وصادف ذلك مرور الملاحظ الذى أنقذها ٠ وعند عودتها بعد هذا لبيتها وجدته محروقا ٠

« رابعا : علمنا من حسين السيد المهر من وجهاء البلدة وهو شقيق شيخ الخفراء محمد السيد المهر أن عددا كبيرا من رجال الجيش الانجليزى انقض على المنزل وكان هو وأخوه ونساء العائلة وأطفالها مجتمعين فيه ، ففر النساء الى الدور الثانى وصعد الرجلان خلفهن فنهب الجند ما عثرا عليه من نقود وحلى وأثاث ثم هاجموا الدور الثانى وكان الرجلان قد أدخلا النساء فى احدى الغرف وهن مفزوعات يرتعدن وجلا فقصد الجنود غرفتهن ولما هم حسين السيد المهر بمنعهم صوبوا نحوه البنادق وخلع أحدهم لباسه وعرى عائشة زوجة حسين المتقدم الذكر فنال بغيته منها كرها على مرأى من زوجها وأخيه والعساكر وفى هذه الأثناء صاح شيخ الخفراء أخو زوجها قائلا : يالله « تحملنا كل شىء ولكن هذا لا يطاق » ٠ ونهض لانقاذ المرأة فقابله أحد الانجليز بالرصاص فأصابه وحمله أخوه [٢٠٢] لمكان مجاور تاركا النساء مع الجنود وتوفى الجريح فى اليوم الثانى ثم زارت المنزل شراذم أخرى من العساكر ٠ وسمعنا من هذا الزوج التعس أنه قرر فى التحقيق بأنه يستبعد جدا أن تكون امرأة أو بكر سلمت من الاغتصاب فى هذه الليلة المشئومة ٠ وهذا ما شجعه على تقرير الحقيقة فى التحقيق الرسمى عن زوجته خلافا لأكثر أهل البلدة الذين أصابتهم تلك النكبة ولم يبرحوا بها خشية العار الدائم والفضيحة الخالدة ٠

« خامسا : أخبرنى سليمان محمود الفولى بأنه أغلق باب منزله على نفسه وامرأته فكسر الجند الباب ونهبوا كل ما وجدوه وأحاط به جنديان مسلحان ورفع أحد العساكر ثوب امرأته الى صدرها وهى تستغيث ولا مغيث وتقاوم الاغتصاب بكل قواها ولما رأوها مستميتة فى الدفاع عن عرضها قتلوها رميا بالرصاص فماتت فى الحال شهيدة العفاف وزوجها يرى وينظر ، ثم أشعلوا النار فى المنزل ٠

« سادسا : ذكرت لنا فاطمة زوجة عبد اللطيف الدكرورى بأن باب بيتها انكسر فجأة الى نصفين عند طلوع الشمس واندفع أربعة من الجند في الدار فنصحت لزوجها أن يصعد الى السطوح وأن تقابلهم هى وأطفالها وتعطيهم كل ما يطلبون ، فاختفى الزوج ونهب الجندى ما وصلت اليه أيديهم ثم جذب أحدهم المرأة من شعرها وطرحها على ظهرها وهى تتوسل وتستغيث ولا مغيث فلم يطق زوجها صبرا ولما هم بالنزول لاغاثتها بادره أحدهم وهو على السلم بطلقة نارية خر منها صريعا يهوى الى حوش المنزل ثم خرجوا بعد أن أحرقوا الدار وسلبوا ما فيها ٠

[٢٠٣] « سابعا : قصت لنا زينب بنت خليل هول نكبتها فقالت : كنت أنا وزوجي وابنتي العزباء وأولادى الصغار الأربعة بمنزلنا فانساب فيه عشرة من الجنود الانجليز فاختبأ زوجي فى الحجرة وأخذوا هم ينهبون مالنا ومصوغاتنا ثم طرحوا ابنتى على الأرض واغتصبها أحدهم بالقوة وأنا وأولادى نرى ونبكى ونصيح فهزت الاستغاثة زوجى فخرج باكيا متوسلا يقول : « هذا عرضى ٠٠ حرام عليكم » فأمسكوا به وأشعلوا النار فى المنزل فغادرته بعد أن ساقوا زوجي الى حيث لا أعلم ٠

« وفي الصباح علمت أن خمسة رجال وجدوا مقتولين فى مكان واحد فذهبت اليهم واذا بزوجي بينهم مدفونا الى الثديين وبجنبه رصاصة وفى عنقه جرح فأخذناه ودفناه ٠

« ثامنا : قال لنا محمد الكردى أنه أقفل باب منزله عليه وكانت معه أخته نظيرة البكر فدخل العساكر المنزل وسلبوا ما فيه وأحاط به بعضهم بالسلاح وامسكوا أخته ورفعوا ثوبها وافتض أحدهم بكارتها قسرا وهى تنتحب وأخوها يشهد الجريمة وهو عاجز عن الغوث ثم أمكنها أن تهرب من بين يدى جندى ثان يريد اغتصابها فلما أفلتت تغيظ فأطلق على رأسها النار فوقعت قتيلة وأحرقوا الدار فاحترقت جثتها معها ٠

[٢٠٤] تاسعا : واضطر الرجل للوثب على المنزل المجاور فرارا من النار ٠

عاشرا : أطلق الجنود الرصاص على جمع من النسوة وكانت بينهن واطفة بنت عقبى تحمل ابنتها الصغيرة أم السعد وعمرها ثلاثة أعوام فأصابت رصاصة وجه الصغيرة واستخرجها الدكتور حسنين بك حسنى مفتش مديرية الجيزة السابق بعملية جراحية ٠ وقدمت الرصاصة والمحضر الطبى للمحقق ٠

« هذا قليل من كثير رأينا الاكتفاء بذكره بلا مبالغة اذ وجدنا أن هذه الكارثة الدموية الهائلة الفظيعة فى غنى عن أن تساق فى ثوب من البلاغة والمبالغة بقصد التأثير فى النفوس وتحريك الرحمة فان سرد

حقيقتها المجردة الحمراء يكفى وحده لبيان مالقينا من صنوف العذاب والشقاء وقاسينا من ضروب الذل والعناء حتى لنظن أن جهنم نفسها أهون وأخف من نزلة الشوبك ليلة العاصفة .

« ومما يؤيد أقوالنا هذه شهادة حضرة ملاحظ بوليس نقطة المزغونة الصاوى أفندى الطاهر فانى سمعت شهادته بنفسى أمام حضرة مأمور ضبط المديرية وقد كان يلقيها عليه وهو باكيا مر البكاء . وهى تثبت اهتمام العمدة والشيخين القتيلين والخفراء بأمر القوة الانجليزية وعنايتهم باجابة كل مطالبهم . ويبلغ عدد رجال هذه القوة ثمانمائة جندى وقد شاهد أيضا حضرة الملاحظ المدافع الرشاشة تطلق نيرانها طول الليل وبلا انقطاع والحرائق تلتهم البلدة وكلما حاول الملاحظ التدخل لوضع حد لهذه الكارثة قابله القومندان بالرفض بحجة أن وصول الأوامر للعساكر المنبثة فى البلدة صعب . ولما اعترض الملاحظ على الحرائق قال له أحد الضباط أن هذه أوامر عسكرية . وأخيرا أمروا الملاحظ بالعودة الى النقطة . وهى قريبة من القرية . فقضى ليلته تاركا البلدة رغما منه طعمة للنار والعار والرصاص . [٢٠٥]

« ولما سمح له بدخول البلدة فى اليوم التالى مع أومباشى مصرى وقوة انجليزية شاهد بنفسه الجنود من كل مكان يملأون البلد : طرقاتها وأطلالها والبقية الباقية من بيوتها الخربة والانجليز ينهبون ويقتلون مع استمرار الرصاص . ونظر شيخ البلد ومن قتل معه قبل أن يقتلوا بالطريقة السابق بيانها ورأى أيضا عددا عظيما من النسوة والأطفال وبعض الرجال يحيط بهم حرس من الجنود وعندما أبصروه بكوا واستغاثوا به فاسترحم هو الضابط الانجليزى باكيا مستعطفا حتى أطلق سراحهم .

« وقال حضرة الملاحظ أنه بناء على طلب الضابط الانجليزى فتش معه البيوت الباقية والتى سلمت من الحريق للبحث عن أسلحة فأسفر التفتيش عن خلو جميع المنازل من أى سلاح .

« وشهد الملاحظ بأنه سمع صوت امرأة تستغيث ولما دخل عندها وجد ثلاثة من الجنود وقد انصرفوا عند رؤيته . وقالت له المرأة أنهم كانوا يريدون ارتكاب الاثم معها وهذه المرأة هى أم السيد التى سبق بيان حادثتها وقد منعها الخجل من أن تذكر للملاحظ أن اثنين من الجنود قبل هؤلاء دخلا بيتها واغتصبها أحدهما كرها .

[٢٠٦] « وقد شاهد حضرة الملاحظ بنفسه أيضا احدى جثث النسوة المحروقات وقرر على لسان الأهالى :

« أن السبب فى هذه الفظائع المريعة التى يحمر لها وجه الانسانية خجلا هو محاولة أحد الأهالى منع الانجليز من الاعتداء على الأعراض !!!

كما قرر حضرة الملاحظ أنه قد علم منهم كيفية قتل الخمسة الأشخاص بالطريقة التى أوضحناها آنفا ولم ير جثثهم لأنها كانت قد دفنت وشاهد أيضا أعمال النهب فى كل مكان وكيف كانت الجنود تحمل جميع أنواع الطيور والفرش والنحاس ورأى بعينيه الخراف مذبوحة ومعلقة مع غيرها فى القطار المسلح وقال عن الضباط أنهم لم يعترضوا أمامه مطلقا على أى عمل وقرر أنه رأى أحدهم يحمل بيضتى اوز ٠

« وأما عن والدى عمدة البلدة فقد شهد الملاحظ بتفانيه وعنايته الشديدة بالأمن ومحافظته عليه جهده ، وانه كان يقوم بأداء وظيفته خير قيام ولقد اعترض على سوق الانجليز اياه بالقوة وأخذه معهم بالقطار المسلح ، ولكنهم لم يكترثوا به فلم يسعه الا أن يقف باهتا باكيا مع الباكين ٠

« ومتى كانت هذه هى شهادة الملاحظ نفسه عن العمدة وهو رئيسه المباشر فلسنا ندرى لماذا قبضوا عليه واعتقلوه أكثر من شهر ولم يخل سبيله أخيرا الا بالضمانة ٠ ولما كنا قد لجأنا الى سعادة مدير الجيزة وشكونا له ولأعضاء مجلس المديرية ما نزل بنا وببلدتنا التعسة وسمعنا أن المجلس قد احتج على هذه الفظائع ولم نر لهذا الاحتجاج من نتيجة لجأنا الى عظمتكم لنسمعكم صوتنا وعويل نسائنا وصراخ أطفالنا وكلنا ثقة فى أن عظمتكم بما جبلتم عليه من حب العدل تتداركون البلد وأهله المنكوبين باقامة مناره ارضاء لله والحق وخدمة للانسانية » ٠

عبد اللطيف أبو المجد ٠

[٢٠٧]

بلاغ رسمى

وفى اول أبريل صدر البلاغ الرسمى الآتى (١) :ـ

وجد قطار كان يشتغل بأعمال الاصلاح أثناء سيره جنوبا بعد ظهر يوم ٣٠ مارس ـ جماعة من القرويين يعبثون بالخط الحديدى فى جوار الشوبك الغربى وقد قتل خمسة من الذين كانوا يشتغلون بتدمير الخط ٠ وأطلقت النيران بعدئذ على القطار من القرية التى طهرها جنودها بعدئذ ٠

(١) نص بلاغ السلطة العسكرية : الأخبار : فى ١٩١٩/٤/٣ ٠

وقد اشترك سكان هذه القرية والقرى المجاورة بهمة فى تدمير الخط فى هذه الجهة ولكن أحبطت كل مجهوداتهم التى بذلوها لتدمير محطة المزغونة المجاورة بفضل اخلاص نقطة بوليس محلية صغيرة وموقفها الباسل فقد صانت المحطة من كل ضرر حتى أنقذت بوصول القطار المشتغل بأعمال الاصلاح .

وفى ٣١ مارس حاول جماعة الهجوم على محطة شبرا النملة فى غربى طنطا فشتتوا .

« ولم ترد ـ عدا ماذكر عن أنباء عن وقوع اضطرابات جديدة .

« ويحاول محرضون معينون فى القاهرة عرقلة اعادة الاطمئنان والرضا بارهاب الطبقات المطيعة للقانون فيجب أن يتحمل هؤلاء المحرضون تبعة أى ضرر قد تتكبده البلاد بسبب اطالة القلاقل الحالية وتبعة أى قلق ينتج عن التدابير التى قد يكون من اللازم تنفيذها لحفظ النظام .

« وأذيعت أخبار كاذبة فيما يتعلق بحوادث يقال أنها وقعت فى العزيزية وقد طلب ارسال بلاغ عن الحقيقة فأبلغ الضابط المتولى القيادة هناك بأنه وردت أنباء تتضمن أن القرويين فى العزيزية والبدرشين [٢٠٨] اشتهروا بايواء البدو المسلحين . وقد أجرى البحث فى القريتين بناء على ذلك يوم ٢٦ مارس فوجد فى العزيزية كمية من الأسلحة . وقد حاول المشاغبون أثناء البحث الهرب بالقفز من سطح الى آخر فأفضى ذلك الى سقوط الأسطح تحت ثقلهم وقد سبب سقوط الأسطح فوق النيران أو مصابيح الزيت فى المنازل نشوب بعض حرائق فى القرية .

وفى أول ابريل ١٩١٩ أذاع المندوب السامى بلاغا باعتماد ميزانية ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ لأن السنة المالية قد انتهت وليس فى البلاد وزارة .

[٢٠٩] وفى يوم ٢ ابريل بدأ بعض موظفى الوزارات والمصالح الاضراب احتجاجا على ما وصلت اليه الحالة الحاضرة ، وتبعهم فى ذلك طلبة مدرستى الحربية والبوليس فكانوا فى بعض الميادين والشوارع مارين بدور السفارات والقنصليات ولم يكونوا حتى هذا التاريخ قد اشتركوا فى المظاهرات (١) .

وكان هذا اليوم موعد اجتماع المحامين بمحكمة الاستئناف ، ولما لم يتكامل عددهم القانونى غادروا المحكمة فاعتدى عليهم الجنود الانجليز وقدموا

(١) يقرر اللنبى ان طلاب المدرسة الحربية خرجوا صبيحة ٢ ابريل فى مظاهرة بعد أن تركوا وراءهم بنادقهم ومعداتهم وأن طلاب مدرسة البوليس قد انضموا اليهم ، وقد سارت المظاهرة أمام قصر السلطان عصر نفس اليوم كما أنها سارت صباح اليوم التالى أمام الوكالة الامريكية وهى تهتف بحياة أمريكا . F.O. 407/184 Nos. 140, 141.

احتجاجهم الى مجلس نقابتهم الذى اجتمع فى ٤ ابريل ووافق على هذا الاحتجاج وقرر تأجيل الجمعية الى أجل غير مسمى ٠

وفى يوم ٢ ابريل استدعت دار الحماية شيخ الجامع الأزهر وطلبت منه اغلاق أبواب الجامع فرفض قائلا انه مسجد وماكان له أن يوصد أبوابه فى وجوه المصلين وطلبت منه الدار أن يفتحه فى مواعيد الصلاة فقط فرفض ٠

وفى نفس هذا اليوم صدر البلاغ الرسمى الآتى :

بلاغ رسمى

[٢١٠] القاهرة فى ٢ ابريل ١٩١٩

« تعمل الآن ستة عشرة فصيلة فى الوجه القبلى ٠

« ويستمر ترميم السكك الحديدية فى جنوب القاهرة باضطراد ٠

« وفتشت قرية الشوبك الغربى وقبض على العمدة لأن النار أطلقت على الجنود أولا من منزله ٠

« وأعاد البريجيدير جنرال هدلستون النظام فى منطقة أسيوط وأخذ فى معاقبة المجرمين فى المدينة (أسيوط) ٠

« ولم يقع فى خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة شىء آخر يستحق الذكر ٠

[٢١١] اعتداء الأرمن على المتظاهرين

لم يعرف حتى الآن السبب الذى حمل بعض النزلاء من الأرمن على التعدى على المتظاهرين الوادعين ، فلم يكن لهذا من دافع الا ذلك الشر الكامن فى بعض النفوس الخبيثة ٠ فقد حدث أن مظاهرة كبرى كانت تطوف ببعض الشوارع ، وما كادت تصل الى شارع محمد على حتى أوحت الى أرمنى شرير من غرفته باطلاق الرصاص عليها فقتل أحد المتظاهرين ، ولما رأى الشعب ذلك غلى مرجل غضبه وأخذته الحمية فهاجم الدار التى أطلق منها الرصاص وأحرقه ، ولكن الجنود الانجليزية أطلقت رصاصها على المتظاهرين فقتل منهم تسعة وجرح كثيرون ٠ فراحوا جميعا ضحية هذا العمل الطائش الذى أثاره ذلك الأرمنى الدنىء ٠

مظاهرة عابدين

ملخص التقرير الذى رفعه محمود أفندى عوض المهندس الى ولاة الأمور عما حدث فى مظاهرة عابدين ٠

[٢١٢] « حدث فى يوم الخميس ٣ ابريل ١٩١٩ بعد الظهر أن قامت مظاهرة بميدان عابدين بالقرب من منزلى وبينما المتظاهرون يسيرون فى هدوء وسلامة اذا بالرصاص يطلق عليهم من منزلى ، فهجموا على المنزل وكسروا بابه ثم تفرقوا ثلاث فرق الأولى الى دورى والثانية دور الخواجة هكتور والثالثة دور الخواجة ارمندو اكيلس ٠

« وقد أحرق المتظاهرون الدور الثانى وحطموا الزجـاج وكسروا الأبواب وقد هرب صاحبه فى منور ٠

« وفى الدور الثالث هرب صاحبه وأصيب بثلاثة سكاكين وأحرق الدور الثالث كذلك وحطم زجاجه وأبوابه وكسر رصاص المياه ٠

« وهنا حضرت القوة الاسترالية فانصرف المتظاهرون دون أن يصاب احدهم بأذى ففتحت باب منزلى لرجال الاسعاف وأشرت اليهم بأن المضروب بالبدرون ودخل الجند عندى وهم مسلحون بالمسدسات ٠

« وقد كسر أحدهم قفل الدولاب وأخذ علبة داخلها زوجان من الأساور قيمتها ستون جنيها وطاوس من الماس وحزام من الذهب قيمته ١٥ جنيه وورق بنك نوت بمائة وعشرين جنيه ونظارة ذهب وساعة أخذوها من صدرى بخمسة جنيهات ٠

« وقد اتضح بعد ذلك أن الضارب كان من السطح ونظر الناس دخان الطلقات من سطح منزلى ولم يكن بالسطح الا الخواجة ارتين ايكريان الأرمنى وقد حضر الى المنزل ثلاث كراكولات انجليزية لرؤية المنزل ليلا ٠ [٢١٣]

« وقد اتضح كذلك وجود أسلحة داخل غرفة نوم الأرمنى المذكور مكونة من بندقية وعشرة أظرف وسكينة مسنونة وكيس طبنجة ٠ وأن الثلاثة الذين قتلوا فى المظاهرة كانوا بيد الأرمنى نفسه (١) ٠

وقد قيدت الحادثة باختصار فى دفتر أحوال قسم عابدين نمرة ٧٠ بتاريخ ١١ ابريل ١٩١٩ ٠

---

(١) كانت هذه بداية الصدامات بين الثوار المصريين والجالية الأرمنية وهى صدامات تكررت كثيرا بعد ذلك ٠

وفى يوم ٣ ابريل كذلك صدر البلاغ الرسمى الآتى :

[٢١٤] زارت الفصائل المتنقلة فى خلال الأيام القليلة الماضية المراكز التالية ضمن مازارته فى جهات الأرياف فى الدلتا وهى : « كفر الدوار · حوش عيسى · دمنهور · الدلنجات · كوم حماده · شبرا خيت · تميده · كفر الشيخ · قللين (١) · شبين الكوم · منوف · أشمون · الكوم الطويل المنصورة · المحلة الكبرى · زفتى · ميت غمر · شبين القناطر · دمياط · فارسكور · السنبلاوين · منيا القمح · كفر صقر · ههيا · فاقوس · الصالحية ·

« وقام قطار الاصلاح بترميم السكك الحديدية فى الوجه القبلى فأعاد الخط الى الواسطى · وقام قطار آخر ابتداء من الواسطى فأصلح جزءا كبيرا من الخط بين الواسطى وبنى سويف ·

« واجتمع اليوم ٣ ابريل جماهير الرعاع المخلين بالراحة والنظام فى جوار ميدان عابدين وفى شارع محمد على بالقاهرة · وقد قتل المستر ديكس الموظف بالسكة الحديدية المصرية برصاصة بندقية فى ميدان عابدين فى الساعة الحادية عشرة وقتل الرعاع يونانيا فى شارع محمد على فى الساعة الثانية · وأطلق الرصاص من منزل فى ميدان عابدين فأفضى الى وقع (٢) اضطراب جديد أحرق الرعاع فى خلاله المنزل المذكور · وقد أعيد النظام فى الساعة الثالثة بعد الظهر · ووردت الأنباء بوقوع بعض الخسارة من القتلى والجرحى والمعروف الى الآن أن ستة قتلوا وأن عددا معينا من الناس جرحوا ولكن لم تصل التفاصيل بعد ·

كما صدر فى ٤ أبريل البلاغ الرسمى الآتى :

[٢١٥] « اتسع نطاق أعمال الفصائل المتنقلة فى الدلتا توسيعا أخر وأنشئت خطوط منظمة من الدوريات التى تجتاز البلاد بين السكك الحديدية الكبرى (٣) والطرق ، وتقوم قطارات مسلحة بخفارة السكك الحديدية علاوة على الفصائل المتنقلة ، وأنشئت الدوريات المائية فى الأنهر والترع· ووردت الأنباء بوقوع حادثتين أطلقت العصابات المسلحة فيهما النار على دورياتنا ·

« وتعود الأحوال العادية فى الدلتا بسرعة بمساعدة ولاة الأمور الملكيين(٤) الفعلية·وتطهر البلاد من الأشقياء الذين كانوا قبل الاضطرابات

(١) صحتها قلين وهى احد مراكز كفر الشيخ ·

(٢) صحتها وقوع ·

(٣) يقصد بالسكك الحديدية الكبرى الخطوط الرئيسية تمييزا لها عن السكك الحديدية الضيقة أو ما كان يعرف بسكك حديد الدلتا ·

(٤) ولاة الأمور المدنيين ·

المحلية يعيشون بما يفرضونه من الأتاوة على الطبقات المطيعة للقانون وقد أخذ القرويون يأتون بالمهمات والقضبان التى سلبت من الخطوط الحديدية ونقلت الى مسافات وسط الحقول أو ألقيت فى الترع ·

« أما فى جنوب القاهرة فقد أعيدت المواصلات التلغرافية أمس الى الواسطى ويجرى أصلاحها فيما يلى ذلك جنوبا · وقد أصلح الخط الحديدى الى نقطة فى جنوب ببا(١) وينتظر أن تعاد غدا المواصلات الحديدية مع المنيا وتجرى القطارات الآن بين المنيا وأسوان ·

« واضطرت الدوريات فى خلال الاضطرابات التى وقعت أمس (٣ ابريل) فى القاهرة أن تطلق النيران بضع مرات بسبب الخطة العدائية التى سلكها الرعاع ويرجع الفضل فى تحديد الخسارة الى نظام الجنود [٢١٦] وضبط أنفسهم · فقد أثبت ولاة الأمور من رجال البوليس الآن أن ٩ قتلوا و ٥٦ جرحوا بعضهم بجراح بليغة والآخرون بجراح خفيفة ويعزى عدد معين من هذه الخسارة الى العمل الذى قام به أحد السكان فى عابدين فانه أطلق الرصاص جزافا ·

« واستتبت السكينة اليوم فى القاهرة وتولت السلطة العسكرية أعمال التلغرافات نظرا لاعتصاب مستخدمى التلغرافات فأمكن المحافظة بذلك على القيام بخدمة الجمهور الى درجة محدودة » ·

ويلاحظ فى هذا البلاغ والبلاغ السابق أمر جدير بالاعتبار وهو أن البلاغين يقولان صراحة أن سبب هياج الخواطر واعتداء المتظاهرين على بعض المنازل فى حى عابدين هو ما قام به أحد السكان « فى حى عابدين فانه أطلق الرصاص جزافا » ولا يقلل من شأن هذه التهمة أن البلاغين لا يذكران شيئا عن شخصية المعتدى وذلك لأنه يتبين من خلال سطوره اتفاقه مع التقرير المقدم من محمود أفندى عزمى المهندس وبمقارنة البلاغين بهذا التقرير يتضح وضوحا لا يتطرق اليه الشك أن الأرمن هم الذين بدءوا بالاعتداء ·

غير أن الحركة كما قلنا من قبل قد قضى عليها فى مهدها بفضل حكمة عقلاء الأمة ورجال لجنة الوفد المركزية (٢) ·

---

(١) من أعمال مديرية بنى سويف ·

(٢) يؤكد هذا التعليق من جانب عبد الرحمن فهمى حرص الوفد على عدم اثارة قضية الاعتداء على الأجانب لمنع البريطانيين من التذرع بها ·

[٢١٧] **وفي يوم ٥ ابريل نشر البلاغ الرسمي الآتي :**

« لم ترد أنباء عن وقوع اضطرابات جديدة فى المديريات .

« وضبطت كمية من الأسلحة فى مركز أبو حمص (١) وقبض على ١٢٠ من كبار المشاغبين فى خلال الأسبوع الماضى .

« وقبض على ٥٥ شخصا فى مركز العياط .

« وسادت السكينة مدينة القاهرة اليوم وقبض على الأشخاص الذين اتهموا باطلاق الرصاص على الرعاع فى ميدان عابدين فى خلال الاضطرابات التى وقعت يوم الخميس وقبض على ٥٥ شخصا آخرين لما قاموا به من أعمال السلب والنهب .

« ولكى لايكون هناك اعتقاد حسن سابق لأوانه فيما يتعلق بحالة السكك الحديدية التى يمكن ادراكها من الحقيقة الواقعة وهى أن بعض القطارات تسير بنظام بين القاهرة والاسكندرية ومدن القنال فى حين كادت المواصلات تتم الى أسوان ويمكن القول أنه نظرا لتدمير المحطات وآلات الاشارات فى الوجهين البحرى والقبلى لا بد أن يمضى وقت طويل قبل أن تقوم السكك الحديدية بنقل الركاب والبضائع كالعادة . ثم أن تدمير المصابيح التى لايمكن سد ما ينقص منها فى هذه الآونة يجب أن ينقص احتمال العمل ليلا . وفوق ذلك يجب أن يبقى اصلاح سكك حديد الدلتا الخفيفة وبعض خطوط فرعية معلومة الى أن تتم تسوية الأحوال تماما » .

---

(١) أحد مراكز مديرية البحيرة .

[٢١٨]

الاجتماع العظيم بجامع طولون

كانت معظم الاجتماعات تعقد بالأزهر الشريف • وكان فى نية الموظفين وغيرهم من سائر الهيئات أن يعقدوا اجتماعا فى يوم ٥ ابريل فلما علمت السلطة بهذا وضعت على منافذ الأزهر القوات الانجليزية المسلحة • فلما رأى الزعماء ألا سبيل الى عقد الاجتماع بالأزهر قرروا الاجتماع بجامع أحمد بن طولون لاتساعه •

وقد احتاط المجتمعون للأمر فأقاموا المتاريس وحفروا الخنادق عند منافذ الطرق المؤدية لمكان الاجتماع •

وعند سبيل أم عباس بالصليبة أقيمت طابية وحصن مرتفعة من الأحجار ووضعت على سطحها مدخنة تشبه المدفع وجلس خلف هذه المدخنة غلام صغير لا يتجاوز عمره العشر سنوات — وقد عرف فى الثورة باسم ابن القباقيبى • جلس هذا الفتى يوقد الأوراق والخرق ويضعها فى المدخنة •

فلما علم الانجليز بخبر الاجتماع ومكانه جاءت قواتهم لتفرق شمله فاعترضتهم الخنادق والمتاريس التى أخذ الناس من خلفها يرجمون الجنود بالحجارة فأطلق الجنود الانجليز الرصاص على المتظاهرين بل والآمنين فسقط كثير من القتلى والجرحى من بينهم الغلام المتقدم ذكره • فاحتفل بتشييع جنازته فى اليوم التالى بمشهد لم يسبق له نظير ودفن بالامام •

[٢١٩] وهكذا نجح اجتماع هذا اليوم ، ولم يستطع الجنود مهاجمة المجتمعين على أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يقوموا بمظاهرة لتعذر المرور فوق الخنادق والمتاريس • وكانت الطيارات الانجليزية تحلق فوق الجامع •

وفى اليوم التالى احتلت الجنود الانجليزية الشوارع المؤدية الى جامع ابن طولون وأخذت ترغم الناس بالقوة على ردم الخنادق وازالة المتاريس من غير تفريق بين كبيرهم وصغيرهم أو عظيمهم وحقيرهم •

بلاغ رسمي

وفي اليوم التالي نشرت السلطة البلاغ الرسمي الآتي :

[٢٢٠] « وردت الأنباء منذ صدور البلاغ الرسمي بأن جمهورا معاديا هجم صباح أمس على دورية في حي السيدة زينب ، فاضطرت الى اطلاق النيران. وقد قتل لسوء الحظ ولد في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره كان بين الجماهير ولم ترد أنباء عن وقوع خسائر أخرى .

« وأصلح الخط الحديدي في الوجه القبلي من القاهرة الى المنيا ، وبذا عادت المواصلات مع أسوان .

« وعدا ذلك لم يقع شيء يذكر »

[٢٢١] فظائع الجنود الانجليزية بمركز كفر الشيخ

بلغت تعسفات الجنود الانجليزية منتهى القسوة والفظاعة ، فكانوا لا يقنعون بنهب مالدى الأهالي من مال وحلي ومتاع ، بل كانوا يندفعون فيما هو أدهى من ذلك وأمر من حرق القرى لأوهى الأسباب أو لغير ماسبب من الاعتداء على الأرواح البريئة وعلى عفاف النساء . وقد زادوا على ذلك بأنهم ابتدعوا بدعة جديدة تلك هي متعة جلد الأهالي بقسوة وفظاعة لغير سبب الا الرغبة في الانتقام وقد كانوا يفرضون على كل عمدة أن يحضر لهم أنفارا أيا كانوا لجلدهم . ومن يتأخر منهم عن استحضار العدد المطلوب كان عرضة لأشد أنواع العذاب .

وليس لدينا برهان أقطع على صدق ذلك أكثر من خطاب عبد القادر أفندي مختار مأمور مركز كفر الشيخ الذي أرسله الى مدير الغربية في هذا الشأن ثم خطابه الثاني الى مدير الغربية أيضا والذي فصل فيه ما أجمله في خطابه الأول واليك نص الخطابين :ـ

[٢٢٢] « **طنطا في ٥ ابريل ١٩١٩ :**

« **حضرة صاحب السعادة مدير الغربية :**

« علمت من جملة مصادر أن القوات الانجليزية الموجودة للآن بمركز كفر الشيخ من يوم ١٩١٩/٣/٢٥ جارين جلد الأهالي بدون شفقة ولا رحمة وبدون تحقيق ، وفقط يحتمون على كل عمدة أن يحضر لهم أنفارا أيما كانوا لجلدهم .

« وعلمت أنهم وهم فى استعمالهم هذا الارهاب الشديد يمضون بعض العمد والتجار على رضائهم لوجود الاحتلال الانجليزى بمصر ·

« فبصفتى مأمور مركز أبلغك ماعلمت وسعادتكم تكونون مسئولين شخصيا أن لم تبلغوا هذا لوزارة الداخلية بحيث يصل البلاغ لموظف مصرى مسئول · وذلك للنظر فى هذه الحالة ·

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

مأمور مركز كفر الشيخ
عبد القادر مختار

[٢٢٣] « **حضرة صاحب السعادة مدير الغربية**

« الحاقا لبلاغنا المرسل لسعادتكم بتاريخ ٥ أبريل ١٩١٩ المتضمن المعلومات التى وصلتنا عن معاملة القوات الانجليزية الموجودة بمركز كفر الشيخ من يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ للأهالى · وذلك بأنهم (جارين جلدهم) بدون شفقة ولا رحمة وبدون تحقيق ·

« قد علمنا أن ضباط هذه القوة شرعت فى منح ترضية مالية لكل شخص جلد نظير أن يقرر كتابة بأنه لم يجلد وقيمة المبلغ ٥ جنيه لكل شخص · وعلمت أن الأهالى الذين عرض عليهم ذلك رفضوا أخذ ترضية متمسكين بحقوقهم أمام العدل الانجليزى ·

« والواسطة فى ذلك كان أحد التجار المدعو عقل محمد وهو واسطتهم فى جميع التصرفات تقريبا · وعلمت أيضا بمزيد الاسف والحزن أن العساكر الانجليزية بكفر الشيخ استعملت سراى المدرسه الابتدائية ودور العلم مربطا لخيولهم واستعملوا أخشاب سياج السراى فى المطبخ وعمل الشاى · ولم يكفهم ذلك بل عرجوا على تخت التلاميذ وأحرقوها فى الطبخ أيضا ·

« والذى يجمد القلب أمامه ويجف المداد له هو أن هؤلاء العساكر استعملوا أوراق كتب الدراسة التى بينها أجزاء المصاحف الشريفة والكتب المقدسة لتنظيف فضلات الغائط وهم بالمراحيض · [٢٢٤]

« تلك التصرفات التى يقوم لها رجال الدين · وتهتز لها أركان المساجد والكنائس وتسجد لها حياء دور الجامعات والكليات ·

« هذه الأفعال التى اذا بلغت مسامع المستر لويد جورج لاهتز فى رئاسته . أو اللورد كرزون لحزن فى وزارته أو اللورد افبرى لبكى بين كتبه أو المستر سبنسر لذابت رفاته الطاهرة فى قبره .

« تلك الأعمال المخجلة والأفعال الدامية ترتكبها جيوش جلالة ملك الانجليز بارشاد المستر كرى مدير شركة « الراحال » (١) الذى عاش بين أهالى مركز كفر الشيخ نحو ستة عشر سنة فى أرغد عيش ومتع بألذ النعم .

« هذا الرجل الذى طعن الاسلام فى قلبه بخنجر مسقى بالسم الزعاف هـذا الانجليزى الذى داس العفاف بنعاله . وهزم الفضيلة بأفعاله . ذلكم الرجل الذى تغلب على عرض امرأة مسلمة محصنة فاستهواها وضغط على بعلها بماله من قوة المنفعة لأنه خادمه فعاش هذا الانجليزى مع ذلك المخلوق الضعيف خلف ستار الشريعة المحمدية الغراء يقصد بذلك أن يعلن أن تلك المرأة التى ليس لها حول ولا قوة هى زوجة خادمه .

« عاش هذا الرجل على تلك الحالة المردية فى وسط بلاد اسلامية لا يخشى الله ولايهاب الناس والكل يعرفون الحقيقة حتى رجال الانجليز أنفسهم .

[٢٢٥] « ولما حصل الانقلاب الأخير عرضت على هذا الانجليزى ثلاث مرات أن يقوم الى مركز الشركة بالاسكندرية أو طنطا .. خشية التعدى على حياته . خصوصا لتلك الأسباب البادية الذكر . حتى لا يقال ان المصريين ينتقمون من الانجليز ، فرفض .

« ولذلك بلغت سعادتكم . وذكرت فى تقريرى أن المستر كرى لا يمكنه ترك مركزه حتى لا يغيب لحظة عن معشوقته « عزيزة » كما قيل لى من المستر دلور مدير شركة سابا وكان هذا الجواب سببا لانتشاله بالقوة من بين أحضان معشوقته . وذلك بواسطة سبعة أوتومبيلات مسلحة حضروا لهذا الغرض .

« فكبر على الرجل أن يعامل هذه المعاملة وأراد الانتقام لنفسه . وليس لخدمة دولته فانتهز الظروف وأراد الصيد فى الماء العكر فأوهم الانجليز بتقرير مطول أن مركز كفر الشيخ أصبح شعلة نار وعلى رأسه المأمور وغرر ببعض الأهالى بكتابة طلب للسلطة العسكرية يطلبون قوة

---

(١) احدى شركات الأراضى فى ناحية الراحال بكفر الشيخ .

انجليزية بكفر الشيخ كما بلغنى . وبهذه الوسيلة تمكن من احضار قوة انجليزية مسلحة بجميع الأسلحة وحضرته على رأسها وعددها نحو الأربعمائة عسكرى .

« وأول ما عملته بارشاد المستر كرى هو ابعاد المأمور عن المركز فى الحال . وفعلا قمت الى طنطا فى حينه . وأذاع بين عموم الأهالى بأن المأمور رفت وليس له عودة (وله فى ذلك مآرب ذكرته جملة فى بعض التقارير وسأذكره تفصيلا اذا كان لذلك ضرورة) ثم أملى على الضباط والعساكر كيف ينتقمون من الأهالى لأن بعضهم كان فى عزمه التعدى على شركته وليكبر مركزه فى عيون معشوقته . [٢٢٦]

« ويا للأسف فان القوات الانجليزية بتأثير هذا الانسان ظنت أنها تؤدى الواجب . فارتكبوا ما ارتكبوا من السلب والنهب والضرب بدون شفقة ولا رحمة والتعدى على النفس والمال . ولولا أغراض هذا الرجل لما حصل شىء من ذلك .

« ويظهر ان هذا المسكين خانته فكرته فى فهم ما فاه به جناب الجنرال اللنبى للأعيان المصريين يوم ٢٧ مارس ١٩١٩ حيث قال فى حديثه :

(وأنا مستعد أن ألقى اتكالى عليكم لنبدأ بالعمل حالا لتهدئة الخواطر الهائجة الآن) .

« وحسب المستر كرى أن الخواطر الهائجة لا تسكن بمركز كفر الشيخ الا بعد أن ينفذ أغراضه الشخصية ويعود مطمئنا على معشوقته .

« فبينما كان الفلاح المصرى بكفر الشيخ يسيل دمه من طلقات البنادق ويتمزق جسمه من الجلد بالكرباج لأنه يطلب استقلال بلاده . الأمر الذى أجمع عليه المصريون كبيرهم وصغيرهم شريفهم وحقيرهم وجميع الموظفين على اختلاف طبقاتهم حتى العسكرى والخفير . فان المستر كرى الانجليزى يمرح تيها ودلالا بلباسه العسكرى على منظر من معشوقته المحصنة بين الاوتوموبيلات المسلحة والخيول المطهمة والبنادق المفوهة ، والسونكيات المسننة . فرحماك اللهم رحماك .

[٢٢٧] « وانى أذكر لسعادتكم حادثة شاهدتها بعينى أول من أمس بطنطا وذلك بينما كنت أتناول طعام العشاء بلوكاندة الأهرام فى نحو الساعة الثامنة والنصف مساء اذ خرج اثنان من العساكر الانجليز كانا بداخل اللوكاندة وبيد أحدهما سكين من متعلقات اللوكاندة شهرها فى وجه المارة ويتلفظ بأقذر الشتائم ضد مصر والمصريين . وكانت امرأة بائعة

برتقال جالسة بقرب لوكاندة الشرق فهجم عليها هذان العسكريان . ولما أراد ولدها منعهما من التعدى على التجارة القليلة التى يتعيشون منها . ضربه أحدهما برجله ضربة ألقته على الأرض وتمكن العسكرى الثانى من سلب كمية من البرتقال . وسارا فى الشارع على حالتهما الفظيعة حتى اختفيا عن نظرى ولا أعلم ما الذى حصل منهما بعدئذ من التعديات .

« فيا سعادة المدير . بما أن جناب الجنرال اللنبى صرح لأعيان البلاد فى حديثه لهم يوم ٢٧ مارس ١٩١٩ « وبعدما يعود الأمن الى البلاد فلى ملء الثقة أنكم تعتمدون على بأن أنظر بلا محاباة فى جميع أسباب الشكاوى . وأوصى بكل ما يلزم لسعادة الشعب المصرى وراحته » . ثم قال جنابه فى منشوره الصادر فى ٧ ابريل ١٩١٩ « الآن وقد عاد النظام بنجاح تام عظيم » .

« فارجو سعادتكم :

أولا : سحب القوات الانجليزية الموجودة بكفر الشيخ .

ثانيا : تكليف أحد الموظفين المصريين بعمل تحقيق دقيق فى جميع التعديات والتصرفات التى حصلت بالمركز مدة وجود القوات الانجليزية .

[٢٢٨] ثالثا : كل التحقيقات التى عملت مدة وجود القوات الانجليزية بالمركز يضرب بها عرض الحائط . ولا يلتفت اليها لأنها كانت مبنية على أغراض وذلك مما يخالف تصريحات الجنرال اللنبى السابقة .

رابعا : أكون أنا مأمور مركز كفر الشيخ مشرفا على جميع هذه الاجراءات .

« وانى أيضا أقترح على سعادتكم عقد جمعية من مأمورى المراكز بأسرع ما يمكن لتكليفهم بعمل تقرير مطول عن جميع التعديات التى حصلت من عساكر جيوش جلالة الملك وتقديم تلك التقارير لوزارة الداخلية مشفوعة برأيكم عن كل حادثة .

« وهذا العمل الجليل والخدمة الصادقة تكون مطابقة لرغائب جناب الجنرال اللنبى حيث جاء بحديثه مع مكاتب جريدة وادى النيل (ولقد أخذت على عاتقى القيام بفحص جميع المطالب بدون تحيز أو محاباة . كما انى على استعداد للنظر فى الشكاوى فى المستقبل متى عادت السكينة .

« انى لا أمنع أى شخص من الاعراب عن رأيه بالوسائل المشروعة وانى على استعداد لسماع ما يعرض على من المطالب والشكاوى) »

فياسعادة المدير :

بناء على تلك التصريحات التى فاه بها جناب الجنرال اللنبى ذلكم البطل العظيم أرجوكم الاسراع فى تقديم تلك التحقيقات والتقارير التى تقدم لسعادتكم من مأمورى المراكز مشفوعة بنتيجة وافية · وأرجو السرعة فى ذلك بمثل الطريقة التى كنتم سعادتكم تتبعونها فى تنفيـذ طلبات السلطة العسكرية التى كانت تنفذ بطرق غير مشروعة وكنا نرتكب هذا العمل ضد ضمائرنا طمعا فى كسب مرضاة الرؤساء الانجليز الذين كانوا فى شـدة محنتهم · واذا كان هناك داع لوصف تلكم التصرفات فانى أذكرها فى تقرير واف ·

[٢٢٩]

« ولأنه لما كان جناب الجنرال اللنبى يهتم بتموين الجيوش المحاربة فهو يهمه الآن عمل كل ما يلزم لسعادة الشعب المصرى وراحته ·

« وبكل احترام أرجو تبليغ تقريرى هـذا لحضرة صـاحب الدولة رئيس الوزراء الذى قرر فى أمر تعيينه الجملة الآتية : (أملا فى حل يرضى الأمة) ·

« وقال دولته أيضا فى حديثه مع صاحب الأهرام : (ولولا حرصى على القيام بواجبى نحو وطنى لما قبلت فى هذه الظروف الصعبة) · فلا شىء يرضى الأمة المصرية الآن أكثر من فحص التعديات التى حصلت على قراهامن جيوش جلالة ملك الانجليز · واذا قام دولته بهـذا الواجب فيكون قد قام بأعظم واجب نحو وطنه ·

« وانى يا سعادة المدير أقسم لك بوطنى العزيز تشبها بعظمة مولانا السلطان حفظه الله · حيث جاء بمنشوره الكريم : (وأسعد بمحبة هذا الوطن العزيز الذى لا ترضى نفسى بأن يكون محبوبا لغيرى أكثر منى) · واقسم بمصر المحبوبة · بأن سعادتكم ان لم ترسلوا تقريرى هذا فورا لمعالى وزير الداخلية للنظر فيما جاء به وان لم تتفضلوا بأن تعرضون كتابة فى مدة ٢٤ ساعة من وقت وصوله لسعادتكم فانى أبادر بتبليغه لمعالى وزير الداخلية ولدولة رئيس الوزراء ولعظمة الحضرة السلطانيـة وجناب الجنرال اللنبى ·

[٢٣٠]

« ولا أكتفى بذلك بل أترجمه للغات الأفرنكية وأوزعه على حضرات قناصل الدول بمصر وسعادتكم تكونون مسئولين أمام من يهمهم عن هذه التصرفات ونتائجها ·

وأرجوا أن تتنازلوا بقبول فائق احترامى ·

١٢ ابريل ١٩١٩

الامضاء

مامور مركز كفر الشيخ

واليك ملخص بعض ما وصل الينا من أهالى مركز كفر الشيخ وهو يؤيد تماما ما حواه خطاب عبد القادر أفندى مختار الى مدير الغربية :

[٢٣١] وصلت الخيالة (١) البريطانية الى كفر الشيخ حوالى الساعة السابعة صباحا ولما اقتربت من البلدة تفرقت ودخلتها من جميع الجهات واتخذت مركز البوليس مقرا لها . ثم قصدت فرقة منهم البنايات المهمة مثل تفتيش الأوقاف السلطانية الذى دخلوه شاهرين السلاح وأنزلوا جميع الموظفين منه وطلبوا رئيسه فنزل وكان معه طبيب المركز يعود ابنه المريض فضموهما الى موظفى التفتيش وساقوهم الى المركز . وبعد قليل حضر وكيل النيابة ليستكشف الخبر فضموه اليها واقتادوا الجميع وزجوا بهم فى سجن المركز بعد أن أخذت صورهم الفوتوغرافية مرارا أثناء الطريق وبعد مدة طويلة أخرج من السجن وكيل النيابة ومفتش الأوقاف وحكيم المركز وبقى باقى الموظفين الى ما بعد العصر .

وذهبوا الى نادى الموظفين شاهرين السلاح وسألوا الخادم عن أسماء بعض الناس الطيبين فى النادى فذكر — تحت تأثير الرعب — اسم عبد المجيد خليل حكيم ثانى مستشفى كفر الشيخ واسم ناظر المدرسة واسم ناظرة مدرسة البنات . وحوالى الساعة الرابعة زجوا الاخيرين فى السجن .

أما الأول فقد دعاه المستر جنت فى مكتب منفرد وقال له أنت متهم بأنك من رؤساء المظاهرات فأنكر أنه يعرف شيئا عنها قبل حدوثها وبعد مناقشة زج فى السجن كذلك .

وقد بات الجميع ليلتين على الأسفلت . وفى أثناء الليل كان يسمع صوت جلد فى الظلام الحالك والمجلودون لا يجدون من يغيثهم .

[٢٣٢] « وفى صباح اليوم التالى بعد رجاء والحاح شديدين سمح لهم بالذهاب الى المرحاض وأمروا بحمل الجرادل وكلفوا بتنظيفها بعد افراغها مما فيها .

وقد أفرج عنهم بعد جهد كبير وبعد أن ألقى عليهم مستر جنت محاضرة مؤداها أن مصر لا يمكن أن تحصل على استقلالها الا بالقوة وأن انجلترا أقوى منها وأنه ما دام قنال السويس موجود فالانجليز لا يخرجون من مصر أبدا .

وكان الجند يهاجمون الدكاكين ويأخذون المأكولات بالقوة وهم شاهرون السلاح .

---

(١) الفرسان .

وفى الأيام التالية عملت ضريبة على كل بلد بتقديم عدد يوميا من الأهالى لضربهم فكان على كفر الشيخ ٧٥ وعلى سخا ٢٥ وميت علوان ٣٠ وهلم جرا كل ذلك بدون محاكمة ·

ولما عجز عمدة سخا وشيخ بلدها عن تقديم الضريبة المطلوبة من الرجال للجلد جيء بهما وزجا فى السجن ثم أمرا بحمل التراب من تحت أرجل الخيل ونقله بالغلق ثم جيء بهما الى المستشفى حيث يسكن الضباط الانجليز وأمرا بادارة الطلمبة حتى امتلأ الخزان ثم أمرا بادارة طلمبة المركز على مرأى من الأهالى واستمرا كذلك مدة أربعة أيام ·

وكان الانجليز يهـاجمون القرى لجمع المجلودين بالقـوة وكانوا لا يتورعون عن اطلاق الرصاص على الآمنين وطرق منازلهم ·

[٢٣٣] حوادث المنيا وسمالوط

وحدثت فى المنيا وسمالوط حوادث مؤلمة نكتفى بايراد ما ارسله الينا الأهالى (١) عنها وهو :

نزلت فرقة من الجنود الانجليزية بسمالوط وأخذوا ينهبوا ما تقع عليه أعينهم من دجاج وأغنام حتى ضج الفقراء الذين كانوا لا يملكون غير البكاء والعويل ·

وفى المساء نزل الجند الى الخمارات فصاروا يشربون بلا ثمن وأطلقوا الرصاص على المحال المغلقة لأخذ الوسكى منها ·

وقد اضطر الناس الى دخول منازلهم ونبه على الخفراء ألا يحتكوا بأى جندى وكان رجال البوليس يمرون بالليل لتهدئة روع الأهالى والسيدات فأمسك بعض الجنود بالملاحظ وطلبوا اليه أن يستحضر لهم وسكى أو نساء والا اضطروا الى دخول المنازل ·

لم يلبث الجند الا ليلة فى سمالوط وفى طريقهم الى المنيا رأوا غناما يسير على الجسر فأخذوا منه عشرة أغنام ووضعوها على عربة بالاكراه وقد تشاحنوا مع صاحبها الى أن وقعت فى الترعة الابراهيمية وأخرجوها ·

---

(١) الواضح أن مصدر هذه الأوراق المراسلات التى بعث بها الأهالى الى سكرتيرية الوفد مما يمكن القول انها أوراق لا توجد الا فى مذكرات عبد الرحمن فهمى ·

وفي المنيا ارتكبوا حوادث سرقة ونهب كثيرة • والاستراليون يظهرون من آيات الاستبداد ما يدهش الجميع وقد حدث أن كان يجلس على احدى القهوات المستر بروث المحامي الانكليزى ومحمد توفيق باشا رفعت المستشار وعرفان بك المستشار وكان الأخيران قد دعيا لتادية شهادة أمام المحكمة العسكرية فمرت بهم عساكر الداورية الاسترالية واخترقت وسط الجالسين خارج القهوة بخيولهم ثم دخلوا القهوة فقلبت الطاولات واضطر الجميع الى الهرب بما فيهم المحامي والمستشارون وأحد القضاة ، والنائب واختفوا في لوكاندة نوم وقد أبلغ المستر بروث هذه الحادثة الى القائد العام • [٢٣٤]

وقد حدثت حادثة بين المنيا وسمالوط تتلخص فى أن الجنود طلبوا من أحد الأهالى مائة بيضة فبلغ العمدة وأخذوا يهتمون بجمع ما عندهم من البيض فلم يجدوا سوى تسعين بيضة ولما أحضروها للعسكرى تميز غيظا ورمى الفلاح المسكين بالرصاص فمات قتيلا لساعته ••

أما حوادث قبلى المنيا فقد بلغت أقصى حدود الشدة والصرامة ـ وقد قبض على أربعة من الأعيان وعلى اثنين من المحامين وهم توفيق بك اسماعيل ومحمود بك عبد الرازق ومحمد أفندى على رحمى وحسن أفندى على طراف ورياض أفندى الجمل المحامى والشيخ أحمد حتاتة المحامى بتهمة اغتصاب سلطة الحكومة والقائد العام لينشر على الناس أن كل مصرى يجب عليه أن يأخذ التعظيم الواجب لكل ضابط انجليزى يمر عليه •

كذلك محظور على كل موظف أن يبارح محل وظيفته الا بتصريح من القائد العام حتى ولو كان مريضا •

هدوء الثورة

[٢٣٥] ابتدأت الثورة المصرية فى ٩ مارس ١٩١٩ وأخذت تشتد ويستعر اوارها حتى نهاية مارس تقريبا ثم أخذت الحالة تهدأ نوعا ما بعد ذلك • ويمكن أن يقال بالاجمال بأن لهيب الثورة قد هدأ فى أوائل أبريل ١٩١٩ من الناحية العسكرية فقط وذلك لأن النفوس كانت لا تزال محنقة تتوثب للاندفاع ثانية •

استمرار اضراب الموظفين

وكان يوم ٦ أبريل ١٩١٩ موعد رجوع الموظفين الى مصالحهم ووزاراتهم ولكنهم أبوا أن يعودوا •

الا انه فى هذا الوقت كانت المساعى تبذل للخروج من هذا المأزق الحرج بالوصول الى حل ترتضيه الجهات الرسمية •

وكانت نتيجة هذه المساعى أن أصدر عظمة السلطان فى مساء اليوم السادس من أبريل ١٩١٩ المنشور الآتى نصه :

[٢٣٦] « انى أنشر بين قومى هذه الكلمات التى كانت تختلج بصدرى من الوقت الذى أخذت تتوارد الى فيه ملتمسات الأمانى القومية نحو مستقبل البلاد .

« وانى بالطبع لا أعنى بالبلاد الا بلادنا المباركة ، لا أعنى بالبلاد الا وطننا العزيز هذا ، الوطن العزيز الذى اقتضت حكمة الله أن يكون جدى الأكبر محمد على الكبير أكرم الله مثواه صاحب عرشه .

« جلس جدى رحمه الله على عرش مصر والوقت عصيب والفتن سائدة والقوم فى شقاء بين ظلم الحكام وظلمات الجهالة فتعب فى راحة الوطن العزيز وسهر على أمنه وسعادته ونشر فى أرجائه رايات العدل وأنوار العرفان فضرب لنا بذلك مثلا شريفا لا يجدر بنا أن نضل بعده أبدا .

« فكلما شعرت بدم هذا النابغة العظيم يجرى فى عروقى أشعر بمحبة هذا الوطن العزيز الذى لا ترضى نفسى بأن يكون محبوبا لغيرى أكثر منى فيزداد اهتمامى بما يعود عليه من الخير والسعادة بعون الله .

« ولما كنت عاملا على هذا المبدأ الشريف بكل مافى وسعى فانى أطالب أبنائى المصريين بمالى من حق الأبوة عليهم أن يتناصحوا بعدم الاستمرار على المظاهرات التى كانت عواقبها غير محمودة فى بعض الجهات وأن يخلدوا الى الراحة والسكون وانصراف كل الى عمله وهذه هى يد المساعدة التى أطلبها منهم .

[٢٣٧] « وأسأل الله القدير أن يمدنا فى جميع أحوالنا بتوفيقاته الصمدانية وان يهيىء لنا فى أعمالنا من أمرنا رشدا » .

الوقائع المصرية

القاهرة فى ٥ رجب – ٦ أبريل ١٩١٩ .

[٢٣٨] بلاغ رسمى

وفى يوم ٧ أبريل ١٩١٩ نشر البلاغ الرسمى الآتى : ـ

« وردت الأنباء بوقوع نزاع حزبى شديد (١) فى جوار قنا يوم ٤ الجارى وأنه وقعت معركة عامة بين الفريقين المتنافسين أفضت الى وقوع بعض الخسارة فى الأرواح ووردت الأنباء باحراق بضع قرى ٠ أما السبب فى هذه القلاقل فلا يزال غامضاً ٠

وفيما عدا ذلك لم يقع شىء يذكر » ٠

---

(١) تقول الوثيقة الانجليزية التى تعرضت لهذا الموضوع أن نزاعا نشب بين مجموعة من القرى ولكن ليست له أية دلالة سياسية ، وتعبير حزبى الذى استخدم فى هـذا البلاغ مقصود به تحزب مجموعة من القرى ٠ وليست الحزبية بمعناها السياسى ٠

انظر : F.O. 407/184 No. 249.

[٢٣٩]

اطلاق سراح سعد زغلول باشا
ورفاقه الثلاثة
والسماح للمصريين بالسفر الى أوربا

وجدت السـلطة الانجليزية أن الأمة المصرية حينما هبت لطلب استقلالها واستعادة حريتها كانت جادة فى رغباتها غير هازلة ووجدت أن نار الثورة كانت تزداد اندلاعا كلما تمادت فى بطشها وقوتها ورأت كذلك أن سياسـة الشدة والعنف التى انتهجتها خلال الثورة قد قضى عليها بالفشـل ، فلهذا أيقنت تماما بحرج مركزها فى مصر ، فلم تر بدا من النزول على ارادة الأمة ·

ففى يوم ٧ أبريل ١٩١٩ أعلن المندوب السـامى اباحة السـفر للمصريين ، والافراج عن سعد زغلول باشا ورفاقه ، وكان المنشور السلطانى السالف الذكر تمهيدا فى الحقيقة لهذا الحل ·

واليك نص البلاغ الصادر فى هذا الشأن والذى كانت تلقيه الطيارات الى جهات القطر المختلفة ·

[٢٤٠] الآن وقد عاد النظام بنجاح عظيم فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السـلطان أعلن أنه لم يبق حجر على السـفر وأن جميع المصريين الذين يريدون مبارحة البلاد تكون لهم هذه الحرية وقد قررت علاوة على ذلك أن كلا من :

سعد زغلول باشا
واسماعيل صدقى باشا
ومحمد محمود باشا
وحمد الباسل باشا

يطلقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر ·

جلالة نائب الملك الخاص
ا · هـ · هـ · اللنبى

---

(١) كان الهدف من وراء هذا العمل بالاضافة الى تهدئة الأمور اتاحة الفرصة لتشكيل وزارة جديدة وامكانية العثور على طرف مصرى للتفاوض خاصة وأن الجانب البريطانى كان يعمل فى ظروف مواتية تماما بعد أن نجح فى الحصول على موافقة الدول على الحماية وتصور أنه بذلك قد أضعف من موقف الجانب المصرى ·

[٢٤١] ## مظاهرات السرور بعد اطلاق سراح سعد باشا وصحبه فى ١٩١٩/٤/٧

لا نبالغ اذا قلنا ان مصر لم تشهد يوما سارا فى تاريخها مثل هذا اليوم الذى شهدته بعد الافراج عن سعد باشا وصحبه ، فقد خرج الناس جميعا من بيوتهم يؤلفون المواكب والمظاهرات ، تبدو على أساريرهم علامات الغبطة والابتهاج وهم فرحون مستبشرون بالمستقبل يهنىء بعضهم بعضا بهذا النصر السياسى العظيم ٠

أجل ما كاد نبأ هذه البشرى السارة يصل الى الآذان حتى تألفت المواكب تطوف الشوارع وتخترق الميادين مهللة هاتفة بحياة مصر والمصريين ، وبحياة الذين ضحوا بأنفسهم وراحتهم فى سبيل الحرية والاستقلال ، ولم يترك الناس مظهرا من مظاهر السرور والانفعالات — فكنت ترى قطارات الترام مزينة بغصون الأشجار والأزهار والمركبات المزدانة بالأعلام والرياحين والناس من فوقها يصيحون ويهتفون لا فرق فى ذلك بين مسلم ومسيحى بل الكل فى الوطنية سواء ٠ ومن الأدلة الصادقة على ذلك ما كنت تراه من أحد مشايخ المسلمين وقد رفع صورة بطريرك الأقباط يعلوها لواء مصرى كبير نقش عليه الصليب والهلال وهو يصيح بملء رأسه : ليحيى الاتحاد المقدس ، فيردد الجمع الحاشد هتافه بحماس عظيم ٠

ومما زاد المظاهرات جمالا وجلالا خروج السيدات فى سياراتهن وعرباتهن وبأيديهن الأعلام ويلوحن بها وهن ينثرن الورد والأزهار على الجماهير هاتفات بحياة الوطن والاستقلال ، فيبثثن روح الحماسة والاقدام فى نفوس الشعب ٠ [٢٤٢]

ولم تكن عامة النساء أقل خبرة من هؤلاء فقد ركبن عربات النقل وهن يزغردن (١) ويرقصن على نغمات الطبول والمزامير ٠

وفى ميدان الأوبرا كنت ترى منظرا جميلا يبعث البهجة فى النفوس ، ذلك هو منظر تمثال ابراهيم باشا وقد قبض بيده على علم مصرى كبير ٠

---

(١) صحتها : يزغردن ٠

ومما يحلو ذكره اشتراك النزلاء الأجانب فى هذه المظاهرات فقد كانوا يلوحون بقبعاتهم ومناديلهم للمتظـاهرين وينثرون عليهم الأزهار ويصفقون لهم اعجابا وطربا .

ويجدر بنا أن نذكر تلك الحادثة التى تدل على مقدار ما يكنه الشعب الكريم لزعمائه المخلصين من الوفاء وحسن التقدير ، ذلك أنه تصادف مرور دولة حسين رشدى باشا فى ميدان الأوبرا فى الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم ، فما كاد الناس يرونه وهو يهم بركوب سيارته حتى انقض عليه الناس وحملوه على أكتافهم منادين بحياته ، ومازالوا كذلك حتى وصلوا به الى قنطرة الدكة مارين بشارع كامل .

وكانت هذه الجموع كلهـا تحج الى بيت الأمة حيث كانت السيدة الجليلة أم المصريين واقفة فى شرفة البيت بين كرائم السيدات فكانت الجموع تهتف بحياتها وحياة الزعيم سعد باشا وصحبه .

هذا وصف موجز لبعض ما حدث من مظاهرات الفرح والابتهـاج فى ذلك اليوم وأن البيان ليعجز عن أن يأتى على وصف كل ما حـدث تفصيلا .

[٢٤٣] وما أشرقت غزالة يوم ٨ ابريل ١٩١٩ حتى استأنف النـاس المظاهرات السلمية وقد امتازت مظاهرات هذا اليوم بفخامتها وجلالهـا وحسن ترتيبها ونظامها اذ كنت ترى الموكب تتقدمه الموسيقى تصدح بنغمات وطنية يتبعها الموظفون ومعهم أعلامهم فالمدارس يتقدم كل مدرسة علمها وفى مقدمة الجميع علم قد رسم عليه الهلال يعانق الصليب والجميع ينادون ويهتفون بحياة مصر والاستقلال والزعماء .

وفى هذا اليوم أيضا تألفت مظاهرة عظمى اشترك فيها العلماء (١) والقسوس وأعضاء الجمعية التشريعية(٢) وقضاة المحاكم والمحامون والأطباء وموظفو الحكومة المصرية وطلبة المدرسة الحربية ومدرسة البوليس والمدارس العالية والثانوية والمعاهد الدينية والعمال ومع كل فريق من هؤلاء علمهم الخاص ، وقد سارت وراء هذه المظاهرة الرائعة مركبات تحمـل عقيلات الأسر الراقية بمصر وهن يهتفن « نحن فداء الوطن » .

وسار هذا الموكب المهيب بروعته وجلاله حتى وصل الى ساحة عابدين

---

(١) يقصد علماء الدين .

(٢) معلوم أن الجمعية التشريعية لم تحل وانما اوقفت جلساتها بعد قيام الحرب العالمية الأولى .

وهناك انفصل منه القضاة والموظفون وتقدموا نحو القصر هاتفين ثلاثا : « ليحيى السلطان العادل » فرد عليهم الهتاف من احـــدى شرفات القصر رئيس الديوان العالى وناظر الخاصة ورئيس التشريفات ٠

اطلاق الرصاص على المتظاهرين

قامت فى نفس هذا اليوم مظاهرات كثيرة متشعبة كان الغرض منها كما لا يخفى على القارىء اظهار شعور الأمة وابتهاجها باجابة مطالبها ، ولكن [٢٤٤] لم يكن للجنـــود الانجليزية أن تترك مثـــل هـذه الاحتفـالات تنتهى بسلام اذا أطلقوا الرصاص على المتظاهرين المسالمين لغير ما ذنب جنوه أو جرم اقترفوه فقتلوا أربعة منهم بينهم فتى صغير (١) ، وحينئذ جرى الدم حارا فى عروق المتظاهرين وكادوا يحدثون ما لا تحمد عاقبته وقد حمل بعضهم الصبى والدم لا يزال يتدفق غزيرا من جرحه وذهبوا به الى قصر عابدين وطلبوا الى عظمة السلطان أن يطـــل من شرفة القصر ليرى وحشية الجنود الانجليزية فأطـــل عليهم أحد كبار رجال القصر ووعدهم بتبليغ ذلك الى عظمة السلطان وهذا ما هدأ من روع الشعب قليلا ، وسكن من ثورة غضبه وحدته ٠

ولقد اعترف بفظاعة الحادث المندوب السامى نفسه ، وتألم له ، فاصدر بلاغا قال فيه :

« قام الوطنيون منذ شهور عديدة بحركة سياســـية ، وبعد أن استمروا على التهييج العنيف ألقى على بعضهم القبض وأرسلوا الى مالطة ٠ وهذا الاعتقال هو سبب الاضطراب الحاضر ، وقد اســـتدعى الجنود لرد الأمن والنظام ٠

« وقد تغيرت الحالة فجأة وأطلقت الحكومة البريطانية الزعماء المعتقلين فى مالطة وأذنت للمصريين أن يرســـلوا منـــدوبيهم الى انكلترا ليعرضوا شكواهم ، وقد سر المصريون لذلك بالبداهة وسمح لهم أن يقيموا الاحتفالات كما يسمح لأبناء انجلترا بالاحتفال بأى نصر سياسى ٠

« ومن سوء الحظ أن الجنود لم يفهموا هذا على ما يظهر ولذلك حدث مرة أو مرتين أن نفرا من الجنود قاموا بمظاهرات ضد المصريين الذين كانوا [٢٤٥] قد أقاموا احتفـالا غير موجه ضـــد سلطتنا بالمـرة ٠ وقد أدى عمـل

(١) يقول التقرير البريطانى ان صداما قد جرى بين المتظاهرين والجنود البريطانيين عند شبرد أطلقت فيه النيران من الجانبين وترتب عليه مقتـــل اثنين من المصريين وجرح أربعة ٠ F.O. 407/184. No. 25.

هؤلاء الجنود الى اضطرابات خطيرة والى خسارة فى الأنفس من الجانبين على أن المأمول الآن أن يلوذ الجنود بالهدوء ويلزموا السكينة ويتركوا القانون والنظام للقائد العام ومما يجب أن يفهم أن كل عمل مستقل يقوم به الجنود يضاعف صعوبة مركزنا عشر مرات » .

وقد نشر البلاغ الرسمى الآتى فى ٨ أبريل :

[٢٤٦] « وردت الأنباء بوقوع بضع حوادث يؤسف لها فى خلال مظاهرة تحمس الشعب فى ليلة أمس فى القاهرة والاسكندرية ، ومن المحتمل أن هذه الحوادث وقعت بسبب سوء التفاهم . والتحقيق جار فى هذه الحوادث .

« أما الحالة فى الأقاليم فلم يطرأ عليها تغيير » .

وفى يوم ٩ أبريل نشر البلاغ الآتى من دار الحماية :

[٢٤٧] **بلاغ رسمى**

دار الحماية فى ٩ أبريل ١٩١٩

« وصل الى مسامع فخامة نائب الملك الخاص مع الأسف الشديد ما وقع من بعض الحوادث الموجبة للأسف فى خلال مظاهرات أمس (١) فأمر بتاليف لجنة للتحقيق فى الحال عن هذه المسائل حتى يحال المجرمون فيها على العدالة ليعاقبوا » .

[٢٤٨]

احتجاج مجلس مديرية الجيزة على الفظائع الانكليزية التى ارتكبت فى هذه المديرية

لما كانت الحوادث التى ارتكبها الجنود البريطانيون ببعض جهات مديرية الجيزة التى تكلمنا عليها بتفصيل فيما سبق من الفظاعة بمكان عظيم جدا اجتمع مجلس مديرية الجيزة فى جلسة غير اعتيادية فى ٩ أبريل ١٩١٩ بصفته الهيئة النيابية التى تمثل المديرية (٢) ورفع صوته عالياً محتجا على تلك الفظائع الوحشية .

---

(١) يشير فى هذا الى صدامات جرت خارج حديقة الأزبكية وتم خلالها تبادل النيران بين المتظاهرين والجنود الانجليز ، كذا للهجمات التى تعرض لها عدد من هؤلاء الجنود وهم يسيرون فرادى والى قطع خطوط التلغراف والتليفون بين القاهرة والمعادى .
F.O. 407/184, No. 251.

(٢) فى ظل القانون الأساسى (الدستور) الصادر عام ١٨٨٣ كانت مجالس المديريات الدرجة الأولى من الهيئات النيابية التى تتدرج الى مجالس شورى القوانين والجمعية العمومية اللذين تم استبدالهما عام ١٩١٣ بالجمعية التشريعية التى عقدت دورتها الوحيدة عام ١٩١٤ .

واليك نص محضر هذه الجلسة :

[٢٤٩] محضر الجلسة الأولى الاستثنائية المنعقدة فوق العادة فى يوم الأربعاء ٨ رجب سنة ١٣٣٧ الموافق ٩ ابريل سنة ١٩١٩ :

« فتحت الجلسة والساعة ١١ ونصف أفرنكى صباحا بديوان المديرية تحت رئاسة حضرة صاحب العزة أحمد حمدى بك سيف النصر مدير الجيزة ورئيس مجلس المديرية ، وبحضور حضرات الأعضاء : فضل بك الزمر ، عبد الواحد بك القط ، حسين بك غراب ، أحمد بك المليجى ، بيومى أفندى مدكور ، سيد أفندى دويدار ، محمد أفندى منصور عطا الله سكرتير المجلس ، أمين أفندى فهمى أحمد ، ولم يحضر حضرة سعد بك مكرم افتتاح الجلسة ولم يعتذر .

قال سعادة الرئيس : طلب الى كل من حضرات فضل بك الزمر وعبد الواحد بك القط وأحمد بك المليجى وبيومى أفندى مدكور أعضاء المجلس أن يعقد اجتماع فوق العادة بما لهم فى ذلك من الحق المنصوص عنه فى الفقرة الثانية من المادة ٤٩ من القانون النظامى فدعونا حضرتكم لجلسة اليوم للنظر فيما سيبديه حضراتهم ، فقال أحمد بك المليجى :

« يا سعادة الرئيس ويا حضرات الأعضاء المحترمين : « ان هيئتكم الموقرة قد اجتمعت اليوم لا للنظر فى قرارات لجنة التعليم ولا الموافقة على انشاء عزبة ولا للمناقشة فى طلبات رئيسة المستوصف ، ولكنكم قد اجتمعتم لتعربوا لرجال حكومتكم المسئولين وللهيئات الرسمية فى القطر المصرى عما حل ببلاد مديريتكم من المصائب والرزايا التى تقشعر من هولها الأبدان ، وتذوب من فظاعتها القلوب ، ويبرأ منها كل ذى عاطفة شريفة [٢٥٠] وكل ذى شعور حى .

« لقد كانت الأحوال الحاضرة التى لا يجهلها الصغير والكبير ولا الأمير والحقير ، سببا فى اظهار الأهالى شعورهم الطبيعى ، شعورهم المسبب ، لا عن حبهم للسلب والنهب كما يقال عنهم ، بل لتطلعهم لحياة جديدة كالأمم الحية التى يعاملونها وتعاملهم ويخالطونها وتخالطهم فى كل وقت وآن . ولقد أبدى البعض منهم هذا الشعور بتعطيل خطوط السكك الحديدية لا لغاية غير شريفة بل لكى يسمع صوته(١) . اننى لا أبرر عملهم هذا ولكنى أقول ان هؤلاء الناس الذين اتهموا بتعطيل السكك الحديدية لم يكن غرضهم

(١) فى أصل المذكرات تم وضع خطوط تحت هذين السطرين والى جانبهما علامة × وكانما لم يقر عبد الرحمن فهمى ذكر مثل هذه العبارة فى محضر مجلس مديرية الجيزة .

السلب والنهب ولكن ارادوا بهذا أن يسمعوا صوتهم بعد أن رأوا صوت مفكريهم وقادة الرأى العام فى الأمة المصرية قد ذهب صرخة فى واد ، وانهم مع ذلك لم يكرروا هذا العمل بعد أن نشر منشور القائد العام الذى توعد فيه بالعقاب الصارم كل من يعتدى على تخريب السكك الحديدية ·

« ولكن الا يوجد بالشرائع الوضعية أو الالهية عقاب لجان غير سلب أمواله وحرق داره وهتك عرضه كما ثبت كل ذلك فى تحقيق الحوادث التى وقعت ببلاد مديريتكم ، وكما بلغ لنا وللمديرية كتابة ممن وقع عليهم هذا الاعتداء ؟ اننى أقول ولا أبالى بأن هذه الفظائع التى ترتكب فى البلاد من جنود الجيش الانكليزى لهى وصمة عار لا تمحى · وصمة عار لا ترضى عنها الأمة الانجليزية الحرة التى لا ريب فى أنها ستتبرأ منها · والآن وقد اجتمعتم لتعملوا واجبكم حيال الأهالى الذين انتخبوكم عنهم ، فلتقدموا احتجاجكم لرجال الحكومة ولرجال بريطانيا العظمى حتى يكون هناك حد لتلك الفظائع ولتسمعوا صوت أمتكم ورغباتها حتى لا يقال أن طلبات الأمة المصرية التى يسمونها (طلبات مبالغ فيها) هى رغبات أفراد غير مسئولين · [٢٥١]

انا ها هنا نثوب عن خمسمائة وخمسين ألفا من النفوس ، وهذا عدد سكان المديرية وكلنا يعلم ما هى رغباتهم فلنبين هذه الرغبات لنتفاهم مع أصحاب الشأن المسئولين حتى نكون قد أدينا الواجب المفروض علينا حيال هذه النيابة التى خولتها لنا الأهالى ·

« وهاكم احتجاجى واحتجاج زملائى الأعضاء معى سيتلى عليكم لتقديره ، اذ لا حيلة للأمة غير هذا العمل مادامت جمعيتها التشريعية معطلة ولا توجد هيئات نيابية يمكنها أن تعبر عن آراء الأمة فى الوقت الحاضر غير مجالس المديريات ، فبصفتنا احدى تلك الهيئات النيابية المنتخبة بواسطة الأهالى نقدم احتجاجنا هذا (وهنا قدم حضرته الاحتجاج لسعادة الرئيس موقعا عليه من جميع حضرات الأعضاء الحاضرين بالجلسة وأمر سعادة الرئيس بتلاوته فتلى وهذا نصه :)

« تقدمت الينا من بعض أهالى مديريتنا بصفتنا نواب الأمة المنتخبين عنها فى مجالس المديرية شكاو (١) عما يحدث ببعض بلاد المديرية من الاعتداءات الفظيعة والجنايات الفتاكة بهيكل الانسانية وحرمة الفضيلة تلزمنا مراكزنا النيابية بالنظر فيها لتبليغها للجهات الرئيسية المسئولة بالقطر المصرى · [٢٥٢]

« ولقد صدرت تلك الشكايات من نفوس مكلومة وأفئدة قريحة تعبر عن آلام قد أحسسنا بها جميعا ولم نقف حيالها هذه المرة الا انتظارا

(١) جمع شكوى ·

لتصريفها بالحكمة والعدل ولكننا مع الأسف وجدنا أن الصوت الصامت من صدر هذه الأمة لا يصح أن يكون مؤيدا تأييدا تاما مادامت العدالة لم تأخذ مجراها القانوني .

« تتلخص تلك الشكايات في أن بعض الجنود البريطانية أحدثت من الاعتداءات ضروبا شتى كاحراق القرى (١) . والبلاد في غسق الليل وفي جوف النهار ، وقتل الأبرياء رميا بالرصاص وسلب الأهالي أموالهم وحليهم وقتل مواشيهم ، وأخذ الطيور عنوة ، والاعتداء ، يا للأسف على الأعراض، اعتداء يندى له وجه الفضيلة وتنتحر أمامه المروءة والشهامة كأمثال ما وقع في بلاد امبابة والعزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك من بلاد مديريتنا وكما ثبت كل ذلك في محاضر التحقيق الرسمية التي أرسلت الى جهة الاختصاص ، ولكن مما يسوءنا جميعا أن البلاغات الرسمية التي تصدر عن مثل هذه الوقائع تدل على أن مبلغيها لم يتورعوا في قلب حقائقها .

« كان الذي وقع من الاعتداء تأديبا للأهالي (على ما قيل) بدعوى أنهم عطلوا طرق المواصلات بالسكك الحديدية وأن عملهم هذا مقصود [٢٥٣] به النهب والسلب . مع أن الواقع ينافي ذلك ويقرر أنه ما كان ثمة نهب ولا سلب وانما هي الرغبة (بعدما حيل بين الأمة وبين ابداء مطالبها بواسطة رجالها الذين أنابتهم عنها) في أن تسمع هي بذاتها نداءها للأمم الحرة وتعبر عن رغباتها بكل طريقة ووسيلة لتحيا حياة الأمم التي لم تكن مثلها في الذكاء والنبوغ وخولت حق المطالبة باستقلالها التام في مؤتمر السلام .

« وان هذه المطالبة ما كانت محرمة في أي قانون من القوانين ليحال دون وصولها الى حيث تريد الأمة عن بكرة أبيها ، خصوصا وأن مبدأ مظاهرتها بهذه المطالب كان سلميا محضا ، بل ان الاستقلال التام الذي هو أهم تلك المطالب وأولها والذي هو بغيتنا جميعا لا نستطيع أن نقول بأن أمة عظيمة كالأمة البريطانية تقف في وجهه وتحول دون ابداء أمنية الشعب المصري بأكمله فيه ، وهي من كبار الأمم الحرة وحليفة الأمم الأخرى مثلها ، التي حاربت معها على تأييد حقوق الشعوب وحرية الأمم ، وأن الوقوف حجر عثرة أمام مطالبنا المشروعة يعتبر وقوفا أمام الرأي العام ، وما أبداه مؤتمر السلام من اتباع الشروط الأربعة عشر المشهورة ، التي وضعها جناب رئيس الولايات المتحدة وقبلتها كل الحكومات المتحاربة ، بل اننا لنجهر أيضا بأننا نشك في أن مثل هذه المصائب الشديدة والبلايا الفادحة التي وقعت من بعض جنود الجيش البريطاني على رأس هذه [٢٥٤]

(١) عند كلمة احراق القرى علق عبد الرحمن فهمي في الهامش بقوله : « بيان الفظائع » .

الأمة الأسيفة المطالبة باستقلالها ترضى عنها الأمة البريطـانية أو تبرر حدوثها ، واننا لننتظر بصبر نافذ حكم الأمة البريطانية على هذه الجنايات التى ارتكبت بواسطة جنودها بعد أن أبدينا حقيقتهـا اجماليا من واقع التحقيقات التفصيلية فى المحاضر الرسمية للحكومات المصرية .

« لهذا نرفع أولا احتجاجاتنا الشديدة كنواب عن هذه المديرية على ما حدث فيها من الاعتداءات ضد الحركة الوطنية ونطلب ثانيا أن يبلغ هذا الاحتجاج بواسطتنا جميعا أو بواسطة لجنة منا لعظمة مولانا السـلطان وللجهات الرسمية المسئولة فى القطر المصرى مشفوعا بنداء الأمة المصرية ومطلبها الوحيد (وهو الحصول على الاستقلال التام) كما نطلب أن يرفع عن عاتق الأمة حالا كل ما يضاد النداء بهذا الاستقلال التام المنشود » .

قال سعادة الرئيس :

« مع اعترافى بأن ما حدث بنواحى امبابة والعزيزية والبدرشـين ونزلة الشوبك هو عمل وحشى أذكر لحضراتكم أن الأفراد الذين قدموا الى شكاو عن ذلك قد عملت لهم التحقيقات اللازمة بواسطة حضرة مأمور ضبط المديرية (الذى أثق به وأعتبره كشخصى فى اجراء هـذه التحقيقات) وترجمتها وعملت تقريرا يشمل احتجاجى على ما وقع من الاعتداء على تلك البلاد وأرسلت كل ذلك لوزارة الداخلية كما أرسلت صورا أخرى من هذه التحقيقات وذلك التقرير لدار الحماية ، ولمركز قيادة الجيش البريطـانى [٢٥٥] فى سفوى أوتيل بناء على طلبهما وجاءنى منهما ما يفيد أنهما اعتنيا بتقريرى وأنه تقرر تأليف لجنة لاعادة التحقيق بخلاف اللجنـة الأولى ، وبما أنى اعتبرت أن هذه الحوادث كأنما وقعت على شخصى بالذات لوقوعها فى دائرة مديريتى وبغير علم منى ، فانى أصرح لكم بأنه ان لم يرضنى التحقيق الذى سيعمل فانى لا أرجع عن الاحتجاج عليه بكل قواى مهما ضحيت فى سبيل ذلك من الجهد والمركز ... »

حضرة أحمد بك المليجى :

« مع شكرنا لسعادة الرئيس على جهاده فى سبيل أمته أقول أنه بالرغم عما احتج به سعادته قد صدر البلاغ الرسمى عن الحوادث التى وقعت مضادا للتحقيقات التى عملتها المديرية » .

سعادة الرئيس :

اننى علمت أن الضابط الذى صدر عنه ذلك البلاغ يجرى معه الآن تحقيق دقيق . وأنه قد أبدل بآخر منذ احتججت بتقريرى الذى نوهت لكم عنه » .

حضرة أحمد بك المليجى :

« ولعله يحدث بعد ذلك التحقيق الذى تشيرون اليه سعادتكم مع جلاء الحقيقة المعروفة للملأ أن يصدر بلاغ آخر يصحح ذلك البلاغ الأول .

« سعادة الرئيس

« أملى ذلك ان شاء الله .

حضرة محمد أفندى منصور عطا الله :

[٢٥٦] « أنه حتى اليوم الثالث من حوادث نزلة الشوبك كانت الأهالى تجد جثث قتلاها خلال مزارع القمح وطافية على وجه الماء فى الترع وان ما أعدم من المواشى من قذائف المدافع ورصاص البنادق التى أطلقها بعض رجال الجيش الانكليزى يفوق كل تقدير ، أما حاصلات البلد من الذرة التى كانت تجفف بحرارة الشمس فوق سطح المنازل فهذه قد رشتها الجنود البريطانيون بالبنزين وأحرقوها فترتب على ذلك خسارة عظمى هى جميع حاصلات الأهالى .

حضرة أحمد بك المليجى :

« بمناسبة ما ذكره حضرة زميلى محمد أفندى منصور عطا الله أقول أن قواد الجيش الانجليزى يرسلون قوات من الجيش المذكور للبلاد الهادئة التى لم تحدث منها أية مخالفة للقانون وها أنتم يا سعادة الرئيس بصفتكم مدير المديرية تعلمون أن مركز الصف لم يحصل منه أى اعتداء ، ومع ذلك فقد أرسلت اليه قوات انجليزية حال أنه معلوم أن الأهالى لا يفهمون اللغة الانكليزية وأن الجنود البريطانيين لا يفهمون اللغة العربية وبذلك لا يبعد أن يحدث سوء فهم بين الفريقين . لهذا أحتج بصفتى نائبا عن أهالى ذلك المركز على ارسال تلك القوات وأطلب من هيئة المجلس الموافقة على هذا الاحتجاج معى حتى لا يقع ببلاد المركز المشار اليه مثل ما وقع بالبلاد التى أشرنا الى حوادث الاعتداء عليها فى احتجاجنا الذى تلى فى الجلسة الآن .

حضرة فضل بك الزمر :

[٢٥٧] « انه حدث بالأمس ، بينما كان القطار سائرا بالأهالى فى امبابة يحملون الأعلام ابتهاجا بالسماح للمصريين بالسفر الى أوربا وعرض مطالبهم أن اعتدى بعض الانجليز على القطار ورماه بالرصاص فقتل

اثنان (١) بالرغم عما جاء بمنشور جناب القائد العام ، ولذا فانى أحتج بشدة على هذه الجنايات التى لا ينقطع حدوثها حتى الآن .

حضرتا عبد الواحد بك القط ومحمد أفندى منصور عطا الله :

« لقد علمنا أنه تجرى الآن بمركز العياط عدة تحقيقات مع الأهالى بواسطة مجلس عسكرى ، ومن المعروف أن هذا المجلس واسع السلطة يقضى بعقوبات صارمة منها القتل والجلد وغيره وانه لا يوجد بينه أعضاء مصريون ، وسيترتب على ذلك ايقاع العقوبات على الأبرياء اذ أن تحقيقات ذلك المجلس تبنى على بلاغات كاذبة فيحل العقاب بأفراد لم يقع منهم أى تشويش للأمن العام ، لهذا نطلب سرعة اتخاذ اللازم لايقاف أعمال ذلك المجلس الى أن يبت فى الحالة الحاضرة ، ويعرف مجرى الأمور وفاقا لما صرح به جناب القائد العام » .

حضرة عبد الواحد بك القط أيضا :

« انى أحتج كذلك على القبض حتى الآن على عمدة نزلة الشوبك بواسطة جنود الجيش الانجليزى بعد ما ارتكبوه من الفظائع فى بلده وأرجو سعادة الرئيس ابلاغ أولى الأمر المختصين طلب الافراج عنه رحمة باهله وذويه الذين قتل الانجليز منهم نحو ستة أشخاص رميا بالرصاص ، كما احتج على التصديق على ميزانية الحكومة للسنة المالية ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ بغير الطريقة المتبعة وعلى ابقاء قوة من جنود الجيش البريطانى ببلاد مركز [٢٥٨] العياط لا ريب فى أنه لا يبعد اعتداء هذه القوة على تلك البلاد بمثل ما وقع فى بلاد نزلة الشوبك والعزيزية والبدرشين وغيرهما ، وآمل خيرا أن تشكل الوزارة المصرية فى القريب العاجل حتى ترجع المياه الى مجاريها ويأخذ العدل مجراه » .

بعد انتهاء المداولة صدر القرار التالى : ـ

« قرر المجلس باجماع الآراء الموافقة على جميع الاحتجاجات الواردة بهذا المحضر وابلاغ جميع ما دون فيه حضرة صاحب العظمة السلطانية ولأولياء الأمور وللهيئات الرسمية بالقطر المصرى بواسطة هيئة المجلس الحاضرة الآن .

---

(١) وضع عبد الرحمن فهمى خطا تحت عبارة « ورماه بالرصاص فقتل اثنان » والى جانبها علامة × ويبدو أن المعلومة التى قدمها « فضل بك الزمر » غير صحيحة .

« ثم تلى هذا المحضر فى ذات الجلسة ، وصودق عليه بالاجماع ، وأعلن سعادة الرئيس انفضاض الجلسة وانتهاء دور الاجتماع وكانت الساعة ١٢ ونصف أفرنكى ظهرا » ٠

سكرتير المجلس	مدير الجيزة ورئيس مجلس المديرية
(امضاء)	(ختم)

وقد طبع هذا المحضر فى كراسة وانتشر فى القاهرة والأقاليم انتشارا سريعا وكان الناس يتخاطفونه ويتلونه فتقشعر جلودهم مما حواه من الفظائع وقد سلمت صورته الى ممثلى الدول الأجنبية فى القاهرة ٠

[٢٥٩] **تتابع اعتداءات الجنود الانكليزية**

على أن اعتداءات الجنود الانجليزية لم تقف عند هذا الحد ، فقد أصابت فظائعهم الناس في بيوتهم ولم يتورعوا عن الاساءة الى احدى أميرات البيت السلطانى والى بعض الوزراء وكبار قواد الجيش المصرى والعظماء والأعيان ، أما اعتداءاتهم على صغار الناس وعامتهم ، فهى أكثر من أن تذكر مثال ذلك ما أصاب بلا سبب عزبة بلال المشهورة بعزبة العبيد من اطلاق الرصاص عليها يومين متتاليين ٠

وفى يوم ٩ ابريل سنة ١٩١٩ احتفل بتشييع جنازة الأربعة الذين ذهبوا ضحية طيش الجنود الانجليزية باحتفال مهيب منظم ، وقد سار فى مقدمة الموكب فرقة موسيقية تصدح بنغمات محزنة ويليها النعوش الأربعة يحملها الطلبة على أعناقهم فشرذمة من رجال البوليس اذ كان بين المقتولين أحد رجالهم وآلاف المشيعين يعلوهم الحشمة والوقار ويخيم عليهم السكون التام والناس على أفاريز الشارع محتشدون وهم واجمون ولم يكن يقطع حبل هذا الصمت الا صوت ينادى: « لتحيى ضحايا الحرية » فيردد هذا الجمع الحاشد النداء فى خشوع ٠ على أن الجنود البريطانيين لم ينقطعوا عن اطلاق الرصاص بغير ما سبب سوى الرغبة فى الانتقام ٠

وفى هذا اليوم نشر البلاغ الرسمى الآتى :

[٢٦٠] « تلقينا من الغربية أن الخسارة فى الاضطرابات التى وقعت بطنطا يوم ١٢ مارس كانت ١٦ قتيلا و ٤٠ جريحا خلافا لما جاء فى حينها بأن عدد القتلى هو ٢٢ وأن الجرحى ٥٠ جريحا ٠

« ولم يمكن للآن الحصول على تقارير تفصيلية عن الاضطرابات

العديدة التى حدثت فى القاهرة فى يومى ٧ و ٨ الجارى ، وكل ما وصلنا للآن من الحوادث المهمة هو :

« حدث فى يوم ٧ الجارى أن سيارة للنقل هوجمت بغتة بصورة معادية فاضطرت الى اطلاق النار على الهاجمين ، ونتج عن ذلك بعض خسائر لا يعلم عددها للآن .

« وحوالى الساعة العاشرة مساء من نفس اليوم حدث اضطراب على مقربة من نزل شبرد كانت نتيجته نزاع فريق من المتظاهرين وجماعة من العساكر البريطانية وتبودلت فيها بعض طلقات نارية أسفرت عن قتل شخصين وجرح أربعة أشخاص .

« وحوالى الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم ٨ أبريل حصل هياج بالقرب من جنينة الأزبكية وعلى ما يظهر أنه نشأ عن معارضة بعض العساكر البريطانية لحمل المتظاهرين العلم العثمانى (١) واتفق مرور ضابط بريطانى بين جماهير المتظاهرين كى يحذر سائق أوتومبيل مسلح من اطلاق [٢٦١] النار على المتظاهرين فأوقعه المتظاهرون وضربوه وحضر ضباط آخرون لخلاصه ، وأطلقت بعض طلقات نارية فقتل وجرح كثيرون .

« وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر هجم الغوغاء على جنديين بريطانيين فى ميدان عابدين وقتلوهما ، وقد أحدث الرعاع من بعد ظهر الأمس عدة مظاهرات عدائيــة للأوربيين ومع ذلك فان الفضل فى منع اهراق الدماء بقدر الامكان يرجع لسلوك الجنود واطاعتهم لأوامر فخامة المندوب السامى الخاص وقد أمكن للآن تهدئة الحال بغير التجاء الى استعمال وسائل الشدة .

« وليكن معلوما بأن مخالفة القــوانين لا تغتفر ، وأن اســتمرار الاضطرابات الحالية ينبنى عليها استعمال القوة واذا اضطررنا الى ذلك فسيذهب كثير من الأبرياء ضحية مع المجرمين .

« أما فى المديريات فلم تتغير الحالة » .

[٢٦٢] تأليف وزارة رشدى باشا

قدم رشدى باشا استقالة وزارته فى أواخر ديسمبر سـنة ١٩١٨ كما عرضنا ، وظل بعد ذلك يباشر الأعمال العادية حتى قبلت استقالته

(١) يتحدث التقرير البريطانى أيضا عن حمل بعض المتظاهرين للعلم التركى وان كان يتحدث فى فقرة أخرى ان أعلاما كثيرة قد رفعت احتفالا بقرار الافراج عن سعد ، مصرية وفرنسية وايطالية وامريكية وتركية بالاضافة الى العلم الذى يحمل الهـلال والصليب .

فى أول مارس ١٩١٩ ، وظلت البلاد منذ ذلك اليوم تحكم بغير وزارة مسئولة .

حتى اذا أجابت السلطة الانجليزية رغبات الأمة التى هى رغبات رشدى باشا وزميله عدلى باشا فى الوقت نفسه وهى السماح للمصريين بالسفر الى أوربا لعرض قضية البلاد أذعن رشدى باشا للرغبة التى أبديت له لتشكيل الوزارة الجديدة التى تم تاليفها فى ٩ أبريل ١٩١٩ .

واليك نص الوثائق الرسمية الخاصة بهذا الأمر :

[٢٦٣] **امر كريم نمرة ٣٦**

صادر لحضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا

« عزيزى رشدى باشا :

« انه بما لى فى دولتكم من الثقة الكاملة قد عهدت لدولتكم تاليف الوزارة الجديدة وعرضها علينا لصدور أمرنا باعتمادها . وانى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا الى ما فيه خير البلاد » .

« فؤاد »

صدر بسراى البستان فى ٨ رجب ١٣٣٧ (٩ أبريل ١٩١٩) .

جواب رشدى باشا

« يا صاحب العظمة :

« أتقدم الى عظمتكم بالشكر الفائق على ماتفضلتم به نحوى من دلائل استمرار الثقة بالأمر الكريم الذى أصدرتموه لى فى هذا اليوم تكلفوننى فيه بتشكيل الوزارة الجديدة .

« فنظرا لما فى الظروف الحاضرة من المصاعب وأملا فى حل يرضى الأمة أرى من واجبى قبول القيام بالمهمة التى اقتضت ارادتكم السنية احالتها على عهدتى ، ولذلك أعرض على نظركم العالى مشروع المرسوم السلطانى المرفق بجوابى هذا لصدور الأمر باعتماده .

« واذا كنت لم أحفظ لنفسى سوى رياسة مجلس الوزراء فذلك لأن أعباء الحمل الملقى على عاتقى فى الحال وفى المستقبل القريب لا تسمح لى أن أتولى أيضا ادارة وزارة أخرى .

[٢٦٤] « وانى لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الأمين »

حسين رشدى

القاهرة فى ٨ رجب ١٣٣٧ ـ ٩ أبريل ١٩١٩

المرسوم السلطانى

نحن سلطان مصر :

« بعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ .

« وبعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر فى هذا اليوم .

« وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء .

« رسمنا بما هو آت »

« المادة الأولى »

« عين حسين رشدى باشا ـ وزيرا للمعارف العموميه (مؤقتا)

ويوسف وهبه باشا ـ وزيرا للمالية

وعدلى يكن باشا ـ وزيرا للداخلية

وعبد الخالق ثروت باشا ـ وزيرا للحقانية

وجعفر ولى باشا ـ وزيرا للأوقاف

وأحمد مدحت يكن باشا ـ وزيرا للزراعة

وحسن حسيب باشا ـ وزيرا للأشغال العمومية

وللحربية والبحرية (١)

« المادة الثانية »

« على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا » .

« فؤاد »

صدر بسراى البستان فى ٨ رجب ١٣٣٧ (٩ أبريل ١٩١٩)

بأمر الحضرة السلطانية

رئيس مجلس الوزراء

حسين رشدى

[٣٦٥] توالى اعتداء الجنود البريطانية

وفى ١٠ أبريل قام بعض الجنود الاستراليون بمظاهرة خرجت من حديقة الأزبكية وهم مزودون بأسلحتهم فراحوا يطلقون النار على الآمنين ويعتدون على المحال التجارية الكائنة فى شارع بولاق .

(١) يرى المندوب السامى البريطانى أن هذه أقوى وزارة كان يمكن تشكيلها فى هذه الظروف .

انظر : د. يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣ .

وقد صدر في هذا اليوم البلاغ الرسمي التالي : ـ

[٢٦٦] « وردت الأنباء بأن الحالة مرضية فى جميع أنحاء المديريات :

وأما فى القاهرة فقد اجتمعت جماهير مخلة بالنظام مؤلفة من أردأ العناصر الموجودة فى المدينة فى الأحياء التى سحبت منهـا الدوريات العسكرية بناء على طلب ولاة الأمور الملكيين ، فشرعت فى ارتكاب أعمال القتل والنهب فى الأحيـاء التى يقطنها أصحاب الحوانيت الصغيرة حتى صدهم وصول الجند .

« ووردت الأنباء بأن خمسة جنود بريطانيين قتلوا منهم واحد فى ميدان عابدين واثنان فى شارع محمد على واثنان (وهما من الهنود غير المسلحين) فى الخليج المصرى وقد اضطر الجنود نظرا لسلوك الرعاع الى اطلاق النيران بضع مرات فقتل وجرح عدد كبير . وأبلغ مستشفى قصر العينى أمس مساء أنه تلقى ٢٢ قتيلا و٤٧ جريحا (١) . وقد وقع جانب كبير من هذه الخسارة التى لحقت بالملكيين بسبب اعتداء الرعاع ، وطلب الى ولاة الأمور من رجال البوليس أن يعـدوا بيانات تامة عن الخسارة فى القتلى والجرحى التى وقعت فى القاهرة منذ يوم ٧ الجارى .

[٢٦٧] وفى يوم ١١ ابريل احتفلت القاهرة بتشييع جنازة ثلاثة عشر قتيلا راحوا ضحية عبث الجنود البريطانيين . وقد كان لهذه الجنازة منظر يقطع بنياط القلوب .

وقد صدر في هذا اليوم البلاغ الرسمي الآتي :

[٢٦٨] « وقعت فى القاهرة أمس مشاغبات أخرى . وكان الاعتداء الذى قام به الرعاع المسلحون بالسكاكين والبلط معظمه موجها ضد السـكان الأرمن كما جرى يوم الأربعاء .

« وأبلغ البوليس أنه وقعت فى الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة التى انتهت أمس الظهر الخسارة التالية وهى ٣٨ قتيلا ومائة جريح وبين القتلى ٧ من الأرمن واليونانيين وقد نفذت التدابير العسـكرية فانقضى الليل بهدوء وسكينة .

« وحدثت أمس اضطرابات فى الاسكندرية كذلك فقد وقعت مصادمة فى الصباح بين الجنود والمشاغبين فى حى كرموز فقتل ثلاثة وجرح ستة .

(١) تختلف هذه التقديرات عما جاء فى التقرير البريطانى بشـأن الأحداث والذى يقدرها بثلاثين قتيلا وثلاثين جريحا .

F.O. 407/184, No. 251.

وبعد الظهر وقعت اضطرابات شديدة ضد الأرمن • وهجم الرعاع بعناد على الجنود فاضطر هؤلاء الى اطلاق النيران فقتل ١٧ شخصا (بينهم عدد من الزعماء) وجرح عدد آخر ، وقد نبه على الجمهور بملازمة منازلهم فى الساعة الثامنة ، فبقيت المدينة هادئة مدة الليل •

« أما فى المديريات فقد تم ارجاع ولاة الأمور الملكيين الى أعمالهم فى كل مكان تقريبا • وقد صار فى الامكان تخفيف القيود الخاصة بالحركة بعد سدول الظلام فى جهات معينة نظرا لعودة الأحوال العادية أكثر من ذى قبل •

« وجاء فى بلاغ من بوليس القاهرة أن الرجل الذى قتله الرعاع فى شارع محمد على يوم ٣ الجارى وأبلغ عنه أولا أنه يونانى تبين أنه مصرى الجنس واسمه على حسن » •

[٢٦٩] وفى ١٢ أبريل احتفل بتشييع ١٢ جنازة أخرى قتـــل شهداؤها برصاص الجنــود البريطـانيين ، وقد اشتركت النساء فى تشييع هذه الجنازة •

وفى هذا اليوم صدر البلاغ الرسمى التالى : ــ

[٢٧٠] **بلاغ رسمى**

القـاهرة فى ١٢ أبريل ١٩١٩

« سادت السكينة جميع أنحاء القطر المصرى منذ ظهر أمس •

« وفى يوم ١٠ الجارى حاول بعضهم العبث بنقط السكة الحديدية فى دنديط (على خط الزقازيق وميت غمر) فقبض على خمسة أشخاص •

« وفى اليوم نفسه وفى المنطقة نفسها عطلت أسلاك التليفون فى جوار كفر اللصوص وبنى سمبل • وقد ضرب نطاق حول هــذه القرى وأعطيت مهلة ثلاثة أيام لابراز المجرمين •

« وفى ١١ الجارى حاول بعضهم قطع أســـلاك التليفون فى جوار قويسنا وقد قبض على المشاغبين أثناء العمل وقتل اثنان وجرح واحد •

« وفى الاســـكندرية زار وفد من الأعيان القائد العام للقـــوات البريطانية هناك ليعربوا له عن أسفهم للحوادث التى وقعت يوم ١٠ الجارى وعن تقديرهم لجلد الجنود واحتمالهم •

« أما فى الوجه القبلى فقد نقل الماجور جنرال السرجون شى مركز

القيادة من أسيوط الى سوهاج وقد قبض على ٤٠٠ شخص فى أسيوط بمناسبة حوادث المشاغبات الأخيرة ٠

« وقد حدثت الخسارة التالية بين الجنود البريطانية فى القاهرة فى ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ أبريل بسبب الاعتداءات – عدا المصادمة مع الرعاع – وهى : « ثمانية من صف الضباط والجنود قتلوا و ٤ ضباط و ١٥ صف ضابط وجندى جرحوا فى خلال هجمات شديدة على الأفراد ٠ [٢٧١]

« وأبلغ البوليس حدوث الخسارة التالية بين الملكيين فى خلال الأربع والعشرين ساعة التى انتهت أمس الظهر وهى :

« ثلاثة من القتلى وخمسة عشر من الجرحى » ٠ (١) ٠

[٢٧٢] تكوين لجنة الوفد المركزية

كان متوقعا أن تهدأ الحالة تماما عقب البلاغ المنبىء بالافراج عن أعضاء الوفد المصرى المعتقلين بمالطة والتصريح لكل من يريد السفر من المصريين الى أوربا ، ولكن الاضطرابات استمرت بعد ذلك ببعض أنحاء القاهرة وبعض جهات الأقاليم كما روينا ، وكان مفهوما كذلك أن أعضاء الوفد المصرى اعتزموا الرحيل الى باريس يوم ١١ أبريل سنة ١٩١٩ فاجتمعت معهم بمنزل على شعراوى باشا لتعيين أعضاء لجنة الوفد المركزية طبقا للمادة (٢٦) من قانون الوفد ٠ وبالفعل كونت اللجنة على الوجه الآتى :

محمود سليمان باشا (رئيسا) وابراهيم سعيد باشا (وكيلا وأمينا للصندوق) ومحمود أبو حسين باشا (وكيلا) وعبد الرحمن بك فهمى (سكرتيرا عاما) وأمين بك الرافعى (مساعدا للسكرتير) ومحمد السيد أبو على باشا وابراهيم بك الهلباوى ومرقس بك حنا وتوفيق بك دوس ومحمد محمود خليل بك والشيخ محمد عز العرب بك وعبد الرحمن بك الرافعى والدكتور حسن بك كامل والدكتور محمود بك عبد الرازق والسيد بك خشبة وعلى بك محمود (أعضاء) ٠

وأثناء البحث عمن يليق للاشتراك معنا فى هذا العمل العام رشحت فتح الله بركات باشا لعضوية هذه اللجنة فقال لى على باشا شعراوى

---

(١) يلاحظ أن هذه الأرقام تتفق مع ما جاء فى التقرير البريطانى عن نفس اليوم ٠

« انه لا يمكننا اشراك فتح الله باشا معنا لسوء تفاهم واقع بينه وبين سعد باشا ، وأن تعيينه لهذه اللجنة لا يصادف قبولا منه » ٠ [٢٧٣]

وبعد تشكيل اللجنة على الوجه السابق وسفر رجال الوفد أتانى الأستاذ محمد بك محمود خليل المحامى وتكلم معى طويلا بخصوص ضم فتح الله باشا الى أعضاء لجنة الوفد المركزية بمصر ، فأفهمته ما دار من الحديث بينى وبين شعراوى باشا فى هذا الخصوص أثناء تكوين اللجنة قبيل سفر أعضاء الوفد فانصرف ، ثم أعاد الكرة فى هذا الموضوع أكثر من مرة ٠

وفى هذه الفترة كنت أسمع من كثيرين أن فتح الله باشا يطعن فى سعد باشا زغلول فى مجالسه الخاصة ٠

ونظرا لأن مثل هذه الأقوال وتكرار ذكرها مما يؤثر بلا ريب فى مصلحة القضية انتهزت فرصة الحاح الأستاذ محمد محمود خليل بك وضممت فتح الله باشا الى أعضاء اللجنة ، أى أننى كتبت اسمه ضمن الكشف الذى حرر بمنزل شعراوى باشا قبيل سفر الوفد كما ذكر ٠

والذى دعانى الى الانفراد بهذا العمل هو أن العلاقات بين فتح الله باشا وابراهيم باشا سعيد كانت على غير ما يرام ولا يبعد أن يسلك ابراهيم باشا سعيد كل سبيل لمعارضة ترشيح فتح الله باشا للاندماج باللجنة ٠ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان ادخال فتح الله باشا ضمن أعضاء اللجنة يمنعه بلا شك مما كان يذيعه بمجالسه الخصوصية ضد سعد باشا ٠ هذا الى أننى كنت أعتقد فيه النشاط والمقدرة على العمل ٠

[٢٧٤] وقد تحقق رجائى هذا اذ انقطع بتاتا عن ذكر اسم سعد باشا الا بالتجلة والاحترام وأصبح عضوا نافعا من أعضاء لجنة الوفد المركزية ، وقام مع آخرين بجمع التبرعات من جهات دسوق وما جاورها وهناك عرضت على الحاضرين صورة شمسية لسعد باشا زغلول طرحت فى المزاد العلنى وشجع فيها حركة المزايدة حتى بلغ ثمنها خمسمائة جنيه تقريبا ، فسبحان مغير الأحوال ٠

ثم ضمت اللجنة الى أعضائها على توالى الأيام وتدريجيا حضرات الآتية أسماؤهم :

عبد الخالق مدكور باشا (عضو الوفد) ومحمد كامل جلال باشا ومحمد محفوظ باشا وكامل بك بطرس والدكتور أحمد بك السعيد والدكتور محجوب ثابت والدكتور حبيب بك خياط وحسنين بك

عبد الغفار وعلوى الجزار بك وراغب عطية بك وعلى المنزلاوى بك والسيد حسين القصبى وأحمد بك الشيخ وفهمى بك ويصا ، وحسين بك الشريعى ومحمد زكى بك عبد الرازق وعلى بك اسماعيل وصاروفيم بك مينا عبيد وفؤاد بك سلطان وعبد الواحد بك الوكيل ومحمود بك عبد النبى وعثمان بك سليط وسالم بك السيد وعبد الحليم بك العلايلى وعبد الرحمن بك محمود ومحمد بك كمال أبو جازية وبسيونى بك الخطيب وحسين بك هلال وعبد الستار بك الباسل •

[٢٧٥] سفر الوفد المصرى الى باريس

أتيح السفر للوفد ، ولغيره من السياسيين والمصريين فى ٧ أبريل ١٩١٩ كما قدمنا • فسافر الأعضاء الموجودون بالقاهرة فى ١١ أبريل من القاهرة الى بورسعيد فمالطة حيث انضموا الى سعد باشا وزملائه الثلاثة وأبحروا جميعا الى باريس •

وقد أقيمت للأعضاء حين مغادرتهم القاهرة احتفالات ومظاهرات باهرة اشترك فيها الشعب بأسره وليس فى مقدورنا أن نصف هذه المظاهر وصفا كاملا • ولهذا نكتفى بمجرد الاشارة اليها •

وعلى ذلك يكون الوفد الذى ذهب الى أوربا مكونا من حضرات :

سعد باشا زغلول ، على شعراوى باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، حمد الباسل باشا • محمد محمود باشا • عبد العزيز فهمى بك • أحمد لطفى السيد بك • محمد على بك • عبد اللطيف المكباتى بك • سينوت بك حنا ، جورج خياط بك • الدكتور حافظ عفيفى بك ، مصطفى النحاس بك • حسين واصف باشا • محمود أبو النصر بك •

ورافق الوفد من موظفى سكرتاريته محمد بك بدر رئيسهم وجورج دومانى أفندى وعزيز منسى بك • كما سافر معهم حضرتا ويصا واصف بك وعلى بك حافظ رمضان •

[٢٧٦] محاولة ارسال وفد آخر الى أوربا والقضاء عليها

فى نفس الوقت التمس جماعة من المصريين المفكرين المعروفين بوطنيتهم الترخيص لهم بالسفر الى أوربا ، وأجيبوا الى ملتمسهم ، وهم حضرات :

أحمد لطفى بك المحامى • الدكتور اسماعيل صدقى بك • محمد حافظ رمضان بك المحامى • عبد اللطيف الصوفانى بك • عضو الجمعية التشريعية عن مديرية البحيرة • محمد كمال أبو جازية بك عضو الجمعية التشريعية عن مديرية الغربية • أحمد وجدى المحامى • مصطفى الشوربجى المحامى • محمد زكى على بك المحامى ، أحمد وفيق المحامى • محمد فؤاد حمدى المحامى •

وقد كان فى نية حضراتهم أن يسافروا فى ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩ •

ولا يخفى على القارىء أن حضراتهم جميعا من أعضاء الحزب الوطنى الذين لا يضمرون الخير للوفد ، أو هم على الأقل يشكون فى وطنية بعض أعضائه •

ولقد ترامى الينا أن ذاتا من الذوات الكبيرة المشتغلة بالمصلحة العامة (١) أوعزت الى الحزب الوطنى بالسفر الى أوربا لمراقبة أعمال الوفد المصرى خيفة تورطه في قبول شىء يخالف مصلحة البلاد ، وأنه وضع تحت تصرفهم عشرة آلاف من الجنيهات •

ولما كان وجود وفدين من بلد واحد أمام مؤتمر السلام يشعر بوجود انقسام فى صفوف الأمة ، بل ربما انتهز خصومنا وجود الوفدين معا للقول بأن بلادنا منقسمة الى شيع وأحزاب كثيرة ، وأن أهلها راضون بحالهم ، الا هذان الحزبان ، وهذا طبعا يضر بقضيتنا ضررا بليغا ، فقد أرسلت من يلزم لاقناع رجال الحزب الوطنى بسوء المصير اذا نفذوا [٢٧٧] فكرتهم هذه ، فلم ينتصحوا ، فأرسلت اليهم أناسا آخرين لاقناعهم ورجائهم بالعدول عن ذلك ، فرفضوا كل نصح ورجاء • ولكنى لم أيأس فأرسلت قوما آخرين متشبعين بالفكرة التى كانت تجول بخاطرى فى هذا الشأن ، فأفلح سعى هؤلاء فى هذه المرة ، لأنه كان مشربا بروح التهديد والوعيد •

ولما رأت تلك الذات الكبيرة أن من العسير عليها ارسال وفد من هنا اتجهت الى فكرة أخرى وهى اختيار اثنين من أعضاء الحزب الوطنى المقيمين باسكندرية للسفر الى أوربا ، وهناك يسعيان فى ضم من يمكن ضمه من أعضاء الحزب الوطنى المقيمين بالخارج لتشكيل وفد منهم •

فلما علمت بهذا أرسلت وفدا من السيدات المشتغلات بالحركة الوطنية الى الاسكندرية بعد أن زودتهن بما يجب عمله لابطال هذه الفكرة أيضا • وقد كان وسافر وفد السيدات وتمكن من اقناع العضوين اللذين

(١) يقصد عبد الرحمن فهمى الأمير عمر طوسون •

كانا مزمعين السفر بواسطة زوجتيهما اللتين اقتنعتا بما بسطه لهما وفد السيدات • فاقتنع أحدهما ولم يقتنع الآخر ، فتوجهن الى بيته وتكلمن كثيرا مع زوجه ، وأعلمنها بأن عمل زوجها سيكون نقطة سوداء فى تاريخ عائلاتهم ويكون هو عرضة لأن يدعى خائنا ويلصق به هذا الاسم وبعائلته الى ما شاء الله • وبعد مناقشة طويلة ضربن فيها كثيرا على هذه النغمة مما أبكاها وأقنعها بسوء المصير اذا نفذ زوجها هذه الفكرة ، قالت لهن : اننى سأعمل كل ما أستطيعه لمنعه من السفر ، فان لم أفلح فلا أكون فى عصمته اذا سافر •

[٢٧٧ أ] ولما عاد الزوج من عمله سأل زوجته هل أعدت حقائب السفر • فقالت له : يجب عليك أن تفكر فى مصير أولادك قبل أن تفكر فى السفر . لأننى لا أريد البقاء فى عصمتك ، ولا أريد خدمة أولادك وملاحظتهم • فقال لها مندهشا : وكيف كان ذلك ؟ فقالت : اننى لا أريد أن أدعى بين قومى « زوجة الخائن » لأن العمل الذى تريد أن تنفرد به دون الخمسة عشر مليونا من المصريين لا يمكن أن يؤول الا بالخيانة •

ارتاع الرجل من هذه المفاجأة ، وحاول اقناع زوجه بجميع الطرق فلم يفلح ، وأخيرا عدل عن السفر ورد « شيك » العشرة الآلاف جنيه الى صاحبه •

[٢٧٨] تتابع فظاعات الجنود البريطانية

انقلبت الثورة الى مظاهرة فرح وسرور بعد فك اعتقال رئيس الوفد وزملائه الثلاثة ، والسماح للوفد ولمن شاء بالسفر الى أوربا ، كما قدمنا • وقد تخلل هذه المظاهرات حوادث يؤسف لها ، وقعت من جانب الجنود الانكليزية على المتظاهرين المسالمين كما مر بالقارىء •

على أن اعتداءات الجنود البريطانية لم تقف عند هذا الحد والى ذاك التاريخ ، فقد ارتكبوا عدة فظائع أخرى فى جهات مختلفة من القاهرة والأقاليم •

ونحن نثبت هنا بعض هذه الاعتداءات كما جاءت فى شكاوى الأهالى وتقاريرهم الينا (١) • وهاهى بحسب تسلسل تواريخها :

(١) الواضح هنا أن أغلب المعلومات التى تضمنتها المذكرات قد تضمنتها شكاوى الأهالى الموجهة الى الوفد من الممارسات الانجليزية . وسوف نحاول فيما يلى تبين الوجه الآخر من تلك الأحداث من الوثائق البريطانية •

تقرير عن حادثة محطة صفط الملوك « بحيرة »

ليلة وصباح الأحد ١٣ ابريل ١٩١٩

[٢٧٩] فى منتصف ليلة الأحد ١٣ ابريل هجمت الجنود الانجليزية على « كفر مساعد » وهى بلدة تبعد عن محطة صفط الملوك بنحو خمسة كيلو مترات وأحاطوا بساكنيها وطلبوا الى الأهالى الخروج من منازلهم لعرضهم على الدورية الانجليزية التى اعتادت أن تمر ليلا على السكة الحديدية فى هذه المنطقة حتى تعرف من بينهم من أطلق الرصاص على العساكر . وبعد أن فتشوا جميع المنازل والأجران ساقوا كل الذكور الى حيث لا يعلم الأهالى ولم يستثنوا واحدا بعد أن قتلوا أحدهم يوسف مبروك .

وفى نحو الساعة الثالثة صباحا توجهوا الى بلدة شبرا الشرقية « التابعة للأوقاف السلطانية وهى على بعد كيلومترين من كفر مساعد » وعملوا بها ما عملوا فى البلدة السابقة .

وفى نحو الساعة السادسة صباحا هجموا على بلدة كفر الحاجة والعزب التابعة لها « وهى بلدة تبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن خط السكة الحديد » وبعد أن ساقوا الرجال الذين كانوا فى الحقول بين طلقات البنادق الى محطة صفط الملوك (١) أوقفوا هذا الجمع على رصيف البضائع بين نطاق من العساكر الانجليزية شاهرين أسلحتهم .

عند ذلك حضر أحد أعيان كفر الحاجة « محمد أفندى توفيق عمران المحامى » ومعه جرجس أفندى بولس أحد أعيان بلدة كفر مساعد وأرادا أن يتكلما مع أحد الضباط فلم يستطيعا ذلك ، وفى تلك اللحظة حضرت [٢٨٠] سيارة عسكرية معدة لركوب الضباط فعرف محمد أفندى توفيق عمران كبير الضباط بعلامته العسكرية ورجاه فى الوقوف فوقف وحصلت بينهما مناقشة مؤداها أن هؤلاء الناس مظلومون وأنهم من أهالى الجهة الشرقية والطلق المنسوب حدوثه حصل كما يقولون من الجهة الغربية فكان جواب القائد الا بد من الارشاد على الفاعل فورا والا نفذ أوامره .

بعد ذلك كان يؤتى بالرجال فيسأل عن وجود أسلحة عنده وعن معرفة الضارب للرصاص ، ثم يعطى ورقة ليتوجه بها الى الكشك الصغير

---

(١) صفط الملوك : من أعمال مديرية البحيرة ـ انظر البلاغ الرسمى الصادر فى ١٤ ابريل (ص ٢٩٧ من المذكرات) .

الموجود على الرصيف وهناك تتلقفه العساكر فيمزقون ملابسه ويسلبون نقوده ، ثم يخرجون رأسه من شباك صغير بالكشك فيمسك به أربعة عساكر من الخارج ويمسك بكل أطرافه ثلاث عســـاكر آخرون فيرفعون جسمه عن الأرض ويلهبه اثنان بالأسواط بدون حساب •

ولم يحترم الانجليز مركز بعض الناس ودرجتهم فى الهيئة الاجتماعية فضربوا الكثيرين من الأعيان ورجال العلم وغيرهم •

وقد فتش الجنود جميع المنازل فلم يعثروا على أسلحة ما •

***

واليك نص العريضة التى قدمها أهالى العباسية الى عظمة السلطان يشكون فيها ما لاقوه من تعسف الجنود الانجليزية واعتداءاتهم •

[٢٨١] العباسية فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٩

« صورة عريضة قدمت لعظمة الســلطان »

من أهالى العباسية

« مولانا صاحب العظمة سلطان مصر :

« الموقعون على هذا من أهالى قسم الوايلى (العباسية) يتشرفون بعرض شكواهم مما ألم بهم ليلة أمس :

« ذلك أن عساكر الانجليز فى ليلة أمس أخذوا يطلقون العيارات النارية من ابتداء الساعة السابعة مساء على المارين فى شوارع العباسية وراكبى العربات والاتومبيلات من نساء ورجال وصبيان وعسكر مصرية ويسلبون منهم ما يجدونه معهم من مال ومصاغ وياليتهم اكتفوا بذلك ، بل أخذوا يهاجمون الأهالى فى منازلهم ويطلقون النار عليهم ويسلبونهم كأنهم يقضون عملا مشروعا ونحن مع الأسف لا ندرى لعملهم هذا أى سبب يمكن تعليله به الا السلب والنهب بصفة عصابات مسلحة مع قوم عزل من السلاح ، ولم تقف الحالة عند هذا الحد بل زادتها رجال حكمدارية بوليس مصر الانجليز عند استغاثة قره قول الوايلى بها بالامتناع عن أى مساعدة لا بالرجال ولا بغير ذلك حتى انتهت الواقعة بقتل من قتـــل وجرح من جرح وسلب من سلب ، وهو كالآتى :

١ ـ هوجم بالسلاح سعادة اللواء مبروك باشا فهمى وهو فى عربته وضرب ومزقت ملابسه وسلب ما معه من مال وحلى •

٢ ـ حضرة الدكتور خليل بك راجى حصل له كما حصل للأول •

٣ ــ حضرة الدكتور القلماوى بك : حصل له ما حصل للأول وزاد عليه خنقه بأيديهم ٠

٤ ــ حضرة عباس بك راجى : حصل له ما حصل لسابقه ٠

٥ ــ حضرة القائمقام أحمد بك وصفى : سلب ماله وقدره مبلغ ٩٦ جنيه ٠

[٢٨٢] ٦ ــ احدى أميرات العائلة السلطانية : هوجمت بالعيارات النارية ٠

٧ ــ كسر منزل المرحوم حسين ترك الكائن خلف بوستة العباسية وأطلقوا عيارات نارية وسلبوا ما به من النقود والحلى ويقدر قيمتها بمبلغ ٧٤٠ جنيه ٠

٨ ــ هوجم منزل المرحوم محمد على رسلان وسلبوا الحلى والنقود ٠

٩ ــ هوجمت دكان محمد ابراهيم سعيد الطباخ وسلبت نقوده ٠

١٠ ــ هوجم فى الطريق العام محمد سالم وسلبت نقوده وحلاه ٠

١١ ــ هوجم فى الطريق العام أحمد على زهران وسلبت نقوده وحلاه بعد أن ضربوه وأصيب فى عينه اليمنى ٠

١٢ ــ ضربت أربعة رصاصات بمنزل محمود أفندى نديم المستخدم بحكومة السودان ٠

١٣ ــ ضربت بعض عيارات نارية بمنزل على أفندى عبد الرحمن بحارة شحاته يوسف ٠

١٤ ــ ضرب منزل اللواء اسماعيل باشا مختار بالرصاص وكسر زجاج أبوابه بشارع عباس ٠

١٥ ــ ضربت عيارات نارية بحارة الركبية بمنزل المعلم محمد حسن الجزار ٠

١٦ ــ ضربت عيارات نارية بقهوة أحمد ابراهيم يوسف وكسرها وأتلف ما بها ٠

١٧ ــ ضربت عيارات نارية بمنزل الحاجة زينب بسوق العباسية واضطربت السيدات وحالة احداهن خطيرة ٠

١٨ ــ تجمهر نحو الاثنى عشر انجليزيا أمام منزل صاحب المعالى ابراهيم باشا فتحى وأطلقت عيارات نارية أمامه ٠

١٩ ـ كسرت شبابيك مكتب البوستة مع اطلاق الرصاص عليه ·

وهذا قليل بالنسبة الى حقيقة ما حصل ، نذكره للدلالة عليه فقط . واستمرت حركة الانجليز هذه وضباطهم معهم لغاية الساعة ١١ مساء ·

[٢٨٣] وحيث أن الأهالى ليس أمامهم قوةنظامية حاكمة ، وترجع اليها فى الشكوى الا قوة صاحب العظمة مولانا السلطان الأعظم ، وقد أصبحنا جميعا مهددين فى كل وقت وحين من رجال العسكرية الانجليزية التى كانت ضباطهم بالأمس تسير حركاتهم العدائية وعرف من بينهم من اذا عرض على من ذكروا لعرف ·

فلهذا

قد رفعنا شكوانا لعظمتكم طالبين اتخاذ الوسائل الفعالة عاجلا فى حفظ الأمن والأرواح من هذه الفوضى العسكرية واننا يا عظمة السلطان نحتج ونشارك جميع الأمة المصرية فى جميع الفظائع(٢) التى وقعت حتى الآن فى أنحاء الديار المصرية من رجال العسكرية الانجليزية التى لم نسمع بها فى التاريخ ورجاؤنا فى عظمتكم تحقيق أمنيتنا وجميع الأمة المصرية فى استقلال مصر استقلالا تاما بغير شرط ولا قيد وندعو لعظمتكم بدوام العز والبقاء ·

***

ثم اليك كذلك تقريرا عن حوادث اعتداءات الجنود البريطانية على على أهالى طنطا من تاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩١٩ الى ١٨ أبريل ١٩١٩ ·

[٢٨٤]

تقرير

عن حوادث الاعتداء على أهالى طنطا من الجنود البريطانية من ٢٤ مارس الى ١٨ ابريل ١٩١٩

وهذا تقرير آخر وصل الينا من بعض أهالى طنطا عما لحق بهم فى المدة المذكورة وهو :

١ ـ فى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩١٩ تعدى جندى بريطانى على

---

(١) لم تتضمن التقارير البريطانية أية اشارة للاحداث السابقة فقد انصب اهتمامها أكثر على الأحداث ذات الطابع الجماعى لا الطابع الفردى ·

(٢) لا تستقيم العبارة على هذا النحو وتصبح أفضل لو كانت « ونشارك جميع الأمة المصرية فى الاحتجاج على جميع الفظائع ·· »·

القائم بأعمال الداورية من رجال البوليس المصرى ، ومنعه من القيــام بعمله .

٢ ـ فى يوم ٢٤ منه طرق جنديان أبواب الوطنيين ليــلا طلبــا للفحشاء بألفاظ قبيحة .

٣ ـ فى يوم ٢٤ منه تعدى جنديان على أحد رجال البوليس المصرى أثناء تأدية وظيفته وذلك بضربه .

٤ ـ اغتصب أحد الجنود الانكليز فواكه من محمود مطاوع بطريق الاكراه مع تهديده بالقتل .

٥ ـ فى تاريخه اغتصب أحد الجنود الانكليز حمصا من أحد التجار وهدد البوليس باشهار السونكة فى وجهــه وشرع بعض الجنود فى الفسق مع متسولة فى الشارع العمومى بطريق الاكراه .

٦ ـ فى تاريخه اغتصب بعض الجنود مصوغات من محل أحمــد الصباغ تبلغ قيمتها ٦٤ جنيها .

٧ ـ فى ٢٥ منه طرق الجنود منزل أحد الوطنيين ليلا طلبا لاستعمال الفحشاء بألفاظ نكرة .

٨ ـ فى ٢٦ منه شرحه .

٩ ـ تعدى ٦ من الجنود على نقولا تاكيوس حماية دولة اليونان واغتصبوا منه ساعة وكتينة و ٦ زجاجات كونياك ومبلغ ١٠٠ جنيه .

١٠ ـ فى تاريخه ضربوا أحد رجال البوليس المصرى أثناء تأدية وظيفته .

١١ ـ فى تاريخه شرع الجنود فى الفسق مع ســيدة فى الشارع العمومى ليلا .

[٢٨٥] ١٢ ـ فى تاريخه شرع أحد الجنود فى قتل محمد شعبان الخفير أثناء تأدية وظيفته .

١٣ ـ فى ٢ أبريل اختطفوا كيس نقود به ٥ جنيهات مصرية من بطرس أفندى فهمى بعد ضربه .

١٤ ـ تعدى الجند على أحمد حسن الشامى بعد تهديده بالمسدسات وضربه بأعقابها وسلبوا منه ٣٠ قرشا صاغا ، واعتدوا على الخفير عبد الله سليم خضر الذى حضر لاغاثته .

١٥ ـ فى تاريخه شرع خمسة من الجنود فى فتح الأبواب بقصــد السرقة ومعهم الآلات المعدة لذلك فضبطوا أثناء شروعهم فى سرقة احدى المحلات بالسكة الجديدة .

١٦ ـ فى ١٤ منه حاول الجنود بيع مهماتهم الى أحد الخفراء فامتنع فكان جزاؤه الضرب وسرق نقوده بالاكراه ٠

١٧ ـ فى ١٥ منه كسر الجنود عربة وهاجموا عشـــش الفلاحين وخربوها وسرقوا ما بها من متاع ٠

١٨ ـ فى ١٦ منه سرق بعض الجنود ١٥٦ قرشا من ابراهيم أفندى عطية بالاكراه وهددوه بالمسدس ٠

١٩ ـ فى ١٧ منه هاجم أربعة من الجند منزل السيد أفندى هداية ليلا وتسلق بعضهم المنزل بقصد السرقة وهددوا صاحبه بالقتل فأغاثه رجال البوليس المصرى وبعض الأهالى ٠

هذا بعض ما حدث فى مدينة طنطا وهو قليل من كثير (١) ٠

[٢٨٦]

تقرير

بما حدث من اعتداء لجنود الانجليزية على منزل حضرة يوسف أفندى فهمى مصطفى من كبار أعيان بنى مزار (٢) يوم ١٩ ابريل ١٩١٩

فى الساعة السادسة صباح يوم ١٩ أبريل سمع يوسف أفندى فهمى مصطفى طرقا شديدا على الباب ٠ وقد أسرع الخادم الى فتح الباب فاذا بالطارق ضابط انكليزى يصحبه خليل أفندى قمحة معاون البوليس . ولما نزل يوسف أفندى ـ وكان بملابس النوم ـ طلب منه الضابط اخراج الخدم من المنزل قائلا « اننا نريد تكسير المنزل ونهب ما به » وبعد ذلك أمر جنوده بالهجوم فدخل ما يزيد على خمسين جنــديا أخذوا ينهبون ويسلبون كل ما تصل اليه أيديهم ومن ذلك ٥٢ جنيهــا كانت بمحفظة يوسف أفندى وأخذوا زيادة على ذلك يحطمون ويمزقون الأثاث والمتاع ٠

---

(١) تشير الوثائق البريطانية فى هذه الفترة الى اشتراك الموظفين فى طنطا فى الاضراب العام للموظفين ، والى اضطرابات فيها (٤ ابريل) ثم الى مظاهرة كبيرة واجهها البوليس (٨ أبريل) واضراب كامل من العاملين فى السكك الحديدية (١٦ أبريل) ٠

(٢) تقع فى بنى مزار فى مديرية (محافظة) المنيا ٠

ويلاحظ أن من كان يتعرض أساسا لنهب القوات الانجليزية من الأعيان ويعود ذلك فى الغالب الى سعى الانجليز الى ارهاب المصريين فى أعيانهم بالاضـــافة الى قيادة هؤلاء الأخيرين للعمل السياسى فى البلاد ٠

وقد صعد الجند الى حيث ينام السيدات والأطفال فكسروا عليهم الباب فرجا يوسف أفندى أحد الضباط فى استعمال الرأفة مع النساء والأطفال ، فما كان منه الا أن صوب مسدسه الى صدر يوسف أفندى وأمر بطرده خارج المنزل ٠

وخرج الجنود وهم يحملون ما وصلت اليه أيديهم من المصوغات والمجوهرات والأوانى الفضية مما تبلغ قيمته خمسمائة جنيه ٠

وهجم جنديان على الخادمة الاوربية وهدداها بالقتل ان هى أبدت حركة ما فسلبا منها عشرة جنيهات ٠

وقد حاول الجند فتح الخزانة الحديدية فلم يتمكنوا فحاولوا كسرها ولكنهم لم يفلحوا كذلك ٠

[٢٨٧] ولما رأى يوسف أفندى كل هذا دعا حضرة محمد بك حسن قاضى المحكمة الأهلية وفضيلة الشيخ على عالم رئيس المحكمة الشرعية ووكيل النيابة لمشاهدة الحادث وقدم بلاغا لمأمور المركز لضبط الواقعة ولكنه لم يفعل ٠ وقد احتج محمد بك حسن على ما شاهده من آثار التخريب فطلب منه سحب الاحتجاج فرفض فقال الضابط الانجليزى « أنت تحتج على هذه القوة المؤلفة من ١٥٠ جنديا تقريبا فسآمر بسفرها وأستبدل بها قوة مؤلفة من ٥٠٠ استرالى » وقد حصل ذلك بالفعل ٠

وفى اليوم التالى حضر ضابط انجليزى وقال انه آت للتحقيق ولكنه قبل أن يرى شيئا قال : « المصريون كاذبون » وكان كلما رأى آثار التخريب يبدى سروره واعجابه ٠

وقد حدث بعد ذلك أن الضابط أهان معاون البوليس لأنه كان يؤدى الشهادة بصدق ٠

وقد كتب يوسف أفندى احتجاجا وقعه جميع الموظفين وأهالى البلد وأعيانها وأرسلوه الى عظمة السلطان ٠

★★★

وهاك شكوى أهالى المطرية من فظائع الجنود البريطانية :

[٢٨٨]

شكوى أهالى المطرية

٣٠ ابريل سنة ١٩١٩

فى يوم ٢٩ أبريل الساعة ٦ صباحا طرق الجنود الانجليز منزل السيد محمود صبرى ، ولما فتح لهم دخلوا عنوة وهم يبلغون ستين جنديا مسلحين وثلاثة ضباط والجميع من الهنود ومعهم مترجم أرمنى الجنس ،

وقد كلفوا السيد محمود صبرى بالخروج من المنزل حالا وفتح الدواليب كلها فخرج ومعه النساء والأولاد وسيق الجميع الى الشارع العباسى ثم أخذوا الرجال الى مزرعة مزروعة قطنا وظلوا كذلك الى الساعة ١/٢ ١ بعد الظهر والجميع حفايا عرايا ثم سيقوا الى مركز البوليس حيث نبه عليهم ضابط النقطة باحترام الانجليز ثم صرفوا الجميع ·

ولما وصل السيد محمود صبرى الى منزله وجده خاويا خاليا اذ سرقت النقدية البالغ قدرها ١٥٠ جنيها مصريا بنك نوت وكذلك الحلى الخاصة بالسيدات التى تبلغ قيمتها ١٤٠ جنيها مصريا · هذا بخلاف التماثيل وكل الملابس فقد سرقت كلها ولم يبقوا حتى على الخبز فى الدار بل أتوا على آخره ، ووجد بدله غائط العساكر ·

وقد كتب صاحب المنزل كشفا بما فقد منه وقدمه الى قسم البوليس ·

« وما حدث للسيد محمود صبرى حدث كذلك فى منازل كثيرة ·

[٢٨٩]

تقرير

عن حادثة اعتداء الانجليز على منزل حضرة مصطفى أفندى ثابت (١)

فى منتصف ليلة ١٠ مايو سنة ١٩١٩ سمع مصطفى أفندى ثابت وزوجته صوت طلقات نارية ولما أطلا من البلكون رأيا الناس يهرولون والجنود الانجليز فى أثرهم ثم سقطت زوجته صارخة مستنجدة ولم يلبث حتى أصيب هو الآخر فى ساقيه الاثنين ·

وبعد ذلك سمع طرقا عنيفا على الباب أعقبه تحطيم زجاج ثم اذا به يرى عشرات من الجند يندفعون الى الغرف ·

وبعد رجاء والحاح من مصطفى أفندى أذن له بأن يستحضر ابنه طبيبا وبينما كان الطبيب يؤدى مهمته كانت الجنود منتشرة فى الغرف للتفتيش · ولما لم يجدوا سلاحا أو ما يوجب الشبهة اغتصبوا كل ما وصلت اليه أيديهم من مال وهو مبلغ ٥٠ جنيها يضاف اليها ٢٠ قرشا كانت مع بواب المنزل ومصاغ يقدر بأربعين جنيها هذا فضلا عن الأثاث الذى قلبوه رأسا على عقب وأتلفوه ولولا أن الضابط استدعاهم لما بقى فى المنزل شىء من النقود والأثاث ·

(١) ليست هناك أية اشارة عن شخصية مصطفى أفندى ثابت لا فى الوثائق ولا فى صحف هذه الفترة ·

[٢٩٠]

تقرير
من أهالى ناحية العباسة مركز الزقازيق شرقية
٣٠ مايو ١٩١٩

كانت الجنود الانجليزية متوجهة لجهة بلبيس ، فانقض منها ثلاثة على عزبة شيخ العرب غومة الطحاوى (١) وبعد السلب والنهب أرادوا الفسق باثنتين من السيدات وبعد عنف شديد فرتا الى عزبة السيد على سكر لتحتميا بها من العساكر فاقتفوا أثرهما ، ودخلوا مسكن السيد على سكر بعد أن كسروا الأبواب وبعد السلب والنهب تمكنوا من الفسق بهما .

ثم اتجهوا الى عزب أخرى وأجروا السلب والنهب فيها وظلوا على هذا المنوال من الساعة ١٠ صباحا الى الساعة ٢ بعد الظهر تقريبا . وقد أخذوا من الشيخ عبد الغنى الفولى مبلغ خمسين جنيها .

وقد عمل تحقيق بعد ذلك ولكن بطريقة ظالمة وغير مستوفاة حتى كان المحقق يجبر الناس على التوقيع على ورقة بيضاء ولكن بطريقة غير ظاهرة .

[٢٩١]

الموظفون والحركة الوطنية

بالرغم من سماح السلطة الانجليزية للوفد بالسفر الى أوربا فان الموظفين لم يستأنفوا أعمالهم حتى يوم ١٠ أبريل (٢) وزادوا على ذلك أن تدخلوا فى الحالة السياسية تدخلا واضحا اذ شكلوا من بينهم لجنة عددها ٣٢ عضوا كانت باكورة أعمالها أن قررت اضراب جميع الموظفين حتى تجاب المطالب الآتية :

أولا : أن تصرح الوزارة بصفة الوفد الرسمية .

ثانيا : أن تشكيل الوزارة لا يفيد الاعتراف بالحماية .

---

(١) المعلوم أن أغلب سكان تلك الجهات من مديرية الشرقية من اصول بدوية مما يتضح من الأسماء (الشيخ الطحاوى ــ الشيخ الفولى) .

(٢) يقول الجنرال اللنبى فى تقرير له عن يوم ٩ ابريل ما نصه : « تغيب كل مستخدمى الوزارات ، كما أضرب كل رجال مصلحة البوستة ، والغالبية العظمى من رجال مصلحة السكك الحديدية » .

ثالثا : الغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود البريطانية من الشوارع .

ثم لم يقتصروا على ذلك بل راحوا يوقعون جميعا على صيغة التوكيل المعطى للوفد لأنهم لم يكونوا قد وقعوه بعد بسبب تهديد رؤسائهم .

وفى يوم ١١ ابريل استدعت الوزارة سبعة من أعضاء لجنة الموظفين، وناقشتهم طويلا فى طلباتهم وأخيرا قبلت بعض هذه الطلبات ثم كتبت منشورا رأت قبل اذاعته أن تعرضه على المندوب السامى فلم يوافق عليه ولذلك امتنعت الوزارة عن نشره .

ولما رأت الأمة أن طلبات الموظفين هذه تعبر عن رغباتها ذهبت الوفود الكثيرة الى دولة حسين رشدى باشا وأيدت الموظفين فى تلك الطلبات العادلة وهذا ما دعا الى استئناف المناقشة بين الوزارة وبين مندوبى لجنة الموظفين ولكن كل هذه المناقشات لم تجد نفعا لأن الموظفين تمسكوا بها ، فأذاع مجلس الوزراء المنشور الآتى فى ١٢ ابريل وهو :

[٢٩٣] « الآن وقد رخص للمصريين بالسفر وتألفت وزارة شعارها الاخلاص التام فى خدمة الوطن مشاطرة للأمة شعورها ومقدرة لأمانيها حق قدرها ، فان الحكومة تدعو الأمة الى الهدوء والسكينة كما انها تدعو الموظفين وغيرهم ممن أضربوا عن العمل تأييدا للمطالب القومية الى العودة لأعمالهم .

« ان الاصرار على الاضراب عن العمل فى الحالة الحاضرة يؤدى الى ارتباك الأعمال وانتشار الفوضى ، فليتدبر المضربون عن العمل فى المسئولية الهائلة التى تقع عليهم بازاء بلادهم اذا ما أصروا على موقف يعرض البلاد الى مثل تلك الأخطار .

« والحكومة على يقين بأن الكافة يدركون أن اهتمام عظمة السلطان بتأليف الوزارة كان أول باعث عليه وضع مقاليد الأمور فى يد السلطة المدنية مقدمة لاناطة المحافظة على النظام والأمن برجال السلطة المصرية والرجوع الى الحالة العادية » .

رئيس مجلس الوزراء
« حسين رشدى »

القاهرة فى ١١ رجب سنة ١٣٣٧ — ١٢ ابريل سنة ١٩١٩ .

[٢٩٢] ولما تصفح الموظفون هذا المنشور ورأوا أنه لا يحقق أى مطلب من مطالبهم اجتمعوا وأعادوا تأليف لجنتهم مرة ثانية فصارت مكونة من

٥٤ عضوا وقد اجتمعت اللجنة فى الحال وقررت استمرار الاضراب حتى تجاب طلبات الموظفين جميعا (١) ٠

وهذا ما دعا مجلس الوزراء الى اصدار منشور ثان فى ١٥ أبريل هذا نصه :

[٢٩٤] « ان الحكومة تكرر الدعوة الى الموظفين بالرجوع الى عملهم غدا الأربعاء وتلقى عليهم مسئولية عواقب الاستمرار على الاضراب عن العمل ٠

رئيس مجلس الوزراء
« حسين رشدى »

القاهرة فى ١٤ رجب سنة ١٣٣٧
١٥ أبريل سنة ١٩١٩

ولكن لم يكن هذا التهديد الذى حواه منشور مجلس الوزراء ليثنى الموظفين عن عزيمتهم لذلك اجتمعت لجنة الموظفين فى هذا اليوم وقررت استمرار الاضراب والاحتجاج على تهديد الحكومة ٠



بلاغات رسمية

وقد نشرت فى ١٤ ، ١٥ ابريل البلاغات الرسمية الآتية ٠ والأول خاص بمسألة محاكمة المشاغبين كما يقول البلاغ الرسمى

[٢٩٥] **بلاغ رسمى**

القاهرة فى ١٤ ابريل سنة ١٩١٩

محاكمة المشاغبين

« حوكم الأشخاص التالية أسماؤهم أمام محكمة عسكرية عقدت فى القاهرة يوم ٣ ابريل والأيام التالية له وهم متهمون بأعمال الغرض منها

(١) يؤكد الجنرال اللنبى فى تقريره عن أحداث يوم ١٣ فبراير أن الموظفين قرروا الاستمرار فى اضرابهم وان كان قد لاحظ أن هناك بعض العناصر التى أسماها بالعناصر المعتدلة كانت تفكر فى العودة الى العمل ٠

الاخلال بالأمن العام بتحريضهم على أعمال المشاغبة فى قليوب يوم ١٥ مارس وهم (١) :

١ ـ ابراهيم الأقطش .
٢ ـ عبد الفتاح أحمد عبد الرحمن .
٣ ـ عبد الحميد اسماعيل أبو زهرة .
٤ ـ عبد الرحمن ابراهيم عبد الدايم .
٥ ـ السيد أبو العز .
٦ ـ عبد الباقى على عبد الباقى .
٧ ـ امام على الشرشابى .
٨ ـ محمد حسين يونس .
٩ ـ حمزة أحمد هلال .
١٠ ـ حسنين أحمد هلال .
١١ ـ يحيى مصطفى عبد التواب .
١٢ ـ متبولى السيد أبو خود .

وقد تمت محاكمتهم يوم الجارى فبرأت المحكمة الثانى والثالث وحكمت على الأول بالحبس عشر سنوات مع الأشغال الشاقة وعلى كل من الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع بالحبس خمس سنوات مع الأشغال الشاقة . وعلى العاشر بالحبس خمس عشرة سنة مع الأشغال الشاقة . وعلى الثانى عشر بالحبس خمس سنوات مع الأشغال الشاقة .

« وأيد القائد العام فى منطقة القاهرة المحاكمة وعدل الحكم الصادر على الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فجعله ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة .

[٢٩٦] « وثبتت التهمة فوق ذلك على محمد على قشقوش اذ وجدت لديه أشياء مسروقة فى قليوب يوم ١٥ مارس فحكم عليه بالجلد ٢٠ جلدة والحبس ١٢ شهرا مع الأشغال الشاقة . وقد أيد هذا الحكم أيضا ولكنه عدل الى ستة أشهر مع الشغل » .

(١) يشير المستر شيتام القائم بأعمال المندوب السامى البريطانى فى برقية له الى وزارة الخارجية فى ١٥ مارس أن جمهورا كبيرا قد تجمع فى قليوب، واوقفوا القطارات ودمروا الخط الحديدى وقطعوا خطوط التلغراف .

[٢٩٧]

بلاغ رسمى

القاهرة فى ١٤ أبريل ١٩١٩

« أطلقت النيران فى ليلة ١٢ الجارى على دورية من الجنود فى صفط الملوك بمديرية البحيرة وقد قبض أخيرا على ١٥٣ شخصا .

« وحدث بعد ظهر يوم ١٢ الجارى اضطراب داخل سجن طرة فقد هجم المجرمون على رجال الحرس وخرجوا من السجن فأطلق رجال الحرس النيران فقتلوا عشرين وجرحوا ٤٤ شخصا (بالخردق الكبير) . وقد تمكن ١٠١ من المجرمين من الهرب . غرق منهم عدد كبير وهم يحاولون اجتياز النيل سباحة . وقد اتخذت التدابير اللازمة لارجاع الباقين الى السجن وقد قبض على بعض منهم .

« وفى ١١ الجارى قام أهالى قرية البهــلول فى جوار بنى سويف بمظاهرة عدائية ضد فصيلة صغيرة من الجنود ، وبناء عليه زارت الجنود المكان يوم ١٢ الجارى فأطلق القرويون النيران فأجابهم الجنود فقتل خمسة وجرح ثلاثة وقد أخذت الأسلحة التى كانت فى القرية وقبض على أحد عشر شخصا .

« وفيما عدا ذلك سادت السكينة المديريات » .

« ولم يقع فى القاهرة والاسكندرية قلاقل جديدة ولكن حدثت بعض اعتداءات فردية على الأرمن وممتلكاتهم (١) .

« وحدث فى الاسكندرية قلاقل بسيطة ضد اليهود بعد ظهر يوم ١٢ الجارى جرح فى خلالها اثنان من اليهود .

« وقد نقل الجنود البريطـــانيون أكثر من ٤٥٠٠ من الأرمن فى القاهرة الى أماكن أمينة .

[٢٩٨]

« وأبلغ بوليس القاهرة الخسارة الجديدة التالية بين الملكيين ، وقد عرفت فى خلال الثمان والأربعين ساعة التى انتهت أمس الظهر ، وهى خمسة من الجرحى منهم اثنان اصابتهما قديمة لم تعرف من قبل .

« وأبلغ حتى ظهر اليوم خبر وقوع ســت اصابات جديدة احداها

---

(١) يشير الجنرال اللنبى فى برقية (١٣ أبريل) أن منظمى أعمال العنف ضــد الأرمن من أنصار تركيا الفتاة فى مصر ، وأنه بالاضافة الى تدمير ممتلكات هؤلاء فقد قتل منهم ٢٩ فى أحداث يوم ٩ ابريل وأن الأزهر والمحامين الذين يتزعمون الثورة يبذلون جهدهم لطمأنة هؤلاء وحمايتهم .

بسبب ضربة والخمس الأخرى بواسطة المعتصمين من عمال الترامواى ، وقد أحدثوها بواسطة حامض النيتريك أما الجرحى فجميعهم من المصريين ٠

« وتتخذ فى الوجه القبلى التدابير اللازمة لمحاكمة زعماء القلاقل التى وقعت فى المنيا وزعماء حادثة الاعتداء على القطار فى ديروط ٠ وسيحاكم المتهمون فى الحادثة الأولى أمام محكمة عسكرية تعقد غدا ٠

[٢٩٩]

بلاغ رسمى

القاهرة فى ١٥ أبريل ١٩١٩

أبلغ بوليس القاهرة أمس خبر وقوع ١١ حادثة بالقـــاء حامض الكبريتيك ٠ « وفيما عدا ذلك لم يقع شىء يذكر فى القاهرة والأقاليم » ٠

قرار نقـابة المحـامين
فى الحالة الحاضرة

ولقد انتهز حضرات المحامين فرصة سفر أعضاء الوفد فاجتمعوا بدار النقابة يوم ١٥ أبريل سنة ١٩١٩ وأصدروا ما يأتى :

نقـابة المحـامين

[٣٠٠]

« انه فى يوم ١٥ أبريل سنة ١٩١٩ بمركز نقـابة المحامين تحت رئاســة حضرة محمــــد بك أبى شادى ، وقبيل انصرافه وبعــده تحت رئاسة حضرة أحمد بك رمزى اجتمعنا نحن الموقعين على هذا بناء على الدعوة المنشورة بالصحف اليومية وقررنا ما يأتى :

« حيث أن الوفد الذى تألف منذ أشهر تحت رئاسة حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية للعمل على اعتراف الدول باستقلال مصر (الوجه البحرى والقبلى والسودان وشبه جزيرة سيناء) استقلالا تاما قد أجمعت الأمة على توكيله وفى مقدمتها أعضاء الهيئات النيابية المختلفة من جمعية تشريعية ومجالس ومديريات ومجالس بلدية ومحلية وعلماء الدين ورؤساء الديانات ووجوه البلاد وأصـــحاب المصالح فيها والأطباء والمحامون والموظفون والطلبة وجميع طبقات الأمة على اختلاف أحزابها السياسية ٠

« وحيث أن هذا الوفد قد سافر فعلا الى أوربا ليؤدى المهمة المبينة فى توكيله بعد أن نال ثقة الأمة التامة ٠

« وحيث أنه بعد ذلك لا يجوز لأى شخص أو أشخاص أن ينشقوا على مجموع الأمة بتاليف وفد آخر بجانب الوفد الأول لما فى ذلك من الاضرار بمصلحة الوطن والتشويش على أعمال الوفد المصرى والتاثير السىء على القضية المصرية أمام الرأى العام فى أوربا .

لذلك

« نقرر بالاجماع نحن المحامين :

أولا : بأن الوفد المؤلف تحت رياسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا هو الذى يمثل الأمة تمثيلا صحيحا وهو وحده الوكيل عنها فيما عهدت به اليه .

ثانيا : ابلاغ هذا القرار الى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء والى اللجنة الممثلة للوفد المصرى بالقاهرة والى معتمدى الدول الأجنبية فيها » (١) .

التوقيعـــات

[٣٠١] ويلى ذلك توقيعات حضرات المحامين وعددها ٩٧ توقيعا .

[٣٠٢] عقد مؤتمر عام

لما رأى المحتلون من الموظفين جلال هذا التضامن البديع ارادوا أن يظهروا للملأ أن هذه المطالب لا تعبر عن رغبات الأمة فنفثت أبواقهم هذه المزاعم الخاطئة . وكان رد الموظفين على ذلك أن دعوا الى عقد اجتماع عام تمثل فيه جميع طبقات الأمة وقد اختاروا لعقـــد هذا الاجتماع الأزهر الشريف لأنه المكان الوحيد الذى يتسع لمثل هذا الجمع الكبير .

وفى يوم ١٦ أبريل أضرب جميع أصحاب الحرف والمهن ، وكان لكل طائفة منهم من يمثلهم فى هذا الاجتماع العظيم .

وقد تم اجتماعهم فى هذا اليوم ورأس المؤتمر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت . وبعد القاء الخطب المناسبة قرر المجتمعون جميعـا تأييد الموظفين فى طلباتهم . كما قرروا جميعا الاضراب عن تأدية أعمالهم حتى تجاب تلك المطالب وقد أبلغوا قراراتهم هذه الى الوزارة ومعتمدى الدول والقناصل .

---

(١) يرد المحامون بذلك على المحاولات التى كانت تبذلها وتتذاك بعض دوائر الحزب الوطنى بمساندة من بعض امراء الأسرة المالكة لتشكيل وفد من رجالات هذا الحزب .

وهكذا أصبحت المدينة وكان أهلها قد رحلوا عنهـا فوقفت الحركة تماما وانقطعت المواصلات · حتى الكناسين فانهم تضامنوا كذلك فى حركة الاضراب . فاستعاضت الحكومة عنهم بالمساجين كما استعاضت عن سائقى عربات الرش ببعض العساكر الهنود ، وكان الجميع تحت حراسة الجنود الانجليزية ·

ولما طال الأمر والموظفون والعمال على موقفهم هذا لم يتزحزحوا عنه · تدخل بعض معتمدى الدول الأجنبية ، وأنذروا مصلحة البريد بانشاء مكاتب بريد خاصة لحكوماتهم ورعاياهم اذا اسـتمر اضراب موظفى مصـلحة البريد ·

[٣٠٣] تاليف بوليس من الطلبة

أعلن الطلبة فى ١٦ أبريل أنهم ألفوا بوليسـا منهم للمحافظة على النظام فى المظاهرات (١) حتى لا يكون للانجليز وجه للتدخل بينهم ولكن هذه الفكرة لم تحز قبولا لدى المندوب السامى بالرغم من أن هذا البوليس لم يكن يحمل سلاحا ، فأصدر فى ١٧ أبريل أمرا هذا نصه :

[٣٠٤] أمر بمقتضى الأحكام العرفية

القاهرة فى ١٧ أبريل ١٩١٩

« يأمر القائد العام فى القطر المصرى بما له من السـلطة الممنوحة لتطبيق الأحكام العرفية بما ياتى : ـ

« علم ولاة الأمور أنه أنشئت جمعية باسم جمعية البوليس الوطنى غرضها الظاهر صون القانون وحفظ النظام ·

« وقد وزعت هذه الجمعية على أعضائها شارة يلبسونها ونظمتهم على هيئة قوة بوليس ·

« واذا كان من واجب كل وطنى معاونة البوليس فى تأييد النظام ، فان جمعية كالجمعية التى تقدم ذكرها لا يمكن أن يسمح بها ·

---

(١) يقول اللنبى عن هذا الموضوع أن الأزهريين عرضوا تقديم العون للبوليس فى الحفاظ على النظام ، وأنهم اقترحوا تشكيل فرق تسمى البوليس الوطنى لمدينة القاهرة وان بعضا من هؤلاء قد ظهروا فى شوارع المدينة وقد ارتدوا شارات مميزة على أذرعتهم الا أنه أصدر الأوامر بمنع ذلك واعتقال أى شخص من هؤلاء ·

فتأليف هذه الفرقة وما يماثلها من الفرق محظور وكل من يعثر عليه مرتديا شارة هذه الفرقة أو سواها من الفرق التى تماثلها بعد الساعة السادسة من صباح غد ١٨ أبريل يقبض عليه ويحاكم بمقتضى الأحكام العرفية .

ش.و. هورتن لفتنانت كولونيل
مساعد ادجوتانت وكوارترماستر جنرال مصر

بلاغ رسمى

وفى يوم ١٧ ابريل سنة ١٩١٩ صدر بلاغ رسمى هذا نصه :

القاهرة فى ١٧ أبريل ١٩١٩

[٣٠٥]

« التجأ أكثر من ستمائة من الأرمن فى الاسكندرية الى كنيسة الأرمن .

« وأثبت بوليس القاهرة وقوع أربع حوادث من حوادث القاء حامض الكبريتيك حتى ظهر أمس فصار مجموع هذه الحوادث ٢٣ . ولم يصل خبر وقوع حوادث القاء حامض الكبريتيك ولا أية خسارة من أى نوع من ذلك الوقت ظهر اليوم .

« ووجدت ثمان جثث من جثث المجرمين الذين هربوا أخيرا من سجن طرة غارقة فى النيل . وقد قبض فى طوخ على زغيم الفتنة وقتل مجرم آخر أثناء مقاومته القبض عليه . ووجد مجرمان آخران مريضين وهما الآن فى المستشفى .

« قبض على أربعة من زعماء الاضطرابات التى وقعت فى السويس » وأبلغ خبرها أمس .

« ولا يزال اضراب مستخدمى السكك الحديدية فى القاهرة وبعض جهات الأقاليم مستمرا والسبب الأكبر فى ذلك أعمال الارهاب التى يقوم بها المحرضون السياسيون . وقد وقفت حركة النقل الخاصة بحاجات الملكيين .

« وفتحت المدارس واشتغلت مكاتب الحكومة كالعادة فى جهات أخرى وذلك بعد وصول الجنود » .

بلاغ رسمى

وكذلك صدر البلاغ الرسمى الآتى بخصوص السفر من القاهرة بطريق السكة الحديد وهو :

بلاغ رسمى

[٣٠٦] القاهرة فى ١٧ أبريل سنة ١٩١٩

السفر من القاهرة
بطريق السكة الحديدية

« يلغى الاعلان الذى ظهر فى الصحف يوم ٨ أبريل سنة ١٩١٩ » .

« ليكن فى علم الجمهور أنه نظرا لاستمرار اعتصام مستخدمى السكة الحديدية قد حددت الأماكن الخاصة بالركاب أكثر من أى تحديد وضع حتى الآن وبناء عليه لا يسمح بالسفر الا لطالبيه من الطبقات التالية على شرط أن تكون هناك أماكن خالية لهم . وهى :

« **أولا** : الأشخاص الذين يريدون السفر الى أية محطة مفتوحة للسفر وكانوا :

(أ) من الأشخاص الذين يسافرون لأعمال تتعلق بالسلطة العسكرية .

(ب) أو من مستخدمى الحكومة المسافرين لأعمال ضرورية وكانوا يحملون تفويضا مكتوبا من أكبر موظف بريطانى فى مصلحتهم .

(جـ) أو من الأشخاص الذين يعاملون معاملة استثنائية نظرا لضرورة مطالبهم الشديدة .

« **ثانيا** : الأشخاص المسافرون الى احدى الموانى للسفر وكانوا يحملون جوازا بمغادرة البلاد ، وسيبذل السعى بقدر الامكان لاجابة الطلب فى هذه الأحوال .

[٣٠٧] أما الأشخاص الذين يحملون جوازا بمغادرة البلاد أو الذين منحوا تذكرة مرور فى منطقة القنال (وفى كلتا الحالتين يجب تقديم الطلبات الى قلم الرخص والجوازات المؤقت ببوليس القاهرة بشارع المغربى مقابل نادى ترف) . فليسوا فى حاجة الى جواز بالسفر بالسكة الحديدية .

« وعلى جميع الأشخاص الآخرين الذين يريدون السفر بالسكة الحديدية أن يقدموا طلباتهم الى قلم جوازات السكة الحديدية بمحطة مصر ، لا الى قلم الرخص والجوازات ببوليس القاهرة » .

***

محاكمة المتهمين بالنهب

وفى يوم ١٧ أبريل أيضا صدر بلاغ رسمى بشأن محاكمة بعض الأهالى المتهمين بالنهب هذا نصه :

بـلاغ رسـمى

[٣٠٨] القاهرة فى ١٧ أبريل ١٩١٩

« محاكمة مرتكبى النهب »

« ثبتت الجريمة على أربعة من زعماء أعمال النهب التى وقعت فى أبنية مصلحة الدومين فى سخا (١) يوم ٢٢ مارس سنة ١٩١٩ فحوكموا أمام محكمة عسكرية عقدت فى طنطا فى يومى ٥ و ٦ أبريل وقد حكم عليهم بالحبس خمس سنوات مع الأشغال الشاقة . وقد أيدت هـــذه الأحكام :

« أما أسماؤهم فهى :

« غازى مرجـــان

« عبد القادر حسن

« محمد السودانى

« صالح البربرى » .

[٣٠٩] عرقلة المساعى فى جمع التبرعات للوفد

كانت اللجنة المركزية فى هذا الوقت دائبة الحركة دائمة النشـــاط فى جمع التبرعات للوفد المصرى ، وكان الناس يقبلون على هذه التبرعات اقبالا منقطع النظير ، ولقد تألفت فى البلاد لجان لجمعها ، فانهالت على اللجنة المركزية أموال طائلة .

ولكن السلطة التى لم تفتأ تعرقل أعمال الوفد ومساعيه أصدرت الأمر الآتى موقعا عليه من القائد العام للجيوش البريطانية بمصر ، واليك نصه :

أمر بمقتضى الأحكام العرفية

[٣١٠] القاهرة فى ١٨ أبريل ١٩١٩

« انه بمقتضى السلطة الممنوحة لى لتطبيق الأحكام العرفية آمر بما يأتى :

(١) سخا الواقعة فى محافظة كفر الشيخ الآن ، كانت وقتذاك تابعة لمحافظة الغربية ، وقد أدت أعمال الثورة فيها الى محاصرتها هى ومدينة كفر الشيخ من قبل القوات البريطانية واعتقال عدد كبير من أبنائها F.O. 407/184, No. 115 .

« ١ ـ اتصل بعلم ولاة الأمور أن بعض الأشخاص ألفوا جمعيات للسعى فى أن يفرضوا على سكان القطر المصرى دفع أموال غير قانونية وغير مصرح بها .

« ٢ ـ ان فرض هذه الأموال ينقض السلطة القانونية للحكومة ويلقى عبئا ثقيلا لا مسوغ له على عاتق الشعب ، الذى يجب على ولاة الأمور أن يحموه من ذلك .

٣ ـ يحظر كل اشتراك فى حركة كهذه وكذلك حيازة الأموال التى تجمع فى سبيل هذه الغاية ، وكذلك التبرع الاختيارى بمال كهذا ، أو لأى مال يجمع تأييدا لغرض غير قانونى .

٤ ـ كل من يخالف هذه الأمور يكون عرضة للقبض عليه والمحاكمة بمقتضى الأحكام العرفية والأموال التى تجمع مخالفة هذا الأمر تكون عرضة لمصادرتها (١) .

ادوارد بلفن
لفتننت جنرال القائد فى القطر المصرى

وفى ١٩ أبريل نشر البلاغ الرسمى الآتى :

بلاغ رسمى

[٣١١] القاهرة فى ١٩ أبريل سنة ١٩١٩

« لا تزال الدوريات تزور جميع المراكز المتطرفة فى الدلتا .

« ولم ترد أنباء عن وقوع قلاقل جديدة .

« أما فى الوجه القبلى فقد أنشأ الماجور جنرال السرجون شى مركز قيادته فى أسوان . وقد جمع عدد من الأسلحة من فزارة ومسارة وبنى حرام والمندرة فى جوار ديروط .

« وقبض فى الفيوم والواسطى على أشخاص كانت لهم يد فى القلاقل الأخيرة وعلى غيرهم من المتهمين بارهاب مستخدمى الحكومة .

« وفى ١٧ الجارى وقع اضطراب فى سجن أبى زعبل فى جوار

(١) ادعى البريطانيون فى وثائقهم أنه كانت هناك جمعيات سرية مثل جمعية اليد السوداء تحصل على تبرعات من المصريين ، بل من الأوربيين أحيانا ، بوسائل الابتزاز والتهديد .

القاهرة فأخمده رجال الحرس فى الحال ولم يتمكن أحد من المجرمين من الهرب .

وأبلغ بوليس القاهرة أنه تحقق وقوع أربع حوادث من الحوادث القديمة ولم تقع أية خسارة فى المدينة (القاهرة) منذ ثلاثة أيام » .

[٣١٢] تهنئة المسلمين للمسيحيين بعيد الفصح

كان يوم ٢٠ ابريل هو الموافق لعيد الفصح عند الطوائف المسيحية ولكنه انقلب فى هذا اليوم الى عيد قومى عام ظهر فيه التضامن بأجلى مظاهره فقد ذهبت وفود المسلمين الى دار بطريركية الأقباط الأرثوذكس والبطريركية المارونية مهنئين اخوانهم الأقباط بعيدهم وهناك خطب الخطباء من العنصرين فأكدوا بذلك روابط المودة والاخاء بينهم .

وفى ٢٤ أبريل ذهب وفد من السيدات القبطيات الى مسجد السيدة زينب حيث كان فى انتظارهن فريق من السيدات المسلمات وقد ذهب أولئك لرد التهنئة لهؤلاء فكان ذلك حادثا فذا فى التاريخ .

[٣١٣] استقالة وزارة رشدى باشا الأخيرة

لما أحست وزارة رشدى باشا بحرج مركزها لأنها لم توفق فى اقناع الموظفين بالعدول عن مطالبهم ، ولم تستطع كذلك تهدئة تلك العاصفة التى هبت من جديد . لما أحست بثقل مأموريتها لم تر بدا من ترك منصبها . وهاك نص كتاب الاستقالة الذى رفعه رشدى باشا لعظمة السلطان فى ٢١ ابريل ١٩١٩ .

[٣١٤] استقالة الوزارة الرشدية

« يا صاحب العظمة :

« ان حالتى الصحية الآن لا تمكنتى من القيام بأعباء مهمتى ، لذلك أرانى مضطرا الى تقديم استقالتى .

« وانى أرفع لعظمتكم خالص الشكر على التعطف والمعاونة اللذين لقيتهما على الدوام من جانب سدتكم العلية .

وانى لعظمتكم العبد الخاضع الأمين والخادم المخلص المطيع »

الامضاء

القاهرة فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ حسين رشدى

وفى ٢٢ أبريل تلقى رشدى من عظمة السلطان كتابا بقبول استقالته هذا نصه :

[٣١٥] « عزيزى رشدى باشا :

« ان اضطرار دولتكم للاستقالة بناء على عدم مساعدة حالتكم الصحية للقيام بأعباء مهمتكم كما ورد بكتابكم المرفوع الينا بتاريخ ٢١ أبريل ١٩١٩ قد استلزم مزيد الأسف لدينا وقد أصدرت أمرى هذا لدولتكم شاكرا لكم ولحضرات زملائكم الهمم الصادقة التى بذلتموها فى سبيل مهمتكم ٠

« وأسأل الله أن يمن عليكم بالصحة والعافية من فضله وكرمه »

الامضاء

فـؤاد

قصر البستان ٢٢ أبريل سنة ١٩١٩

[٣١٦] عودة الموظفين الى أعمالهم

لما ذاع نبأ استقالة وزارة رشدى باشا اجتمع عشرة من أعضاء لجنة مندوبى الموظفين بصفة مستعجلة فى منتصف ليل ٢١ أبريل وقرروا عودة جميع الموظفين الى أعمالهم لأنهم اعتبروا أن فى استقالة الوزارة ترضية للموظفين فى مطالبهم ٠

وقد نشر قرار الأعضاء العشرة ومنشور اللنبى فى وقت واحد ، فعاد الموظفون الى أعمالهم فى يوم ٢٣ أبريل وامتنع عدد قليل منهم عن ذلك خشية أن يتسرب الى الأذهان أنهم قد عادوا خوفا من تهديد اللنبى ووعيده ٠ فقبض على البعض منهم كما منع البعض الآخر من استئناف أعمالهم فيما بعد (١) ٠

(١) تقول الوثائق البريطانية الكثير عن قضية انهاء اضراب الموظفين ، ذلك أن اللجنة المنظمة للاضراب كانت قد قررت يوم ٢١ ابريل انتظار رد من رشدى باشا على طلبها باعتبار زغلول ممثلا للأمة ، غير أنه فى اليوم التالى أصبح معلوما ان المندوب السامى هدد من يعود منهم الى عمله بالفصل فبدأت عودتهم محدودة (٤٪ من موظفى وزارة المالية ، ١٦٪ بوزارة الأشغال ، ١٨٪ بوزارة الداخلية) ، وفى ٢٣ عادت غالبية هؤلاء ولم تستمر ظاهرة الغياب الا فى وزارة الأشغال العمومية (٣٣٪) ووزارتى المعارف والأوقاف (٢٨٪) ، وفى يوم ٢٤ تم اعتقال سبعة من اللجنة المنظمة للاضراب كان ستة منهم من موظفى وزارة المعارف ٠

F.O. 407/184 No. 329.

وقد اجتمعت لجنة مندوبى الموظفين فى يوم ٢٥ أبريل وقررت الموافقة على قرار الأعضاء العشرة . وهذا نص قرارها :

« قرار »

[٣١٧] من لجنة مندوبى موظفى وزارات الحكومة ومصالحها

اجتمعت لجنة مندوبى موظفى وزارات الحكومة ومصالحها فى وزارة الحقانية الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢٥ ابريل ١٩١٩ .

وبعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذى عقده عشرة من أعضاء اللجنة بصفة مستعجلة فى الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ من مساء الاثنين ٢١ ابريل الحاضر عقب استقالة الوزارة الرشدية الذى رأوا فيه دعوة الموظفين الى العودة الى أعمالهم .

« وبما أن هذه الدعوة لم يتيسر لعدد من الموظفين العلم بها كما أنه لم يتيسر لهم التحقق من الاستقالة التى كانت دون سواها السبب فى الدعوة الى العودة لا سيما وأن قبول الاستقالة لم ينشر الا بعد ظهر الأربعاء (٢٣ ابريل الحاضر) وبما أنه ترتب على كل ذلك تخلف الكثيرين من هؤلاء الموظفين عن العودة الى أعمالهم ولا يزال بعضهم متخلفا .

« وبما أن الطلبات التى طلبها الموظفون تأييدا للقضية الوطنية وأضربوا من أجلها اضرابا عاما وأقرتهم عليهم الأمة ممثلة بجميع طبقاتها اقرارا تاما انما طلبت من الوزارة الرشدية . فلما لم تستطع تلك الوزارة اجابتها بعد أن سلمت بصحتها استقالت .

« وبما أن الاستقالة فى هذه الحالة هى فى حكم الاجابة

فلذلك قررت اللجنة بالاجماع ما يأتى :

« أولا : اقرار الدعوى التى صدرت من الأعضاء العشرة المشار اليهم بالعودة الى لعمل واعتبارها قرارا صادرا من اللجنة بأجمعها

« ثانيا : الاحتجاج الشديد على ما بدا من عدد من الموظفين الانجليز فى بعض المصالح من الاضطهاد وسوء المعاملة لبعض الموظفين المصريين الذين عادوا الى أعمالهم وتذكير هؤلاء الموظفين الانجليز بأنهم رغم جنسيتهم موظفون فى الحكومة المصرية فلا يسوغ لهم استخدام مراكزهم الرئيسية للانتقام من الموظفين المصريين الذين أقرت الحكومة المشار اليها رسميا بأن اضرابهم كان لتأييد المطالب القومية .

ثالثا : توجيه النظر الى ضرورة الافراج عن الموظفين الذين اعتقلوا واعادة الذين منعوا عن أعمالهم الى وظائفهم .

« فليحى الوطن وليحى الاستقلال التام » .

التوقيعـــات

ويلى ذلك امضاءات الغالبية العظمى لحضرات مندوبى لجنة الموظفين وعددها أربعون توقيعا .

[٣١٨] **عودة المحامين الى أعمالهم**

وكذلك استأنف حضرات المحـامين أعمـالهم فى يوم ٢٣ أبريل المذكور .

منشور اللورد اللنبى

أما منشور اللنبى الذى أنذر فيه الموظفين بالعقاب الصارم ان هم استمروا فى الاضراب ووردت الاشارة اليه فها هو وقد نشر فى وقت واحد مع قرار الأعضاء العشرة من لجنة مندوبى الموظفين :

[٣١٩] « حيث أنه بموجب منشور ٢ نوفمبر سـنة ١٩١٤ قد أعلن أن البلاد المصرية قد وضعت تحت الأحكام العرفيـة لأجل تعضـيد وليس لأجل الغاء الادارة الملكية . وقد فرض على جميع الموظفين الملكيين فى خدمة الحكومة المصرية أن يستمروا فى تأدية واجباتهم المنوعة بكل دقة .

« وحيث أن عددا من الموظفين من المسـتخدمين قد هجروا حديثا مراكزهم وظهر صريحا أنهم فعلوا ذلك بقصد املاء خطة سياسية لحكومة عظمة السلطان ورفض الحمـاية التى وضعتها حـكومة جلالة الملك على مصر .

« وحيث أن أكثر هؤلاء الموظفين والمستخدمين قد رفضوا العـودة الى أشغالهم لما ندبهم الى ذلك حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

« وحيث أن كل موظف أو مستخدم يغيب عمدا عن مقر وظيفته فى الظروف المبينة أعلاه يرتكب جرما ضد المنشور السالف الذكر ، وكل شخص ينشىء أو يقود هذه الحركة أو يمنع الموظفين أو المستخدمين بالتهديد أو بالقوة من تأدية أشغالهم يقع تحت طائلة القصاص الشديد بموجب الأحكام العرفية .

[٣٢٠] « وحيث أنه قد آن الوقت الآن لتدخل السلطة العسكرية فى هذا الأمر تأييـدا للادارة الملـكية فانى أنا أدمند هنرى هيمن اللنبى بما

هومعطى لى من السلطة بصفتى الجنرال القائد العام لقوات جلالة الملك فى مصر أصدر أمرى هنا الآن الى جميع موظفى الحكومة ومستخدميها الذين غابوا عن مراكزهم بدون اذن ليعودوا الى مراكزهم فى المواعيد المعينـــة ويؤدوا الواجبات المطلوبة منهم بالدقة ·

« والمدة التى غابوا فيها عن مراكزهم بدون اذن لا يتقاضون عنها راتبا وكل موظف أو مستخدم لا يعود الى مقر شغله فى اليوم التالى لتاريخ هذا المنشور ويؤدى بعد ذلك الواجبات المطلوبة منه بالدقة يعد من كل وجه مستعفيا ويحذف اسمه من كشف موظفى الحكومة ·

« وكل شخص بطريق الاقناع أو التهديد أو استعمال القوة يمنع أو يحاول أن يمنع أى شخص من القيام بأمرى هذا يلقى القبض عليه ويحاكم بمجلس عسكرى » ،

***

[٣٢١] مذكرة الاستاذ مكرم عبيد الى المستشار القضائى

كان الاستاذ مكرم عبيد (١) سكرتير المستشار القضائى فى هذا الوقت ضمن الموظفين الذين أضربوا عن تأدية وظائفهم فلما عاد حضرته مع الموظفين بعد هذا الاضراب ، قدم المذكرة الآتية باللغة الانجليزية الى جناب المستشار القضائى وقد نقلها الى اللغة العربية حضرة محمد لبيب عطية بك سكرتير عام النيابة العمومية (وقتئذ) والمذكرة فى غير حاجة الى تقدمة إذ هى غنية بما حوته من آيات الوطنية الصادقة واليك ترجمتها ·

---

(١) ولد عام ١٨٨٩ ، وكان تلميذا نابها فى مراحل التعـــليم الأولى ، نال أجازة القانون من جامعة أكسفورد ، حصل على الدكتوراه الفرنسية فى القـــانون ، بدأ حياته الوظيفية سنة ١٩١٣ حينما عمل سكرتيرا للجريدة الرسمية بوزارة الحقانية ، أنضم الى الوفد وسافر الى لندن للدعاية لمصر فى أثناء مفاوضات عدلى ، ونفى مع سعد فى جزيرة سيشل ، ثم عاد الى مصر فى يونيـــه ١٩٢٣ ، واصطحب سعد فى مفاوضاته عام ١٩٢٤ مع رمزى مكدونالد · اعتقل عام ١٩٢٤ عقب اغتيال السردار بتهمة التحريض ، وأطلق سراحه لعدم ثبوت الأدلة ضده ، انتخب سكرتيرا للوفد فى أكتوبر ١٩٢٧ ، وعرف بين الزغلوليين باسم « ابن سعد » ، تولى وزارة المواصلات فى وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ ، ثم وزيرا للمالية فى وزارة ١٩٣٠ ، وانتخب نقيبا للمحامين الأهليين سنة ١٩٣٣ وأعيد انتخابه فى العام التالى ، انشق على النحاس بعد حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ وأصدر الكتاب الأسود الذى هاجمه فيه · د· يونان لبيب رزق : الوفد والكتاب الاسود ، مؤســـسة الأهرام ، ١٩٧٨ · ص ٣٤ ـ ٣٧ ·

[٣٢٢] « سيدى العزيز

« انى أشعر أن لكم على حق استيضاح ما قد يكون خافيا عليكم من أمرى فلقد وقفت على عدد غير قليل من التصريحات التى ترمى الى الاعتراف باستقلال مصر ، واشتركت مرتين فى الاضراب عن العمل ، فمسئولية وظيفتى ككاتب أسراركم تضعنى فى مركز دقيق ان لم أقل فى مركز كريه على أننى فيما صدر منى انما كنت تحت تأثير عاملين :

أولهما : أن واجباتى كمصرى تختلف اختلافا بينا عن واجباتى كموظف وأنه لا يوجد بين هذه وتلك أى تعارض .

ثانيهما : ان دقة مركزى قد خفت عنها كثيرا هذه الصفة بسعة الفكر المعروفة فى ذلك الانجليزى الحر الذى تربطنى به أواصر العمل المصلحى . وفوق هذا فانه يجدر بى نظرا للحالة الاستثنائية التى نمر بها أن أحيطكم علما بآرائى السياسية ، لا سيما واننى أعتقد بدعوة الوطن لنا فى هذه البرهة (١) الخطيرة من حياتنا القومية ألا ندع فرصة تمر من غير ايضاح الوجهة الوطنية لكل من تدفعه عوامل الانسانية الى حب الخير لهذه البلاد .

« ان رأيى السياسى هو رأى الجماعة « **مصر للمصريين** « وحرية بلادى واستقلالها والسلام وحب الخير للناس أجمعين . وان المناهج السياسية التى يعنى بوضعها لهذه البلاد لثلمة تعتور جمالها الرائع فى شرفه وفى بساطته .

[٣٢٣] « لا جرم أن المناهج والضمانات وما نصطلح عليه حلا للاشكالات التى تقع بين الأمم هى أمور لازمة فى هذا العالم الغالب فيه شأن ما هو واقع على كل شأن آخر ، ولكن ليس فى هذا ما يعدل الكمال ذلك العامل الكريم الذى يهتز لجلاله القلب الانسانى .

« وانه لمن الحق الصراح أن ليس من نهضات انسانية يستظهر بها عهد تاريخى كان المحرك لها حقائق مشطورة ، أو قنعت بالسير عوضا عن الكثير بل ان العامل الفعال فيها جميعا كان ذلك الكمال الذى تنشده الجماعة ، الجماعة التى تنبذ بطبعها كل ما كان معقدا ، والتى لا تتردد فى الاندفاع جهد الطاقة سعيا وراء ما قد يأتى به جهد الطاقة من جلال الكمال .

« ان أظهر ما فى هذه الحرب الضروس أنها كشفت عن مذهب فى الكمال أخذ فى أوربا شكل نهضة للاشتراكية المتطرفة ، وفى الشرق

(١) فى الترجمة « البرهة » وان كان أفضل « اللحظة » .

المتانى اظهر أنواع الوطنية أو مشاعر القومية الخالية من شوائب الدين أو المؤثرات الخارجية واننى لثابت اليقين فى أن ما سيسجله التاريخ من مميزات هذا القرن كنتيجتين ملموستين لهذه الحرب هما : الثورة الروسية بصورتها التى فى نفس الجماعة فى روسيا ، والثورة المصرية بصورتها التى أعلنتها الجماعة فى مصر ٠ أما الفظائع البولشفية فيلوح لى رجحان رجوعى الى رد الفعل الناتج من ظهور مذاهب جديدة فى النظامات القائمة التى ثار القوم عليها على رجوعها الى هدم المبادىء المعروفة ٠

« وليست ثورتنا ـ تلك الثورة التى حازت فخار هذا الاسم بتولى الجماعة عندنا الحركة الفكرية ـ بعيدة المرامى الى هذا الحد فى ميدان الأفكار ولكنها مع هذا أشد ما يكون أثرا فى العالم الشرقى وخليق بأن عصورنا القديمة مهد المدنية يكون لها المكان الأول بين أمم الشرق فى تقبل ونشر الأفكار التى كانت أرضنا أول ما غرست فيه وماؤنا أول ما ارتوت منه ٠

[٣٢٤] « ان صيحة الحرية تلك الصيحة القديمة فى عهدها والحديثة قد عادت ترن فى أجواء وادى النيل ، وتلك الشعلة التى لم يفلح استبداد القرون الطاحن فى اطفائها لا يزال بصيصها فى قلوب الرجال منا ، بل والنساء ، وان الحكم المنصف الذى أتيح له أن يرقب عن كثب مظاهراتنا لابد وأن يكون شعر بعظم قوة الكمال الذى سبح بجماعتنا فى ملكوت لم يسبق لأحد أن يردده أو يحلم بوجوده ٠

« أربعون يوما فى هذا الخيال الصافى قد تغير بها وجه الأمة الى حد كبير تنكرت به عن عارفيها ٠ وكان من ذلك أن انمحى عنها وصمتا الشرق الكبيرتين : التعصب للدين والتعصب على النساء ٠ وتم لنا ما عجزت أربعون حجة(*) من الخير المادى عن الاتيان به وليس هذا مما يغض من قيمة ذلك الخير ولكن البلاد وصلت فى تقدمها الى منزلة لا يمكن معها رفعها الى مكان أسمى فى المدنية والرقى الا بفعل محرك أدبى من الحرية والقومية ٠

« اننا الآن نجتاز سبيلا فى حياتنا السياسية قد اجتازته من قبلنا أمم أوربا السعيدة ، واننا نشعر ببلوغنا منزلة من الرشد لا تعودنا فيها يد من الخارج بل وان تلك اليد قد تعوض تقدمنا الى الغاية الوطنية التى نحن اليها سائرون ٠

« لا تظنوا أننا نحقد على انجلترا تلك الأمة التى لها فى التاريخ من مبادىء الحرية ما كان يستهدى به الشرق على ممر الأحقاب ولو أن

(*) حقبة ٠

سياستها سارت على نحو غير الذى صار ، وتمشـت مع الكمال الذى تعرفه ، ووفت لنا بعهدها أن تتركنا أحرارا اذا ما قويت أرجلنـا على حملنا ، لو أنها فعلت ذلك لكسبت قلوبنا أبد الآبدين ٠

« واذا كانت أربعون حجة قضيناها تحت الحكم البريطانى لم تكف لتقوية أرجلنا على حملنا فهل من عجب اذا تطلب المصريون عهدا فى الحكم غير الذى كان ؟ هذا ما يقوله أهل الجدل ولكن الواقع أن مصر قد بلغت من المدنية منزلة لا تتفق الا مع الحرية والاستقلال ٠ وهى فى ذلك لا تقل [٣٢٥] عن كثير من الأمم التى ســفكت انجلترا غير مرة من أجل تحريرها دم أعز أبنائها ٠

« ومع هذا فان خير ميزان يعرف منه أننا جديرون بالاستقلال أننا نطالب به ٠ ان هذا القول ليس من عندياتى بل هو اقتباسى لقول كبير من أعيان كتاب الانجليز ، اذ قال « ان مقياس استعداد الأمم للدستور هو مطالبتها به » فهاكم المصريين على بكرة أبيهم قد توافقوا من غير أدنى ريب على طلب الحرية والاستقلال باجماع لم يعهد التاريخ مثله ٠ واننى لأكره أن تكون هذه النقطة محلا للأخذ والرد لا سيما واني أشعر بموافقتكم اياى على أن الحركة لا ترجع الى تهييج أو ارهاب بل انها حركة فجائيـة لا قبل لأحد على رفعها ، قامت فى نفس أمة أفاقت الى شخصيتها وأشرقت عليها شمس قوميتها ٠

« واليكم دليلا آخر ان كان ثمة من حاجة الى دليل ، على سـلامة الحركة وصدقها ، وهو أنه لا يوجد فيها على الاطـلاق أى أثر للتعصب الجنسي أو التعصب الدينى الذى سبقت منى الاشارة اليه ، وليسـت مذبحة الأرمن الا حديث خرافة ، ففى كل الأحوال التى لم يستفز أحـد فيها الغوغاء (ولقد أتيح لى أن أرى بعينى رأسى بعض ذلك الاستفزاز ، وكان أبعد ما يكون عن العقل وأقربه للجنون) ، كانت مظاهراتها بصفة عامة مثالا للهدوء وسلامة القلب ٠

« ان الغوغاء فى مصر أسلم ما يكون قلبا وهى على عهد ما كانت أيام هيرودوتس من انبساط النفس ورهزة السرور ، ولقد عنيت بتعرف مقدار ما وصل اليه القوم من حد التسامح الغريب فرأيت ما إستطيع أن أقرر معه بجهد اليمين أن هذا الشعور الذى هو بشرى النهضة الوطنية ليس منحصرا فى الفئة المتعلمة بل انه أكثر ظهورا فى الغوغاء التى رأيت لها بنفسى مواقف يطرب لها القلب الظهور ٠

« فكان قسوس بنى القبط القادة المنشودين لجموع المتظـاهرين
[٣٢٦] وما أحلى صـيحات البشر التى كانت تصعد من قـلوب القـوم كلما مر بهم علم يتعانق فيه الهلال والصليب . ثم ان المكان الأول الذى اتخذه الأزهر الشريف منبع العلوم الاسلامية فى حركة التسامح هذه ، فيه ما فيه من المعانى . واننى لا أرى فى ذلك من عجب ، فالطالب الأزهرى هو الطالب المصرى الوحيد الذى رضع العلوم الأدبية والفلسفية القومية الصحيحة ، وهو يفضل بكثير فى أدبه وحلاوة صيته الأفندى العـادى الذى كونه لنا التعليم المصرى « المتجلنز » أى ذلك التعـليم الذى رأت السلطات الانجليزية نفحنا به .

« أما بنو القبط فقد ظهر للعيان اندماجهم فى الحركة قلبا وقالبا ، ولقد عزا ذلك بعض من لا يؤمن الا باله المصلحة الى خيبة رجائهم فى رفع الانجليز عنهم ما منه يشكون . وقال آخرون دون ذلك فى حطة الخلال ، وان كانوا مثلهم فى ضلال الرأى ، ان القبطى ذا الدهاء سلك مع المسلمين [٣٢٧] سبيل الحكمة صونا لعنقه ، وقال القاضى « ماك بارنت » أمامى فى معرض الكلام عن حوادث أسيوط أنه أصبح لا يعطف على بنى القبط ، وأنهم يستأهلون ما سيجره عليهم الأمر الذى كانوا له ساعين . قال ذلك وأنه فيما قال لمن الخاطئين وليت شعرى أيجهل القاضى « ماك بارنت » أن الأقباط هم من بنى الانسان وأن غريزة الوطنيـــه فيهم لابد من أن تجـد لهـا مخرجا يظهر منه وجودها وبه تستبين ، واذا كان الأقبـاط ليسوا انجليزا مثله فلا مفر من أن تصبح وطنيتهم بالقوميـــة المصرية كاسية .

« قيل هذا كله وقيل بسواه وجميع ما قيل فى الضلال والبعد عن الحقيقة سواء . لقد دخل الأقباط فى الحركة عند أول عهدها ، لما لم يكن من خطر على الأعناق وانى لأعلم علم اليقين أن نفرا منهم كانوا من بين أول المناهضين لها . ان أهل الرأى فيهم لا يقلون فى حماستهم عن اخوانهم المسلمين ، وان صبغة الروح لدى العنصرين واحدة فى الوطنية الصادقة ... انى أذكر ذلك وفى قلبى مرارة من التكلم عن الأقباط والمسـلمين كأنهما فريقان قسمتهما السياسة . ان اختلاف الدين لا يجوز أبدا أن يغير شطر الوجهة السياسية فى أمة اتحدت لديها القومية والجنس واللغة وعهود التاريخ والعادات . وانى لأشعر بأن الوقت قد قرب أو حان عندما يعرف بيننا الا كلمة مصرى ، ولا يذكر المسلم والقبطى الا فى دور العبادة . على أنه فى أوربا وأمريكا قد اقتربت الساعة التى لا يكون اختلاف الدين فيها حتى داخل دور العبادة الا اختلافا فى التعبير وتصبح عبادة مبدع الكائنات مناجاة روحانية وخلوصا للذات الصمدانية .

« لقد ولدت ثورتنا المباركة بطــلا للبلاد في شـــخص القس سرجيوس (١) ولست أجد ما أختتم به رأيي في هذا الموضوع خيرا من قول مأثور عنه ، قال ذلك القس الكريم : « اذا كانت الحال تدعو لتضحية المليون قبطي في سبيل حرية سائر المصريين فان التضحية واجبة وثمنها غير ضائع » قد يكون في هذا تطرف ممن يؤمنون بالتطرف والكمال فهما خير ما تتشرف به روح الأمم وروح الأفراد ·

« لقد قصرت قولي حتى الآن على العموميات ولكن لا أرى بدا من ايضاح نقطة واحدة بعض الايضاح وهي :

لماذا لا نقبل نحن بني مصر الحماية ؟

« ان اعتراضنا على الحماية يتلخص في كلمتين وهما : أنها ليست الا قيدا من الاخضاع يضـــعنا على الدوام تحت حكم الانجليز أو رقابتهم أو وصايتهم كما يقولون · والأمة المحمية في أحسن صورها ليست الا أمة [٣٢٨] غير مستقلة تحميها أخرى أجنبية عنها فهي أمة فاقدة لشخصيتها ولا سبيل لها الى التخلي بشخصية الأمة التي تحميها ·

« واذا فرضنا جدلا أن مصر قاصر في حاجة للوصـــاية كما يعبر الفقهاء ، فان تلك الوصاية لابد من أن تنتهي متى بلغ القاصر رشده · أما الحماية فهي على ما يعلم الناس باقية أبدا ، ولا سبيل لرفعها الا بثورة أو عمل استثنائي يشبهها ·

« لقد سمعت بعض الانجليز يقولون : ان الحمـاية قد تصبح في النهاية ميزة للبلاد المحمية لا حملا يثقل كاهلها ولكن هذه العلاقات الخالية من الأغراض لما هو غريب عن السياسة العملية ، ومبدأ العوض سيظل دائما أساس العلاقات الدولية ، لا أقصد بذلك الطعن على وجاهة هـذا المبدأ ، ولكنني أريد أن أشير الى أن تطبيقه بين أمتين احداهمـــا حاكمة والأخرى محكومة لابد وأن يؤدي الى رجحان العمل الثقيل على النفع اليسير لا سيما اذا اختلف الجنسان ، فكيف الحال اذا كان فقدان الاستقلال الذي لا يعدله في العالم شيء هو أقل غبن في الصفقة ·

« لقد افترضت في الصورة التي رسمتها حماية غاية في الكمال ، ولكن لا يغيبن عنكم أن الحماية ليست الا عهدا أو ارتباطا فعليا بين دولتين احداهما أقوى من الأخرى وأن القوى مدفوع بحكم الطبيعة البشرية الى

---

(١) القس سرجيوس كان من اهم رجال الدين الأقباط الذين انضموا الى ثورة ١٩١٩ وكان معروفا بخطبه التي كان يلقيها في الاجتماعات الوطنية التي تعقد في الأزهر ·

أن يحرز لنفسه النصيب الأكبر .. ان هذا لهو عين الحق ، فالحماية على ما عهدنا ليست الا ضما . وهى لا تلحق الا بالفئات الدنيا من طبقات بنى الانسان ، فهل فى شرعة الانصاف أن مصرا التى كان لها مركز أمة مستقلة تقريبا أمام الشرع وأمام الواقع يقضى عليها بهذا الخضوع المهين رغم تطلعها للحياة والسير فى مدارج التقدم ؟؟

« ان ما يقولون به من منحنا قسطا جديدا من الحكم الذاتى [٣٢٩] لا يعتاض به عما كان لنا من عهد سيادة تركيا الاسمية من الاستقلال الداخلى التام وليس من أهمية شكل هذا الاستقلال وكونه دستوريا أو ليس كذلك ، لأنه كان فى استطاعتنا الحصول على الدستور من خديوينا . فخلاصة الأمر أننا كنا متمتعين فى العهد القديم باستقلال داخلى تام وقسط غير يسير من الاستقلال الخارجى ومع كليهما رقابة بريطانية ، أما فى العهد الجديد فكل ما سيكون لنا هو قسط ضئيل من الاستقلال الداخلى ولا شىء من الاستقلال الخارجى ثم حكم انجليزى شامل أمام الشرع وأمام الواقع . فالباب الوحيد الذى كان أمامنا أوصد الى الأبد و كل ما لنا من الأمانى القومية قد خط لها طريق مرسوم فلا يجوز أن تتعدى حدا معقولا ولعلهم يريدون حلا مشروعا !! فالماء أمامك أيها الظامىء ولكن حذار من أن تبل أوامك (١) ... عفوا يا سيدى ان بدا لكم أثر من لوعتى فان نار اليأس تأكل قلبى كلما أبصرت الظلمة المخيمة على مستقبلنا المخيف .. ثم اننى أريد أن أنقل لكم صورة صادقة لما يشعر به أغلب المصريين البرهة (٢) الحاضرة .

« على أن ما يحاوله فكرى أكثر مما تقدم هو ما يقال من أننا سنمنح تحت ظل الحماية حكما ذاتيا تدريجيا . ان بدعة الحكم الذاتى التدريجى هى على ما يلوح لى بدعة ابتكرت خصيصا للأمم الشرقية .

« لقد كنت أفهم دائما أن الحرية الدستورية التى نالتها انجلترا وفرنسا من قديم العصور ، كان عهدا تاريخيا ليست لذينك الأمتين فقط بل للمدنية بأسرها ، ومع هذا فان هاتين الأمتين لم يكن لهما فى المدنية الشأو الذى لهما الآن ـ فكانت نسبة الأميين فيهما تفوق نسبتهما عندنا ، ثم أنهما لم تكونا على علم بالنظامات الدستورية ولا بصنوف العلوم والمعارف التى يتميز بها العصر الحاضر . وكانتا فوق ذلك قريبتى العهد باستبداد الملوك بل بما هو أشد من ذلك أى باستبداد الأشراف تحت نظام [٣٣٠] الاقطاعات ، فمصر فى ذلك هى بلا ريب أحسن حالا وأكثر استحقاقا

(١) أوامك يقصد عطشك .

(٢) يقصد اللحظة .

للأحكام الدستورية واذا تركنا جانبا عهد الخلفاء والمماليك الذين كانوا مصريين مثلما كان ملوك النورمان انجليزا يظهر لنا بجلاء أن مصر كان لها من أيام محمد علي أسرة مالكة كما لها قومية قائمة ، فمائة عام نحن فيها مستقلون استقلالا يكاد يكون تاما ٠ وخمسون شملتنا فيها مدنية الغرب لا ريب تؤهلنا لحكم دستورى بل لاستقلال تام ٠ أجل فان الحكم الدستورى ليس مما يرغب فيه فقط بل هو من ألزم ما يكون لسرعة تكوين الأمم وتدريبها اللهم الا اذا كانت من الأمم الهمجية ٠٠٠ أما حد الانتخاب فهو أمر غير هين ، على أن ما جرت عليه المبادىء الحديثة هو التوسع فى ذلك قدر المستطاع لا سيما اذا وجد قيد لذلك فى شكل مجلس أعلى غير أنى أرى وجوب منح النواب كل القوة الدستورية مهما كانت طريقة انتخابهم ٠ والبرلمان الاستشارى انما هو نظام لا يرضاه الا الملوك المستبدون أو القوم المستعمرون ٠ وليس أمامنا ما قد يعترض به على وجود دستور كامل في مصر الا امتيازات الأجانب ٠ على أن المصريين قد قبلوا أن تظل هذه الامتيازات سليمة لأننا نراها ضرا لازما ٠ أما انجلترا فترى الغاءها بحكم وجود الحماية ٠٠٠ ولقد سمعت كثيرين من الانجليز يقولون بأن ذلك جدير بأن يبرر لدى المصريين الحماية ٠ فما أعجب ذلك الحل لذى يروم به الانجليز رفع القيود التى تغل استقلالنا بمحو ذلك الاستقلال نفسه !!

« ان جلية الأمر أن الحماية لا تتفق مع ما وصلنا اليه من المدنية ، ومع ما نرجو أن نصل اليه بفضل مبادىء الحرية المعروفة عن الانجليز والروح التى عندهم الآن وأمام مشروع عصبة الأمم التى ينشدها الناس جميعا ٠

[٣٣١] لقد اعترف الرئيس ولسن بالحماية على مصر ، فيجب أن يسهل ذلك على انجلترا اتخاذها معنا سبيل سلام ، فلطالما أثبتت للقليل الضالين (كذا) الا وسيلة لغلبها فى ميادين السياسة ، فأهل مصر يعلمون اليوم أن خلاصهم لا يكون الا بجهدهم هم أنفسهم وأنه قد لا يمد لهم فى ذلك يد المعونة الا الشعب الانجليزى الحر ٠

« من أجل هذا يا سيدى أنادى فى شخصك الشعب الانجليزى الحر ليأخذ بناصرنا فى سعينا لتحقيق أمانينا القومية ٠٠ ليس فى ذلك من ضر على أحد ، لا سيما الامبراطورية الانجليزية التى نحن على استعداد لمنحها كل ما يلزمها من الضمانات والامتيازات على شريطة ألا يمس ذلك استقلالنا وكرامتنا ، كأمة لها منزلة مهما كانت صغيرة ٠

« ان مشروع عصبة الأمم الذى سنت فيه قواعد لمنع اعتداء الدول بعضها على بعض وصونها من مؤثرات الرجعيين سيسهل كثيرا حل المسألة

المصرية ويرضى كل من له شأن فيها • على أن أهم ما فى الأمر هو الروح الذى تنظر به المسألة •

« فما نرجوه هو أن الشعب الانجليزى الحر ــ الذى أعرفه والذى عشت بين أبنائه ــ يدقق فى بحث شــكايتنا من غير أن يشرك حزب الاستعمار ذاك الذى لا يرى بطبعه الا ما يجب أن يرى •

« لقد ولدت مصر القديمة من جديد وبدأ لها عهد آخر فى الحياة وفى الحرية ، فمن بين الانجليز الأحرار يرضى لنفسه أن يكون آلة لقتلها أدبيا أو آلة فى ضياع رجاء أمة حديثة ولوعتها وما ذاك الا أشد قسوة من قتلها •

« لقد عثرت بلادى على روحها ، فحق لها أن تعيش حيــاة من له روح ••• لقد تطور العالم فأصبحت الرقاب لا تعنــوا (١) الا لحــكم المحبــة •

« وإذا كانت انجلترا تؤمن بآلة القوة فهى المنتصرة لا محالة ، ولكن أين لها الى القلوب سبيل ؟!! » •

[٣٣٢]

اعتراف الرئيس ولسون بالحماية

لم يكن يدور فى خلد كائن من كان أن يصدر هذا التصريح الذى ننشره فيما يلى من الرئيس ولســون الذى دخل الحرب للقضــاء على الاستعمار ، ومحو سلطة القوى على الضعيف والذى أعلن قبيل الهــدنة مبادىء الحرية والعدل التى لا يجهلها أحد ولكن الواقع أن قد صــدر التصريح فلم يعد للكلام فائدة أمام الحقيقة الواقعة ، واليك التصريح كما نشرته دار الحماية فى ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩ :

[٣٣٣] دار الحماية فى ٢٢ ابريل ١٩١٩ •

« تلقى فخامة نائب الملك الخاص الكتاب التالى من معتمد أمريــكا السياسى وقنصلها الجنرال بمصر • وهاك نصه :

« الوكالة الأمريكية السياسية والقنصلية الجنرالية(٢) بالقاهرة فى ٢٢ أبريل ١٩١٩ •

(١) تخضع وتذل •

(٢) كان مستوى التمثيل الديبلوماسى فى مصر وقتذاك « وكيل وقنصل عام » لجميع الدول التى لها هذا التمثيل •

« يا صاحب الفخامة :

« أتشرف بأن أبلغكم أنى تلقيت ارشادات (١) من حكومتى لأعرفكم بالحقيقة الواقعة وهى أن الرئيس يعترف بالحماية البريطانية على مصر التى أعلنتها حكومة جلالة الملك فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ .

ومع موافقة الرئيس على هذا الاعتراف يجب بالضرورة أن يحفظ لنفسه حق المناقشة فى المستقبل فى تفاصيل ذلك مع مسألة تعديل أية حقوق تتعلق بالولايات المتحدة قد ينتج عن هذا القرار .

« وبهذه المناسبة رغبت الى أن أقول ان الرئيس والشعب الأمريكى يعطفان كل العطف على أمانى الشعب المصرى المشروعة لتوسيع نطاق الحكم الذاتى على أنهما ينظران بعين الأسف الى أى مجهود يبذل لتحقيق ذلك بالالتجاء الى القوة والشدة .

« وتقبل يا صاحب الفخامة ما يثبت من جديد احترامى الكبير لكم » (٢) .

الامضاء
همبسون جارى

[٣٣٤] هذا وقد أذيعت البلاغات الرسمية الآتية حسب تواريخها :

القاهرة فى ٢١ أبريل ١٩١٩

« أبلغ بوليس القاهرة أنه توفى شخص باطلاق الرصاص فى شبرا فى ليلة ١٧ الجارى .

« وفى ١٩ الجارى وضع كمين لفصيلة صغيرة من الجنود الهندية فى أبى طور فى جوار طنطا ، فقتل جندى وجرح ثلاثة وأجابت الفصيلة باطلاق النيران فقتلت تسعة من الهاجمين ، وقد قبض على عدد منهم (٣) .

« وفيما عدا ذلك لم يقع شىء يذكر » .

---

(١) تعليمات .

(٢) يقول النبى أن نشر هذا التصريح يوم ٢٣ ابريل قد أحدث وجوما شديدا بين المصريين وأن الحزب الوطنى أبرق فى نفس اليوم للرئيس ولسون محتجا على اعترافه بالحماية .

F.O. 407/184 Inc. No. 329.

(٣) تشير الوثائق البريطانية الى هذه الحوادث كما هى بالنص :
Supplementary Information of the week April 13 to 19, 1919.

[٣٣٥]

بلاغ رسمى

القاهرة فى ٢٢ أبريل ١٩١٩

« كان من المرغوب عدم نشر أسماء الذين ذهبوا ضحية الاعتداء على قطـار ديروط مادام هناك احتمـال بأن بعض التائهين قفز فى محطة متوسطة ، وتمكن من النجاة ٠

« على أنه قد توفرت الدلائل على أن الثمانية الأشخاص الآتية أسماؤهم قتلوا فى القطار بين أسيوط والمنيا ، وهم :

« القائمقام بوب بك مفتش السجون

« الماجور جارفين

« اللفتنانت وللبى (أركان حرب) ٠

« خمسة جنود (ذكرت أسماؤهم ونمرهم) ٠

« وقد ثبت أن الاعتداء وقع يوم ١٨ مارس بين السـاعة الثامنة صباحا والظهر لا يوم ١٤ مارس كما ذكر خطأ فى بلاغ سابق ٠

« وسيبدأ عما قريب بمحاكمة عدد من الأشخاص المتهمين بأن لهم يدا فى هذا الاعتداء ، وقد دلت الدلائل التى ظهرت عند البحث الابتدائى بصفة قاطعة تقريبا على أن عدد الضحايا ثمانية ٠

« وفى مساء ٢٠ الجارى حدثت مشاغبات جديدة فى « أبو طور » فى جوار طنطا فقد اجتمع سكان القرية وقد أخذوا يلقون الأحجار على معسكر فصيلة من الجنود الهندية فأحيط بالقرية وقبض على سـتة من الزعماء وجلد ٢٣ من المشاغبين علنا ٠

ولم تطع قريتان فى غرب الدلتا فى « جـوار المطـرية » الأوامـر الخاصة بتطهير السكة الحديدية ففرضت عليها غرامة ، من الحيوانات الداجنة عقابا لها ٠

[٣٣٦]

« وثبتت جريمة النهب والسلب على ٦٧ شخصا فى منطقة الواسطى فبرىء ٢٧ شخصا وأطـلق سراح ٣٠ بدون محاكمة بعد تحقيقـات ابتدائية ٠ وهناك ٥٧ شخصا غيرهم رهن المحاكمة ، وأبلغ بوليس القاهرة أنه لم تقع خسارة فى المدينة منذ ليلة ١٧ الجارى الى ظهر هذا التاريخ ٠

[٣٣٧] بلاغ رسمى

« فتشت ست قرى أخرى فى منطقـــة ديروط فى الوجه القبلى وأخذت بعض الأسلحة ..

أما فى القاهرة فقد تعرض أمس رجل لأحد رجال الحرس فى شبرا فقتل .

وفيما عدا ذلك لم يقع شىء يستحق الذكر » .

القاهرة فى ٢٣ أبريل ١٩١٩ .

بلاغ رسمى

[٣٣٨] القاهرة فى ٢٤ أبريل ١٩١٩

« يؤخذ من البـلاغات الواردة من الأقاليم أن الأعمـــال تستأنف استئنافا عاما وأن الأحوال العادية تعود أكثر فأكثر .

« ووردت الأنباء بوقوع بعض حوادث صغيرة فقد حدث فى القرضا (فى جوار كفر الشيخ) أن ناظر مصلحة الدومين أصيب بطلق نارى وجرح جرحا بليغا . وقد قبض على الجانى .

« وفى منتصف ليلة ٢٢ ـ ٢٣ الجارى أطلقت النيران على دورية من دوريات السكة الحديدية فى جوار ايتاى البارود .

وفى الوجه القبلى فتشت قرية بانوب وصودرت ٢٥ قطعـــة من الأسلحة النارية وسلمت قرية أخرى فى جوار ديروط ٩٠ قطعة أخرى من تلقاء نفسها .

« أما فى القاهرة فقد حاول بعضهم صباح اليوم تخويف مستخدمى الحكومة العائدين الى أعمالهم ، وقد قبض على عدد من الأشخاص متهمين بتخويف موظفى الحكومة والتحريض على الاخلال بالنظام بمثابرة وعناد ، وستقدم ابتداء من صباح الغد الحماية العسكرية فى جوار دور الحـكومة وستبقى هذه الحماية مادام الأمر يتطلب حماية مستخدمى الحكومة من تحرش الغير بهم .

« وأبلغ بوليس القاهرة أنه لم تحدث خسارة فى المدينة بين ظهر أمس وظهر اليوم » .

[٣٣٩] بلاغ رسمى

« تؤيد الأنباء الأخرى الواردة من الأقاليم التصريح الذى أعلن أمس وهو أن الأعمال تستأنف استئنافا عاما وأن الحالة تعود الى ما كانت عليه أكثر فأكثر .

« وقد عاد جميع الكتاب فى مصالح الحكومة المختلفة الى أعمالهم فى حين تتحسن الحالة بسرعة فيما يتعلق بعنابر السكة الحديد والعمال بوجه عام فى المصالح المختلفة ٠

« ووردت الأنباء بوقوع حوادث قليـــلة من حوادث الارهاب ففى الاسكندرية حاول بعضهم ارهاب مستخدمى شركة الملح والصودا ، فتولى البوليس الأمر وقبض على ثلاثة أشخاص (١) ٠

« أما فى الوجه القبلى فقد هجم خمسة من الذين يقومون بأعمال الارهاب على عامل الاشارة فى بنى حدير فقبض البوليس عليهم جميعا ، وضبطت ١٤٩ قطعة من الأسلحة فى مركز ديروط ٠

« ولم يقع فى القاهرة وما جاورها شىء يذكر » ٠

القاهرة فى ٢٥ أبريل سنة ١٩١٩ ٠

[٣٤٠]

بلاغ رسمى

« أبلغ بوليس القاهرة أن رجلا جرح فى ليلة ٢٥ الجارى بمناسبة حادثة تتعلق بالحرق عمدا فى حوش المحطة بالشرابية ٠

« ولم يقع عدا ذلك ما يستحق الذكر ٠

القاهرة فى ٢٧ أبريل سنة ١٩١٩

[٣٤١]

بـلاغ رسـمى

« لم يقع شىء يذكر ٠

« وليس ثمة حاجة الى اصدار بيان يومى ، وستصدر البـــلاغات الرسمية عند الحاجة فقط » (٢) ٠

القاهرة فى ٢٨ أبريل سنة ١٩١٩ ٠

***

ظلت البلاد مدة طويلة من غير وزارة بعد أن استقالت وزارة رشدى باشا بسبب امتناع الموظفين عن العودة الى أعمالهم ، ولم يكن هناك أمل

---

(١) تؤكد التقارير الانجليزية على طبيعة الاضرابات العمالية فى الاسكندرية وكيف ان زعماء العمال يلقون الخطب الثورية فى الجوامع ٠

(٢) كان وراء هذا البلاغ الهدوء النسبى الذى بدأ فى أواخر أبريل ، وان كان الأهم ، من ذلـك فى رأينـــا الرغبـة الانجليزية فى اشـــعار المصريين أن الثـــورة قد انتهت وانه لم يعد ثمة حاجة لاصدار بيان يومى ، ذلك أنه على الجانب الآخر استمر المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، الجنرال اللنبى ، يرسل تقريرا يوميا الى حكومته فى لندن عن تطور الأحداث فى مصر ٠

فى تاليف وزارة فى القريب العاجل ، وبذلك تعطلت كثير من الأعمال الرسمية التى يرجع فيها الى الوزير نفسه .

لذلك اصدر اللورد اللنبى عدة بلاغات رسمية أهمها بلاغ يرخص لوكلاء الوزارات ومن ينوبون عنهم بأن يؤدى كل منهم أعمال الوزير فى وزارته .

فتعين بعض الموظفين من الانجليز رؤساء لعدة مصالح وادارات ، ملكية كثيرة ، وهذه أهم البلاغات المشار اليها :

[٣٤٢] منح السلطة وكلاء الوزارات سلطة الوزراء (١) :

ولما لم يمكن تأليف وزارة جديدة لانجاز الأعمال أصدر اللورد اللنبى البلاغات العسكرية الآتية :

الوزارات والمصالح الأميرية
اربع بلاغات عسكرية
٢٨ أبريل ١٩١٩

- ١ -
وكلاء الوزارات ونوابهم

« قد رخص بموجب هذا لكل وكيل وزارة أو للقائم مقامه بأن يؤدى فى الوزارة التابع لها جميع أعمال الوزير وأن يتولى سلطته فى المسائل الادارية بما فى ذلك حق تمثيل الوزارة أمام جميع المحاكم ، وذلك بصفة وقتية ولحين تأليف وزارة جديدة .

- ٢ -
وكيل المالية ومساعده

« عين المستر ارنست ماك ليود دوسن وكيلا لوزارة المالية ابتداء من ١٧ مارس سنة ١٩١٩ والمستر ريجنالد ستورت باترسن مساعدا له وعضوا فى اللجنة المالية ابتداء من أول أبريل سنة ١٩١٩ والمستر وارن بومون تريلونى مراقبا عاما للادارة والحسابات وعضوا فى اللجنة المالية ابتداء من أول أبريل سنة ١٩١٩ .

(١) مكتوبة هكذا وصحتها منح وكلاء الوزارات سلطة الوزراء .

- ٣ -

مدير مصلحة الصحة العام

« عين الكولونل كاتكارت جارنر مديرا عاما لمصلحة عموم الصحة ابتداء من ٢٤ نوفمبر ١٩١٨ والدكتور جيمس ليز وكيلا عاما لمصلحة عموم الصحة ابتداء من أول أبريل سنة ١٩١٩ » .

- ٤ -

مدير مصلحة المساحة العام

[٣٤٣]

« عين الملفتننت الكولونيل برترام فرنسيس ايردلى كبلنج مديرا عاما للمساحة فى القطر المصرى ابتداء من ١٨ مارس سنة ١٩١٩ بلقب مدير عموم المساحة » .

والبلاغات الأربعة موقعة بامضـاء الجنرال السر ادمند اللنبى قائد قوات الجيوش البريطانية فى القطر المصرى .

ثم طال الزمن ، ولم تعد الأمور الى حالتها الطبيعية ، وان كانت حدة الثورة قد خفت بعض الشىء ، الا أن الحوادث لم تنقطع ، وظـلت الهجمات تتوالى على الخطوط الحديدية والأسلاك البرقية ، وكان يحتمل من حين الى حين أن تتقد نيران الثورة من جديد .

واضطربت لذلك السلطة الانجليزية التى ركبت رأسها وتورطت فى أعمال القمع والارهاب ، ولم تتورع عن اعتقال الناس .. الخ .

اعتقال الناس لمجرد الشبهة

كانت السلطة العسكرية لا تتورع عن اعتقال الناس لمجرد الشبهة أو الوشايات الكاذبة حتى ضاقت بهم المعتقلات والسـجون ، وياليتهـا اكتفت بذلك بل قدمت البعض للمحاكم العسكرية الانجليزية لمحاكمتهم كما يتضح ذلك من البلاغات الرسمية التالية :

محاكمة مخالفى الأحكام العرفية

[٣٤٤]

القاهرة فى ٢٩ ابريل سنة ١٩١٩

« حوكم الأشخاص التالية أسماؤهم أمام محاكم عسكرية فى القاهرة لارتكابهم أعمالا تخالف الأحكام العرفية وهم :

محمد أمين رأفت : لأنه فى يوم ٣٠ مارس سنة ١٩١٩ أخذ كرها أموالا لجمعية « اليد السوداء » (١) فى السكة الجديدة فحكم عليه بالحبس مدة سبع سنوات مع الأشغال الشاقة · وقد تأيد هذا الحكم فى ٢١ ابريل ولكنه عدل الى حبس بسيط سبع سنوات ·

« رفائيل سليمان : لأنه في يوم ١٨ مارس اشـــترى أسلحة فى نفيشة فحكم عليه مدة سنة مع الأشغال الشاقة ، وقد تأيد هذا الحكم يوم ١٥ الجارى ·

على معوض المعروف بعلى الاسود : لأنه قاد عصبة من السفلة وهدد الأوربيين بالقتل في يومى ٥ و ٦ أبريل فحكم عليه بالحبس مدة ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة ، وقد تأيد هذا الحكم ولكنه عدل الى ثمان سنوات ·

ومحمد حسن الجزاوى : لأنه في يوم ١٧ مارس دمر المواصـــلات التليفونية وحرض العمال على الثورة ، وسرق مدية من الشيخ عبـاس ببولاق فحكم عليه بالحبس مدة أربعة أشهر مع الأشغال الشاقة ، وقد تأيد هذا الحكم في يوم ١٥ الجارى ·

« محمـــد فؤاد عفت : لأنه في يوم ١٧ مارس دمر المواصـــلات التليفونية ، وحرض العمال على الاضراب عن العمل وارهابهم فحكم عليه بالحبس ثمانية أشهر · وقد تأيد هذا الحكم فى ١٥ الجارى ·

[٣٤٥] يوسف عبد الغفار : لأنه في تواريخ مختلفة فى شهر مارس حرض على الثورة وأغرى موظفى الحكومة على الاضراب فى القاهرة فحكم عليه بالحبس عشر سنوات مع الأشغال الشاقة وقد تأيد هـــذا الحكم في يوم ٢٥ الجارى ولكن عدل الى سبع سنوات مع الأشغال الشاقة ·

---

(١) تشير الوثائق البريطانية في كثير من مواقعها الى هذه الجمعية وأن أعضاءها كانوا يحصلون على التبرعات من الناس بالتهديد والابتزاز كما ذكرت ·

نبدأ هذا الجزء بصفحة جديدة من صفحات الثورة المصرية . وهى الخاصة بأعمال الوفد المصرى فى أوربا وهى أعمــال يخفى كثير منها على معظم المصريين ، اذ لا يعرفها الا المطلع على أسرار الوفد ، وأعماله الرسمية، وقبل أن نتكلم على هذه الأعمال يحسن بنا أن نذكر عن مؤتمر الصلح ، الذى عقد فى باريس لاعادة تنظيم أوربا والعالم اجمع بعد أن اضطربت شئونه واختل نظامه بسبب تلك الحرب الضروس .

مؤتمر الصلح

عقد مؤتمر الصلح فى باريس فى شهر يناير من عام ١٩١٩ ، وقد مثل فيه من شعوب العالم أكثر مما مثل فى أى مؤتمر آخر ، اشتركت فيه الدول المتحالفة والمؤتلفة وهى بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان التى تمتلك نصف مساحة العالم تقريبا ، ومثلت فيه أيضا الدول التى أشهرت الحرب على ألمانيا عندما كانت الحرب فى مرحلتها الأخيرة كالصين وسيام ومعظم جمهوريات أمريكا الوسطى والجنوبية ومثلت فيه الشعوب التى كانت خاضعة لألمانيا والنمسا وتركيا ، ثم ثارت عليها لأن المؤتمر عدها شعوبا محاربة وان كانت لم تصبح فى ذلك الوقت دولا منظمة ، وهذه هى بولنده وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وشعوب البحر البلطى الصغرى (١) وبلاد العرب (٢) والعراق والصهيونيين ، مثلت هذه الشعوب كلها فى المؤتمر ولكن الذين وقعوا معاهدات الصلح هم مندوبو الدول الثلاث الكبرى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ولم تمثل فيه الدول المغلوبة ، الا حينما دعيت لتسمع الحكم عليها · ولم يسمح للدول المحايدة بحضوره ووقفت الروسيا التى كانت تضطرم فيها نار الثورة البلشفية تنظر اليه من بعد ولا تشترك فيه ·

وقد كان حرمان الدول المغلوبة من الاشتراك فى أعمال المؤتمر هى والروسيا والدول المحايدة سببا فى سلبه الى حد ما صفته العالمية وجعله أداة عقاب وانتقام ، وقد غلبت هذه الصفة على أعماله ومع أنها قد قضت بها ظروف ذلك ، فقد كانت مصدرا لجميع المشاكل التى نشأت من قراراته . والتى يقاسي العالم من جرائها الأمرين فى الوقت الحاضر ·

---

(١) يقصد لتوانيا واستونيا ولاتفيا
(٢) الحجاز ·

وجاء مع الوفود جيش جرار من الخبراء المختلفي الأنواع من اقتصاديين ومؤرخين وجغرافيين وعلماء في الأجناس البشرية كما جاء اليه رجال السياسة والجندية والبحرية .

وقد وضعت السلطة أول الأمر في يد مجلس مكون من عشرة مندوبين يمثل كل اثنين منهم دولة من الدول الخمس الكبرى : انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان ، ثم رؤى أن تصدر القرارات الرئيسية من الخمسة المندوبين الاول لهذه الدول ، وذلك لضمان سرعة صدورها وسرية بحثها . ولم تلبث اليابان أن انسحبت من المؤتمر لأن المسائل الأوربية لم تكن تهمها كثيرا ولم يضطلع المندوب الايطالي (١) بدور هام في أعمال المؤتمر ، وبذلك أصبحت الكلمة العليا في تنظيم العالم لثلاثة رجال أصبح في أيديهم من السلطة ما لم يجتمع في أيدى ثلاثة غيرهم في التاريخ كله .

وكان أول هؤلاء الشيخ المسن جورج كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية المعروف بالنمر ، وكانت له رياسة المؤتمر وكان يمثل العهد القديم لأنه كان قد جاوز السبعين وكانت عقليته وليدة الظروف التي كانت تسود أوربا طوال حياته ، وكان كل همه أن يؤدب ألمانيا ويقص جناحيها حتى لا تعود الى تهديد فرنسا .

وكان ثانيهم رئيس الولايات المتحدة ودرو ولسن Woodrow Wilson وهو أستاذ سابق للتاريخ لم تفارقه طول حياته نزعته الاكاديمية ، فكان رجل أفكار ونظريات ، ألقي وهو على الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي عدة خطب ذات معان سامية ضمنها قواعد نظام عالمي جديد تأمن فيه الديمقراطية على نفسها بعيد عن ويلات الحروب والنزعات العسكرية ، انخدعت بها ألمانيا ورضيت أن تلقي سلاحها على أساسها كما انخدعت بها الشعوب المغلوبة على أمرها . وكان أهم ما نادى بها فكرتين أساسيتين : أولاهما فكرة تقرير المصير ومعناها أن لكل أمة الحق في أن تكون حرة ، وأن تحكم نفسها بنفسها . والثانية هي ايجاد تعاون منظم بين أمم حرة لتسوية المنازعات ومنع الحروب .

وثالث الثلاثة هو المستر دافيد لويد جورج .

---

(١) السنيور أوولاندو .

وهو الرجل الوحيد الذى تقلد مناصب خطيرة طوال زمن الحرب وفى خلال الثمانى السنوات الكدرة التى سبقتها ولم يكن كما كان ولسن رجل مبادىء وعقائد بل كان رجلا عمليا واقعيا وقد بذل جهدا كبيرا فى حفظ التوازن بين كلمنصو وولسن ٠

أولئك هم الثلاثة الذين كانوا يسيطرون على أعمال المؤتمر وعلى مصائر شعوب العالم ، وقد استطاع كلمنصو ولويد جورج أن يؤثرا فى الرئيس ولسن وينقلبا على مبادئه الانسانية ويطبعا كثيرا من أعمال المؤتمر بطابع المصلحة والأنانية الدولية ٠ **هذه هى الروح التى أملت** على المؤتمر الشروط التأديبية التى فرضت على ألمانيا وحلفائها وهى التى جعلت مؤتمر الصلح يوافق الحماية البريطانية على مصر ، وعلى اخضاع كثير من الشعوب لدولتى انجلترا وفرنسا وقد تبين أن العالم لم يكن قد استعد بعد لتغليب المصالح الانسانية العامة على مصالح الدول الاستعمارية ٠

تلك كلمة موجزة عن مؤتمر الصلح ، قدمناها بين يدى أعمال الوفد المصرى فى أوربا ٠ ننتقل بعدها الى أعمال الوفد نفسه (١) ٠

[٣٤٦]

الوفد المصرى فى أوربا
أعماله فى باريس

عندما أبيح للوفد المصرى السفر الى أوربا كان طبيعيا أن يولى وجهه شطر فرنسا ، ليكون قريبا من مؤتمر الصلح الذى عقد فى عاصمتها « باريس » ٠ ولما علم المصريون النازلون بباريس بقدوم الوفد اليها ألفوا من بينهم جمعية أطلقوا عليها اسم « الجمعية المصرية » قامت بتغذية الجرائد الفرنسية بتفصيلات القضية المصرية التى نشرت عقب وصول الوفد الى باريس ٠

ولكن لم تمض بضعة أيام على وصول الوفد حتى فوجئوا باعتراف معظم أعضاء المؤتمر بالحماية الانجليزية على مصر ، حتى الجرائد الفرنسية

(١) الصفحات التى تبدأ بعنوان مؤتمر الصلح بخط مختلف ، وتتضمن معلومات عامة والواضح أنها أضيفت بعد ذلك فى الثلاثينيات على الأرجح ، ممن كان يحفظ المذكرات والذى تدخل فيها أحيانا ببعض التعديلات والاضافات اليسيرة ، بهدف ربط أقسام هذه المذكرات ٠

التى كانت تظهر اهتماما بالمسألة المصرية أوعز اليها أن تخفف من حملتها على الانجليز حرصاً على عواطفهم ، بل انقلبت بعض تلك الصحف وأخذت تطعن على المصريين زاعمة أن حركتهم موجهة ضد الأوربيين وأنها ذات صبغة دينية ، فأخذ الوفد يعمل على دحض هـذه المزاعم ورد مفتريات الصحف فكتب اسماعيل صدقى باشا عضو الوفد مقالا الى جريدة «الطان» زعيمة تلك الصحف المعادية ، نشرتها فى ٨ مايو سنة ١٩١٩ ·

ولا يظن القارىء أن أعضاء الوفد فى باريس كانوا بعيدين عن أعين الانكليز اليقظة فان هؤلاء كانوا يحاولون دائما جعل مجهـودات الوفد عديمة الجدوى ، وقد بلغت بهم الشدة الى حد حمل فرنسا على عدم اعطاء أعضاء الوفد جوازات بالسفر الى أى بلد خارجها حتى أضحوا كالسجناء ، فلم تصـل أصواتهم الى جميع الأقطـار كما كانوا يؤملون الا بعـد جهد جهيد · [٣٤٧]

ولقد رأى الوفد أن ينظم أعماله ، فألف من بين أعضائه ثلاث لجان ، وقد راعى فى هذا التقسيم استعداد كل عضو للعمل الذى أنيط به · واليك أسماء تلك اللجان وأعضاءها :

لجنة المالية : وأعضاؤها : سعد زغلول باشا وعلى شـعراوى باشا أمين الصندوق وعبد اللطيف المكباتى بك ·

لجنة النشر : وأعضاؤها : اسماعيل صدقى باشا وعبد العزيز فهمى بك والدكتور حافظ عفيفى بك وويصا واصف بك ·

لجنة الحفلات : وأعضاؤها : اسماعيل صدقى باشا ، وحسين واصف باشا وجورج خياط بك ·

وكان أول ما عمله الوفد أن زار رئيسه سعد زغلول باشا رؤساء وفود الدول العظمى فلم يرد له هذه الزيارة أحـد من هؤلاء غير رئيس الوفد الايطالى ·

وفى ٢٢ ابريل كتب رئيس الوفد الى الدكتور ولسون خطابا يرجو فيه تحديد موعد بمقابلته حتى يتمكن الوفد من مشافهته بظـلامة مصر (وكان هذا اليوم كما يذكر القارىء هو اليوم الذى أعلن فيـه اعتراف الرئيس ولسون بحماية انكلترا على مصر) (١) · فرد عليه السكرتير بأنه سيعرض خطابه على الرئيس ·

(١) انظر المذكرات ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ تاريخ ٢٣ ابريل ·

وكان بوادر مجهودات الوفد هـذا الخطاب الى مؤتمر الصـلح ، وهاك نصه :

[٣٤٨] **خطاب الوفد الى مؤتمر الصلح بباريس**

الوفد المصرى

« الجراند اوتيل بباريس :

« فى ٢٨ ابريل سنة ١٩١٩

« من المحقق أن المسألة المصرية التى كانت ، منذ سنة ١٨٤٠ من أصعب معضلات القانون الدولى لا يمكن أن تجد فرصة ملائمة لحلها أكثر من مؤتمر الصلح ٠

« ومن المحقق أيضا أنه لا يمكن أن يكون أى حل للمسألة المصرية نهائيا الا اذا جاء مطابقا لأمانى مصر ورغباتها ٠

« واستنادا على هذا الرأى واقتناعا بأن مبادىء الحق والعدالة التى جعلت قاعدة مفاوضات المؤتمر ليست خاصة بجنس دون الآخر ، بل هى مشتركة بين الانسانية جمعاء جاء الوفد المصرى بتوكيل من الأمة يعرض على المؤتمر الأمانى القومية حتى يكون الحل الذى يقرر نهائيا ويكون بحيث يساعد على تثبيت دعائم السلام الدائم ٠

« وقد أثبتت التصريحات التى تكررت من قبل افتتاح المؤتمر أن الغاية التى توخاها هى الوصول الى صلح دائم بتصفية جميع المعضلات السياسية على قاعدة حق الشعوب الصغيرة فى تقرير مصيرها ٠

« ومن السهل ادراك قلق المصريين فقد رأوا جميع الشعوب ـ بل مجرد قبائل أيضا ـ التى غيرت الحرب مركزها السياسى يدعون الى بسط أقوالهم أمام المؤتمر ، ولكنهم حرموا وحدهم هذا الحق . ومن المتعذر التذرع بتبرير مثل هذا الاجحاف فى المعـــاملة بأى سبب معقـــول يمكن أن ينطبق على المبادىء التى أيدتها الحرب والتى يجب على المؤتمر تحقيقها ٠ [٣٤٩]

« واننا ـ وان لم تدع مصر للحضور أمام المؤتمر ـ لا ينبغى أن يدفعنا هذا الاغضاء الى اليأس من عدالة المؤتمر الذى هو الهيئة الوحيدة المختصة بحل المسألة المصرية بعد سماع وفدنا ٠

١ ـ اذا كان الاشتراك فى الحرب من الشروط الجوهرية التى تبيح للأمم رفع صوتها فى المؤتمر فان هذا الشرط ينطبق على مصر انطباقا تاما ،

اذ أنها فى الواقع أعلنت فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ أنها فى حالة حرب مع ألمانيا · ولما دخلت تركيا الحرب بعد مضى بضعة أشهر صار مركز مصر دقيقا ، الى حد لا مثيل له ، اذ أنها كانت خاضعة لها ، وحينئذ اقترح بعض نواب الأمة الذين يحق لهم الكلام ، باسمها ، على السلطات البريطانية اعلان استقلال مصر حتى اذ ما سوى مركز البلاد السياسى على هذا النحو يتيسر لمصر أن تحارب الى جانب الحلفاء شاهرة السلاح فى أى ميدان من الميادين ·

« ولكن هذا الاقتراح أهمل واستقرت انجلترا على حل آخر ، اذ أعلنت من تلقاء نفسها فى أول الحرب ، وبسبب الحرب ، حمايتها على مصر رغم أمانى مصر الوطنية ، على أن البلاد — مع هذا — قدمت أثقل التضحيات فى سبيل قضية الحلفاء · الى حد اعترف معه الجنرال (اللنبى) بأن العامل المصرى (١) كان من أعظم العوامل الحاسمة فى الفوز على الأتراك ، فهل من الممكن بعد هذا أن يقال ان المعضلة المصرية ليست من اختصاص المؤتمر ؟ ·

[٣٥٠] ٢ — ان الغاء السيادة التركية ، الأمر الناشىء عن الحرب ، يقتضى قسرا تغييرا فى حالة مصر السياسية ، تلك الحالة التى عينتها معاهدة سنة ١٨٤٠ (٢) ولكن هذا التغيير لا يمكن ادخاله الا بقرار من مؤتمر الصلح يحدد مصير مصر السياسى ·

« أما فحص الموضوع من جديد دون سماع آراء المصريين فيكون ثلمة ظاهرة لحقوقهم التى لم تكن للمعاهدة غاية سوى أثباتها ، ولا مناص من أن يجر بحث هذه المعاهدات بحث الاتفاقات التى عقدتها مصر مع غيرها من الدول ، وهى اتفاقية أول يناير سنة ١٨٧٩ الخاصة بانشاء المحاكم المختلطة ، واتفاقية سنة ١٨٨٠ الخاصة بقانون التصفية ، واتفاقية ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ الخاصة بحيدة قناة السويس ، حيث كان لمصر صوت استشارى ، أفلا يكون من المدهش بعد هذا أن الدول الأوربية التى لم تهمل استطلاع آراء مصر فى القرن التاسع عشر فى مسائل ثانوية تأبى عليها هذا الحق فى القرن العشرين ، وفى مؤتمر جعلت قاعدته أن حقوق الأمم الصغيرة كحقوق الأمم القوية سواء بسواء ؟؟ ·

---

(١) يقصد بذلك فيالق العمال Labour Corps التى أدت لقوات الحلفاء خدمات جليلة فى ميادين قريبة من مصر مثل فلسطين والعراق وفى ميادين بعيدة مثل فرنسا ·

(٢) معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ والتى جعلت من ولاية ذات وضع متميز داخل الامبراطورية العثمانية ووضعت قاعدة الاستقلال المصرى الذاتى ·

« وفوق هذا فان مصر لم تعمل شيئا تستحق معه هذه المعـــاملة المجحفة ، وكل ما هنالك أنها تتبعت تطورات الشعوب فى طريق الرقى واشتركت أثناء الحرب فى أعباء القتــــال الثقيلة مع الدول التى كانت تمثل المدنية والتقدم .

٣ ـ لقد سمح مؤتمر الصلح المقاطعات التى فصــــلت عن تركيا بسبب الحرب وبسبب تطبيق مبادىء الجنسية عليها ، فهل لا يكون أحرى به أن يسمع الشعب المصرى ذا المدنية العتيقة القديمة التى لو لم ترغمه الدول الأوربية على قبول السيادة العثمانية لكان الآن مستقلا منـــذ قرن ؟ . [٣٥١]

« فلهذه الأسباب »

« يطلب الوفد المصرى باسم الشعب المصرى من مؤتمر الصلح أن يسمح له بتقديم مطالب البلاد طبقا لقواعد الحق والعدالة التى هى قاعدة مفاوضات المؤتمر .

الامضاء

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

كتاب الوفد المصرى الى الدكتور ولسون [٣٥٢]

وفى اليوم التالى أرسل الوفد الكتاب الذى قدمه الى مؤتمر الصلح الى دكتور ولسون وشفعه بالكتاب الآتى :

الوفد المصرى

« باريس فى ٢٩ ابريل سنة ١٩١٩

الى صاحب السعادة الرئيس ولسون

« سيدى الرئيس :

« أرسلت المذكرة التى تجد سعادتكم صورة منها مرفقة لهذا الخطاب الى مؤتمر الصلح لتبرير الطلب الذى قدمه الوفد المصرى طالبا من تلك الجمعية السياسية سماع أقواله .

« ونحن نستمد رجاءنا فى اجابة هذا الطلب من احترامكم للحق ، ومن ثقتنا فى العدالة التامة التى تريدون جعلها أساسا لصلح العالم ،

وان تداخلكم الأخير نفسه فى شأن الحماية البريطانية لم يزعزع هــذه الثقة ، ومهما تكن الأسباب التى استندت اليها حكومة الولايات المتحدة فى الاعتراف بهذه الحماية فاننا نقدر أنه ليس ثمة ما يحول دون استجلاء حقيقة رأى بلد بأسره وحقيقة الأسباب التى يبنى عليها أمانيه .

« ان الحق الذى نلتمسه لم يمنع عن أعداء قضية الحرية ، فهــل سيؤبى على الذين ساعدوا مثلنا على فوزها ؟

« واننا بتوجيه خطابنا الى سعادتكم خاصة ، انما نحقق أمنية مصر باسرها . مصر التى وضعت فيكم أملها الأكبر .

[٣٥٣] « ان النــداء الذى وجهتمــوه الى عدالة الانســانية من بوقكم المطرب لم يتردد فى بلد تردده فى بلدنا . فاننا شعب متعطش للحرية ، رأى فى مبادئكم ضمان الخلاص القريب .

« وكنا أول من هنأوا أنفسهم بقدوم عهد ستمنح فيه جميع الشعوب والجنسيات حق الحياة على قاعدة المساواة والحرية والطمانينة سواء أكانت قوية أم ضعيفة .

« واعتمدنا على وعدكم أنكم لن تراعوا سوى رضاء الشــعوب التى ستتناولها التسوية العامة . ولهذا السبب كانت صرخة «وليحيى ولسون» تتردد فى جميع أرجاء البلاد كأنها صدى الحرية المقبلة . وظل هــذا الاسم دعوة الى التماسك حتى بين دوى الرصاص القتال الذى كان يحصد المئات من شبيبتنا كما ظل شعار الاخلاص .

« فهل يمكن بعد هذا أن تحرم مصر وحدها من عدالتــكم حرمانا قطعيا ، وهى التى اعتمدت عليها كثيرا ؟

« ان اهتمامكم الذى تجلى بأفصح بيان حتى الأمس فقط لمصلحة شعب صغير ، اهتمامكم الذى تناول شعوب الهمج من قارة افريقيا ، فأبى على المسيطرين عليها أن يحكموها بغير رقابة حزب الأمم ، اهتمامكم الذى امتد الى شعوب كانت حتى الأمس جزءا من الامبراطورية العثمانية القديمة ، فأبى أن تنتقل من سيادة الى غيرها كالسلع ، وأصر على احترام أمانيها ، ذلك الاهتمام هل يقف اذن على عتبة بلادنا المنكوبة الحظ ، ويبقى بابهــا مقفلا دون عملها الطيب ؟ .

[٣٥٤] « اننا لا يسعنا أن نعتقد أن هذا هو المصير الذى جعل لشعب تدين له الانسانية بشطر عظيم من مدنيتها ، ولا يسعنا أكثر من هذا لأننا نؤمن ايمانا تاما بالمهمة التى توليتموها · والتى كتبتم أنتم أنها يجب أن ترمى الى جعل الأفضلية للعدالة على المصلحة من الآن فصاعدا ·

« وتفضلوا ·· الخ » ·

الامضاء
رئيس الوفد المصرى
سعد زغلول

[٣٥٥] مأدبة الوفد لرجال الصحافة الانكليز والأمريكان وخطاب محمد محمود باشا (١)

حاول الوفد المصرى أن يحصل على جواز لسفر بعض أعضائه الى بعض الدول الكبرى لنشر دعوته فيها ، ولما لم تجد محاولته نفعا لم يجد سبيلا الى نشر دعوته هذه الا فى فرنسا ولذلك عمد فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ الى اقامة مأدبة لرجال الصحف الأمريكية والبريطانية الموجودين فى فرنسا بسبب انعقاد مؤتمر السلام ليوقفهم على حقيقة القضية المصرية بعدما تبين له جهلهم التام بها ، وليطرد عن أفكارهم تلك المعتقدات الخاطئة التى تذيعها أبواق المستعمرين من أن مصر فرع من الأمم المتوحشة فى افريقيا ·

وفى نهاية المأدبة وقف سعد زغلول باشا ، وألقى كلمة موجزة بالفرنسية شكر فيها رجال الصحافة على تلبيتهم دعوة الوفد وعطف فيها على أمانى مصر وآمالها بايجاز · ثم قام محمد محمود باشا فألقى باسم الوفد المصرى الخطاب الجامع الآتى ، باللغة الانجليزية :

[٣٥٦] ترجمة خطاب (١) :

« أيها السيدات ·· أيها السادة :

« ان من أعظم بواعث سرور الوفد المصرى أن يحظى القوم بلقيا ممثلى الحرية غير المثقلة بالقيود الحكومية من الأمتين الديموقراطيتين العظمتين : الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى ·

(١) يشير الايرل ديربى ممثل بريطانيا فى باريس الى أن هذه المأدبة قد أقيمت فى فندق الكونتننتال ، وأنه قد حضرها ٦٥ من الصحفيين أغلبهم من الأمريكيين ·
F.O. 407/184 No. 279.

(١) صحتها ترجمة الخطاب ·

« وان لى فخرا خاصا بأن أدعوكم لتشربوا نخب الصحف الانجليزية والأمريكية واننى أنتهز هذه الفرصة لأشرح لكم جهد استطاعتى الظروف التى أدت الى الأزمة الخطيرة التى تجتازها بلادنا الآن وسأعتمد كل الاعتماد على عطفكم فاننى أبغى الصراحة فيما أقول لأنها خير وأبقى ، على أننى أؤمل ألا أجاوز الحد الذى يقضى به حسن الذوق واللياقة ٠

واننى وان قدمت قضيتنا المصرية لممثلى الصحف البريطانية فاننى أشعر أننى أخاطب بواسطتهم الأمة البريطانية التى أقرت التصريحات المتكررة التى فاه بها رجال السياسة البريطانيون المسئولون فى البرلمان وخارجه عن مركز مصر السياسى كما أننى أرجو أن أناشد بواسطة رجال الصحف الأمريكيين شعب الولايات المتحدة الذى لم يقتحم غمار الحرب لغاية شخصية ، بل لمجرد خدمة قضية الحرية والعدالة ٠

« واذا كان هناك أيها السيدات والسادة شعب أكثر جدارة من سواه بتطبيق المبادىء التى حاربت وانتصرت من أجلها أمريكا وبريطانيا العظمى وان كان ثمة شعب أكثر استحقاقا للعطف والتأييد من جانب أولئك الذين جعلوا سعادة الانسانية ورخاءها همهم الأكبر فان ذلك الشعب هو الشعب المصرى ٠

[٣٥٧] « منذ شهر أغسطس سنة ١٩١٤ أصبحت جميع موارد البلاد المادية رهن مشيئة بريطانيا العظمى وحلفائها ، وخدم فى ميدان القتال المصرى الشرقى وفى العراق عدد لا يقل عن مليون ومائتى ألف مصرى ٠ على أن هناك ما هو أثمن من ذلك وهو ولاء المصريين مدى الحرب ولاء لم يفتر قط حتى ولا فى أشد أوقات الحرب محنة ، وعلى رغم اعلان الحماية بغير موافقة الشعب المصرى فلم تقم فى البلاد ثائرة ولا مظنة قلق بل لم يقدم أقل احتجاج الى اعلان الحماية ٠ ولماذا ؟ لأن المصريين قدروا أن مثل هذا العمل من جانبهم ربما عاق سبيل نصر الحلفاء وشركائهم ، كما قدروا أن انتصار الحق والعدالة لابد أن يقترن بزوال الحماية التى قامت على نقيض وعود بريطانيا العظمى الخطيرة وقد رأوا أخيرا أن دول الحلفاء لابد أن تعطف على استقلال مصر وتؤيده ٠

« فهل كان هذا التقدير خطأ ؟ وهل كانت كل آمالنا وأمانينا وعقائدنا فى غير محلها ؟ لا ٠٠ اننى لا أظن ذلك حتى الآن ، فقد أعرب الحلفاء عن عطفهم على الولايات التركية التى كانت منذ عهد غير بعيد تحارب فى صف الأعداء فهل ينكر على مصر هذا العطف ، وهى تتمتع بالاستقلال

الداخلى بعد أن زالت عنها السيادة التركية ؟ اننا نعتقد أن انجلترا الحرة لا تنكر على مصر أبدا حقها الطبيعى فى الاستقلال لا سيما بعد أن بذلت دماء أبنائها وأموالها فى سبيل قضية الحلفاء ، وهل يصح أن تحرم مصر وحدها من التمتع بالمبادىء التى قررها رئيس الولايات المتحدة العظيم ٠

« ان الهدنة انما أمضيت على قاعدة شروط الرئيس ولسن الأربعة عشر وقد تغير مركز مصر السياسى تغيرا عظيما بلا شك بسبب الحرب ، فان السيادة التركية زالت والحماية البريطانية التى لا حق لها فى الوجود لم يبق لها محل لحظة واحدة بعد نهاية الحرب ، فمصر دولة مستقلة قانونا ولا تفتقر الا الى الاعتراف باستقلالها من جانب مؤتمر السلام ٠ [٣٥٨]

« لهذه الأسباب ندبنا مواطنونا لعرض قضيتنا على المؤتمر والتماس اعترافه باستقلال مصر وكنا قد عولنا على السفر رأسا الى انجلترا لثقتنا بأن الشعب البريطانى يكون أول معضد لتحرير مصر الموالية لا سيما وقد أقر وعود الجلاء عن مصر التى فاه بها ، بالنيابة عن رجال السياسة البريطانيون المسئولون ٠ والوقت الحاضر يعد – بلا شك – خير فرصة سانحة للبر بتلك الوعود – كان ذلك فى شهر نوفمبر الماضى ، وفى ذلك الوقت رغب رئيس الوزراء فى مصر أن يسافر الى انجلترا مع أحد زملائه ليناقش الحكومة البريطانية فى المسائل المرتبطة بمستقبل مصر ، فأجيبا جوابا أدى الى استقالة الوزارة المصرية فى الثانى من شهر ديسمبر ٠ وقد بذلت المساعى لحمل الوزيرين على استرداد استقالتهما ولكنهما أصرا على السفر الى انجلترا فى الحال ، وعلى اباحة السفر لكل من يريد من المصريين فلما أنكر عليهما هذا الطلب قبلت الاستقالة فى أوائل مارس ، ولم يوجد بعد ذلك مصرى يقبل تأليف وزارة جديدة رغم الجهد الذى أنفق فى هذا السبيل ، فأراد ولاة الأمور أن يخبروا من يحملونه تبعة هذه الحال فلم يبحثوا طويلا ، بل سرعان ما وجهوا هذه التهمة الينا وعدونا مسئولين عن افلاس الادارة البريطانية فى مصر ، فقبضوا على أربعة منا فى الثامن من شهر مارس وأبعدوهم الى مالطة بلا اتهام ولا تحقيق ، وهناك حجزنا الى الرابع عشر من شهر ابريل فاليكم والى الرأى العام البريطانى أترك الحكم على مثل هذه المعاملة ٠

« كانت النتيجة أن الشعب المصرى قام قومة واحدة يطلب اطلاق سراحنا فى الحال ، وأصر على مجيئنا للدفاع عن قضية البلاد أمام مؤتمر السلام ، وكانت الطلبات والاحتجاجات والمظاهرات سلمية محضة كما هو شأن الشعب المصرى اللين العريكة المطبوع على حب السلام ٠ ليس [٣٥٩]

للمصريين سلاح يدافعون به عن حقوقهم ، ولكن لهم عزيمة لا تفل ، وليس من الهين قهر عزائم الشعوب ٠

« ان الشعب المصرى أيها السيدات والسادة أفخر بماضيه وبمدنيته من أن يصبر على أذى يلحق بكرامتــه ، أو هوان يحيق بشرفه القومى ، وها قد أعلنت الحماية من غير موافقته وعم الارهاب الشنيع والاهانة أنحاء البلاد على يد المفتشين البريطانيين ، وقدم القائم بوظيفة المستشــار المالى مشروع دستور عد فيه الشعب المصرى كمية مهملة لا صوت لها فى ادارة شئون البلاد ومنح بمقتضاه حق سن القــوانين التى تسرى على المصريين لبرلمان تؤلف الأغلبية فيه من الأجانب ومن الموظفين البريطانيين وبمقتضاه لا يصبح الوزراء المصريون مسـئولين أمام مواطنيهم بل أمام أولئك الأجانب والموظفين البريطانيين ٠ ومنع ممثلو المصريين من مبارحة حـدود بلادهم عندما طلبوا السفر الى انجلترا ، فلما احتجوا على هذا التعدى على الحرية الشخصية كان الجواب اعتقـالى مع ثلاثة من زملائى وابعادنا الى مالطة ٠ فرأى المصريون من كل ذلك أن المقصود بمصر أن تستثنى وحدها من تطبيق المبدأ القــاضى بأن كل بلد حل به شىء من التغيير من جراء الحرب يجب أن يمثل فى مؤتمر الســلام وأدركوا أن بلادهم ستطرح فى زوايا النسيان كأن لم تكن على ظهر هذه البسيطة ٠

« فهل لبلد أن يحتمل مثل هذه المعاملة بغير احتجاج شديد ؟ أننى أؤكد لكم أيها السيدات والسادة وعندى الدليل القاطع على ما أقول أن الشعب المصرى على شدة رغبته فى تحقيق أمانيه القومية بنيل الاستقلال ورغم فرط استيائه من المعاملة التى أصابت مندوبيه لم يحتج الا مجرد الاحتجاج الشفوى ٠ فان المظاهرات التى قام بها الطلبة لم تخرج عن حدود القانون والنظام ومع ذلك فقد قوبلوا برصاص الجنود الانجليزية [٣٦٠ز] وسـقط كثيرون منهـم صرعى فى شــوارع القــاهرة ، وكانوا كلمـا عادوا لمظاهرة قوبلوا بتلك النيران ، فكانت هذه المأساة تمثل عيانا كل يوم فى شوارع القاهرة وعواصم الأقاليم ٠

« وشرعت سيدات القاهرة وفيهن عقيلة رشدى باشا رئيس الوزراء السابق فى اقامة مظاهرة للاعراب عن شعورهن الوطنى والاحتجاج على ما أصاب ذوى قرباهن ومواطنيهن من القتــل الشنيع ولا حاجة بى الى القول بأن هذه المظاهرة أيضا كانت سلمية ولكنهن لم يلبثن الا قليــلا حتى أحاط بهن الجنود البريطانيون ببنادقهم وسيوفهم المسلولة وألزموهن بالوقوف ساعتين تحت حر شمس الهاجرة من غير أن يمكنوهن من التقدم

أو العودة الى بيوتهن ، فأرسلن من يلتجىء الى وكلاء أمريكا وايطاليا السياسيين وندب هؤلاء من ينوب عنهم فى تحرى الحالة فى مكان المظاهرة ولم يصل الى علمى بعد كيف انتهت المسألة ·

« هذه هى وقائع الحال التى حدثت مقدمة للهياج ولقيام الثورة ، ولم يكن الهياج فى مصر سوى حركة قومية مبعثها رغبة شديدة تأصلت فى نفوس الشعب المصرى كله فى نيل الاستقلال وانشاء حكومة أهلية تقوم على دعائم ديموقراطية محضة · وكل ما يقال خلافا لذلك مناقض الحقيقة والواقع ·

« ادعوا أن الحركة دينية ولكنهم رأوا رأى العيان ان مسيحيى مصر ومسلميها متحدون اتحادا متين العرى ، وأن المسيحيين كانوا فى مقدمة القائمين بالمظاهرات وكان منهم من راح بين أوائل شهداء رصاص الجنود البريطانية · وانكم لتجدون اليوم بين أعضاء الوفد المصرى الذين يتشرفون باستقبالكم اليوم فى ضيافتهم خمسة من المسيحيين وقد كان قسوس الأقباط يقومون بالدعوة الوطنية فى جميع مساجد القاهرة [٣٦١] وعواصم الأقاليم ، وشيوخ المسلمين يفعلون مثل ذلك فى الكنائس ، وكان الشعار الأهلى الذى يرفرف على المظاهرات يمثل الهلال والصليب متعانقين ، فليس فى مصر شعور دينى وانا سكان وادى النيل مصريون قبل كل شىء وبعد ذلك لكل امرىء دينه أمام ربه ·

« فلما فشلوا فى هذا التأويل حولوا وجههم الى جهة أخرى ، فقالوا ان الحركة قائمة على كره الأجانب على أن الجاليات الأجنبية فى مصر تعطف على قضيتنا ، وقد أقام اليونان يوم سفر الوفد المصرى من القاهرة مظاهرة عظمى لتأييد القضية المصرية ·

« أما دعوى اضطهاد الأرمن فلا تفتقر الى بيان كبير ، وذلك أن الأرمن أحرجوا المتظاهرين فى القاهرة باطلاق الرصاص عليهم من نوافذ المنازل ، وقتل الكثيرون منهم ، وليس لى من سبيل الى ايضاح الأسباب التى حملت الأرمن على اقتراف مثل هذه الجرائم الشنيعة والى بيان مصدر الأسلحة التى تسلحوا بها سوى أنى أسألكم الرجوع الى التحقيق الرسمى الذى عمل فى هذه المسألة · ومما لا شك فيه أن ما ثار فى نفوس المصريين من جراء هجمات الأرمن كان لابد أن يحملهم على الدفاع المشروع عن أنفسهم ·

« وأخيرا قالوا ان الحركة قوامها الذهب الألمانى ، وأنا لا أعلم مبلغ ما عند الألمان من الذهب ولكننى أظنهم أبعد الناس عن انفاق مالهم فيما لا يجدى ، أما ما قيل من تأثير لجنة الاتحاد والترقى فيكفينى أن أؤكد لكم فى الرد عليه بأنه لا توجد أدنى علاقة بين مصر وتركيا وألمانيا فان مثل هذه العلاقة لو وجدت لظهر أثرها قبل امضاء الهدنة لا بعده ولكم أن تعرفوا حقيقة الثورة المصرية ، ومصدرها من التقارير التى وردت على الحكومات الفرنسية والأمريكية والايطالية من وكلائها السياسيين فى القاهرة .

[٣٦٢] « فالحركة أيها السيدات والسادة لم تكن ذات صفة دينية او عدائية للأجانب ولم تدرها يد خفية من جانب ألمانيا أو تركيا بل قامت ضد نظام الحكم الذى يرمى الى غير مصلحة المصريين . قامت ضد السياسة التى تجعل المصريين كمية مهملة فى ادارة شئون بلادهم . وأهم من كل ذلك أنها قامت ضد المركز السياسى الذى يراد انزال مصر فيه فى القرن العشرين وهو منزل أحط مما بلغته فى القرن التاسع عشر .

« وحبذا لو أدرك جمهور البريطانيين حقيقة حال مصر .

« لى كلمة واحدة أضيفها الى ما تقدم وذلك بمناسبة اعتراف حكومة الولايات المتحدة أخيرا بالحماية البريطانية على مصر فاننى على يقين أن شعب الولايات المتحدة ورئيسها لم تبلغ اليهم وقائع الحال عما يجرى فى وادى النيل ، على حقيقتها فاننا لا نستطيع أن نصدق أن جميع المبادىء التى قدم من أجلها الحلفاء ما قدموا من التضحيات العظيمة تنتهك حرمتها فيما يتعلق ببلادنا وان مصر وأبناء الفراعنة يعاملون كالسلع والأنعام التى تنتقل من يد لأخرى أو نضحى فى سبيل العلاقات السياسية .

« ان المصريين يعتمدون فى تحقيق أمانيهم القومية على عدالة مؤتمر السلام وعلى الوعود الصريحة التى فاه بها رجال السياسة البريطانيون المسئولون وعلى شرف الجمهور البريطانى الذى ارتبط ارتباطا متين العرى بهذه الوعود التى أعطيت باسمه وكانت عهدا على بريطانيا بألا تضم مصر قط الى أملاكها ولا تعلن عليها الحماية مطلقا ، ويعتمدون على مبادىء الحرية والعدالة التى أعلن الرئيس ولسن أنها ستكون أساسا لسلام العالم .

« ويعتمدون على عدالة قضيتهم .

« ويعتمدون على عطفكم وتأييدكم .

« اننى أشرب نخب رجال الصحافة البريطانيين والأمريكيين » .

[٣٦٣] **استمرار اضراب الطلبة**

كان القائد العام قد دعا الطلبة الى الانتظام فى سلك دراستهم ابتداء من ٣ مايو سنة ١٩١٩ ولكن جاء هذا اليوم والطلبة مازالوا على عهدهم ، وهذا ما دعاه الى اصدار البلاغ الآتى نصه :

١ ـ ان لم يعد عدد كاف من التلاميذ لمدارسهم فى يوم الأربعاء ٧ مايو سنة ١٩١٩ يسوغ استمرار فتح المدارس العالية والثانوية والخصوصية والأميرية فستقفل هذه المدارس لغاية التاريخ المعتاد لابتداء الدراسة فى السنة المكتبية (١) المقبلة » .

٢ ـ ولا يقبل أى تلميذ مقيد الآن بسجلات المدارس المذكورة فى أى امتحان يعقد هذا العام الا اذا قام بما يأتى :

(أ) أن يعود الى مدرسته فى يوم ٧ مايو سنة ١٩١٩ .

(ب) أن يواظب بانتظام لغاية انتهاء السنة الدراسية اذا استمرت هذه المدارس مفتوحة .

« ويستثنى من ذلك التلاميذ الذين يمكنهم أن يثبتوا عدم استطاعتهم تنفيذ هذا الاعلان .

٣ ـ وتطبق أحكام الفترة الثانية من هذا الاعلان على التلاميذ المقيدين الآن فى سجلات المدارس الحرة (٢) الخاضعة لتفتيش الحكومة » .

أ.هـ.هـ. اللنبى
(جنرال)

[٣٦٤] ولما اطلع الطلبة على هذا الاعلان أقاموا المظاهرات احتجاجا عليه ففرقتهم القوات الانجليزية فلم يجدوا وسيلة الا اقامة تلك المظاهرات ليلا .

(١) السنة المكتبية تعبير كان يستخدم وقتذاك للسنة الدراسية .
(٢) المدارس الحرة تقابل المدارس الخاصة الآن .

وفى يوم ٣ مايو كذلك نشرت رياســـة مجلس الوزراء الاعــلان الآتى :

« احتفالا بعيد جلوس جلالة ملك بريطانيا العظمى تعطل وزارات الحكومة وسائر المصالح الأميرية فى جميع أنحاء القطر المصرى يوم الثلاثاء ٦ مايو سنة ١٩١٩ » .

فلم يكد يتنفس صبح يوم ٦ مايو المذكور حتى عمت المظــاهرات أنحاء القاهرة احتجاجا على جعل ذلك اليوم عطلة رسمية كما أقيم اجتماع عظيم فى الأزهر الشريف احتج فيه المجتمعون على هذا الأمر .

وفى يوم ٧ مايو لم يعد الطلبة الى مدارسهم حسب أمر السلطة لهم فأعلن فى اليوم التالى اغـــلاق جميع المدارس حتى موعد استئناف الدراسة فى العام المقبل فانتهز الطلبة هذه الفرصـــة أيضـــا وأقاموا مظاهرات كبرى تعرض لها الجنود البريطانيون فأصيب فيهـا كثير من الطلبة وقبض على بعض منهم (١) .

وفى يوم ١١ مايو فتش الجنود الانجليز الجالسين فى محل جروبى بقصد العثور على أسلحة أو منشورات معهم ولما لم يوفقـــوا فى ذلك أصدرت السلطة فى اليوم التالى أمرا بمنع الاجتمـــاعات والجلوس فى القهوات والملاهى والمظاهرات واليك نصه :

« كل اجتماع يحضره أكثر من خمسة أشخاص ألقيت فيه خطب أو حدث فيه سلوك غير عادى يكون من المحتمل عقلا أن يؤدى الى الاخلال بالأمن العام » .

وليس لدينا نحن تعليق على البلاغ اذ أن مغزاه لا يخفى على ذهن القارىء العادى (٢) . [٣٦٥]

---

(١) جاء فى البلاغ الرسمى الصادر عن هذه المظاهرات : « حاول فريق من طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس العليا أن ينظموا مظاهرة فى الليلة الماضية فابتدأوا من قرب الأزهر حوالى الساعة العاشرة ونصف وكان رجال البوليس والجنود قد اتخذوا التدابير اللازمة ملافاة لكل اضطراب فاحبطت جميع المساعى لتاليف موكب وقد حاولت جماعة من الطلبة أن تشق لنفسها طريقا فى جوار دار الحماية فشتت شملها باستعمال العصى دون الالتجاء الى الأسلحة النارية وقد قتل من المتظاهرين واحد وأصيب تسعة برضوض فنقلوا الى قصر العينى والقى القبض على خمسين شخصا .

(الأخبار : ١٠ مايو ١٩١٩) .

(٢) يتضح من ذلك أن عبد الرحمن فهمى كان يكتب هذه المذكرات بهدف نشرها فى يوم ما .

وفى ١٤ مايو قامت المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية احتجاجا على جلد السلطة الانجليزية تلميذين من تلاميذ المدرسة التوفيقية .

تمادى السلطة فى عرقلة التبرعات للوفد

ظنت السلطة العسكرية أن الناس سيمتنعون حتما عن التبرعات للوفد بعد صدور بلاغها الخاص بهذا الشأن فى ٢٠ ابريل الماضى ، ولكن هالها ما وجدت من تهافت الأمة المصرية على هذه التبرعات وقد كانت تريد بهذا العمل أن تمنع عن الوفد ذلك المال الذى لابد منه لأداء مهمته ولذلك بادرت الى نشر أمرها الآتى فى ١٨ مايو .

١ - «ممنوع جمع النقود أو الأشياء التى لها قيمة سواء كان بطريق الاكتتاب العمومى أو خلافه بقصد التحريض على الاخلال بالنظام أو مساعدة أى شخص أو أشخاص على اتيان عمل مخالف للأحكام العسكرية أو أى شخص أو أشخاصا على عمل كهذا .

٢ - وكل شخص يقوم بجمع نقود على هذه الكيفية ويروج أو ينظم جمعها أو يكتتب عن علم لاعانة كهذه أو يقتنى عن علم نقودا أو أشياء ذات قيمة موقوفة على غرض كهذا يرتكب مخالفة هذه الأحكام العسكرية .

٣ - جميع النقود والأشياء الثمينة التي تجمع بكيفية مخالفة لهذا المنشور تكون عرضة للمصادرة .

٤ - وكل شخص يقوم بجمع نقود أو أشياء ثمينة أو يروج لها أو ينظمها أو يشترك فى جمعها بأى طريقة كانت فى أحوال يتراءى للسلطة العسكرية أنها تحمل على الاعتقاد بارتكاب مخالفة ضد هذا المنشور يجوز أن يستدعى ليقدم ايضاحا تاما عن صفة وغرض هذا الجمع وكل من دعى لتقديم الايضاحات المطلوبة فعجز عن ذلك أو رفض أو أعطى معلومات كاذبة أو ناقصة أو مضللة يرتكب مخالفة ضد الأحكام العسكرية » . [٣٦٦]

ولكن هل منع هذا المنشور ذوى الغيرة الوطنية من التبرع للوفد سرا ؟ وهل منع ذلك التشديد فى التهديد اللجنة المركزية عن قبول تلك التبرعات ؟ نترك القارىء الاجابة على هذين السؤالين بنفسه !! (١)

(١) مرة أخرى يؤكد صاحب المذكرات أنه وضعها للاطلاع العام .

[٣٦٧]

اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية الانجليزية
واجبار المانيا على الاعتراف بهذه الحماية

سلمت شروط الصلح للوفد الألمانى فى ٦ مايو سنة ١٩١٩ بقصر « التريانون » وفيها اعتراف ألمانيا بحماية انجلترا على مصر وهاك الجزء الخاص بمصر من تلك المعاهدة :

(القسم الرابع)

« مصر »

« المادة ١٤٧ ـ تصرح ألمانيا بأنها تعترف بالحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل عن نظام الامتيازات الأجنبية فى القطر المصرى ويكون هذا التنازل اعتبارا من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ .

« المادة ١٤٨ ـ جميع المعاهدات والاتفاقات والترتيبات والعقود التى عقدتها ألمانيا مع مصر تعد ملغاة اعتبارا من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ .

« ولا يمكن لألمانيا بأية حال من الأحوال أن تتمسك بهذه العقود وتتعهد بألا تتداخل بأى شكل فى المفاوضات التى يمكن أن تجرى بين بريطانيا العظمى والدول الأخرى بشأن مصر .

« المادة ١٤٩ ـ يكون اجراء القضاء فى الرعايا الألمان وأملاكهم من اختصاص المحاكم القنصلية البريطانية بقرارات يصدرها عظمة السلطان وذلك حتى تنفيذ تشريع مصرى للنظام القضائى يتضمن تأليف محاكم ذات اختصاص تام .

« المادة ١٥٠ ـ للحكومة المصرية الحرية التامة فى العمل لتسوية مركز الرعايا الألمان فى القطر المصرى وشروط اقامتهم فيه .

[٣٦٨] المادة ١٥١ ـ توافق ألمانيا على الغاء الدكريتو (١) الذى أصدره سمو الخديو فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ خاصا بقومسيون الدين المصرى العام ، أو ادخال التعديلات التى تعدها الحكومة المصرية مناسبة .

المادة ١٥٢ ـ توافق ألمانيا فيما يختص بها على نقل السلطات

(١) الدكريتو : لفظ كان يطلق على المرسوم الخديوى وأصله ايطالى .

المخولة لصاحب الجلالة الامبراطورية (سلطان تركيا) بموجب الاتفاقية الموقعة فى الاستانة فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ (١) عن حرية المرور بقناة السويس الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

وتتنازل عن كل اشتراك فى مجلس الصحة البحرية والكرنتينات (٢) فى مصر وتوافق فيما يختص بها على نقل السلطات التى لهذا المجلس الى السلطات المصرية .

المادة ١٥٣ ــ جميع الأعيان والأملاك التى للامبراطورية الألمانية فى القطر المصرى تنتقل بكل ما فيها من حقوق الى الحكومة المصرية دون أى تعويض .

« وستعد أعيان الامبراطورية وأملاكها فى هذا الشأن شاملة لجميع أملاك التاج والدول الألمانية وكذلك الأعيان الخاصة التى لامبراطور ألمانيا السابق (٣) وغيره من أصحاب المراتب الملكية .

« ستعامل جميع الأملاك المنقولة والعقارات المملوكة لرعايا ألمانيا فى القطر المصرى طبقا للقسمين الثالث والرابع من الجزء العاشر (الشروط الاقتصادية من هذه المعاهدة) .

« المادة ١٥٤ ــ تتمتع البضائع المصرية فى دخول ألمانيا بالنظام الذى يطبق على البضائع الانجليزية . [٣٦٩]

احتجاج الوفد على قرار المؤتمر

وقف الوفد المصرى على هذا الملخص من معاهدة الصلح بالرغم من عدم نشره فى الجرائد ، فهاله الأمر وسارع الى الاحتجاج على قرار المؤتمر هذا .

احتج عليه لدى مؤتمر الصلح بوجه عام ولدى رئيسه المسيو جورج كليمنصو (٤) ولدى الرئيس ولسن ومجلس الأمة الأمريكى .

---

(١) هذه الاتفاقية مشهورة أكثر باسم اتفاقية القسطنطينية .

(٢) الكرنتينات : جمع كرنتينة وكانت تطلق على منطقة الحجر الصحى .

(٣) الامبراطور وليم (ولهلم أو غليوم) الثانى الذى هرب الى هولندا بعد هزيمة بلاده فى الحرب .

(٤) جورج كليمنصو (١٨٤١ ــ ١٩٢٩) رئيس وزراء فرنسا بين ١٩١٧ ، ١٩٢٠ وكان يطلق عليه نمر السياسة الاوربية ، وكان رئيس وفد بلاده خلال مؤتمر السلام المنعقد فى فرساى سنة ١٩١٩ .

وهذه صورة احتجاجه الذى أرسله فى ١٢ مايو ١٩١٩ الى رئيس مؤتمر الصلح :

« الى المسيو جورج كليمانصو

[٣٧٠]

« رئيس مؤتمر الصلح – بباريس

« لم يشأ مؤتمر الدول المتحالفة أن يطبق على مصر مبادىء الحق والعدل مع أنها جديرة بأن تعامل بمقتضى هذه المبادىء نظرا لما قامت به من المساعدة التى أدت الى النصر · لم يشأ أن يسمع صوت مصر ، مع أنها كانت فى مقدمة الدول التى أعلنت أنها فى حالة حرب مع أعــداء دول الاتفاق (١) ·

وعانت أعظم الضحايا فى سبيل قضية الحلفاء ، لم يشأ أن يسمعها مع أنها بلاد غيرت الحرب مركزها السياسى وقد اعترف بالحماية البريطانية بدون أقل مراعاة لرأى الأمة المصرية وبغير أن يعير أدنى التفات لقيام هذه الأمة بأجمعها فى وجه هذه الحماية واظهارها معارضتها لها بأجلى المعانى وأوفاها ·

« ان العقل ليأبى اسناد مثل هذا القرار الى المبادىء التى من أجلها خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب التى قررها الرئيس ولسون بعد ذلك لتكون أساسا للهدنة ثم للصلح ، ولا الى المبادىء التى أعلنت بريطانيا العظمى نفسها أنها تحارب انتصارا لها ، ولذلك لم يجد العقل ما يرتاح اليه اذا صرف النظر عن هــذه المبادىء واعتمــد على تحكيم العــوائد السياسية التى كان معمولا بها قبل الحرب ·

[٣٧١]

وكيف يستطيع العقل البشرى أن يفسر نيل الحجاز استقلالها وهى ولاية صغيرة لا مدنية لها ، وعدد سكانها – وكلهم من القوم الرحل – لا يذكر ومواردها ضيقة ولم تتحمل شيئا من أعباء الحرب · ومصر التى قامت بنصيب وافر منها وعانت ما عانته فى سبيل الفوز النهائى ، يكون نصيبها الرفض البات اذا طلبت أن يسمع صوتها ، ثم يعقب هذا الرفض ضياع حقوقها المقدسة فى الحرية التى كسبتها بدماء أبنائها فى ميــدان القتال ·

---

(١) دول الاتفاق مقصود بها فرنسا وبريطانيا وروسيا التى بدأت الحرب بينها وبين دولتى الوسط ألمانيا والنمسا ·

« لا يمكن التسليم بأن مصر التى اشتركت فى أوائل القرن الماضى فى اقامة صروح المدنية وساعدت تركيا فى انتصارها الذى أدى الى استتباب النظام فى الحجاز ، بل فى بلاد اليونان ، والتى قهرت تركيا نفسها فى ميدان الحرب (١) ، يكون حظها أن تعامل بأقل مما عوملت به شعوب أفريقيا الوسطى وقد أصبحوا اليوم محلا لرعاية ما كانوا ليحلموا بها ليس فى العالم قاض نزيه يستطيع الاهتداء الى سبب معقول للموقف الذى اتخذه المؤتمر ازاء القضية المصرية ٠ واتخذته بريطانيا العظمى نفسها ٠ وهى التى أشهدت العالم أكثر من ستين مرة على أنها لا تفكر مطلقا فى ضم مصر أو فى اعلان الحماية عليها كرها وانما هى ترمى فى سياستها الى استقلال هذه البلاد ٠

« ونهاية القول ، أن العقل لا يمكن أن يرتاح لقرار المؤتمر كيفما قلبه ومهما كانت العلة التى تتخذ أساسا لتبريره حتى اذا سلم بأنه بنى على حق القوى على الضعيف لأن حق القوى معناه الحرب [٣٧٢] والفتح ، ولا شك فى أن مصر لم تكن فى حالة حرب مع انكلترا بل كانت تحارب فى صفوفها وبجانبها ، ولم تفتح انجلترا (٢) مصر بل ان مصر على العكس من ذلك هى التى ساعدت انكلترا على فتح ما فتحته من بلاد العدو ٠

« نعم ان بعض الصحف أيدت تلك النظرية القائلة بأن الشعوب الشرقية لا يمكن معاملتها بما تعامل به الشعوب الغربية وأن المبادىء التى أعلنت فى هذا الشأن قد نشأت عنها وعود لم تحسب عواقبها ٠ فهل يريدون التمسك بمثل هذه النظرية ليهدموا فى زمن السلم تلك المبادىء السامية التى قامت الحرب على أساسها وليسحبوا بعد نيل النصر تلك الوعود التى وعدوا بها من اشترك معهم فى تشييد صرحها ؟ اذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يفسروا كيفية عدم تطبيق هذه النظرية فى جميع الأحوال بلا استثناء فاننا نرى بعض الأمم الشرقية التى آمنت بما صدر لها من الوعود قد تحققت آمالها فعلا ٠

« لم يبق الا فرض واحد لا مفر من التسليم به وهو أن الشعب المصرى اعتبر سلعة من السلع التى يتجر فيها وهذا التصرف هو الذى

---

(١) يشير صاحب المذكرات هنا الى سيطرة مصر على الحجاز بعد حروبها مع الوهابيين (١٨١١ ـ ١٨١٨) واشتراكها فى حرب المورة (١٨٢٦ ـ ١٨٢٧) ثم أخيرا حروبها ضد تركيا خلال الثلاثينيات وحتى تدخل الدول الأوربية بزعامة بريطانيا عام ١٨٤٠ وفرضها تسوية لندن الشهيرة على مصر ٠

(٢) يلاحظ أن صاحب المذكرات يكتب مرة انكلترا ومرة انجلترا ٠

كان ينقده الدكتور ولسون بشدة فى خطاباته التى كان يتكلم فيها على حق القوة وعلى وجوب انتهاء عصره لأنه تصرف جائر لا يتفق مع روح العصر الحاضر . انه ليشق علينا أن نفكر فى أن المؤتمر قد عاملنا هذه المعاملة ، غير أننا لسوء الحظ مضطرين لتقرير الواقع ، ومهما يكن من بواعث الاحترام الواجب لهذه المحكمة العليا ، فانه لا يسعنا الا اثبات [٣٧٣] الواقع كما هو لأن من الأوقات والظروف ما يكون فيه خطر على الانسان اذا هو لم يضح بكل شىء فى سبيل تقرير الحقيقة .

« ولقد كان للشعوب المهضومة الحق فى أن تجد ما يساعدها على التذرع بالصبر فيما مضى فى ذلك المثل الحكيم الذى وضعه الفيلسوف (روسو) وهو آن « القوى مهما بلغت قوته لا يضمن أن له الغلبة على الدوام » أما الآن وقد أثبت الرئيس ولسون بأجلى بيان أن من الأمور المقوتة التى تنفر منها الطباع أن تسود أمة على أمة ، فقد بلغ كره السيادة من نفوس الأمم المظلومة أنها أضحت تفضل الفناء على البقاء فى قيود الذل . ولا شك أنه ما كان لتلك المبادىء الجديدة الا أن تصادف فى مصر وسطا مستعدا لقبولها لأن مصر بلد من سلالة كريمة المحتد نشيطة المزاج اذا تولد فيها الأمل ، أثار غضبها على الذين يناوئونها فى استقلالها .

« ان الأمة المصرية لا تقبل أبدا أن تكون تلك السلعة العديمة القيمة التى تتداولها أيدى الأقوياء ، ولا شك أنها اليوم بعد التصريحات التى فاه بها ذلك الرسول الجديد فى عالم السياسة الذى تشف كلماته عن أسمى معانى الأدب وأرقها ، انها اليوم أبعد منها فى أى زمان مضى عن الرضا بمثل هذا المصير . فان مجرد خوفها من عدم تطبيق مبادىء الدكتور ويلسون على قضيتها قد دفعها الى تعريض صدور أبنائها وهم عزل من السلاح لنيران الرصاص القتالة ، ومن غريب الاتفاق أن تكون تلك الساعة هى التى تجتمع فيها عشرون دولة لتقرير موافقتها على الحماية البريطانية .

[٣٧٤] « ان مثل هذا الحل المحزن لا يكون من ورائه الا القاء بذور اليأس ، وعوامل الغضب فى قلب الشعب المصرى ، وقد قال الرئيس ولسون :

« ان الصلح لا يمكن أن يكون صلحا وطيد الأركان الا اذا اندثر به كل أثر من آثار الحقد فى قلوب الشعوب سواء كانوا أقوياء أو ضعفاء ، وكان العدل موزعا عليهم جميعا بدرجة واحدة ، بغير أقل تمييز بين قويهم وضعيفهم .

« فهل وقع الاختيار على الشعب المصرى ليكون ضحية تقدم فدية لحسن اتفاق الدول العظمى ؟ اذا صح ذلك فكيف يمكن التسليم بأن نكون نحن تلك الضحية ، ونحن أمة ذات تاريخ وماض مجيدين ، وما الذى كان نصيبنا لو كنا قد انضممنا لأعداء الحلفاء عوضا عن أن نتحمل معهم أعباء القتال ؟ .

« ان الواجب المفروض علينا ، بصفتنا نوابا عن الشعب المصرى ، يقضى علينا بأن نسمع المؤتمر صوت ذلك الشعب السيء الحظ الذى حرم دون غيره من التمتع بالعدل الذى عمت ظلاله على جميع الأقطار المسكونة ، وقد بات يرى أنه ما كان يعمل للاضرار بمصالحه باشتراكه فى العمل مع الحلفاء ، نعم وان صوته ليرتفع عاليا للاحتجاج لأنه وحده حرم من نعم الصلح ومزاياه مع أنه كان عاملا أمينا فى الحرب ، ولكن الأمة التى لها أمنية خاصة تضعها فوق كل احترام ، والتى تحس بشخصيتها وتشعر بحقوقها لا يمكن لأجنبى عنها أن يتصرف فى أمرها وهى دون غيرها صاحبة الحق فى البت فى مصيرها » .

الامضاء
سعد زغلول
رئيس الوفد المصرى

[٣٧٥] تلغراف الوفد الى مجلس شيوخ أمريكا

وفى ١٦ مايو سنة ١٩١٩ أرسل الوفد بباريس البرقية الآتية الى مجلس شيوخ أمريكا بواشنطن :

« ان الشعب المصرى ينظر الى عدالة ممثلى الديموقراطية الأمريكية العظمى المكرمين وانصافهم لنيل أمانيه الوطنية ، فقد أبى مؤتمر الحلفاء والدول المشتركة معهم أن يطبق المبادىء التى دخلت الولايات المتحدة الحرب بغية تحقيقها على مصر ، مع أنها ساعدت تلك الدول على النجاح بسخاء .

« اعترف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر من تلقاء نفسها سنة ١٩١٤ برغم ارادة الشعب المصرى كله ، اعترف المؤتمر بهذه الحماية دون سماع صوت مصر اعترافا يخرق

المبادىء التى أعلنتها أمريكا الحرة على لسان رئيسها المكرم اذ قال : (ان مصلحة الأمم الضعيفة مقدسة كمصلحة الأمم القوية سواء بســـواء) ٠ ولا يمكن أن يدرك أحد مصلحة مصر أكثر من الشعب المصرى نفسه ٠

« ان قرار المؤتمر لا يحرم مصر حقها الطبيعى الشرعى فى الاستقلال فقط بل يحرمها أيضا الصفة السياسية التى تمتعت بها منذ سنة ١٨٤٠ والتى أطلقت يدها فى ادارة شئونها الداخلية اطلاقا تاما ٠ وجعلت لها حق عقد المعاهدات التجارية مع الدول الأجنبية دون الرجوع فى ذلك الى تركيا صاحبة السيادة على البـــلاد (تراجع معـاهدة لنـدرة سنة ١٨٤٠) (١) ٠

[٣٧٦] « ويدل الاضطراب الحالى (٢) فى مصر على رغبـــة متأصـــلة فى نفوس الشعب المصرى فى استقلال بلاده اســـتقلالا تراعى فيــه مصالح السكان الأجانب بعناية تزيد عما كان عليه الحال حتى الآن ٠

« فهل يرضى الشعب الأمريكى أن يبرم حكم مؤتمر الصلح الذى معناه القضاء بالموت الأدبى على أكثر من ثلاثة عشر مليون نسمة ساعد آباؤهم العلم والمدنية البشرية مساعدات جمة ٠ وكان لجهودهم فى هذه الحرب العامة « الفضل الى حد كبير جدا فى الفوز الحاسم فى الشرق » ٠ كما قال الجنرال اللنبى (٣) نفسه ؟ هل يعقل أن يعامل الشعب المصرى الذى ضحى كثيرا فى سبيل فوز « الحرية والعدالة » كالمتاع الذى يمكن بيعه والسلع التى تنقل من يد الى غيرها ؟

« ولقد وجدت المبادىء التى دخلت الولايات المتحدة الحرب لأجلهـا فى وادى النيل منبتا خصبا حتى ان الذين خروا ضحايا رصاص الجنود فى القاهرة وغيرها من مدن الأقاليم كانوا دائما أبدا يهتفون بصـــوت خافت لكنه ثابت « ليحيى ولسون ٠٠ لتحيى أمريكا » ٠

---

(١) أدت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ والفرمانات اللاحقة لها خلال العام التالى (١٨٤١) الى أن يصبح لمصر وضع متميز أقرب الى الاستقلال الذاتى وهو ما لم تتمتع به أية ولاية عثمانية أخرى ٠ وقد نجحت مصر فى توسيع هذه القاعدة الاستقلالية خاصة من خــــلال الجهود التى بذلت فى عهد الخديو اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ٠

(٢) حرص سعد زغلول على استخدام تعبير الاضطراب بدلا من الثورة ولعله أراد بذلك عدم استفزاز الجانب البريطانى ٠

(٣) الفيلد مارشال ادموند اللنبى (١٨٦١ ـ ١٩٣٦) أحد قواد الحرب العـــالمية الأولى البارزين تولى قيادة حملة فلسطين سنة ١٩١٧ ، واصبح مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر (١٩١٩ ـ ١٩٢٥) ٠

فباسم الشعب المصرى كله أتقدم محتجا على حكم ينتهك فيما يختص بمصر ، حرمة المبادىء الانسانية والأمريكية التى ترمى الى عقد صلح عادل دائم » ٠

رئيس الوفد المصرى
سعد زغلول

[٣٧٧] **خطاب الوفد الى الرئيس ولسن**

رأى الوفد بعدئذ نفسه أمام قوم لا يصغون لصوت الحق والعدل. فالمساومات تجرى بينهم لصالح بلادهم على حساب الأمم الضعيفة ، ورأى نفسه كذلك أمام خصم قوى جبار لا تفيد معه أساليب الشدة ، لذلك لم يجد بأسا من أن يعيد الكرة بمحاولة طلب مقابلة الرئيس ولسن ، وهذه صورة خطابه الذى أرسله اليه :

[٣٧٨] « سيدى العزيز :

« سبق لى أن تشرفت فى ٢٢ ابريل الماضى بطلب مقابلتكم رجاء أن أعرض على سيادتكم بصفتى مندوب أمة متمدنة ذات تاريخ مجيد حالة الأمور الحقيقية فى مصر ، وأمانى أبناء وطنى القومية ٠ وقد ذكر الرد الذى تلقيته من سكرتيركم فى ٢٤ الماضى أن طلبى سيعرض على سعادتكم ، فى حينه ، ثم لم أسمع بعد ذلك شيئا ٠

« يرجع طلبى المقابلة الى حقيقة واقعة ، وهى أن آمال المصريين معلقة بشخصكم السامى باعتباركم واضع تلك المبادىء النبيلة وباعتباركم الرئيس المكرم للديمقراطية الامريكية العظمى ، الديمقراطية التى ما دخلت الحرب بغير مأرب ذاتى ، بل مجرد خدمة قضية الحرية والعدالة ٠

وأذكر ثانية أن موارد الولايات المتحدة العلمية استخدمت بتمامها مع الجهود الأدبية التى بذلتها الجمهورية ٠ ولم يكن استخدامها للدفاع عن نفسها ، ولا رغبة فى الفتح ٠ وليسمح لى أن أقول أيضا أنها لم تستخدم لتثبيت سيطرة أجنبية على بلاد لا تريدها بل استخدمت كما أكدتم سعادتكم لاقامة نظام عدالة دولية يجب أن تخضع لها الأمم القوية والضعيفة على حد سواء ٠

« ان تلك المبادىء التى أعلنت باسم الشعب الأمريكى لتكون قاعدة صلح ديموقراطى دائم تأصلت فى قلوب الشعب المصرى كله الى حد أنه ثار وهو أعزل من السلاح طلبا لتطبيق تلك المبادىء على قضية بلده ٠

[٣٧٩] « ولم يكن ليتزعزع ايمانه القاطع بالأربعة عشر نقطه ، وبخطاب ٢٧ سبتمبر الماضى ، وبغير ذلك من التصريحات ، وقد عجز رصاص الجيش البريطانى فى مصر عن أن يزحزح قيد أنملة اعتقاده الثابت فى مقدرتكم ومقدرة الشعب الأمريكى الى تحقيق المبادىء التى قاتل فى سبيلها وفاز بتحقيقها ·

« وقد رأى الشعب المصرى فى نفيى ونفى زملائى محاولة من السلطات البريطانية يراد بها حرمان البلاد من الاستفادة برعايتكم · ولكن ارادته تغلبت فأطلق سراحنا · وكان أول واجب قمنا به اذ وصلنا الى باريس أن طلبنا مقابلة سعادتكم · على أننا منعنا ذلك · ثم لم تنقض الا أيام قلائل حتى نشر فى جميع أنحاء العالم اعتراف حكومة الولايات المتحدة الامريكية بالحماية البريطانية على مصر ·

« ولكن الأنباء الواردة تدل على أن الخبر لقى فى مصر آذنا صماء اذ لم يكن فى استطاعة المصريين أن يتصوروا أن المبادىء التى جعلت العالم يعلل نفسه بعهد حرية ومساواة جديدتين هى التى تسجل العبودية على أمة بأسرها ·

« لقد كانت نتيجة قرار مؤتمر الصلح فى شأن مصر أن عمدت السلطات العسكرية البريطانية الى اتباع سياسة انتقام مطرد فى جميع أنحاء البلاد ، ونفذت فى المدن والقرى شر أنواع النهب ، وأحرق بعض القرى عن آخره آلاف الأسر عديمة المأوى ·

[٣٨٠] « ويحاكم الذين لا يحيون الضباط البريطانيين أمام المحاكم العسكرية ، حتى أن القضاة فى مديرية قنا أبوا أن يذهبوا الى المحاكم حتى لا يتعرضوا لمثل هذه المهانة ·

« ويستخدم الكرباج بغير حساب وتساء معاملة الأعيان ويسجنون وتنتهك أعراض النساء ، وقد حدث أن زوجا كان حاضرا وحاول أن يحمى شرفه فقتله الجنود بالرصاص ·

« كل هذا لأن الشعب المصرى اجترأ على أن يطلب تحريره سياسيا ، ولا مجال للشك فى أنه سيثابر على طلب حريته السياسية ، سيفعل ذلك وهو يعتقد اعتقادا ثابتا فى عدالة قضيته وموافقته من أعماق قلبه على المبادىء التى أعلنتموها سعادتكم فاما أن ينجح بمساعدة أمريكا أو يهلك ضحية ولائه وحسن اعتقاده ·

لهذه الأسباب أرجو أن تسمح سعادتكم لى ولأحد زملائى بمقابلتكم حتى نبين لكم حقيقة الحال فى مصر .

وأتشرف أن أكون لكم يا سيدى .

المخلص المطيع الخاضع
الامضاء
سعد زغلول

[٣٨١] **تصريح اللورد كيرزون فى البرلمان الانجليزى**

فى يوم ٢١ مايو نشرت الجرائد تصريح اللورد كيرزون الذى ألقاه فى البرلمان الانجليزى فى يوم ١٥ مايو . وقد تناول فيه سياسة حكومته ازاء المسألة المصرية .

واليك هذا التصريح كما نشرته شركة روتر التلغرافية :

« لندن فى ١٥ مايو — رد اللورد كيرزون على سؤال ألقاه مركيز كروى (١) يتعلق بالحالة فى مصر ، فبعد أن قال أنه يرحب بالفرصة التى تمكنه من ابداء بيان عن الحالة قال :

« مضى الآن ستة أسابيع منذ تصريحى الذى ألقيته فى مجلس سيادتكم فى هذا الموضوع وقد طرأ فى خلال تلك المدة بالطبع تحسن فى الحالة فى مصر ، ولو أنه لا يمكن وصف الحالة بعد بأنها تبعث على الرضا والارتياح ، وقد أعطيت جميع المعلومات التى لدينا للصحف فنشرت أنباء كاملة للحوادث الأخيرة وقد عاد النظام فى المديريات بالاجمال وعاد الزارعون الى العمل . على أنه وقعت فى بعض المدن ولا سيما فى القاهرة قلاقل متقطعة تطلب اخمادها استخدام القوة ، ولا يزال الأزهر مركزا للتحريض ، ولقد لعب الطلبة فى طول المدة أكبر دور فى التحريض على المشاغبات ، أما فيما يتعلق بما حدث فى المديريات فقد قرأتم سيادتكم بهلع وسخط عن قتل ثمانية من الضباط والجنود البريطانيين قتلا ينطوى على الجبن وهم عائدون فى اكسبريس الوجه القبلى من أجازة فى الاقصر . وقد وقع ذلك منذ أسابيع كثيرة فى الأدوار الأولى من الاضطرابات ، ويؤخذ من الأنباء التى وردت بعد ذلك أن الذين اقترفوا هذه الجريمة هم [٣٨٢] الفلاحون المحليون وليس البدو كما ظن أولا . وليس فلاح الوجه القبلى بطبيعته ميالا الى العنف والشدة ولكن قد تفضى الأنباء التى أذيعت عن أعمال الاعتداء التى اتهم الجنود البريطانيون بارتكابها كحرق المساجد

(١) عضو مجلس اللوردات .

والاعتداء على النساء فى مثل هذه الأحوال الى وقوع مثل هذه الوحشية على أن المسألة بأجمعها هى الآن موضع البحث والتحقيق القضائى ، وسيجرى العدل مجراه .

« وقد وقع فى القاهرة أيضا اعتداء منظم على الأرمن المساكين ، وقد قتل منهم أربعون أو جرحوا ، وتطلب الأمر جمع بضعة آلاف منهم وضعوا فى معسكرات المهاجرين تحت حماية الجنود البريطانيين ولا مشاحة فى أن مثل هذه الحوادث لا شأن لها بالحكم البريطانى ولا تدل على شىء غير وجود يد للأتراك من وراء الستار (١) ، وعندى أن أعمال الاعتداء هذه وتدمير أملاك اليونانيين فى مدن المديريات تفسر تفسيرا ينطوى على التثقيف والتهذيب واحتجاج الوطنيين القائل بأن حركتهم ليست موجهة ضد الأجانب . وقد بذلت المساعى لاقامة صورة تمثل أن الجنود البريطانيين فى مصر ارتكبوا أعمالا تنطوى على القسوة والتوحش . ومثل هذه التهم هى الكيفية الطبيعية التى يتخذها الوطنيون فى بث دعوتهم وهى بعيدة كل البعد عن الحقيقة . فقد أظهر الجنود جلدا يشكر فى أحوال مؤلمة خصوصا اذا تذكرنا أنه عدا حادثة الاعتداء على اكسبريس الاقصر التى أشرت اليها فيما سبق ، قد وقع كثير من حوادث القتل الشنيع الذى قتل فيها الرعاع الوطنيون جنودا بريطانيين منفردين وغير مسلحين ، [٣٨٣] وقتل رجال الدوريات والحراس بواسطة الرماة كما وضعت لهم المكامن بدون أدنى تحرش منهم . ويسرنى أن أقول ان كثيرا من الأنباء المختلفة التى وردت ونشرت فى بعض الأحيان عن أعمال الاعتداء وقتل الملكيين والنساء البريطانيين فى المنطقة المتطرفة لم يظهر له أثر من الصحة . هذا اذا استثنينا قتل مفتش بريطانى فى السكة الحديدية فى الواسطى وسوء معاملة زوجته . ولكن بعض الملكيين نجوا بأعجوبة . وقد أظهر المصريون فى أحوال معينة بسالة وتفانيا فى انقاذهم .

« وفى أوائل شهر ابريل أضرب جميع موظفى الحكومة (٢) تقريبا عن العمل للاضرار بمصلحتهم الشخصية ولخسارة أبناء وطنهم وازعاج خواطرهم وقد فشلت جميع المجهودات التى بذلها رشدى باشا والوزراء المصريون لحملهم على العودة الى أعمالهم . ومن بين المطالب التى طلبوها (الموظفون) استقلال مصر التام والاعتراف حالا بسعد زغلول وزعماء الوطنيين كممثلين للأمة المصرية .

---

(١) خلال هذه الفترة كانت الحرب على أشدها بين أتاتورك وبين اليونانيين الذين يساندهم البريطانيون .

(يرجع الى كتاب : جرانت وتمبرلى : أوربا فى القرنين ١٩ ، ٢٠) .

(٢) انظر المذكرات ص ٢٤٩ وما بعدها .

« وفى يوم ٢٢ ابريل أصدر الجنرال اللنبى منشورا دعاهم فيه الى العودة الى العمل فى الحال وتهدد من لا يرجع منهم بالرفت • وقد كان لهذا المنشور التأثير المطلوب • ان لم تمض مدة وجيزة حتى عاد أغلب الموظفين ، الى أعمالهم • كذلك أمر الطلبة الذين كانوا قد غادروا مدارسهم وكلياتهم بالعودة الى العمل يوم ٣٠ مايو غير أنه لم يعد منهم غير نسبة قليلة فأغلقت المدارس •

[٣٨٤] « وقد قرر الجنرال اللنبى على اثر وصوله بما خول له من السلطات المطلقة كمندوب سام خاص أن يسمح لكبار الوطنيين أن يغادروا مصر الى أوربا وأن تعطى نفس الحرية للزعماء الأربعة ومنهم سعد زغلول الذين كانوا معتقلين فى مالطة وقد أفضت هذه المنحة الى تأليف وزارة مصرية فى الحال برياسة رشدى باشا وكانت المهمة الكبرى لهذه الوزارة حمل موظفى الحكومة على العودة الى العمل ولكنها فشلت فى مهمتها هذه تماما • وبعد أن ظلت نحو أسبوعين فى مركزها استقالت فى ٢٢ أبريل ، ومنذ ذلك التاريخ تدار شئون مصر بدون مساعدة الوزراء الوطنيين •

« ومن خلال ذلك وصل سعد زغلول وزملائه الى باريس فى أبريل وقد أطلقوا على أنفسهم اسم الوفد المصرى الوطنى ، ولكن التمتع بالاكتتابات الوافرة والقدرة على انفاق هذه الاكتتابات لم تظهر لها حتى الآن نتائج معينة •

« وفى ٢٢ اعترف الرئيس ويلسون بالحماية البريطانية على مصر ، وبمنشور ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ (١) وكانت فرنسا والحكومة الروسية الامبراطورية الأخيرة قد اعترفتا بحمايتنا ، كما أعلن فى سنة ١٩١٤ ، وقد وضعت كما تعلمون سيادتكم مادة فى معاهدة الصلح مع دول الأعداء دعوا فيها الى الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر • وعليه لا يمضى غير زمن يسير حتى تنال الحماية الاعتراف التام وسيأتى وقت - ان لم يكن قد أتى - يسأل فيه المعتدلون وذوو الرزانة من المصريين أنفسهم عما اذا كانت الحركة من الأمور التى تستحق القيام بها وعندها [٣٨٥] يخصصون التبعة بينهم • وانى أقول بكل أسف أن الأضرار التى لحقت مهمات السكة الحديدية والمواصلات فى خلال الاضطرابات كانت شديدة جدا ، فقد دمرت مصنوعات وآلات لازمة لا يمكن اصلاحها أو استبدال غيرها بها بسهولة وقد كان لمشاق النقل والسفر تأثير سىء ولكن سيظهر تأثير ذلك أكثر فى أواخر الصيف اذا ما حان وقت نقل

(١) منشور ١٨ ديسمبر اعلان بوضع مصر تحت حماية بريطانيا العظمى وزوال سيادة تركيا •

المحصول وستقع الخسارة والمشقة على كاهل أصحاب الأراضى والمزارعين الذين يحتمل اشتراكهم فيها ، على أنهم سيدركون عما قريب أنهم هم الذين سيتحملون الخسارة أكثر من غيرهم وأنهم قد ضلوا سواء السبيل •

« ترى ماذا يجنيه هذا الاضطراب فى مصر ، مع ما صحبه من الخسارة فى الأرواح والآلام العامة وتدمير الممتلكات ؟ فاذا كان الغرض من هذا الاضطراب وضع حد لعلاقة البريطانيين بمصر والحصول على استقلال مصر فقد قضى عليه بالفشل ، ولا يمكننى أن أصرح بلهجة أكثر تأكيدا بأن حكومة جلالة الملك لا تنوى مطلقا أن تتجهل أو تتخلى عن القيود والتبعات التى تحملتها عندما وضعت مهمة حكم مصر على عاتقها ، وهذه القيود والتبعات قد تأيدت باعلان حمايتنا على البلاد • وهذه الحقيقة تقدر تقديرا عاما ليس هنا فقط بل يقدرها الرأى الأجنبى الواقف على مجرى الأحوال جيدا ممن لهم مصالح فى مصر ، ويهمهم فلاحها والحكم الطيب فى المستقبل • أما اذا كان الغرض من هذه الاضطرابات لفت النظر الى الأمانى المشروعة والشكاوى والتبرم من نظام الادارة الحالى فان هذه ليست الوسيلة التى يمكن الوصول بها الى هذه الغاية •

[٣٨٦] « والحكومة البريطانية مستعدة دائما أن تعير سمعها بأعظم عطف الى كل ما يقوله الوزراء المصريون أو المندوبون المسئولون عن الرأى المصرى فى هذه المواضيع وليس لدينا أية نية على أن نضع قرارا بشأن شكل الحماية أو بشأن التغيرات الادارية التى قد تكون لازمة فى جميع هذه المسائل التى تمس مصالح المصريين مسا جوهريا • بدون أن تعطى المصريين الفرصة التامة لابداء آرائهم ، وقد أعطيت تأكيدات بهذا المعنى للسلطان الحالى ، وقد كنا على استعداد تام لسماع أقوال سعد باشا وزملائه ، لو لم يبدأوا أعمالهم بطلب انسحابنا التام من البلاد وهو شرط مستحيل لا يصلح أن يكون قاعدة لبحث معقول وحكومة جلالة الملك آخر من يقول بعدم وجود أمانى حقة للمصريين أو شكاوى ، وستعطى تلك الأمانى الحقة على مر الأيام وعند ثبوت الدعوى قسطا من الوطنية يزداد زيادة دائمة • أما الشكاوى فيجب الاعتراف بها ولكن يجب عدم المغالاة فيها ، قل أن توجد فى العالم أمم لم تتحمل ويلات ومشاق فى خلال الحرب ، وقل منها من كان فى مركز سعيد كمصر التى استطاعت الافلات بفضل الحماية البريطانية من الخسائر والآلام والحرمان فى الأعوام الأربعة الماضية الى درجة عظيمة ، فقد زاد احتياطى الحكومة المصرية ثلاثة أضعاف وازدادت الثروة القومية زيادة عظيمة بسبب أسعار القطن وجميع المحصولات الزراعية المرتفعة ، ولا يوجد ما يحمل على الظن أن الأهالى بالاجماع لم ينالوا قسطا فى حركة اليسر العامة ، غير أنه فى مصر كما

في البلاد الاخرى لم ينل الموظفون والمستخدمون وسكان المدن فائدة توازى فائدة المزارعين فرأت هذه الطوائف صعودا في الأسعار لا يوافق مطلقا الزيادة في دخلهم ولا شك في أن ذلك سبب شيئا من التبرم . [٣٨٧]

« وكان من الصعب أن تأمن مصر العدوى من تيارات الاضطرابات العامة وعدم الرضا والمطالب السياسية المهمة التي تجتاح العالم أجمع وهي نتيجة أزمة دامت أربعة أعوام . ولا يوجد أي شك في أن كرامة نفس الطبقة المتعلمة قد جرحت لعدم ايجاد مركز لمصر في مؤتمر الصلح الذي حضره مندوبو امبراطورية الهند ومملكة الحجاز . ولقد أظهر انتشار الاستياء الذي سببه عدم السماح لسعد زغلول وحزبه بالسفر الى أوربا للدفاع عن قضية استقلال مصر مقدار ما كان لتهييجهم من النجاح وقد سبب الغاء الامتيازات المتوقع خوفا لا مبرر له من جعل المحاكم المصرية انكليزية بعد ذلك الالغاء . وظهرت هناك مخاوف أخرى من أن يكون في عزمنا استبدال كثير من الموظفين المصريين بالموظفين الانجليز .

« ويظهر فوق ذلك أن ما عرض على رشدي باشا بصفة خصوصية من اقتراحات تخص بالاصلاحات الدستورية قد سبب أيضا خوفا شديدا في النفوس لا مبرر له خصوصا لأن المبادىء السياسية التي بنيت عليها هذه الاقتراحات لم يكن لها أي تعضيد هنا .

« أما أسباب استياء طبقة المزارعين فمن السهل ادراكها وقد شهد جميع الذين تولوا القيادة العامة البريطانية في مصر بالخدمات الجليلة التي أدتها لجيوشنا فرقة العمال المصرية وفرقة الجمالة . وكان عدد رجال هاتين الفرقتين عظيما في السنتين الأخيرتين (١) . [٣٨٨]

« هذا عن الماضي ، ولا شك أن حضراتكم تنتظرون مني أن أقول شيئا عما تراه وتنويه حكومة جلالة الملك في المستقبل خصوصا وقد طلب الى ذلك حضرة المركيز ، فقد كانت حكومة جلالة الملك تنوي دائما انتداب لجنة عظيمة الى مصر بعد انتهاء الحرب ، ومفاوضات الصلح ، فتحدد هذه اللجنة صفة الحماية الجديدة وتعرض رأيها فيما يختص بادارة البلاد في المستقبل لذلك ترى حكومة جلالة الملك أن تقترح انتداب لجنة خاصة عرضت رياستها على اللورد ملنر للتحقيق عن أسباب الاضطرابات الأخيرة في

(١) كان لما اتبع خلال أواخر الحرب من تجنيد المصريين بالاجبار في فيالق العمال تأثيره البالغ في اثارة الريف المصري ، لما كان يتبع في هذا التجنيد من أساليب شابها الفساد والسخرة وأدت الى أن تصبح (السلطة) بين الفلاحين رمزا لاغتصاب كل ما هو عزيز حتى انتشر الموال الذي جاء فيه « والسلطة خدت ولدي » .

مصر وللبحث فى الحالة الحاضرة وفى شغل النظام الدستورى الذى يعود على مصر بالسلام واليسر والنجاح والتقدم فى سبيل الحكم الذاتى وحماية المصالح الأجنبية فى ظل الحماية . وسترسل هذه اللجنة ـ بعلم المندوب السامى الخاص وموافقته ـ وستستند الى معاونته ومشورته . وفى هذه الأثناء يهيىء الجنرال اللنبى لها السبيل فى عملها بمباشرة تحقيق محلى منظم عن أسباب الاضطرابات الأخيرة وشكاوى الفلاحين . فان المعلومات التى سيحصل عليها بهذه الطريقة ستكون ذات فائدة كبرى للجنة الخاصة متى وصلت الى القطر المصرى ، وانى أظن وأعتقد عن صدق بأن نتيجة أعمال هذه اللجنة ستكون ازالة سوء التفاهم وستثبت الحماية البريطانية على مصر على قواعد توجب رضا الدولة الحامية وسكان البلاد على نسبة واحدة .

[٣٨٩] « اننا لم نعقد النيــــة على قمع الشـــخصية المصرية ، وبالعكس اننا نقبل المبدأ الذى بموجبه يعطى المصريون نصيبا يزداد مع الأيام فى حكم بلادهم . ورغبتنا الشديدة أن نرى مصر فى ظل حمايتنا تتقدم فى سبيل اليسر والتنور وتحصل على المركز الذى تستحقه كدولة اســلامية كبرى » .

تأليف وزارة سعيد باشا

٢١ مايو سنة ١٩١٩

استقالت الوزارة الرشدية فى ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩ بعد أن عجزت عن تلافى الخطر الحال بالبلاد ، وظلت مصر شهرا تحكم بغير وزارة مسئولة حتى قبل دولة محمد سعيد باشا (١) تأليف الوزارة الجديدة فى ٢١ مايو ١٩١٩ فى نفس اليوم الذى نشر فيه تصريح اللورد كرزون .

وقد قوبل خبر تأليف الوزارة بالاستياء الشديد من جميع طبقات الأمة وعدوه خروجا على الوحدة القومية واضعافا للحركة المصرية ولم يقلل من هذا الاستياء ما أذيع وقتئذ من أن هذه الوزارة وزارة ادارية محضة ليس لها صبغة سياسية ستقتصر مهمتهـــا على تصريف الشـــئون الادارية المحضة ، تاركة الشئون السياسية للوفد المصرى وحده .

(١) كان محمد سعيد باشا رئيسا للوزارة المصرية التى خلفت وزارة بطرس غالى بعد اغتيال هذا الأخير عام ١٩١٠ واستمر يتولى هذا المنصب حتى بداية عام ١٩١٤ ، وقد اشتهر عهده بمطاردة الوطنيين ، كما اشتهر بخصومته لسعد زغلول .

ولقد زعم سعيد باشا ـ كما سيأتى ـ أن وزارته ادارية لا تمت الى السياسة بسبب ، وهذا يغاير المعقول ، حتى ولو كان الزعم صحيحا ـ أن عمل الوزراء بطبيعته سياسي ٠

والى القارىء نصوص المواثيق الرسمية الخاصة بهذا الشأن وجواب سعيد باشا كما سنرى خال من ذكر أى برنامج للوزارة :

[٣٩٠] خطاب عظمة السلطان

« عزيزى محمد سعيد باشا

« ان لكمال وثوقنا بدولتكم ولما نعهده فيكم من مزايا الجدارة والقدرة فى القيام بمهام الأمور قد اقتضت ارادتنا السنية السلطانية توجيه مسند رياسة مجلس وزرائنا مع رتبة رياسته الجليلة لعهدة لياقتكم وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم لبذل الهمة فى انتخاب وتاليف هيئة الوزراء وعرضه لجانبنا لصدور مرسومنا العالى به ٠ والله المسئول أن يمدنا فى كل الأمور بعونه وعنايته وأن يوفقنا جميعا للعمــــل بما ينفع البـــلاد والعباد ان شاء الله » ٠

٢٠ مايو ١٩١٩

« فؤاد »

[٣٩١] جواب محمد ســـعيد باشا

« يا صاحب العظمة :

« بيد الاجلال تلقيت أمركم الكريم الذى تفضلتم فيه بتكليفى تاليف الوزارة الجديدة ٠

« فاقدم لعظمتكم شعائر الشكر والامتنان على ما تعطفتم به نحوى من دلائل الثقة العالية المقرونة بالاحسان برتبة « الرياسة » الجليلة ٠

« ومع علمى بصعوبة المركز وما يحف به من المشاق لم يكن فى وسعى الا امتثال أمركم السامى لكى أقوم بما هو مفروض علينا جميعا من خدمة الوطن تحت ظلكم الكريم وبحسن رعايتكم الفخيمة ٠

« وانى أتشرف بأن أعرض على أنظاركم العالية أسماء حضرات لوزراء

الذين اخترتهم لمعاونتى على القيام بهذه المهمة ، وقد حفظت لنفسى مسند وزارة الداخلية ، فاذا صادف هذا الانتخاب قبولا لدى عظمتكم ، فألتمس التكرم باصدار المرسوم السلطانى باعتماده .

« ولا زلت لمولاى العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الأمين » .

(محمد سعيد)

[٣٩٢] المرسوم السلطانى

« نحن سلطان مصر

وبعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ .

« وبعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر فى ٢٠ شعبان ١٣٣٧ (٢٠ مايو ١٩١٩) وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء

« رسمنا بما هو آت »

« المادة الأولى »

« عين : ـ محمد سعيد باشا ـ وزيرا للداخلية
واسماعيل سرى باشا ـ وزيرا للأشغال العمومية
وللحربية والبحرية
ويوسف وهبه باشا : وزيرا للمالية
وأحمد زيور باشا ـ وزيرا للمعارف العمومية
وعبد الرحيم صبرى باشا ـ وزيرا للزراعة
وأحمد ذو الفقار باشا ـ وزيرا للحقانية
ومحمد توفيق نسيم بك ـ وزيرا للأوقاف .

المادة الثانية

وعلى رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا » .

« فـؤاد »

بأمر الحضرة السلطانية ـ رئيس مجلس الوزراء »

« محمد سعيد »

هذا وقد أنعم السلطان برتبة الباشوية على محمد توفيق نسيم بك وزير الأوقاف العمومية .

[٣٩٣] **الاحتجاج على تأليف وزارة سعيد باشا**

قوبل نبأ تأليف وزارة سعيد باشا كما قوبل تصريحه السالف باقامة المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية لأن الأمة لم تطمئن لما حواه هذا البرنامج وتوالت بعدئذ عرائض الاحتجاج ترفع الى المسامع السلطانية كما تعددت المظاهرات فى بعض المدن الأخرى ·

وفى يوم ٢٥ مايو ١٩١٩ أقيمت مظاهرة كبرى بالاسكندرية تدخل فيها الجنود البريطانيون فجرح ضابط بريطانى وقتل أحد المتظاهرين كما قبض على كثير منهم ·

وفى يوم ٢٧ مايو ١٩١٩ اجتمع خلق كثيرون فى الجامع الأزهر وألقيت الخطب احتجاجا على تأليف وزارة سعيد باشا (١) ·

على أن الوزارة فى هذا الوقت كانت ترجو تنفيذ برنامجها الذى اختطته على نفسها بقدر المستطاع فأذاعت المنشور الآتى على السكان فى ٢٨ مايو ١٩١٩ وهو :

[٣٩٤] **تصريح دولة محمد سعيد باشا بعد تأليفه الوزارة**

لم يكن يدور فى خلد مصرى أن يقدم انسان على تأليف وزارة فى هذا الوقت العصيب فكان طبيعيا أن تقابل وزارة محمد سعيد باشا بالاستياء الشديد من المصريين ولقد أحس سعيد باشا نفسه بهذا فصرح لجريدة مصر فى ٢٢ مايو سنة ١٩١٩ ببرنامج وزارته الذى ننشره فيما يلى :

---

(١) تعددت أشكال الاحتجاج على تأليف وزارة محمد سعيد ، ففى يوم الجمعة ٢٣ مايو تألفت ضدها مظاهرة بالاسكندرية (وسعيد باشا من أهلها) عقب صلاة الجمعة بمسجد أبى العباس المرسى وطافت فى بعض الشوارع ثم فرقها البوليس وفى يوم الأحد ٢٥ منه قامت ضدها مظاهرة أخرى أكبر من الاولى اذ عقد اجتماع كبير فى مسجد أبى العباس وخرج المجتمعون فى مظاهرة سارت فى شوارعها تهتف ضد الوزارة وتدخل الجنود البريطانيون فجرح ضابط بريطانى وقتل أحد المتظاهرين وقبض على كثير منهم وشيعت جنازة القتيل فى مشهد رهيب ·

وعقد اجتماع كبير فى الأزهر ألقيت فيه الخطب العدائية ضد الوزارة وبالجملة كانت هدفا لتيار كبير من السخط العام ، وفى ذلك يقول سعيد باشا فى حديث له بجريدة « الطان » الباريسية : انى لا أجهل الطعن الشديد الموجه الى وزارتى فانه لا يمر يوم الا ويكون زملائى كما أكون أنا نفسى موضع تهديدات توجه الينا مباشرة ولا يخفاك أنه قد أطلقت فى احدى الليالى طلقات نارية على منافذ منزلى وكان الهياج من الشدة بحيث يستحيل أن يهدأ مرة واحدة ، غير أنى مع ذلك ممتلىء ثقة بوطنية المصريين وحكمتهم ·
عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ·

١ ـ أن الوزارة مصرية وطنية قبل كل شيء ، لا تسعى الا لما فيه صالح البلد .

٢ ـ ستكون مهمتها تسيير الأمور المعطلة واعادة النظام الداخلي الى السلطة المدنية حتى تزول الشكاوى من النظامات الحالية .

٣ ـ ليست لها مهمة أو صبغة سياسية (١) خصوصا وأن المسألة المصرية يبت فيها في مؤتمر الصلح العام .

٤ ـ لا تبت في شيء بالنسبة لمركز مصر السياسي .

٥ ـ تجتهد في أن تعود الجمعية التشريعية الى الانعقاد والعمل .

٦ ـ تبتدىء حالا في السعي في رفع الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية الحاضرة والغاء الرقابة على الصحف .

٧ ـ تسعى منذ الآن في الغاء قانون المطبوعات .

٨ ـ تسعى بكل ما يمكن من الوسائل لتحقيق أماني الشعب المصري القومية بأسرع ما يمكن .

٩ ـ لن تبيح أي ارغام أو ضغط على الأفراد أو المجموع خصوصا فيما ليس فيه صالح للوطن .

١٠ ـ ترجو الا تصدر الأمة حكما الا بعد أن تظهر بوادر أعمالها » .

[٣٩٥]

(منشور وزارة محمد سعيد باشا للأهالي)
ـ بتاريخ ٢٨ مايو ١٩١٩ ـ

نظرا لحلول شهر رمضان المبارك الذي قضت الأوامر الدينية والعادات المألوفة عند المسلمين باحياء لياليه بالتقرب الى الله بالصلوات والدعوات الى ما هنالك من صلة الأرحام والتزاور بين الناس ، قد رأى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية تمهيد الوسائل للاحتفاظ بهذه السنة الحميدة والعمل على استمرارها فلذلك بذل في هذا السبيل سعيه الموفق حتى انتهى الى الاتفاق مع السلطة العسكرية على ازالة بعض القيود لأجل زيادة التسهيل على المسلمين في التفرغ أثناء هذا الشهر المبارك الى احياء لياليه بقراءة

---

(١) ليس هذا صحيحا اذ تشير الوثائق البريطانية انه كان من اهداف وزارة سعيد باشا تأليف جماعة سياسية جديدة تمثل التيار المعتدل وتتعاون مع الوجود الاحتلالي لتواجه الوفد . (انظر : د. يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٣ .) .

القرآن الكريم واستماع الذكر الحكيم وتأدية سائر العادات التى ألفوها فى مثل هذا الشهر المبارك (١) ·

« وعلى ذلك فقد صدرت الأوامر المؤكدة الى رؤساء المناطق العسكرية المختلفة فى القطر المصرى بعدم التضييق على المسلمين فى استعمال الأنوار بمساكنهم وعدم التعرض لهم فى غدوهم ورواحهم للتزاور خارج بيوتهم مع احترام ما جرت به عادة الكثير منهم من حيث تمضية ليالى هذا الشهر المبارك كلها أو بعضها فى المطاعم والقهوات · كل ذلك لكى يتمكن المسلمون كل التمكين من الاجتماع وتأدية الصلوات المفروضة والمشرفة وتلاوة القرآن الكريم واستماعه وقراءة ما جرت فيه العادة من الأدعية والأحزاب والأوراد ونحوها فى مساكنهم ·

« وفوق ذلك فقد صدرت الأوامر المشددة الى المناطق العسكرية باجتناب أى عمل يكون من شأنه الحيلولة دون قيام المسلمين بشعائرهم وفروضهم وعاداتهم المألوفة فى هذا الشهر المبارك وقد صدرت الأوامر المشددة أيضا بتفهيم الجنود ما لهذا الشهر الكريم عند المسلمين من المكانة الممتازة والحرمة الخاصة حتى لا يتطرق الى أذهان هؤلاء الجنود أن تلك الاجتماعات لها مغزى سياسى اذ أنها فى الحقيقة ونفس الأمر لا تخرج عن كونها احتفالات دينية محضة · [٣٩٦]

« هذا ولا يزال دولة الوزير يواصل الاهتمام بكل أمر يترتب عليه راحة الأمة ورفاهيتها والله الموفق للخير » ·

وقد احتفل المسلمون فى ٢٩ مايو ١٩١٩ برؤية هلال رمضان المعظم فكان احتفالهم بهذا اليوم رائعا اذ انقلب الى عيد قومى تجلى فيه الآخاء والتضامن بين عنصرى الأمة المصرية : المسلمين والأقباط ، ولقد زار الأقباط اخوانهم المسلمين فى الجامع الأزهر بالقاهرة وفى جامع أبى العباس بالاسكندرية لتنهئتهم بهذا الشهر المبارك ·

وفى ٣٠ مايو سنة ١٩١٩ تمكنت الوزارة من استصدار أمر بالافراج عن ١٣ شخصا من المعتقلين فى رفح (٢) كما تمكنت أيضا من اخلاء سبيل تسعة من المعتقلين فى القاهرة فى أول يونية سنة ١٩١٩ ·

ولكن اعتداءات السلطة العسكرية لم تقف عند حد بل استمرت تقبض على الآمنين من الناس · ففى ٣١ مايو ١٩١٩ ألقت القبض على حمدى بك وكيل مديرية المنيا وقد انتحر قبل محاكمته كما قبضت على الاستاذ يونس

(١) محاولة من وزارة سعيد لاجتذاب الشعب من خلال استرضاء الشعور الدينى ·
(٢) كانت رفح مكانا من الأماكن العديدة النائية لاحتجاز الثوار ·

صالح بك رئيس نيابتها وأحد القضاة فيها · وتهمة الجميع أنهم حاولوا انتقاض الحكومة وتأليف حكومة مستقلة ابان الثورة فى مارس المـاضى ، وكذلك ألقت السلطة القبض على أحد مأمورى المراكز بمديرية أسوان ·

ومما يجب ذكره أن سعيد باشا لما خوطب فى أمر التوسط لهؤلاء فى الافراج عنهم أبى قائلا أنه لا يستطيع التدخل فى أمرهم ·

[٣٩٨]

التلغراف المشئوم

لما سافر الوفد الى أوربا بعد تشكيل اللجنة المركزية انقطعت أخباره مدة ليست بالقصيرة شغلت بسببها أفكارنا وتضاربت الخواطر فى كنهها ولم يرد منه أى خبر الا البرقية الآتية فى ١٣ مايو ١٩١٩ :

« **محمود باشا سليمان بمصر :**

من يوم وصولنا والأبواب مقفلة وحبط كل مجهود وسعى ، ولقد اعترفت ألمانيا فى معاهدة الصلح بالحماية » ·

فازداد القلق بعد وصول هذه البرقية ، ويحسن بى أن أذكر هنا الأثر الذى أحدثته هذه البرقية وبأن به(١) من الوسائل لازالة ذلك فى نفوس رجال لجنة الوفد ·

وقبل منتصف شهر مايو ١٩١٩ أثناء اشتغالنا بمكتبنا الخصوصى بالأعمال الخاصة بالحركة الوطنية جاء لزيارتنا كل من حضرات ابراهيم بك الهلباوى والسيد بك خشبة وعلى بك محمود وحفنى بك محمود ــ وكلهم من أعضاء لجنة الوفد المركزية ــ وكانت علامات الحزن والتأثر بادية عليهم جميعا بحالة تلفت الأنظار ، فبعد أن سلموا قلت لهم ما خطبكم ؟ وما سبب هذه الكآبة البادية عليكم ؟ فقدم الى أحدهم وهو حفنى بك محمود البرقية السالفة الذكر · فلما تلوتها كدت أصعق أولا : لصيغتها الموجبة لليأس ، وثانيا : لأنها اذا علمت الأمة بما فيها فلا يعلم الا الله ماذا تكون نتائجها ، لذلك قصرت تفكيرى فى حمل محضريه على أن أدخل فى روع القادمين على أنها مزورة ·

وبعد تردد وتفكير طويلين أخذت فى التظاهر بالضحك العالى مدة طويلة حتى خيل اليهم أننى مسست فى عقلى من تأثير الصـــدمة ، حتى

[٣٩٩]

انهم نظروا الى بعيـــون جاحظة وأفواه فاغرة وعندئذ قلت لهم ان هذا

(★) تسلسل الصفحات من ٣٩٦ الى ٣٩٨ وصفحة ٣٩٧ غير موجودة بأصل المذكرات ·

(١) غير متسقة وتصبح مفهومة لو كانت « وما استخدم من الوسائل ···· » ·

التلغراف مفتعل فقالوا : وكيف ذلك ؟ فقلت لهم : ألا يوجد معكم تلغرافات واردة اليكم من الأقاليم فوضع كل منهم يده فى جيبه وأخرج ابراهيم بك الهلباوى والسيد بك خشبة تلغرافات كانت قد وردت اليهما فى بلديهما فطلبت منهما بسطها وعندئذ ظهر الفرق الكبير بين تلغرافاتهم وتلغراف الوفد اذ أن التلغرافات المتـــداولة بين بلاد القطر تكتب عادة على ورق الكربون فتطبع الكتابة على ظهر الورقة ، أما التلغرافات الواردة من الخارج فتكتب بالطريقة العادية وبذلك انطلت الحيلة عليهم أجمعين واعتقدوا بأن التلغراف المذكور مفتعل ، وأظهر الهلباوى بك ارتيـــاحه واعتقاده بنجاح قضيتنا ٠

ولكننى لم أكتف بذلك لأننى - بينى وبين نفسى - كنت معتقدا أن هذا التلغراف آت من الوفد بلا شك - بل أردت ألا يتسرب خبره الى خارج الغرفة التى كنا بها لهذا وجهت اليهم القول قائلا :

- هل تعتقدون أن الأمة كلها معنا ؟ وأنه لا يوجد بالبلاد من يتمنى عدم نجاح الوفد فى مأموريتـــه لحزازات شخصية بينـــه وبين الرئيس أو الأعضاء ؟ ٠

فقالوا جميعا :

- لا نعتقد ذلك بل بالعكس نعتقد أن هناك أشخاصا يودون الفشل لا لشىء سوى الغيرة والحقد ٠

فقلت لهم :

[٤٠٠] - حينئذ يجب علينا بعد أن وثقنـــا وتأكدنا بعدم صحة هـــذا التلغراف ألا نشيعه ؟ ٠

فقالوا : نحن نوافق على ذلك ٠

فقلت : حينئذ : اذن فلنقسم بأغلظ الأيمان بألا نذيع شيئا عن هذه البرقية حتى ولا الى محمود باشا سليمان رئيس اللجنة وابراهيم باشا سعيد وكيلها ٠

وبالفعل أقسمنا جميعا على الكتاب والسيف والشرف ألا نذيع شيئا عن هذا التلغراف قطعيا ٠ وهكذا دفن هذا التلغراف بين أوراقنا الخاصة بالقضية الى أن أفرج عنا سنة ١٩٢٤ ٠

ولكننى لم أرد أن أترك هذا الحادث يمر بدون أن أفهم سعد باشا أن ارسال مثل هذه البرقية باللهجة التى صيغت بها كان يجوز أن يحدث ما لا تحمد عقباه لو علمت به البلاد ٠

لذلك أرسلنا اليه بعد أن انتظمت المراسلات بيننا وبين الوفد الاشارة الآتية :

« جاء تلغراف لسعادة محمود باشا سليمان بالصورة الآتية : (وهنا ذكرنا صورة التلغراف) فلم يخامرني أى شك فى أن هذا التلغراف مفتعل وغير صادر منكم لأنه يصعب على جدا أن أعتقد أن سعد باشا زغلول ذاك الرجل العظيم يظن أن أمته من البلاهة بحيث تظن أن الاستقلال عبارة عن طرد أو شيء موجود فى مخازن اللوفر أو غيرها بباريس يمكنه مشتراه فى بضعة أسابيع والعودة به الى مصر ، فاذا كانت الأبواب الرسمية قد أقفلت فى وجه الوفد فهناك الأبواب الغير رسمية كالمجالس والهيئات النيابية والجرائد والرأى العام صاحب السلطان الأكبر على الحكومات ، كل هذه الأبواب مفتحة أمام الوفد . [٤٠١]

فجاءنى منه الرد يقول فيه : انا يجب على أن أبين لك الحالة هنا تماما وأنت لك أن تذيع فى الأمة ما يصح نشره وتخفى عنها ما لا يصح العلم بـه .

ولكن فات سعادته أن هذا التلغراف أرسل لمحمود باشا سليمان وأن أربعة من أعضاء اللجنة عرفوه قبل أن أطلع عليه .

على كل حال فانا أحمد الله الذى وفقنى لابتكار هذه الطريقة التى أقنعت بها حامله بعدم صحته .

***

ذكرت أن الوفد لما سافر الى أوربا انقطعت أخباره عنا ، فلم يرد منه أى خبر اللهم الا ذلك التلغراف المشئوم ، فرأيت من الضرورى أن أبذل كل جهدى للاتصال به اتصالا وثيقا دائما .

ولما كانت الرقابة لا تزال دائمة على جميع المخاطبات العادية والبرقية فقد فكرنا فى ايجاد طريقة تربط الوفد بلجنته وبالبلاد ، ولما كان مثل هذا العمل يحتاج الى كثير من الدقة والعناية ، فقد استدعيت موظفا كان يعمل تحت ادارتى بالأقاليم ، وكاشفته فى اختيارى اياه لمأمورية وطنيـة عظيمة خارج البلاد ، فاظهر استعداده لذلك وارتياحه لأنى جعلته موضع ثقتى ، وبعد أن وثقت به ومن تمكنه من الكتابة الى بطريقة رمزية مبتكرة علمته اياها ومن قدرته على حل رموز ما أرسله اليه خاصا بالوفد بلا خطأ أوفدته الى أوربا مزودا بالتعليمات اللازمة كى يبقى بعيدا عن كل شك حتى يقوم بمأموريته على الوجه الأكمل فقام بما كلف به خير قيام وأصبح الاتصال بين الوفد والبلاد اتصالا منظما ووثيقا (١) . [٤٠٢]

(١) هذا الشاب هو الاستاذ محمد وجيه وكان يعمل مع سعد بالجامعة المصرية وقد حصل على اجازة ثلاثة اشهر ونصف من الجامعة للعمل كسكرتير خاص لسعد زغلول فى باريس .

(انظر : د. محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ص ص ١٥ ، ٩٦ .

[٤٠٣] **انشــاء وزارة المواصلات**

وفى يوم ٣ يونيه سنة ١٩١٩ نشر المرسوم السلطانى . بانشاء وزارة المواصلات وهاك نصه :

« نحن سلطان مصر

بعد الاطلاع على الأمر العالى الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ بتوزيع مصالح الحكومة بين الوزارات ، ونظرا الى اتجاه رغائبنا على الدوام الى العمل بجميع الوسائل التى من شأنها ترقية ثروة البلاد وتوسيع نطاق الحركة الاقتصادية بها .

« ونظرا لما يعود من النفع من جراء حصر جميع المصالح الخاصة بطرق النقل على اختلاف أنواعها فى يد وزارة واحدة مما يؤدى على الدوام الى تنظيم وترقية وتحسين جميع وسائل النقل والمواصلات التى هى من أهم وأقوى العوامل فى نجاح البلاد ونماء الثروة العامة بها .

رسمنا بما هو آت

المادة الأولى : انشئت وزارة جديدة باسم وزارة المواصلات يتولى ادارتها وزير يعاونه وكيل وزارة وتكون هذه الوزارة الجديدة شــاملة للمصالح الآتية :

« مصلحة الســكة الحديدية والتلغرافات والتليفونات ، مصــلحة البوستة ، مصلحة الليمانات والفنارات ، قسم هندسة الأشغال البحرية ، الملاحة النهرية ، النقل الميكانيكى ، الطرق الرئيسية والكبارى ، النقل بالهواء للأشغال الملكية (الاشراف عليه والترخيص به ومراقبته) ويكون للوزارة الجديدة أيضا الاشراف العام على جميع سكك الحديد الضيقة .

« المادة الثانية : على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ هذا القانون » .

« فــؤاد »

[٤٠٤] ونشر مع هذا القانون كذلك المرسوم التالى :

« نحن سلطان مصر

« بناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، رسمنا بما هو آت :

« المادة الأولى : عين أحمد زيور باشا وزير المعارف العمومية وزيرا للمواصلات وأحمد طلعت باشا النائب العمومى لدى المحاكم الأهلية وزيرا للمعارف العمومية .

« المادة الثانية : على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا .

« فــؤاد »

[٤٠٥] **بلاغ وزارة الداخلية الى المديريات والمحافظات**

بعد أن سافر الوفد ونظمت طريقة الاتصال به ، وأصبح هو موضع آمال الأمة واعترفت به الوزارة اعترافا رسميا صريحا ، وجهت الجهود كلها لمعاونته فى مهمته ، بالقول والكتابة والمال ، ولم يعد للمظاهرات وأعمال العنف نفع كبير .

لذلك هدأت أحوال البلاد هدوءا نسبيا وأخذت الحياة العامة تعود بالتدريج الى سيرها العادى ، ولذلك أصدرت وزارة الداخلية فى يوم ٧ يونيه سنة ١٩١٩ الآتى الى المحافظين والمديرين وهو :

« بناء على ما علمنا من أغلب حضرات المديرين والمحافظين وكثير من الأعيان من انتشار الهدوء والسكينة فى البلاد ، فقد اتفقنا مع السلطة العسكرية على البدء فى أن نعيد للسلطات المحلية اختصاصاتها لتسيير الأمور تدريجيا من الآن فصاعدا فى مجراها العادى ـ كما كان الحال من قبل ـ وقد أصدرت أوامرها فعلا الى السلطات الفرعية لهذا الغرض .

« فالمأمول من حضرات المديرين والمحافظين ومن سائر الموظفين أن يقدروا هذه المسئولية التى ألقيت على عاتقهم حق قدرها ، وأن يضاعفوا الهمة ويبذلوا المجهودات القصوى للمحافظة على حالة الأمن بالبلاد واستمرار الهدوء والسكينة شاملين لجميع طبقات الشعب ونطلب منكم جميعا أن تعملوا يدا واحدة على تحقيق ما نرجوه ويرجوه كل محب لخير البلاد وسعادتها لما فى ذلك من الفوائد العظمى تحقيقا لرغائب عظمة مولانا السلطان وبالله التوفيق » .

قلنا ان الأمة لم تكن مرتاحة كل الارتياح الى تأليف الوزارة فى هذه الظروف ولذلك كان رئيس الوزارة ينتهز الفرص لشرح موقفه وبيان الظروف التى يعمل فيها واتباعا لهذه السنة تحدث الى مراسل جريدة الطان الفرنسية الحديث الآتى فى شهر يونيو ١٩١٩ .

[٤٠٦] **حديث محمد سعيد باشا رئيس الوزراء**
مع مراسل جريدة « الطان »

ان واجب كل فرد فى مثل هذه الأحوال الحرجة أن يكون حسن الادارة وانى بطبيعة الحال لا يخالجنى ريب فى مخاطر الحالة ، ولكن لما كان قد اعترف بأننى كنت صالحا فى مسألة خاصة ، فقد حسبت أنه قد تيسر لى أن أكون ذلك الوكيل الصالح عن الشعب .

ولا أجهل أن وزارتى هدف حملات شديدة ..

(وهنا تكلم دولته عن حرج موقفه وموقف زملائه الوزراء ، ثم قال :)

« ان الهياج كان أشد من أن يسكن دفعة واحدة . غير أننى لا أزال واثقا كل الثقة بوطنية مواطنى وحكمتهم وهل كان يصح ترك البلاد بلا حكومة واهمال حقوق مصر السياسية اهمالا يجعلها عرضة للضياع بمرور الزمن ؟ فنحن بازاء أمر واقع يجب أن نعتد به رضينا أو كرهنا . وهل كان يمكن أن نكون أكثر تقدما لو لم يكن اليوم هنا وزير مسئول يتكلم باسم مصر ؟

« نعم ان هناك الوفد المصرى وهو يقوم بمهمة جسيمة كبيرة وانك لتدرك بداهة أننى بصفتى مصريا لا يسعنى الا أن أتمنى له نجاحا تاما . ولكن هل كانت الأحوال الحاضرة تسمح له بمجابهة الدولة الحامية رأسا ، أليست مهمتى والحالة هذه أشبه شىء بالوسيط العامل بين الفريقين ؟ نعم انها لمهمة لا أغتبط عليها . ولكن لماذا ألام على قبول هذه المهمه فى حين أنها من أصعب المهمات ؟ هذا وان الوفد قد رفع القضية الى مؤتمر الصلح ، وهناك سيقرر مصيرنا ، كما تقرر مصير سائر الشعوب ، فنحن فى حالة ارتياب تام وواجبنا أن ننتظر .

[٤٠٧]

« وأنا أنتظر لأنى أعتقد أنه لايمكن الآن محاولة أى عمل يكون ثابتا ، فمنذ شهرين عندما دار البحث على ارسال اللجنة البريطانية التى رأسها ملنر الى القطر المصرى طلبت أنا نفسى تأجيل مجيئها لأنه لا يسعنا فى الحقيقة أن نتباحث الا متى مهد السبيل تماما فى باريس ، والذى أراه أن هذا العمل لا يتم الا بعد توقيع الصلح مع تركيا ، نعم ان بريطانيا العظمى تصرح لنا بأنها بسطت حمايتها على القطر المصرى ، ولكن هذا الحادث من حوادث الحرب .

« وما دامت لاتوجد وثيقة نهائية تتضمن تخويل حقوق تركيا الى انكلترا فكيف يمكن الشروع فى مفاوضات على قاعدة راسخة ؟ .

« لا شك فى أن لمصر حاجات جديدة وأمانى جديدة وبينما كان يظن أنها مخدرة بالخمول الشرقى اذا بها تبرهن للعالم الذى أدهشته على أنها قد تطورت أسوة بسائر بلدان العالم ، وان جهل هذه الحركة وأهميتها لما جعل حوادث الأشهر الأخيرة من الأمور المحتم وقوعها وفى اظهار الداء ارشاد للدواء ، فعسى جميع المخلصين الذين لا أنفك عن استنهاضهم أن يدركوا الحقائق وخطورة الحالة . وأنا أرجو كل الرجاء أن يمدونى بمعونتهم » .

الفهرس

تصميم الغلاف: محمد عماد

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة